تقريرابحاث سماحة المرجع الديني الشيخ محمد السند دام ظله

الموسوعة التفسيرية ٤

أسباب النزول تفسير

أمومة الولاية والمحكمات

للقرآن الكريم

الولاية قطب القرآن عليها تستدير محكماته



الشيخ محسن الحصاني



أسباب النزول

تفسير

أمومة الولاية والمحكمات

للقرآن الكريم

الولاية قطب القرآن عليها تستدير محكماته

تقرير أبحاث

سماحة المرجع الديني الشيخ محمد السند

الجزء الرابع

بقلم

الشيخ محسن الجصاني

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم صل على محمد وآله الطاهرين المُطهرين

اللهم كن لوليك الحجة بن الحسن المهدي صلواتك عليه وعلى آبائه في هذه الساعة وفي كل ساعة ولياً وحافظا وقائداً وناصرا ودليلاً وعينا حتى تسكنه أرضك طوعا وتمتعه فيها طويلا وهب لنا رأفته ورحمته ودعائه وخيره برحمتك يا أرحم الراحمين.



الاهداء

والسلام عليكم بجوامع السلام

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلۡعَصۡرِ ١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ٣﴾

صدق الله العلي العظيم

المحتويات

القاعدة الحادية عشرة
[في مراتب حجيّة القرآن]

القاعدة الثانية عشرة
(وحدة السورة ووحدة الآية ووحدة القرآن ووحدة السورة)

القاعدة الثالثة عشرة
[قاعدة النسخ في القرآن]

النظام الثاني من قواعد القرآن الكريم

ـ نظام معاني القرآن

ـ القاعدة العاشرة

ـ المحكم والمتشابه

لغة قرآنية بأسلوب نظم المعلومات من قواعد نظام الاستعمال اللفظي .

ـ المحكمات هي الميزان الأكبر في نظام أبواب الدين

مقدمة : إنَّ بحث قاعدة المحكم والمتشابه في القرآن الكريم هو في الحقيقة من أبرز معالم النهج .

[النظام الأول] :

نظام الاستعمالي اللفظي ـ وتمَّ الكلام عنه ـ بتوفيق الله تعالى ـ وهو يُعنى بألفاظ تنزيل القرآن ، وتقدّم فيه استعراض جملة من القواعد مثل :

قاعدة التعريض ، وقاعدة الالتفات ، وقاعدة إياك أعني واسمعي يا جارة ، وقاعدة استعمال اللفظ في أكثر من معنى وقاعدة الجري والتطبيق ، وقاعدة الذكر ، وقاعدة الامثال وقاعدة أسباب النزول ، وقاعدة قابلية ظهور الكلام الواحد لتعدد والتكثر ، وآخرها قاعدة المحكم والمتشابه والتي نحن الآن فعلاً بصددها ، وهي قاعدة مشتركة بين نظام الاستعمال اللفظي وبين نظام

المعاني ، ولا نعني حصر نظام الاستعمال اللفظي بذكرنا لهذه القواعد وإنما بما وفَّق الله من البحث في بعض القواعد لنظام الاستعمال اللفظي .

[النظام الثاني] :

نظام المعاني وهو نظام يُعنى بتأويل القرآن ، أي المعاني القرآنية هي في نفسها نظم وقواعد بخلاف نظام الاستعمال اللفظي للقرآن ، وسنذكر فيه قاعدة المحكم والمتشابه كنقطة انطلاق وبداية لما له صله بقواعد نظام المعاني في القرآن الكريم ، ونستعرض من قاعدة المحكم والمتشابه بمقدار ما يرتبط بنظام المعاني .

[النظام الثالث] :

وهو نظام حقائق القرآن ، وهو نظام يُعنى ببيان حقائق مكنونه ومحفوظة في حقائق القرآن .

وبالتالي فإنَّ هناك مجموعة قواعد مرتبطة بالنظام الأول ـ الاستعمال اللفظي في القرآن ـ وقواعد مرتبطة بالنظام الثاني ـ نظام معاني القرآن ، وقواعد مرتبطة بالنظام الثالث ـ وهي حقائق القرآن ـ .

[أولا] : الذي نتوخاه ونريد الوقوف عليه ونفهمه من القرآن الكريم والعترة الطاهرة ولذلك اقتبسنا اسم وعنوان منهجنا التفسيري المختار أمومة الولاية على المحكمات فضلاً عن المتشابهات في القرآن ومن أهم مميزات هذا المنهج التفسيري المختار هيمنته على ما سواه من المناهج التفسرية الأخرى ، وإنَّ كانت المناهج التفسيرية الأخرى سديدة ومتينة في حدودها ومستواها ودائرتها ، إلاَّ أَنَّ منهجنا التفسيري المختار هو المنهج الذي يُنَظِّم وتوزن به المناهج التفسيرية الأخرى ، ومستخرج من نفس قاعدة المحكم والمتشابه ﴿**هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ**

الكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ .

بتقريب : إنَّ نص القرآن الكريم يبين لنا أن بنيان كيان قائمٌ ومصمم على خارطة المحكمات ـ أم الكتاب ـ وبالتالي اذا استطعنا أن نراعي هذه الخارطة فسوف نتعرف على بنيان وكيان القرآن الكريم .

علماً أن الحديث في قاعدة المحكم والمتشابه طويل الذيل ، وأنَّ كل ما سنذكره من بحوث في هذه القاعدة هو بالدقة مرتبط بأصل منهج أمومة ولاية المحكمات على المتشابهات ارتباطاً وثيقا وبقدر ما الحديث عن هذا المنهج مترامي الأطراف ، كذلك الحديث عن قاعدة المحكم والمتشابه وسيع وطويلٌ ، ولا ندعي أَنَّ في بحثنا لهذه القاعدة أننا استوفينا البحث عنها ، بل بقدر ما نبحث عن نظم هذا المنهج فهو بقدر ما يكون بحث عن بنود أخرى وضوابط أخرى في قاعدة المحكم والمتشابه .

[ثانياً] : إنَّ قاعدة المحكم والمتشابه من أمهات القواعد وأقدمها في علوم القرآن ، وليست قاعدة متوسطة ، وإنما لها ارتباط وصلة بنظام الاستعمال اللفظي للقرآن بمعنى من المعاني وبالتالي لا صله لها به ، ولها ارتباط بنظام المعاني ـ معاني القرآن ـ بل ولربما لا صلة بنظام حقائق القرآن ، وهذا ليس أمراً ممتنعاً ، ولمرن كان بنفس الاسم والعنوان ، إلاَّ أنَّ المحتوى يختلف ، ولا مانع من اندراج القاعدة الواحدة تحت أكثر من نظام وبأكثر من معنى ، وإن كان الكثير أدرجوها في نظام الاستعمال اللفظي للقرآن ، الا أن هذا لا يمانع أن شطراً أو شقاً من هذه القاعدة يذكر في نظام استعمال اللفظي للقرآن ، والشق الأخر يذكر في مبحث نظام قواعد معاني القرآن ، وبالتالي لا مانع من اندراج القاعدة الواحدة في أكثر

من نظام وفي كُلِّ لها شكل ومعنى نظام يختلف عن الآخر ، و ابتداءاً من قاعدة المحكم والمتشابه سوف نلج شيئاً فشيئاً في نظام معاني القرآن .

[ثالثاً] : تعتبر قاعدة المحكم والمتشابه من أحد أهم القواعد الأساسية للمفَسِّر والباحث في علم التفسير في القرآن الكريم والتي تجعله مُتقناً وعدم مراعاتها ـ قاعدة المحكم والمتشابه ـ هو السبب في خطأ واخفاق المفسرين والباحثين وعدم وصولهم الى معاني القرآن ومرادات الآيات والسور ومغزاها .

[المحكمات هي الميزان الأكبر في نظام أبواب الدين]

قد وَرَدَ كون المحكمات ميزان[1] في أبواب متعددة :

منها : باب حجية خبر الواحد وأَنَّ ما وافق الكتاب والسُنة يؤخذ به ، وما خالف الكتاب والسنة يُطرح أو يؤول أو يُضرب به عرض الجدار ، وأَنَّ الأقرَب في معنى الموافقة هو الملائمة مع الاحكام الأولية ، وهو يتطابق مع نفي مطلق المخالفة من رأس ، فمثلاً اشتراط عدم البيع وعدم الهبة يتوافق مع تشريع البيع والهبة وايكالهما الى سلطة المالك ، فإن الاشتراط المزبور يتماشى مع طبيعة الجعل الشرعي الأولي في باب البيع والهبة فيكون وفقاً وموافقاً له ولا يتنافى معه كي يكون مخالفاً له ولو ينحو العموم والخصوص لمطلق .

ومنها : باب التعارض بين الروايات وأَنَّ ما وافق الكتاب والسُنة يؤخذ به وما خالفهما يُطرح وهو باب أو مطرد في غالب الأبواب

ومنها : في باب ميزان حُجيّة الشرط من أَنَّ المسلمين عند شروطهم مالم

---

(١) قال الشيخ المفيدﷺ في الفصول المختارة ص١٧٧ [... وأما أجماع الأمة فانهم مطبقون على أن كل ما خالف الكتاب والسنة فهو باطل...]

يخالف الكتاب والسنة ، وقد بحث ذلك الشيخ الأنصاري في المكاسب في بحث الشروط وكذلك شارحوا ومحشوا المكاسب أَنَّ هذه الضابطة والميزان من أصعب وأغمض القواعد على الاطلاق ، لأَنَّ إعْمالها ورعايتها يحتاج إلى احاطة شاملة وافِرة بأبواب وفصول الدين وتعددت آراءهم في معنى الموافقة والمخالفة بعد ما بيّنوا إِنَّ للموافقة وللمخالفة درجات ومراتب وأنَّ أياً منها هو المراد .(١)

ومنها : في باب الصلح وأَنَّ عقد الصلح جائز بين المسلمين ما لم يخالف الكتاب والسُنة .

ومنها : في باب طاعة الوالي وطاعة الأبوين وطاعة الزوجة للزوج .

ومنها : باب النذر واليمين والعهد .

ومنها : باب علم السيرة فانه لا يُقبل ما يروى فيها مما يخالف محكمات الكتاب والسُنَّة

بيان الأمور :

الأمر الأول : ثمَّ إنه لا يخفى أَنَ المراد من مخالفة الكتاب والسُنَّة هو مخالفة محكمات الكتاب والسنة ، فإنَّ مجموع الكتاب الكريم برمته يتمثل بالمحكمات ، فالمحكمات بمثابة الكتاب كُلِّه كما أَنَّ المحكمات السُنَّة بمثابة السُنَّة كُلّها ، وهذا يبين مدى خطورة وعظمة المحكمات وأنّها عرش الكتاب كما وصفها القرآن الكريم نفسه بإنَّها أمَّ الكتاب ، أي المصور الذي تكوّن منه الكتاب والمحور وقطب الرُحى لمجموع الكتاب .

---

(١) تعرض سماحة شيخنا الاستاذ محمد السند (حفظه الله) مُفصَّلاً لهذا المبحث في كتابه البحوث في القواعد الفقهية ج ٣ ص ٤٣.

الأمر الثاني : إِنَّ معاني المحكمات لها هيمنة على جميع ومجموع معاني آيات السور في القرآن الكريم ، وهذه الهيمنة بمعنى العمومية والسريان وبمثابة الجنس لما دونه من أنواع وأصناف ، أو بمثابة الجوهر للإعراض وهذا يبين مَدّعى ركنية وعمادية وقواميه المحكمات للكتاب كُلِّه .

[عموم قاعدة المحكم والمتشابه في عِدَّة علوم]

الأمر الثالث : بأَنَّ قاعدة المحكم والمتشابه ليست فقط قاعدة قرآنية كما سوف يتضح من خلال البحث ، وإنما هي قاعدة أديانية في الدين الحنيف والمعرفة الدينية ولا يقتصر فيها على المعرفة القرآنية والتفسير ، وإِنْ كانت من أعظم نماذج المعرفة القرآنية إلاَّ أنه لا يقتصر عليها ، فإِنَّ الدين الحنيف له مصادر واعظمها القرآن الكريم ، ثمَّ السُنَّة النبوية الشريفة وسُنَّة المعصومين وبداهة العقل وأصل الفطرة البديهية التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ومن أعظم محاور الدين هو محورية المحكمات ، والحاكم على المحكمات الكتاب حسب رواية العيّاشي بسنده عن مسعدة بن صدقة **عن الإمام الصادق**عليه السلام «**إِنَّ الله جعل ولايتنا أهل البيت قطب القرآن وقطب جميع الكتب عليها يستدير محكم القرآن وبها نوّهت الكتب ويستبين الأيمان**»[1] .

بتقريب : أنَّ الأديان والشرائع كلُّها لها محور دين واحد وهو ولاية الله ثم ولاية سيد الأنبياء ، ثمَّ ولاية العترة الطاهرة ، ثم ولاية الأنبياء .

والمهم من كل هذا إِنَّنا لا ننظر إِنَّ يعطي معطيات الوحي وبشكل مجزّء ومفكك فإما النظرة المجزئة للوحي هي من أخطر المخاطر على الدين ، وهذا ما

---

(١) تفسير العياشي ج (١) ص (٧٨) ح ٨ باب فضل القرآن.

نصَّت عليه المحكمة القرآنية ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾[1]

[صلة نظام أمومة الولاية وبالمحكمات بقاعدة المحكم والمتشابه]

بتقريب: إِنَّ من أحد أسباب نشوء الزيغ والضلال و الانحراف هو الإخلال بهذا المنهج وبهذه الخارطة والهندسة والتصميم الإلهي للقرآن، والتي يقرُّ عليها القرآن وبتأكيد شديد إلاَّ وهي محورية ومركزية المحكمات، ومحور المحكمات هو ولاية أهل البيت وولاية الرسول صلى الله عليه وآله بعد ولاية الله عَزَّ وجَلَّ.

وهذا تحذير من القرآن الكريم لمن أراد أَنْ يخوض غِمار التفسير ولا ينحرف ولا تأخذه الشبهات والزيغ، بمعنى أَنَّ المفسِّر لا يصل إلى الهدف المنشود والغاية الصحيحة للآيات والسِوَر ويحقق في الوصول إلى غاية الآية أو السورة، إِنْ لم يجعل نصب عينه النقطة المركزية والمحورية في التفسير الموضوعي وغيره في الموضوعات المختلفة للسور القرآنية وهي أمومة ولاية أهل البيت.

إِنَّ قاعدة المحكم والمتشابه ـ المحكمات معنى على طبقات ـ لها ارتباط وطيد بمنهج أمومة الولاية على المحكمات فضلاً عن المتشابهات في القرآن، فان هوية القرآن تثبت وتتقرر حتى بالطبقة النازلة من المعاني، وأما الطبقات الفوقية والعليا فتلك أصل متأصل جذري وأساسي أكثر وأقوى لهوية القرآن، فمثلاً لو لاحظنا حقيقة أو معنى معين أصلي ومحوري يذكره القرآن في مواضع متعددة منه كما في تصوير العدسة القرآنية لقصة موسى وفرعون أو ابراهيم والنمرود، واستعراضه لهذه القصص والأحداث بألفاظ مختلفة وفي أغلب الأحيان يكون

---

(١) آل عمران: ٧.

ذكر القرآن بألفاظ غير عربية كاللغة العبرية أو القبطية أو السريانية أو غيرها ، ولكن مع ذلك تبقى حقيقتها كما هي وإن اختلفت الالفاظ والقوالب وهذا مما يدل على أن حقائق الأشياء أو الأحداث أو الأمور ليست بالألفاظ الصوتية واللغة اللسانية ، وإنما ارتباطها الوثيق بالمعاني .

[تقديم الولاية على المحكمات في الامومة]

[وجه تقديم الولاية علي المحكمات في الأمومة والمركزية في المنهج التفسيري المختار امومة الولاية على المحكمات فضلاً عن المتشابهات في القرآن]

عرفنا من خلال البحوث السابقة أو سيتضح أكثر في بحث قاعدة المحكم والمتشابه أَنَّ الأحكام على طبقات وليست على طبقة واحدة، وتعتبر الولاية ـ اي ولاية الله عَزَّ وجَلَّ ثم ولاية الرسول صلى الله عليه وآله، ثمَّ ولاية اهل البيت ـ من أَحكَم وأتقن وأعْلى طبقات المحكمات القرآنية، ولذا نلاحظ في كافة التفاسير الروائية الواردة عن أهل البيت ـ مثل تفسير فرات الكوفي أو تفسير علي بن ابراهيم القمي، وتفسير أبي الجارود أو تفسير النعماني أو تفسير العياشي او تفسير البرهان وتفسير نور الثقلين وغيرها ـ التأكيد على ارجاع مآل كل حكَم أو أدب أو معرفة إلى ولاية آل محمد صلوات الله عليهم أجمعين ـ ثم ولاية سيد الأنبياء، ثم ولاية الله تعالى كأصل الشجرة الذي تتفرع عنه أغصان كل الشجرة كذلك مقامنا منه.

وفي هذه النقطة اختلف منهجنا التفسيري المختار أمومة الولاية على المحكمات في القرآن عن منهج السيد العلامة الطباطبائي قدس سره فإنَّ الموقف أو النظرة العلمية له رحمه الله حول هذه الخارطة لم ينظر إليها كشجرة وأصل وساق وأنَّ هذه

غصون لها، وإنَّما ذلك من باب التطبيق لأبرز المصاديق أي من باب الجري والتطبيق[١].

والمنظور هو أَنَّ الأصل وهو المعنى العام قالبٌ وكليٌ تكون فيه كل المصاديق بعرض واحدٍ، وتكون الخارطة الهندسية المرسومة ـ على مبنى السيد العلامةﷺ لآيات وسور القرآن الكريم عبارة عن قوالب كُليّة هي الأصل.

وأما على مبنى المنهج التفسير المختار ـ أمومة الولاية على المحكمات ـ فإنَّ النظرة العلمية لهذه الخارطة يُنظر إليها كشجرة وأصل وساق، وأَنَّ هذه غُصون وليست قالباً كليّاً كمسطرة قياس تنطبق على موارد متعددة، وإنَّما الخارطة كشجرة طيّبة تُؤتي أكُلها كلَّ حين، وتبدأ فكرة الشجرة والمشجرات والأغصان من الاساس ثم تتفرع فروعها الى الأفرع النازلة، وهكذا التناسب بين الأفرع على هذا الأساس والفكرة.

وببيان وزاوية أخرى أَنَّ في هذا المنهج ـ أمومة الولاية ـ يُرَّكز فيه على الحقيقة، وأَنَّ المعنى العام انعكاس ظليٌّ تبعي لتلك الحقيقة كانعكاس الصورة المرآتية عن أهل الحقيقة كما أن بقيَّة مصاديق المعنى هي الأخرى و جوداتٌ تبعية ظلية لوجود الحقيقة الكبرى فالحقيقة الكبرى هي الأصل المعني من اللفظ، والمعنى العام ظلٌ تبعيٌّ وكذلك وجودات المصاديق الأخرى الصُغرى.

ويتضح هذان البيانانَّ أكثر بضميمة بيان ثالث وهو نظام أصول القانون الذي شرحناه مراراً، نظير النسبية بين المادة القانونية الفوقية وتفرّع المواد

---

(١) تقدّمت مناقشة السيد العلامةﷺ مفصلاً في القاعدة الخامسة الجري والتطبيق بداية الجزء الثاني من تفسير أمومة الولاية على المحكمات فضلاً عن المتشابهات في القرآن للشيخ محمد السند ـ حفظه الله.

القانونية الوزارية ، فالمواد القانونية الدستورية بمثابة الشجرة ، والمواد القانونية البرلمانية بمثابة الأغصان والمواد القانونية الوزارية بمثابة الأفرع .

[علم نظم المعلومات قائمٌ على لغة الهندسة والرياضيات]

فائدة : من الممكن ترجمة أيَّة فكرة من الافكار في أي فن من الفنون وفي أي علم من العلوم بلغة هندسيّة رياضيّة حتى القرآن الكريم مارسها بأسلوب ترجمة تمثيل الافكار بأشكال هندسية ، أو أعداد رياضية ، فإنَّ اللغة في القرآن كشجرة أو كلمة طيّبة حقيقية ولها واقعيّة وسببيّة ، فإنَّ الهندسة والرياضيات وسائر العلوم الحديثة لأَنَظم المعلومات والمعرفة قائمٌ على لغة الهندسة والرياضيات ، بل حتى علم الاحصاء قائمٌ على فكرة نظم المعلومات بلغة رياضية هندسيّة ، وهذه هي أحد الاساليب استعملها القرآن الكريم في مناهج الأساليب الاستعمالية للقرآن أو الفكرية المعنوية أو غيرها .

مضافاً إلى استعمال القرآن إلى لغات أخرى كلغة الأرقام، ولغة الاحصاء ، ولا يقتصر بها على الرقم الرياضي والشكل الهندسي ، بل يتعدى حتما لمثل كلمة طيّبة وشجرة طيّبة تؤتي أكلُها كُلَّ حين .

اذن تبيان القرآن الكريم للحقيقة والمعارف والعوالم الغيبية من قبيل الشجرة ، عندها سدرة المنتهى آخر العالم الجسماني ، وما وراءه عوالم نورية أخرى وأخرى ، فمثلاً بيَّن ورسم لنا القرآن الكريم مسألة الأسراء والمعراج ـ الجسماني والروحاني ـ بلغة هندسية ، وأما العالم الجسماني كُلُّه أفرع وأغصان من ساق شجرة سدرة المنتهى والتي أصلها بيَّنته روايات أهل البيت في بيت محمد ﷺ إلى غير ذلك مما بيَّنه القرآن بلغة قرآنية وبلغة نظم المعلومات ، وباللغة الرقمية والهندسية .

ونفس هذا البيان يعتمده القرآن الكريم في وصف هذا المنهج **﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾**[١] .

بتقريب : إنَّ هذا الرسم الهندسي الذي يعتمده القرآن اقتنصنا واقتبسنا منه منهجنا التفسيري المختار أمومة الولاية على المحكمات ، وهذا بخلاف ما ذهب إليه السِّيد العلامة الطباطبائيﷺ في منهجه المختار ـ تفسير القرآن بالقرآن ـ هو وإنَّ كان منهجاً سديداً وفيه تفاصيل جزئية تحتانيّة في القرآن إلاَّ أنه ليس رسماً لكل بنيان وكيان القرآن ، بخلاف الرسم البنيوي الذي يرسمهُ لنا القرآن وبيانات أهل البيت ورواية مسعدة بن صدقة **عن الإمام الصادق**عليه السلام **«إنَّ الله جعل ولايتنا أهل البيت قطب القرآن وقطب جميع الكتب عليها يستدير محكم القرآن وبها نوّهت الكتب ويستبين الإيمان»** [٢] .

بتقريب : إنَّ الله جعل ولاية أهل البيت قطباً أي مركزاً أو محوراً ومداراً أو قطب جميع الكتب ، فإنَّ مثل هكذا رسم هندسي قرآني ليس قالباً ومصاديق ومسطرة ، وإذا اعتمدنا هذا الرسم الهندسي في القرآن الكريم فإنَّنا ـ بإذن الله ـ سنصل إلى حدٍّ ما من الحقيقة والواقعية بشكل أوفر في حقيقة كيان وبنيان تفسير القرآن ـ وأما إذا اعتمدنا الرسم الهندسي القرآني على منهج السِّيد العلامة الطباطبائيﷺ وجملة من تلامذته فإنَّه ينتهي إلى هذه المعادلة من أنَّ الأصل القرآني كقالب المعنى العام ، وما ذكره أهل البيت في البيانات الواردة عنهم يعتبر مصاديق موارديه على تفسير منهج السِّيد العلامةﷺ وهو خلاف ما بيّنته روايات أهل البيت فإنَّ القالب الكليّ ليس هو الأصل وإنَّما المصداق هو الأصل وذاك

---

(١) سورة آل عمران: الآية (٧).

(٢) تفسير العياشي، ج (١)، ص (٧٨)، ح ٨، باب فضل القرآن.

المعنى الكلي ، نعم وإنَّ كان نفس السيد العلامة ﴿قدس سره﴾ تبعاً لملاصدرا﴿قدس سره﴾ يعترف بأنَّ الحقائق في القرآن هو الأصل والمعاني فرعٌ لا العكس ، وهذا مأخوذ من بيانات القرآن وأهل البيت .

نظير ما تقدّم في منهج أمومة الولاية على المحكمات يشتمل على ثلاثة أَنّظمة : نظام الاستعمال اللفظي في القرآن ، ونظام معاني القرآن ، ونظام حقائق القرآن ، وأَنَّ نفس الأَنّظمة الثلاثة بعضُها مهيمن على البعض الآخر ، وأَنَّ النظام الاستعمالي هو بمثابة قنطرة عبور الى نظام المعاني ، ونظام المعاني بمثابة جسر عبور الى نظام الحقائق ، وعليه فإنَّ نظام الحقائق أصلٌ والمعاني فرعٌ والاستعمال هو فرع الفرع .

[آفات الغفلة عن قاعدة المحكم والمتشابه] [المخاطر المترتبة على عدم مراعاة المفسر لقاعِدة المحكم والمتشابه]

إنَّ عَدَم مُراعاة المفسر لقاعدة المحكم والمتشابه في تفسير آيات القرآن الكريم يُوقعه في مخاطر :

منها : قلب حقيقة المعاني رأساً على عقب ، فيشاهِدُ سور وآيات القرآن المستقيمة والمتزنة بصورة معكوسة ومعرفة مقلوبة .

منها : تشتت آيات وسور القرآن الكريم مع أَنَّها موجودة في نظام ومنظومة واحِدَة وقد وصفه القرآن الكريم بالزيغ والفتنة ، عند جعل المحور في أتباع المتشابه وترك المحكم ، وعند ترك أخذ التأويل من الراسخين في العلم .

[مدرك القاعدة]

لا يخفى إِنَّ قاعدة المحكم والمتشابه ليست من أمهات القواعد التفسيرية

فحسب ، بل هي من أمهات قواعد المعرفة في العلوم الدينية .

[التعريف بخطورة القاعدة]

ولو قيل أَنَّها من أمُّ قواعد منهج المعرفة في الدين لما كان هذا الوصف مبالغاً فيه .

[ألسِنة القاعدة]

أولاً : الآيات

إِنَّ هذه القاعدة قد ورَدَت في بيان الوحي بعِدَّة ألسنة :

اللسان الأول : المحكم والمتشابه وقد دَلَّتْ عليه الآيات المباركة .

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ﴾(١) .

وفي هذه الآية المباركة يمكن ذكر جملةٍ من النقاط :

النقطة الأولى : تقسيم آيات القرآن الكريم إلى محكمٍ ومتشابه .

النقطة الثانية : وصف المحكم بأَنَّه أمُّ الكتاب ، أي المرجع والمركز والأصل للكتاب ، والقطب الذي تدور عليه رُحى الكتاب .

النقطة الثالثة : إِنَّ إِتّباع المتشابه منعزلاً عن المحكم زيغٌ وفتنة .

النقطة الرابعة : إِنَّ الآية المباركة رغم أَنَّها جعلت المحكم قطباً ومرجعاً للمتشابه إلاَّ أَنَّها حصرت صلاحية تأويل المتشابه ـ والتأويل هو ارجاع المتشابه

---

(١) سورة آل عمران: الآية (٧).

إلى المحكم بالله تعالى ومن بعده بالراسخين بالعلم سواء جعلنا الواو في ﴿وَالرَّاسِخُونَ﴾ عاطفه أو استئنافية بشهادة قوله تعالى: **﴿لاَّ يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُون﴾**[١] أي أهل البيت الذين وصفوا بآية التطهير.

وقوله تعالى: **﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ﴾**[٢]

وقوله تعالى: **﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾**[٣]

بتقريب: إِنَّه وُصِفَ الكتاب كُلَّه بأَنَّه آيات بيّنات لا تشابه فيها في صدور الذين أوتوا العلم مع أَنَّه قد وُصِفَ في سورة آل عمران أَنَّ الآيات على قسمين محكمٌ ومتشابهٌ، إلاَّ أَنَّ القرآن الكريم في موضع آخر منه وُصِفَ بأَنَّ كُلّ آيات الكتاب بأنَّها بيّنات في صدور الذين أوتوا العلم، مما يدلل وبشكل صريح بأَنَّهم - أي أئمة أهل البيت يعلمون علم تأويل الكتاب كُلِّه بتعليم من الله ورسوله، ومقتضى ذلك، جعل الله لهم القوام على تأويل الكتاب وتفسيره، وأَنَّ وُصِفَ القرآن بأَنَّه تبيان لكل شيء وعربيٌّ مبين كُلّه إنَّما هو بلحاظهم - أي أئمة أهل البيت - وأما بلحاظ غيرهم من عامة الناس فينقسم إلى بيِّنٍ ومجمل، كما ينقسم المحكم والمتشابه فأمومة المحكمات للمتشابهات لا يقوم لها قوام من دونهم، فيكون لهم الأمومة لتحقق امومة المحكمات، فهم أمّ لأم الكتاب وبذلك يتبين الأصل القرآني لمفاد ورواية مسعدة بن صدقة «**إِنَّ الله جعل ولايتنا أهل البيت قطب القرآن، وقطب جميع الكتب عليها يستدير محكم القرآن وبها نوّهت الكتب ويستبين الايمان**»[٤] كما بيَّنت ذلك بقيّة الروايات، هذا مع أَنَّ حصر التأويل بالله

---

(١) سورة الواقعة: الآية (٧٩).

(٢) سورة العنكبوت: الآية (٤٩).

(٣) سورة الفاطر: الآية (٣٢).

(٤) تفسير العياشي، ج (١) ص (٧٨) ح ٨، باب فضل القرآن.

عَزَّ وجَلَّ من دون ايحائه الى أصفيائه لازمه تعطيل المتشابه ، وانتفاء فائدة أمومة المحكمات ، فلا محالة يُطلع الله خاصة أصفيائه وهم الذين نَوَّه القرآن الكريم باسمهم بأنَّهم يَمسون الكتاب ، وأنَّه عَزَّ وجَلَّ أورثهم الكتاب لاصطفائه إيّاهم .

[في الردِّ إلى أم الكتاب والسُنة]

اللسان الثاني : العرض على الكتاب والسُنة [مدارية الكتاب والسُنة]

وما وافق الكتاب والسنة وما خالفهما سواء في باب أصل حُجيّة الرواية ، أو في باب الترجيح بين تعارض الروايات ، أو في باب صحة الشروط في العقود أو في باب النذر وأخويه أو باب الولايات سواء العامة أو الخاصة ، أو في باب الصلح والعهد سواء على الصعيد الفردي والاجتماعي والسياسي ، أو باب الأولياء وهذه القاعدة وإِنَّ جرى تداولها في المعاملات ولاية العاملات كضابطة في الشروط الضمنية المعاملية ، إلاَّ أَنَّ الصحيح عموم هذه القاعدة لأبواب الفقه السياسي والحكم ، كما وأَنَّها ذات أهمية كبيرة في البحث المتداول في هذا العصر وهو بحث الثابت والمتغيّر في الشريعة والذي يُضفي بضلاله على كيفية تغطية الشريعة لكل الحوادث المستجدة ولكل أصعدة الحياة لحديثة .

وقد دلت عليه جملة من الآيات المباركة :

منها : قوله تعالى : **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا الله وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى الله وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِالله وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾**[1]

(١) سورة النساء: الآية (٥٩).

منها: قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾(١)

[وحدة الكتاب والدين والرسل]

اللسان الثالث: وحدة الكتاب ووحدة الدين ووحدة الرسالات للرُسُل.

وقد دلَّت على ذلك عدَّةَ آيات قرآنية.

الآية الأولى: قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾(٢)

الآية الثانية: قوله تعالى: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾(٣)

الآية الثالثة: قوله تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾(٤)

الآية الرابعة: قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾(٥)

الآية الخامسة: قوله تعالى ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾(٦)

---

(١) سورة النساء: الآية (٨٣).

(٢) سورة الحجر: الآية (٩١).

(٣) سورة البقرة: الآية (٢٨٥).

(٤) سورة البقرة: الآية (٢٥٣).

(٥) سورة النساء: الآية (٨٢).

(٦) سورة الشورى: الآية (١٣).

الآية السادسة : قوله تعالى ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ العِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللهِ فَإِنَّ اللهَ سَرِيعُ الحِسَابِ﴾[1]

اللسان الرابع : [وحدة السُنَّة الإلهية]

وقد دلّت عليه آيات منها : قوله تعالى : ﴿سُنَّةَ اللهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلًا﴾[2]

وقوله تعالى: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللهِ تَبْدِيلًا﴾[3]

هذه الألسُن وغيرها المتقدمة فقد قرّرت في محالها التي أشرنا اليها .

ثانياً : الروايات[4]

الرواية الأولى :

ذكر صاحب البحار ﷺ الرواية عن النعماني[5] ووصفها بأنّها رسالة مفردة

---

(١) سورة آل عمران: الآية (١٩).

(٢) سورة الاحزاب: الآية (٦٢).

(٣) سورة الفاطر: الآية (٤٣).

(٤) ومضمون هذه الروايات الذي هو عبارة عن وجوه صناعية وأدلّة على هذه القاعدة وهي مقررة في جملة من الآيات والأحاديث النبوية وأحاديث أئمة أهل البيت إلا أنَّ جميع هذه القواعد والالتفاتات اليها من بركات تبيان وتعليم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام لما في هذه الآيات والأحاديث النبوية، بل وكثير من العلوم اصلها القرآن والحديث النبوي وروايات أهل البيت عليهم السلام ، منبهة على مضمونها في الآيات والأحاديث النبوية ولولا تنبيه أئمة أهل البيت وتعليمهم لما التفت الباحثون وتنبهوا لذلك وكل واحدة من هذه الروايات العلوية تتعرض لقواعد وأصول ومحاور وأعمدة لم تتعرض لها الأخرى.

(٥) هو محمد بن إبراهيم بن جعفر ابن أبي زينب المعروف بالنعماني من واسط العراق وأحد تلامذة الشيخ الكليني الذي عاش زمن الغيبة الصغرى وأوائل الكبرى، وله تفسير جليل الا أن الكثير

وهي : قال : أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن جعفر النعماني رضي الله عنه في كتابه تفسير القرآن حدثنا أحمد بن محمد بن سعيد بن عقدة قال : حدثنا أحمد بن يوسف بن يعقوب الجعفي عن اسماعيل بن مهران عن الحسن بن علي بن أبي حمزة عن أبيه عن إسماعيل بن جابر قال : سمعتُ أبا عبدالله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام يقول : **إنَّ الله تبارك وتعالى بعث محمداً صلى الله عليه وآله فختم به الأنبياء فلا نبي بعده وأنزل عليه كتاباً فختم به الكتب ، فلا كتاب بعده ، أحلَّ فيه حلالاً وحرَّم حراماً . . .** ثم سألوه صلوات الله عليه عن تفسير المحكم في كتاب الله عَزَّ وجَلَّ فقال : **أما المحكم الذي لم ينسخه شيءٌ من القرآن الكريم فهو قول الله عَزَّ وجَلَّ ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾**[1] وإنَّما هلك الناس في المتشابه لأنَّهم لم يقفوا على معناه ولم يعرفوا الحقيقة فوصفوا له تأويلاً من عند أنفسهم بآرائهم فاستغنوا لذلك عن مسألة الأوصياء ، ونبذوا قول رسول الله صلى الله عليه وآله وراء ظهورهم ، والمحكم ما ذكرته في الأقسام مما تأويله في تنزيله من تحليل ما أحلَّ الله سبحانه في كتابه وتحريم ما حرَّم الله من المآكل

منه ضاع علينا – وللأسف ـ وقد ذكر هذه الرواية الشيخ علي بن إبراهيم بن هاشم القمي ـ كوفي الأصل هاجر مع والده ابراهيم بن هاشم الى مدينة قم، وإبراهيم بن هاشم هو أوّل من نشر حديث الكوفيين في قم ـ وهو ابن علي استاذ الكليني قدس سره والكليني استاذ ابن أبي زينب النعماني، وعليه فان أصل الرواية نقلها النعماني عن استاذه الكليني عن استاذه علي بن إبراهيم بن هاشم القمي، وقد ذكر القمي الرواية بكاملها في مقدمة تفسيره.

وقد ذكر في موسوعة السيد الشريف المرتضى قدس سره ج (١٧)، ص (١١) مجموعة رسائل منها رسالة المحكم والمتشابه إلا أنَّ هذا من باب اطلاق اسم الجزء على الكل، لأن في هذه الرسالة وهي هذه الرواية فنوناً جمّة من علوم القرآن تندرج تحت عناوين رئيسية كالناسخ والمنسوخ، والمحكم والمتشابه والتنزيل والتأويل، وقد وشحت هذه الرسالة بأمثلة كثيرة على كل نوع من هذه الأنواع.

(١) سورة آل عمران: الآية: (٧).

والمشارب والمناهج . . . واحتجوا بالمتشابه وهم يرونه أنَّه المحكم ، واحتجوا بالخاص وهم يقدرّون أنَّه العام . . . ثم سألوه عن المتشابه من القرآن فقال : وأما المتشابه من القرآن فهو الذي الحرف منه متفق اللفظ مختلف المعنى . . . وسألوه صلوات الله عليه عن متشابه الخلق فقال هو على ثلاث أوجه ورابع . . . وسألوه عن المتشابه في تفسير الفتنة . . . . الخ][1]

وفي هذه الرواية ببيان لعدَّة أمور :

الأمر الأول : بأنَّ العلم بالمحكم يشتبه بينه وبين المتشابه ، بعد كون حقيقة الإحكام والمتشابه ليس في معنى اللفظ بقدر ما هو في طبقة المعنى وهيمنته في منظومة معاني حقائق الدين ، فلا يتيسر العلم الكامل به لغير المعصوم عليه السلام .

الأمر الثاني : أنَّه عليه السلام بيَّنَ سبب ضلال الناس بالمتشابه لمنشأين :

الأول : عدم وقوفه على معناه

الثاني : عدم الوقوف على الحقيقة فيه ، واضطرهم ذلك إلى ارتكاب تأويلاً له من عند أنفسهم أي بحسب طاقتهم المحدودة القاصِرة ولم يطلبوا حقائق التأويل من الأوصياء .

وفي كلامه عليه السلام إشارة إلى البرهان الموجود في آية آل عمران ٧ **﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ﴾** الدال على تصاعد وتعاظم طبقات التأويل الى ما أشار إليه الحديث النبوي في وصفه لحقيقة القرآن وأنه **[حبل ممدود طرف منه عند الناس وطرف منه عند الله]**

وهذا التصوير منه عليه السلام متطابق مع حصر العلم بالتأويل بالله تعالى .

---

(١) بحار الأنوار/ جزء ٩٠، ص (٩٠) ب (١٢٨)، ص (٣).

الأمر الثالث: تمَّ بيَّن عليه السلام أحد أنواع المتشابه اتفاق اللفظ مع اختلاف المعنى فيظن من وحدة المعنى.

الأمر الرابع: وذكر عليه السلام في هذه الرواية الطويلة جملة من أمثلة المتشابه في اللفظ الواحد ذو المعاني المتعددة مع كون عناوين تلك الالفاظ المتشابهة من المحاور المبهمة في منظومة الدين كلفظ الضلال والوحي والخلق والفتنة وعنوان القضاء والنور والأمة.

الرواية الثانية:

[فهل كان فيما أظهره رسول الله صلى الله عليه وآله من علم الله عَزَّ ذكره اختلاف؟ فإنَّ قالوا: لا فقل لهم فمن حكم بحكم الله فيه اختلاف، فهل خالف رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فيقولون نعم، فان قالوا لا فقد نقضوا أوّل كلامهم فقل لهم ما يعلم تأويله إلاَّ الله والراسخون في العلم، فإنَّ قالوا مَن الراسخون في العلم؟ فقل مَن لا يختلف في علمه فان قالوا فمن هو ذاك؟ فقل كان رسول الله صلى الله عليه وآله صاحب ذلك، فهل بَلَّغَ أولا؟ فإنَّ قالوا: قد بلّغ فقل: فهل مات صلى الله عليه وآله والخليفة من بعده يعلم علماً ليس فيه اختلاف؟ . . . فقل هذا الأمر الحكيم الذي فيه يفرق هو من الملائكة والروح التي تنزّل . . . وأقول قد عرضت لبعض أهل الأرض مصيبةٌ ما هي في السنّة والحكم الذي ليس فيه اختلاف وليست في القرآن، أبى الله لعلمه بتلك الفتنه أن تظهر في الأرض وليس في حكمه رادَّ لها ومفرِّج عن أهلها . . . فقال الرجل: أشهد أنكم أصحاب الحكم الذي لا اختلاف فيه ثم قام الرجل وذهب فلم أره[1]

---

(١) الكافي ج (١) ص ٢٩٨ ـ ص٣٠٢ ـ ب ٩٨ في شأن انا انزلناه في ليلة القدر وتفسيرها.

بتقريب : انهعليه السلام يُشير الى وصف المحكمات في سورة آل عمران ، الآية (٧) ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ .

وأَنَّ معنى الإحكام هو الذي لا اختلاف فيه وأَنَّ رسوخ الراسخين في العلم أيضاً هو أَنَّ لا يكون اختلاف في حكمهم وعلمهم ، كما أَنَّهعليه السلام بيَّن إِنَّ وصف الحكيم في الأمر النازل في ليلة القدر هو أيضاً لأجل إِنَّ لا اختلاف فيه .

أذن من خاصة معنى المحكم والإحكام هو يُوَّحِد شتات حلقات منظومة الدين أو القرآن الكريم وتكون تلك الحلقات بشكل منتظم ومُوَّحِد ، ويعتبر هذا التنظيم نوع هيمنة ، لأنَّ الَّموِحد والمَنسِق والرابط بين حلقات مختلفة ومتعددة يكون له ـ المَوَّحِد ـ نوع هيمنة على الحلقات مما يُعطي بالتالي معنى للأحكام والمحكم إلاَّ وهو المركزية والقطبية والمحورية والهيمنة ، ولذا فإِنَّ المحكم بطبعه مهيمنٌ فيكون مُوَّحِداً .

والمفسِّر الفَطِن إذا لم يُدرك معنى المحكم والإحكام المهيمن ـ لا مجرد الاقتصار على معنى الإحكام اللغوي ـ جانب المعنى الصحيح فسيَرى ويظن إنَّ بعض آيات القرآن متدافعة ومتضادة ومتناقضة مع بعضها الآخر ويصعب عليه نظمها في نسق واحد ، بخلاف مالو أدرك المفسر أو الباحث طبقات المعرفة القرآنية والدينية التي تهيمن على هذه الأمور المتشتتة والتي يتوهم أنَّها متدافعة ، وبالتالي سيكون لديه نوع من الاطمئنان والسكون لأَنَّه سيرى النسق الحاصل مِن مفاد المحكمات المهيمنة الموحَّد بين هذه الأمور التي هي بالظاهر متدافعة أو متناقضة ، بل ويُعطي هذا المعنى للإحكام غوراً ثاقباً في معرفة الغايات الحكيمة

من قضاء الله عَزَّ وجَلَّ ، لأنَّ فتنة الزيغ تسبب للمفسِّر أو الباحث أو للإنسان رؤية متشتتة ولربّما في بعض الأحيان تَصُدُّ وترّد الإنسان عن إيمانه ـ والعياذ بالله ـ إذا لم يستطع أن يؤلّف ويوَحِّد بين المتشتت بشكل موَّحَد ، أمّا إذا استطاع إنَّ يجمع بين المتبعثر والمشتت بشكل موَّحَد فإنَّه حينئذٍ أحكم معرفته ، واستطاع إنَّ يجمع بين مواقف المعصومين المختلفة ، ويستطيع أن يجمع بين آيات القرآن الكريم المختلفة ويخرج بوجه جمع متناسب فيها بينها من دون تعارض وتهافت ، وبالتالي يكون علاج المتشابه والزيغ الانحراف والضلال بالوصول الى المحكم ، والمحكم هو مدار الصلح بين التدافعات والحلقة الرابطة والواصلة والمنسقة بين المتشابهات .

الرواية الثالثة :

جاء بعض الزنادقة إلى أمير المؤمنين عليه السلام وقال له : لولا ما في القرآن من الاختلاف والتناقض لدخلتُ في دينكم ، فقال له عليه السلام **وما هو ؟** قال : قوله تعالى **﴿نَسُوا الله فَنَسِيَهُمْ﴾**[1] وقوله تعالى : **﴿فَاليَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا﴾**[2] . . . **فقال له أمير المؤمنين** عليه السلام **فأمّا قوله تعالى ﴿نَسُوا الله فَنَسِيَهُمْ﴾ إنَّما يعني نسوا الله في دار الدنيا لم يعملوا بطاعته فنسيهم في الآخرة : أي لم يجعل لهم من ثوابه شيئاً فصاروا منسيين من الخير . . . ثم قال** عليه السلام **«سلوني قبل أن تفقدوني ، فو الذي خلق الحبة وبرئ النسمة ، لو سألتموني عن آيةٍ أيه في ليل نزلت أم في نهار نزلت مكيها ومدنيها وسفريها وحضريها وناسخها ومنسوخها ،**

---

(١) سورة التوبة: الآية (١٩٧).

(٢) سورة الأعراف: الآية (٥١).

ومحكمها ومتشابهها وتأويلها وتنزيلها لأنبتكم . . »[١]

ومن هاتين الروايتين للنعماني في بيان الكثير من الأصول والمحاور المهمة لفهم تفسير القرآن ومعرفة المحكم من المتشابه

بتقريب : أنَّها تشير إنَّ من دون ارجاع المتشابه إلى المحكم يقع التناقض والتدافع بين آيات القرآن بعضها مع البعض ويضرب القرآن بعضه الآخر ، كما وقع في هذه الورطة جلُّ المفسرين ، بل كلُّهم من إبهام وجه التدافع بين الآيات لديهم سواء في الفروع أو المعارف ، وتكبلهم للجهد الجهيد في كيفية الوئام والملائمة بينها .

أهمية القاعدَة

إنَّ من أهم وأخطر الآثار المترتبة على عدم مراعاة قاعدة المحكم والمتشابه أن تجعل مُشتت ﴿**الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ**﴾[٢] وعليه فإنَّ مراعاتها يحافظ على الوحدة الحقيقية لهوية القرآن ، فإنَّ وحدة حقيقة القرآن ووحدة هويته ووحدة منظومته ونظامه لا تقرر إلاَّ بتوسط المحكم وأمومة وهيمنة المحكمات ، والمحكم والمحكمات كما سيأتي لا يمكن الاطلاع على جُلَّ طبقاته إلاَّ بتوسط الله تعالى ونزول العلم منه تعالى وهو عبر الراسخين في العلم فالأمومة والهيمنة هي لولاية العلم الالهي وهم الراسخون في العلم ، ومن دون هذه الأمومة والهيمنة سيتشتت نظام القرآن ويصبح عِضين و سيُترائى فيه اختلافاً كبيراً .

---

(١) الاحتجاج، ص (٢٩٢) – ص (٣١٦) في احتجاج علي عليه السلام على زنديق جاء مستدلاً عليه بأن القرآن متشابه. وهذه الرواية هي الأخرى – اي الثانية في المحكم والمتشابه للنعماني، وهي رواية طويلة أيضاً وفيها الكثير من قواعد أصول علم التفسير.

(٢) سورة الحجر: الآية (٩١).

[أقوال المفسَّرين في قاعدة المحكم والمتشابه]

إنَّ كلمات المفسَّرين في أصل تصور قاعدة المحكم والمتشابه وإنَّ اختلفت إلاَّ أنَّه بالتالي لابد لهم من مرجع وميزان فصل يرجعون إليه ، والاقوال هي :

[إن المحكم ما كانت دلالته بيِّنة ، والمتشابه كانت دلالته مجمله]

القول الأول : وهذا ما بينته سورة آل عمران (٧) ﴿**هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ**﴾ .

بتقريب : إنَّ الآية المباركة بيَّنت مدى أهمية المحكم والمتشابه ومن دونه تكون النتيجة زيغٌ وفتنة على كافة الأصعدة سواء الفكرية منها أو السياسية أو الأمنية أو الأخلاقية أو غيرها ، واعظمها الفتنة العقائدية .

ويذهب أكثر محققي المفسرين من الفريقين الى هذا القول ، علماً أنَّهم ملتفتون إلى أنَّ القرآن في نفسه يصف نفسه بأنَّه عربي مبين .

إنْ قلت : كيف يُناقِض القرآن نفسه بذكر بعض اوصاف آياته بأنَّها محكمة والأخرى متشابهة ﴿**مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ**﴾ ؟

قلت : إنَّ هذا ليس تناقضاً في ذكر القرآن اوصافاً لنفسه ، وإنَّما هذه الأوصاف ـ محكم ومتشابهٌ ـ كما مَرَّ من أحد أسبابها أنَّها ناشئة من عدم احاطة أبناء اللغة العربية بقواعد ومعادلات لغتهم ، وتقدَّمت الإشارة إلى كيفية ارتباط علم اللغة بلغات والفاظ القرآن الكريم ، وأنَّه من المباحث الحساسة في العلوم القرآنية ، وأنَّ علم اللغة العربية عبارة علم معادلي منظومي مترامي الأطراف لا يحيط به إلاَّ الباري عَزَّ وجَلَّ ، أو مَن منحهم الباري تعالى القدرة على الاحاطة بها من الأنبياء والأصفياء والأوصياء ومن خلال هذا يُعرَف أَنَّ القول الأول كأنّه

يتطابق في المعنى مع الباب القرآني الآخر المجمل والمُبَيَّن .

[الإحكام والتشابه للآيات هل هو صفه ذاتية أم نسبيّة ؟]
[مميزات القول الأول عن سائر الاقوال الأخرى]

يتميز هذا القول عن سائر الأقوال الأخرى بأَنَّه يعطي للأحكام والتشابه تفسيراً بحسب وأصل اللغة وذاتها ، وهل أنَّها ـ الإحكام والتشابه ـ صفةٌ ذاتية للآيات أم نسبيّة ؟

قد يقال : بأنَّها ذاتية ولكن الصحيح هو النسبية ، وذلك ببيان إِنَّ أحد أهم آليات الإعجاز في القرآن الكريم هو الإعجاز اللغوي والأدبي ، ولا يمكن بل يستحيل توهم أنَّ بعض التراكيب القرآنية فيها نوع من الركاكة أو أنَّها خلاف الفصاحة والبلاغة والمهارة ـ والعياذ بالله ـ إلاَّ أنَّ هذا لا يعني إنَّ الآيات والسور القرآنية غير مختلفة في مراتب البلاغة والفصاحة والمهارة أو في فن الترسيم وفن التصوير والتركيب والجزالة والفصاحة وفنون البلاغة هي مختلفة بدليل أنَّ نفس القرآن يصف نفسه ﴿هُنَّ أُمُّ الكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ وهذا ما تشير إليه الروايات الواردة عن أئمة أهل البيت حيث فيها بيان لبلاغة بعض الآيات والسور ، وأَنَّ بعض آيات القرآن هي أبلغ من بعضها الآخر مع أَنَّ بلاغة آيات القرآن مختلفة فيما بينها مع أن جميع آيات وسور القرآن الكريم بلغت حَدَّ الإعجاز في البلاغة والفصاحة والسلاسة والبيان والتناسق والتناسب والتلائم وأنَّها على مراتب مختلفة في ذلك ، ولا يتوهم من اختلاف المراتب أنَّ إلادون ليس بليغاً أو فصيحاً وأنَّ في بعضها تكلُّف وركاكة ، وأَنَّ معنى التشابه في آيات القرآن هو التعقيد في البيان وغير ذلك .

ولأجل هذا وغيره يتنبه إلى أنَّ الإحكام والتشابه للآيات والسور وصفان نسبيان يختلفان بحسب قدرات الأشخاص في الفهم والإحاطة بعلوم اللغة والعلوم الأخرى ، ولا يمكن الالتزام بذاتيتها ونسبيتها بمعنى إحاطة أبناء أي لغة بقواعدها وموّادها ليست على نسق واحد ودرجة واحدة ، فلدى بعضهم إحاطة جيّدة ببعض فصول اللغة ، ومتوسط في بعضها الآخر وفي ثالثة ضعيف وقد تعزب الاحاطة عنه بالمرّة في رابعة .

فإنَّه بحسب معارف مدرسة أهل البيت بأنَّ الذي يحيط بتمام قواعد أي من لغة كانت سواء العربية أو غيرها لا يكون ذلك إلاَّ في شخص اصطفاه الله بالعلم الدُني الوهبي الإلهي من الأنبياء أو المرسلين أو الأوصياء أو الأئمة المعصومين فإنَّ اللغة واللغات والبيان لدى كافة أفراد البشر هي مخلوق الهي عظيم ، وهي نعمة البيان كما وصفها القرآن [علمهُ البيان] و لأصلة لهذه بالقوميات الجغرافية ، حيث وَرَد البحث في الروايات والاهتمام بمعرفة اللغات والإلمام بها ، هو ممّا يؤثر في معرفة الأدبيات العقائدية لمدرسة أهل البيت وأنَّ أعلم الناس بلغات الناس هو المعصوم وإنَّ كان المعصومون هم من أبناء الجغرافية العربية ، إلاَّ أنَّهم تبعاً لسيد الرسل صلى الله عليه وآله فهم أعلم الناس باللغات المختلفة للبشر ، وهم اعلم الناس باللغة اللاتينية من أبناء اللغة اللاتينية ، وباللغة الصينية من أبناء اللغة الصينية ، وباللغة الهندية من أبناء اللغة الهندية ، وهكذا ، وفي نفس الوقت يصلح هذا الدليل كبرهان عقلي ورياضي للإمامة ، وهو نافع في علوم التفسير

[دليل عقلي ورياضي على إمامة أئمة أهل البيت]

اتضح مما تقدّم أَنَّ قدرة البيان والإحكام في كل اللغات لا يقوى عليها إلاَّ

الإمام المعصوم عليه السلام مضافاً إلى إنَّ في علوم اللغة جانبا آخر وهو المهارة العلمية وفن تقني عملي ولكنه مستند إلى معادلات وقواعد في علم النحو مثل قاعدة الفاعل مرفوع والمفعول منصوب ، والمضاف مجرور ، وقاعدة تركيب الجملة الإسمية والفعلية وغيرها .

ومن نِعم الله العظيمة على البشر بعد النعمة الأولى التي بيَّنَها الباري تعالى في سورة الرحمن ﴿**الرَّحْمَن * عَلَّمَ الْقُرْآن**﴾[1] والنعمة الثانية ﴿**خَلَقَ الإِنْسَانَ**﴾[2] والنعمة الثالثة ﴿**عَلَّمَهُ الْبَيَانَ**﴾[3] وتعليم البيان ليس خاصاً باللغة العربية ، وإنَّ كانت اللغة العربية من أبين اللغات بسبب ظهور إعرابها ، وتَقَدَّم إِنَّ اللغات لها لغة مشتركة ، ويمكن استثمار هذه المعادلات في منظومة هذا النظام اللغوي ، إلاَّ أنَّها تحتاج إلى قدرات ربانيّة بحيث لا يعجزه لغة عن لغة ، ولذا فإِنَّ من معارف مدرسة أهل البيت أنَّ تفسير لغة القرآن بتمام حذافيرها ليست بتناول قدرة البشر إلاَّ لمن وصفهم الله بـ ﴿**لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ**﴾[4] أي أهل آية التطهير وهم محمد وآل محمد صلوات الله عليهم أجمعين .

وعليه فإِنَّ اللغة نظام واسع الأفق مترامي الأطراف لا يستطيع أحدٌ من البشر الاحاطة بدقائقه ، فإِنَّ علم اللغة حالة حال أي علم من العلوم الأخرى ، لا يمكن الإحاطة بدقائقه وأطرافه وتمام معادلاته وقواعده إلاَّ مَن يصطفيه الله فتكون عنده القدرة على الاحاطة ولا يبق شيء مجهول لديه وكذا الحال في كل

---

(١) سورة الرحمن: الآية (٢).

(٢) سورة الرحمن: الآية (٣).

(٣) سورة الرحمن: الآية (٤).

(٤) سورة الواقعة: الآية (٧٩).

العلوم الأخرى لا يحيط بدقائقها وقواعدها المجهولة لدى البشر إلاَّ المعصوم صاحب العلم الدُني ، ومن ثَمَّ فان الإحكام والتشابه بمعاني أخرى في بقية الأقوال الآتية والتي هي بلحاظ سائر العلوم الأخرى لا يحيط بالمحكم بالمعاني الآتية إلاَّ المعصوم عليه السلام .

ومن كل هذا يُعْلم إنَّ المحكم والمتشابه أمر نسبي بحسب أذهان وقدرات البشر ، ومن ثَمَّ يصف القرآن الكريم نفسه كما في سورة العنكبوت إنَّ آياته كلُها بيِّنة للذين اوتوا العلم كما في قوله تعالى ﴿**بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ**﴾ مع أنَّه وصَفَ الآيات كما في سورة آل عمران ، الآية (٧) إنَّ بعضها محكم والأخر متشابه ولكنه حَدَّدَ هذا التقسيم الثنائي لغير الراسخين في العلم .

والخلاصة فإنَّ القول الأول متين ومعتمد وإنْ لم يكن هو التفسير الحصري لقاعدة المحكم والمتشابه ، ويحمل بين طيّاته أبعاد وآفاق كبيرة وكثيرة لقاعدة المحكم والمتشابه مرتبطة بالإعجاز البلاغي للقرآن ، وكذلك مرتبطة بضرورة قيمومة أهل البيت على الفهم البشري للقرآن الكريم وأَنَّهم المعلِّمون الالهيون .

ولا مانع من بحث قاعدة المحكم والمتشابه على القول الأوّل إلى بحث اللغة والقدرة عليها ، وإنَّ كان في تعبير بعضهم بغريب القرآن مسامحة فهو بيَّن وبلاغي وفصيح ، إِلاَّ أَنَّه نتيجة قصور البشر وابتعادهم عن عالم وعلم اللغة تكون لديهم غرابة للمعاني وإِلاَّ فإِنَّ صفة المتشابه ليست صفة ذاتية للآيات مقابل بلاغتها وفصاحتها وهو لسانٌ عربي مبينٌ .

[عدم التدافع بين اعجاز القرآن وتشابه بعض آياته]

قد يعترض بأَنَّ إذا كان القرآن فصيحاً وبليغاً كيف تتصف بعض آياته بالتشابه ، وحينئذٍ يصبح هناك تضاد وتهافت بين آيات القرآن ؟

فيجاب : الواقع إِنَّه لا تضاد بين آيات القرآن ولا تهافت وهي منسجمة كمال وتمام الانسجام والانسياب ، والقرآن في نفسه ليس متشابهاً وإنَّما أذهانُ البشر قاصرة عن فهم معانيه ، والإلمام بعلوم اللغة يوَلِّد التشابه وما شابهها ، نعم إذا استطاع المفسِّر أو الباحث إنَّ يثقب ذهنهُ السطح المادي لمعاني الكلمات والألفاظ إلى ما هو روح وراء ملكوت المادة فحينئذٍ سوف تحكم لديه معاني القرآن وآياته والفاظه وبعبارة أخرى ، إنَّ مقايسته ما وراء الحسن بالحسن مقايسة معالم الدنيا بعوالِمِ أخرى هو دائماً سببٌ للتشابه وحصول الاخطاء في التفكير .

ولا يخفى أَنَّ نسبيّة صفة المحكم والمتشابه في الآيات بحسب الأشخاص وقدراتهم لا تختص بالقول الأول إلاَّ من ناحية علوم اللغة والأدب في الإحكام والتشابه في الدلالة .

القول الثاني : ما تبّناه السيد العلّامة محمد حسين الطباطبائي ﷺ [١] وكثير من تلامذته من أَنَّ الآية المحكمة هي الآية التي تتكلم عن الموجود المجرّد والأمور الملكوتية يعني الآيات التي تستعرض الملكوت والغيب أو ما وراء المادة فتكون محكمة وما تتعرض لعالم المادة والوجود المادي والتفاصيل الأرضية أو التنزل تكون متشابهة فإِنَّ السِّيد العلامة ﷺ يبني على أَنَّ الألفاظ الدالة على المعاني

---

(١) صاحب كتاب الميزان في تفسير القرآن.

إذا سيقت دلالتها على أرواح المعاني وهي اللباب المقشرة عن القشور وعن المصاديق المادية فإنَّه يكون فيها احكامٌ بخلاف ما إذا حبست الالفاظ في سياق دلالتها على المصاديق المادية ومن هنا ينشأ الزيغ والتشابه و الالتباس .

[اشكال السيد العلامة الطباطبائي ﭬ بمواضع متعددة من تفسيره على القول الأول بما حاصله]

لا شك ولا ريب أَنَّ كلَّ آيات القرآن الكريم بلغت حدَّ الاعجاز في تراكيبها البلاغية وحاشاها من الركاكة أو الغموض أو التعقيد أو الغرابة أو الإجمال أو عدم التناسق أو عدم جمال لفظها ويستدل السِّيد العلامةﭬ على ذلك بالآيات القرآنية مثل ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ﴾ وعليه فإِنَّ نفس الفاظ الآيات والسور ليس فيها إجمال أو إبهام ، بل هي بيان أو تبيان وبيِّنٌ ومبين ، فمن أين حصل الأجمال والتشابه في القرآن الكريم للبشر ؟ !

الجواب : إِنَّ الإجمال والتشابه الذي حصل وعَلَق بأذهان البشر لآيات القرآن بسبب الرواسب المادية والأرضية الناشئة من تعايش البشر بالانغمار وبالتشبع بالوجود المادي الأرضي والتي هي محدودة في القوة والطاقة والنوعية والكيفية .

فإِنَّ ألفاظ اللغة المستعملة في القرآن الكريم وضعت لمعاني شفافة مُبرَّئة عن خصوص الأمثلة والمصاديق التي يتبادر إليها الذهن البشري ، فمثلاً يتبادر إلى الذهن البشري من لفظة اليد هي اليد الجارحة ، ومن العين يتبادر الجسم الكروي الشحمي المادي ، ومن الأذن هذا الغضروف الذي يسمع بواسطته ، واللسان هذه العضلة التي تتحرك وينطق من خلالها وغيرها ، وهذا حاصل اعتراض السيد العلامةﭬ .

وهي بالحقيقة لم توضع لذلك المتبادر الذي يتبادره الذهن البشري ويقتصر عليه وإنما تصير وتتعدى المعاني مقشر ومشففه ومصفاة من الأمثلة والقشور المادية ، وهذه المعاني عامة هي التي وضعت لها الألفاظ لا لخصوص المصاديق المادية بما هي مادية ، فإنَّ مثل لفظه العين وضعت لما ينظر به ولموضع النظر وموضع وموطن العلم بالمبصرات ، والأذن وضعت لموضع العلم بالمسموعات أو اللسان وضع لما يُبرز الكلمات والآيات والدلالات والجنب وضع لموضع تجتمع فيه خزانة علوم الشيء وهكذا .

إلاَّ أَنَّ البشر نتيجة انغماسهم الشديد بالمادة والأمور المادية الأرضية وتعلقهم بها يظنون أَنَّ اليد وضعت لجارحة فقط أو العين وضعت للكرة الشحمية والإذن لهذا الغضروف وهكذا ، مع أَنَّ هذه اليد أو العين أو الأذن أو اللسان أو غيرها لو كانت عاطلة فإنه تتحقق في شأنها صورة الشكل المعين ولكن لا يصدق عليها يدٌ حقيقة ، ولا اذنٌ حقيقة ولا عين حقيقة ولا لسان حقيقة مما يُنبه هذا على أنَّ معاني لفظه اليد والعين واللسان والأذن لم توضع لهذه الإشكال بما هي هي ، بل اطلق عليها بلحاظ المعنى الغائي فيها ، وهذا يتناسب مع النظرية القديمة المعروفة في العلوم اللغوية من [أن الالفاظ وضعت للغايات لا للمبادئ : أي خذ الغايات واترك المبادي]

[نظرية السيد العلامة الطباطبائي ﷺ في العلوم اللغوية في القرآن الكريم]

إِنَّ نظرية السِّيد العلامة ﷺ في ألفاظ القرآن الكريم على أَنَّ الألفاظ في الأصل لم توضع لخصوص مصاديق عالم المادة الأرضية الغليظة ، بل الألفاظ في

الأصل موضوعة إلى شبيه أرواح المعاني لا الأجسام وأبدان المعاني .

وقد يُطرح تساؤل في البين ما حاصله :

هل المعاني لها أرواح وأجسام وأبدان ؟

الجواب : نعم فمثلاً لفظه اليد إذا فسرتها بالجارحة فهذا بَدَنٌ وجسدٌ المعنى ، بخلاف ما لو كانت اليد شلاّء فإِنَّ روح اليد وقوامها وحقيقتها قد فقدتها وهو أَنَّ يؤدي بها ذلك المعنى الوسيع والسعِّي لليد من البطش والبسط والقبض ولا يقتصر به على الجارحة ، فهذا هو روح اليد أي الأمر والهيمنة والسيطرة كما في قولهم له يدٌ عليهم كناية عن السيطرة والهيمنة أو يدهُ فوق الأيد ، كما في قوله تعالى ﴿**يَدُ الله فَوْقَ أَيْدِيهِمْ**﴾[1] وكذا العين فإنَّما لم توضع بخصوص هذا الجسم الكروي الشحمي المادي وإنَّما وضعت لروح المعاني أي وضعت لموضع العين بالمبصرات ، فإذا كانت العين لا تبصر وعاطلة عن العمل ـ أي عمياء ـ فإنَّ مثل هذه العين العاطلة مجرد جسد ميّت للمعنى وليس فيه روح المعنى ، وإنَّما المعنى وضع لروحه نظير جسد زيد وروحه فإذا مات زيدٌ يُقال هذا جَسَدُ زيد وأما روحه فقد انتقلت إلى بارئها .

وهذه النظرية اللغوية يؤمن بها بقوة الفيلسوف والحكيم المتأله ملاصدرا﵀ من إِنَّ الألفاظ وضعت لأرواح المعاني في أي لغة من اللغات سواء العربية أو غيرها ولم توضع لأجسام وأبدان وقشور المعاني ، فإِنَّ الجسد والبدن بمنزلة وبمثابة القشر ، وأمّا الروح فهي لب الشيء وحقيقته ، نظير احتفاف أرحام الميّت وذويه ببدنه ، وأمّا روحه فقد انتقلت إلى بارئها وهي ـ الروح ـ تنظر

---

(١) سورة الفتح: الآية (١٠).

هؤلاء كيف يتمسكون بالجسد فأما الجسد مجرّد قشر للإنسان نظير مَن يتمسك بثياب الشخص ويترك نفس وذات الشخص .

إذن فروح المعنى هي حقيقة الشيء لا بدنه فإِنَّ اليدان آلةٌ وموطِنُ بيتٍ كحقيقة الشيء .

ومما يؤيد هذا كما في رواية دعائم الإسلام ومناقب آل أبي طالب... ورِوينا عن بعض الأئمة الطاهرين أتى أبو حنيفة إلى أبي عبد الله جعفر بن محمدعليه السلام فخرج إليه يتوكأ على عصا فقال له أبو حنيفة ما هذه العصا يا أبا عبد الله ما بلغ بك من السِن ما كنت تحتاج به إليها ، **قال : أجل ولكنّها عصا رسول الله صلى الله عليه وآله فأردتُ أن أتبرك بها** قال : أمّا إِنّي لو علمتُ ذلك وأنّها عصا رسول الله لقمتُ وقبلتها ، **فقال أبو عبد الله عليه السلام سبحان الله وحَسَر عن ذراعيه ، وقال والله يا نعمان إنَّ هذا من شَعْر رسول الله ومن بشرِه ، فما قبّلته فتطاول أبو حنيفة ليقبل يده فأسبل كُمَّه وجذب يده ودخل منزله**[1]

وبالتالي فإِنَّ البشر كثيراً ما يخطؤن في تحديد إتجاه البوصلة فإِنَّ البوصلة لا ترشدهم إلى الإتجاه الصحيح ، فإِنَّ جَسَدَ الشيء شيءٌ ، أو نفس وروح الشيء وشيء آخر .

وعليه فإِنَّ هذه النظرية في علوم اللغة مهمة جدّاً وهي لا تقتصر في تداعياتها وأبعادها على علم التفسير فقط ، بل على جملة من العلوم لاسيما وأنّها ذات خطب كبير على علم المعارف والعقائد .

---

(١) دعائم الإسلام ج (١) ص (٩٥) ومناقب آل ابي طالب ج (٤) ص (٢٤٨) مع اختلاف الالفاظ في المناقب وشرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار/ لابن حيون المغربي ج (٣) ص (٢٩٩).

[نظرية خذ الغايات واترك المبادي]

[أحد أهم الأسباب التي أدّت بالحنابلة والسلفية والوهابية] إلى القول بالتجسيم

إِنَّ أَحَدَ أَهم أسباب زيغ وفتنة بعض المدارس الإسلامية كالحنابلة والمحسوبين على الإسلام مثل السلفية والوهابيّة ووقوعهم بفتنة التجسيم والمُجَسِّمة هو لأجل عدم تفطنهم الى هذا المبحث اللغوي المهم ونظرية أن الالفاظ وضعت لروح المعاني ، أو الألفاظ وضعت الى جسد المعاني ، والمراد من بدن المعاني أي قشور المعاني ، أي المعنى الجسد لا المعنى الروحاني ، ونتيجة عدم التفات هؤلاء لمثل هذه النظرية وقعوا بفتنة زيغ المتشابه وتركوا المحكمات وبعبارة أخرى إِنَّه على وفق هذه النظرية . . .

إنَّ هذه النظرية أي أرواح المعاني هي المحكمات ، وأجساد المعاني أي الأجساد والأبدان المادية اي القشور المادية للمعاني هي المتشابهات ، فاشتبه الأمر على جماعات كثيرة فوقعوا في فتنة تجسيم الله ، والعياذ بالله ، فزاغوا ﴿**فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ**﴾[1] والقرآن أمرنا بِإتّباع المحكمات وعدم إتّباع المتشابهات وارجاع المتشابهات إلى المحكمات حتى لانقع في فتنة التجسيم وكل ضلال وانحراف .

هذا ولابُدَّ من التنبيه على أَنَّ هذه النظرية عند القدماء أصحاب الفن في علوم الأدب العربي كانت تسمى باسم آخر وهو [خذ الغايات واترك المبادئ] وأَنَّ غاية خلق البدن هو الروح فإِنَّ الروح نور تُنَوِّر الجسد وتَدُب الحياة فيه ،

---

(١) سورة آل عمران: الآية (٧).

ومجرد إِنَّ تخرج هذه الروح والنور عن البدن يصبح الجسد جثةً هامِدَة مخيفة مظلمة ، فإِنَّ الغايات التي نأخذها هي الروح والمبادئ التي تتركها هي البدن والجسد والنطفة والعلقة والمضغة والعظام وكسوة العظام باللحم ثم انشاؤه خلقاً آخر ، فتبارك الله احسن الخالقين .

اذن من الضروري مراعاة هذه النظرية الخطيرة والمهمة إلاَّ وهي نظرية خذ الغايات واترك المبادئ في جملة من العلوم كالعقائد والتفسير والفقه والأصول والحديث وقراءة لغة الوحي وغيرها وعليك إِنَّ لا تحبس نفسك وذهنك وفهمك واستنباطك وتدبرك في الآية والرواية عند سطح المبادئ والجسد والبدن والقشور والحُجب .

والخلاصة من كل هذا إِنَّه على وفق هذه النظرية ـ خذ الغايات واترك المبادئ ، أو الالفاظ وضعت لارواح المعاني لا لأجساد وقشور المعاني ، كل هذه التعابير ذات معنى واحد ، وعليه يكون على القول الثاني الذي تبنّاه السِّيد العلاّمة محمد حسين الطباطبائي‌ﷺ سبب التشابه والإلتباس في أذهان البشر في تفسيره للقرآن الكريم والوحي وللروايات هو نتيجة تشبع أذهانهم بالمصاديق الأرضية الجسدية البدنية وغفلتهم عن اللب والروح والغاية ، علماً أَنَّ المدار في الواقعية هو روح المعاني وغاياتها ، أمّا الأبدان والأجساد للموجودات المادية والأرضية فهي مُتَصَرِّمة وأنيّة ووقتية زائلة ومتناقضة ومتضادة ومتعاقبة دورياً وغير ثابتة بخلاف الأرواح فانها ثابتة ، وإذا كانت ثابتة المعلومة معناه أَنَّها ثابتة العلم والمعنى ، وثبات المعنى على درجات وطبقات ، بخلاف ما إذا كانت المعلومة متغيرة فمعناه أَنَّ العلم متغير ، ويحتاج إلى تحديث وتصفية بين فترة وأخرى .

إذن الألفاظ إذا أعزيت الى أجساد المعاني وأبدانها يُبتلى الباحث بالتشابه والالتباس والزيغ والضلال والانحراف ونحوها ، بخلاف ما إذا وضعت الألفاظ لأرواح المعاني فإنَّه حينئذٍ يكون الاحكام والاتقان والثبات .

وخلاصة القول الثاني الذي ذهب اليه السِّيد العلامة محمد حسين الطباطبائي﵀ إنَّ الفاظ القرآن ليس فيها تشابه في نفسها ، وإنَّما التشابه يطرأ عليها بسبب ما يعلق في أذهان البشر من رواسب مادية عالم المادة ومصاديقها المادية ، وهذا هو التشابه الذي حصل للمجسمة الذين التبس عليهم الأمر فظنوا وحسبوا بعض التعابير القرآنية مثل [يد الله ، وجنب الله وعباد الله و . . .] من إنَّ الله عَزَّ وجَلَّ جسم وعرشٌ وذاتٌ وغير ذلك كل ذلك بسبب تشبع أذهانهم بالمصاديق المادية ، بينما الواقع على حسب ما بيَّناه سابقاً من إنَّ الألفاظ لا تساق دلالتها للمصاديق حصراً في الأصل ، بل سيقت وتساق الالفاظ للدلالة على أرواح المعاني وغاياتها ، فإنَّ حصر الالفاظ حينئذٍ في المصاديق المادية ورواسبها وتعاطي الذهن دائماً مع المصاديق المادية يسبب للذهن حجاباً عن إدراك التحليق في الحقائق الواسعة ، وحينئذٍ يحصل له تشابه والتباس واشتباه متشابك محجوب عن رؤية ما فوق ، ولا يخفى أنَّ لفظه اليد والعين والوجه والجَنب المُضافة اليه تعالى ليس المراد منها كون أرواح معانيها جزء ذات الله تعالى ، بل المراد أنَّ أرواح تلك المعاني آياتٌ وتجليات لِفضل الله عَزَّ وجَلَّ ، والمُراد من هذه الالفاظ وإن كان هو أرواح المعاني المجردة عن مطلق الجسمانية سواء كانت لطيفة ملكوتيه ، أو كثيفة مادية أرضية ، إلاَّ أنَّه رغم كون هذا ، المعنى المجرد عن الجسميّة ، إلاَّ أنَّه ليس جزء عين ذات الباري ـ عزَّ اسمُه ـ فإنَّ الذات الإلهية إذا كانت منزهة عن

كون الأسماء العظمى عينها، بل أسماء مملوكةٌ لها فكيف بما هو دون الأسماء الإلهية.

[العلاج الذي اقترحه السّيد العلامة الطباطبائي ﷺ حسب القول الثاني ونظرية الالفاظ وضعت لارواح المعاني في حل ورفع التشابه عن أذهان المفسرين والباحثين]

لأجل أنْ يتخلص المفسِّر والباحث الكريم من الزيغ والتشابه الذي يحصل لديه في آيات القرآن عليه إتّباع ما يلي:

أولاً: تهذيب الروح والنفس عن العلائق المادية، بإنَّ يُشفِف ويَلطِف الإنسان ذهنه ويُرَوِّض فهمه وعقله وفكره عن التحرر من مصاديق جسد المادة والماديات، ولذا كلّما تلّطف فهمه وإدراكه كُلّما حَلَّقَ وطار وسافر إلى فسيح عالم الملكوت واستطاع إنَّ يُدرك العوالم التي يَخبِرُ ويكشِف عنها القرآن الكريم، وما هذا إلاَّ ذكرٌ وتذكر ينبغي، بل يجب إنَّ لا يغفل الإنسان عنه للدار الأبدية الوسيعة الباقية، وليست الداثرة، من خلال أن يتخلص من شوائب وعوالق عالم المادة، والأفق النازل والهابط الحابط الحاجب من الأفق المادي الحاجب.

عن الأصول إلى آفاق وسيعة عليا.

وهذا الأمر كثيراً ما أشارت إليه الآيات والروايات وأمّا الآيات فمثل قوله تعالى ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾[١]

بتقريب: إنَّ هذه الآية وإنَّ كان موردها وهي أهل التطهير وهم آل محمد صلوات الله عليهم أجمعين، إلاَّ أَنَّه فيها اشارة عامة إلى أَنَّ القرآن يحتاج إلى

---

(١) سورة الواقعة: الآية (٧٩).

طهارة نفسانية لكي تدرك حقائقها ، ونشعر بقاعدة عامة ، ونريد إِنَّ تُلِمس وتُمِسِس طبقة من طبقات القرآن وهي طبقة اقرأ وأرق ، وتريد أَنْ تبيِّن الآية أَنَّ قراءة القرآن ليس بالفكر فقط وإِنَّما أيضاً لابد من طهارة نفسيّة ورياضة خُلقية وإزالة للعوائق المادية وتلطف اكثر فأكثر فحينئذ ستشهد أَنَّ سوف ينفتح لك باب من الفهم ، أَوَ ليس يقولون أَنَّ الفهم حركة فكرية ذهنية من المجهول إلى المعلوم ، ومن المعلوم إلى المجهول ، ولا تحصر الحركة الذهنية الفكرية بذلك ، بل يمكن إِنَّ يكون الفهم والعلم والتعليم ليس فقط حركة فكرية ، وإِنَّما يمكن إِنَّ يكون حركة تربوية في النفس والقلب ، وما يُرزق الإنسان بتهذيب النفس وترويضها للقرآن ، فإِنَّ ذاك الفهم يكون فيه نوع من العمق والغور في العوالم الملكوتيه الأخرى .

ومثل قوله تعالى ﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ﴾[(١)]

بتقريب : إِنَّ تعليم الكتاب منهج مهم في منهج التفسير وإِنَّ المنهج التفسيري ليس فقط منهج نظري ، وإِنَّما منهج عملي وتعليميٌّ كذلك ، فلربما إنسان قليل البضاعة في العلوم التفسيرية ، أو العلوم النظرية الدينية ولكن عفيفٌ زهيد فتح الله قلبه إِنَّ إذا سَمِع آية ادرك منها الكثير من الجواهر بالالتفات و الانتباه المتميزين ، ولرُبّما اعطاه الله لطائف خطيرة ونفيسة في التفسير والتدبر في الآيات ، مما يكشف إِنَّ آيات القرآن الكريم فيها أمواج علمية ، واشارات لا يلتقطها إلاَّ الشخص الذي يواظب على الصدق والطهارة وحُسن الأخلاق وتكون العلاقة طرديّة بأَنَّ كُلّما ازدادت درجته في الطهارة والصدق وحُسن

---

(١) سورة الجمعة: الآية (٢).

الأخلاق كلما قويت لاقطته المستقبلة ويكون لديه ضمان تأمين عن الزيغ والضلال ، ومن هذا يُعرَف أَنَّ العمل يورث علماً وتنفتح لمن درجات الطهارة والصدق لديه عالية أمواج من الافكار وكور من المعاني .

إذن الخلاصة أَنَّ الأمر الأول الذي ذكره السِّيد العلامة الطباطبائي ﷺ لرفع الالتباس والتشابه هو بتهذيب الروح وتربية النفس .

الأمر الثاني : ترويض الفكر وهذا هو الجناح والمُوازر الآخر في رفع التباس والتشابه عن آيات القرآن الكريم ، فإنَّ ترويض الفكر والنفس وتهذيبها بالعلم الكسبي شيء مهم جداً أو هذان جناحان يطير بها الإنسان ويتوازن ويتعادل في رفع التشابه عن القرآن .

ومن هذا يعْلم أَنَّ التشابه والأحكام في المعاني للألفاظ سببها ذات الإنسان نفسه ، فإنَّ الإنسان يمتلك قوّة تلطيفية من خلال اعمالها وتنشيطها يمكنه الوصول إلى الدرجات العالية في العوالم الملكوتيه ، وتكون العلاقة طردية بين تشفيف النفس ومشاهدة العوالم الأخرى والاطلاع على أسرارها .

ويمكن أن يقال : إنَّه كُلّما تشفت نفس الإنسان كُلَّما شاهدت وعاينت واطلعت على الكثير من أسرار عالم الملكوت الغيبية ، بخلاف ما إذا انغمست نفسه هبوطاً في عالم المادة والماديات فإنَّها تزداد انحجاباً واحتجاباً .

ومن خلال هذا سيتضح معنى أَنَّ الإحكام والمتشابه من قبل السِّيد العلامةﷺ لا بأس به في نفسه ، وعليه شواهد من الآيات والروايات ولازم مقتضى كلامهﷺ :

إِنَّ المحكم والإحكام والمتشابه والتشابه على طبقات ودرجات وليس على

درجة واحدة وإنَّ كل درجات التشابه حاصله من انغماس الإنسان في المادة والعالم المادي والاحكام من درجة تلطفه نظير التزكية على درجات الطهارة ، والهبوط والحبوط والدنو إلى الأرض أيضاً على درجات ، فكلما تطهّر الإنسان وسما كلّما ازدادت درجة لطافته والعكس بالعكس .

إذن المحكم على درجات وطبقات بعضها فوق بعض ، وبعضها أعظم من بعض ، فالمحكمات الفوقية تكون لها الأمومة والمركزية والمحورية أكثر فأكثر ، وهكذا إذا كانت فوقها محكمات فتكون للفوق المركزية والمحورية وهكذا وعلى هذه الطبقات والدرجات في الإحكام وكذا التشابه فإنَّه على درجات بعضها أشدّ من بعض في التشابه والالتباس . وهكذا في المحو الإثبات فإنَّه على طبقات ، وتترتب على هذه ثمرات كبيرة ومهمة في علوم متعددة كل ذلك استفدنا من رواية مسعدة بن صدقه **عن الإمام الصادق**عليه السلام «**إنَّ الله جعل ولايتنا أهل البيت قطب القرآن وقطب جميع الكتب عليها يستدير محكم القرآن وبها نوّهت الكتب ويستبين الإيمان**» [1] ونبهتنا الرواية على وجود هذا المفاد في قوله تعالى ﴿**مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ**﴾ .

[منهج تفسير القرآن بالقرآن وليد معنى التشابه والمحكم عند السِّيد العلامة الطباطبائي قدس سره]

[أحد النتائج التي انتهى إليها السِّيد العلامة]

والبحث في المعنى والمنهج التفسيري للسيد العلامة رحمه الله يقع في جهات :

توطئةٌ : إنَّ السِّيد العلامة الطباطبائي قدس سره قد رَتَّبَ على مبناه ومسلكه

(١) تفسير العياشي: ج (١)، ص (٧٨) ح (٨).

وتفسير التشابه وهو كون التشابه في شوائب إدراك وفَهم البشر لكلام الله عَزَّ وجَلَّ ، وليس التشابه صفة لذاتي بعض الكلام الإلهي ، وإلاَّ فكلام القرآن كلهُ بيِّن في نفسه ، وإنَّما الشوائب الماديّة في ذهنية الإنسان وانحباس ادراكه في عالم المادة هو الذي يوجب التشابه في الفاظ ومعاني كلام الله في القرآن .

ورتَّب السِّيد العلامةﷺ على هذا المبنى والمنهج مبناه ومنهجه الآخر وهو تفسير القرآن بالقرآن .

بتقريب : إِنَّ ألفاظ القرآن ومعانيهُ كلّها بيّنه وكلام مبين ، ليس فيها إجمالٌ ولا إبهام كي يستعين بكلام آخر خارج عن القرآن ، بل غاية الأمر تشاهد أبعاض القرآن بعضها لبعض ، وعلى هذا التقرير فالقرآن يُفسِّر بعضه بعضاً ، فهو بيِّن مبين بذاته لا يحتاج ولا يتوقف على غيره .

الجهة الأولى : فتَولَّد من مبناه ـ السِّيد العلامةﷺ في المحكم والمتشابه في القرآن مبنى آخر في التفسير وقد أخذ هذا المبنى صدًى واسع في عالم التفسير ، وهذا المبنى وإنَّ كان أحد مناهج التفسير إلاَّ إِنَّ حقيقة هذا المنهج تختلف عن العنوان المسمَّى به هذا المنهج .

الجهة الثانية : في دعوى الاقتصار على هذا المنهج من دون الاستعانة ببقية المناهج التفسيرية الأخرى لاسيّما منهج أمومة الولاية على المحكمات ، ولهذا الاقتصار تداعيات خطيرة .

الجهة الثالثة : دعوى حصر المنهج التفسيري في هذا المنهج ـ منهج تفسير القرآن بالقرآن ـ

الجهة الرابعة : التفكيك بين عظمة القرآن وبين قصور المفسِّرين عن

الوصول إلى تلك العظمة من دون الاستعانة بأهل البيت .

إنَّ أَحَدَ أهم النتائج التي استنبطها وشيّدها وانتهى اليها السِّيد العلامة ﭭ بناءاً على منهجه التفسيريّ تفسير القرآن بالقرآن بناءاً على القول الثاني والنظرية القائلة بأَنَّ الالفاظ وضعت لأرواح المعاني ـ خذ الغايات واترك المبادئ ـ باعتبار أَنَّ القرآن بيِّن ويبيِّن بعضه بعضاً بتبيُّن القرآن نفسه ، هي ـ النتيجة ـ ان القرآن بيِّن ولا يعتوره غموض وليس فيه التباس ولا تشابه أصلاً ، وبالتالي لا يحتاج القرآن إلى معلِّم ومبُيِّن وقيِّم الهي ، وإنَّ كان ذلك لا يبني السِّيد العلامة ﭭ على أي استغناء للمفسِّر عن المعلِّم الإلهيّ في بداية طريق ، المفسِّر في تفسيره مطلقاً ، وإنَّما لا أقل في أواسط أو نهايات الطريق يستغني عن المعلِّم الألهيّ .

وأما البداية فالحاجة إلى المعلِّم الإلهي ضروريةٌ وهم العترة الطاهرة من أهل البيت كي لا ينزلق المفَسِّر أو القارئ أو الأمة في مسار المتشابهات بسبب الرواسب المادية والأرضية الهابطة أو الرواسب النازلة ولكن بعد التجرد عن مثل هذه العلائق الهابطة فإنَّه يستطيع التحليق والطيران بالقرآن الكريم بمفرده ، لأنَّ القرآن أصبح بيِّناً له في نفسه وحاشا للقرآن إِنَّ يكون مبهماً أو متشابهاً في نفسه وعليه فتكون الحاجة إلى العترة في بداية المطاف للتعرف على المنهج الصحيح السوي وللتحرر وللتخلص من المتشابهات والرواسب والجهات المادية والدنيوية والجسمانيّة ، فإذا تمَّ التخلص من هذه الرواسب واتقان هذا المنهج فحينئذٍ لا تبقى حاجة إلى معلِّم وقيِّم ووصاية الأوصياء في فهم القرآن وقيمومة العترة الطاهرة ، ولا حاجة إلى معِّية الثقلين .

[ويلاحظ على منهج العلامة الطباطبائي ﷺ امور وجهات]

الجهة الأولى : إنَّ النظرية التي تبّناها السِّيد العلامة ﷺ هو وإنَّ كانت متينة في حدِّ نفسها ويستفاد منها في موارد متعددة ويمكن استثمارها ومُدَلل عليها في الآيات والروايات ، إلاَّ أَنَّ النتيجة التي انتهى إليها السيد العلامة ﷺ وإنْ لم يُصَرَّح بها هي محل تأمل شديد على ما اخترناه في المنهج التفسيري المختار أمومة الولاية على المحكمات فضلاً على المتشابهات في القرآن الكريم .

التأمل الأول : لعل ظاهر ما يذهب اليه السِّيد العلامة هذا أَنَّ الواو في الآية المباركة ﴿**وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ**﴾[1] هي استئنافيّه لا عاطفه .

وفيه : إِنَّ حمل الواو على الاستئناف في الآية المباركة ليس بسديد ، إذ لو كانت الواو ليست عاطفه و إنّما استئنافيّة فماذا عن مفاد الآية من سورة العنكبوت التي حصرت صفة كون القرآن بيِّن هي لدى ذوي العلم الدني الأيتائي والأصطفائي في قوله تعالى ﴿**بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ**﴾[2]

بتقريب : إنَّ القرآن كلَّهُ آيات بيِّنات وليس فيه متشابه وهذا معناه وجود ثلَّة مُعَلِّم الهي .

التأمل الثاني : هناك مواضع مختلفة من القرآن أكَّدت وأعلنت عن وجود ثلة من المعلِّم الإلهي ، وحصر الاحاطة بالقرآن كله بتلك الثُلَّة .

---

(١) سورة آل عمران: الآية (٧).

(٢) سورة العنكبوت: الآية (٤٩).

منها قوله تعالى ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾[١]

التأمل الثالث : حصر العلم بتأويل الكتاب كله بالله تعالى ، كما في الآيات التالية :

قوله تعالى : ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾[٢]

بتقريب : إِنَّ السِّيد العلامة اعترف بأَنَّ الواو في الآية استئنافيّة فيكون العلم بتأويل القرآن كله مجموعاً ومحصوراً به تعالى فكيف يتيسر ذلك لغيره تعالى ولكل مفسِّر وحيث إِنَّ علم التأويل الثابت أولاً وبالذات له تعالى وهو غيبٌ مغيب عن البشر فلا محالة الاطلاع عليه ليس إلاَّ بالوحي الثابت للذين اصطفاهم الله وطهرّهم ، كما يشير الله في قوله تعالى : ﴿لا يَمَسُّهُ إِلَّا المطَهَرون﴾ وهم أهل آية التطهير أي أهل البيت وهم الذين خصّهم القرآن بوراثه الكتاب في قوله تعالى : ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾[٣] فكيف يُدّعى اطلاع وقدرة كل مُفسِّر على ذلك .

وقوله تعالى : ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ﴾[٤]

بتقريب : إِنَّ التَعَلُّم أُسندَ الى النبيﷺ .

وقوله تعالى : ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[٥] كذلك التعلّم أسند الى النبيﷺ .

---

(١) سورة الواقعة: الآية (٧٨).

(٢) سورة آل عمران: الآية (٧).

(٣) سورة الفاطر: الآية (٣٢).

(٤) سورة الجمعة: الآية (٢).

(٥) سورة النحل: الآية (٤٤).

وقوله تعالى : ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾[١] .

وقوله تعالى : ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾[٢] .

وغيرها من الآيات ، فإنَّ مجموع هذه الآيات دالٌ بوضوح على أَنَّ بيان مطلق الوحي الإلهي والذي يكون هذا البيان بمثابة الترجمان إنَّما هو من وظيفة النبيﷺ وأوصياؤه الحجج من أهل بيته ، مما يُشير إلى أَنَّ القدرة على ذلك إنَّما هو خاص بهم دون غيرهم ومِن ثَمَّ اختصَّ التكليف بذلك بهم .

التأمل الرابع : مِن ثَمَّ اشارت الآية السابعة من آل عمران إلى إِنَّ أَوْلَ المتشابه إلى المحكم وإنَّ كان ذاتياً تكوينياً لأمومة المحكمات ، إلاَّ إنَّ العلم بذلك منحصراً به تعالى ، أي لا قدرة للمخلوقين على ذلك ، وحصر ذلك به تعالى إشارة إلى أَنَّ القدرة على ذلك إلاَّ أَنَّه لابد وأنْ يكون لسان الحصر في قوله تعالى : ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ﴾ على وزان الحصر في قوله تعالى : ﴿لا يَمَسُّهُ إِلاَّ المطَهَّرون﴾ .

التأويل الخامس : ولكي يرسم لنا القرآن الكريم هذه الحقيقة كلوحة بديعة وصف مكانه القرآن بأنَّ كرامته ومجده في كتاب مكنون ولوح محفوظ عن وصول أيدي الناس إليه ، بل لا يصل اليه إلاَّ المطهرون في آية التطهير وهم أهل البيت .

التأويل السادس : ومِن ثَمَّ خصَّصَ للقرآن وراثة اصطفائية لم يكتبها لكل

---

(١) سورة القيامة: الآيات (١٦) الى (١٩).

(٢) سورة النحل: الآية (٦٤).

البشر ، بل هي مقصورة لمن تعلقت بهم المشيئة الإلهية بالاصطفاء .

ومن خلال مجموع هذه الآيات المباركة يتبين أنَّ القرآن الكريم له مُعلِّمٌ ومبين الهي على طول المسار وهو معنى معيّة الثقلين [لن يفترقا] حتّى على مستوى الصعيد التعليمي والبياني ، بل ويمتنع افتراقهما في أَيِّ مجال من المجالات وهذه النتيجة التفسيرية التي انتهى اليها السِّيد العلامة وهي استبداد المفسِّر بالقرآن من دون دوام الرجوع لأهل البيت أصبحت هذه النتيجة منهجاً تفسيرياً للقرآن الكريم ، وسارَ عليها من سار من تلامذتِه وغيرهم ، إلاَّ أنَّ البعض توغل في هذا المسار وتعمَّقَ في هذا الإطار ، فانتهوا إلى نتائج متمادية مفرطة في هذا المنهج أكثر فأكثر من نفس المنهج الأصلي حتى وصل الأمر ببعضهم ـ سواء كان من تلامذتِه السِّيد العلاّمة أو غيرهم ـ إلى أنْ قال : إنَّ للقرآن نظاماً لغوياً إذا استكشفناه كنظام استعمالي فحينئذٍ يُفسِّر القرآن نفسه بنفسه مع الاستغناء عن المُعَلِّم الإلهي من رأس ، ويصبح القران عبارة عن معجم لغوي ذاتي وعندئذٍ يكتفي المفسرون اكتفاءاً ذاتياً بتفسير القرآن بالقرآن وهذه النتائج الخطيرة وغيرها تلزم على حصر المنهج التفسيري بتفسير القرآن بالقرآن .

نحن وإنَّ ذكرنا أكثر من مرَّة ونؤكد ذلك على أنّنا لا نقول أنَّ السِّيد العلامة الطباطبائي‏ﷺ يلتزم بمثل هذه النتائج الخطيرة اللازمة على منهج تفسير القرآن بالقرآن ، إلاَّ أنَّ تداعيات المنهج التفسيري هو هذه النتائج والأمور الخطيرة كلازم ذاتي قهري وليست الإشكالية في أصل الاستعانة في تفسير القرآن بقرائن قرآنية ، إنَّما الإشكالية في الاستغناء بذلك بحسب القدرة البشرية لدى

المجتهد والمفسِّر عن الاستعانة بقدرة المعصومعليه السلام وما يؤول اليها [من حَسبُنا كتاب الله] ولو في أواسط الطريق ، أو أواخره ، بل وبعضهم تمادَى في النتائج المترتبة على هذا المنهج بأمور نذكرها تباعاً .

[تداعيات منهج تفسير القرآن بالقرآن]

[بعض النتائج السلبية المترتبة على الاقتصار وحضر تفسير القرآن بالقرآن]

أولاً : اسقاط حجية السُنَّة النبوية ، سُنَّة العترة ، وإنَّ دوريهما ابتدائيٌ تعليمي فقط ، وبالتالي يلزم سقوط السُّنة عن الحجية

ثانياً : إنَّ السُنَّة القطعية لا تنسخ القرآن .

ثالثاً : إنَّ العموم القرآني في غير الاحكام الفرعية في الآية القرآنية لا يُخصص بخبر الواحد ، كما ذكر ذلك السِّيد العلامة الطباطبائيقدس سره في حاشيته على الكفاية ما نصه [الحق أَنَّ في المقام تفصيلاً وبين الكتاب والسُنة فرقاً توضيح ذلك أن قوله تعالى أفلا يتدبرون القرآن لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً ـ الآية ـ كما يدل على حجية ظهور الكتاب كما سيجئ كل يدل على عدم حاجة الكتاب في انكشاف مرادته إلى الخارج عنه ، ولازمه ايجاب الفحص عن المخصص في عمومات الكتاب لكن لا كل مخصص بل المخصص الواقع في نفس الكتاب .

وأما نحو قوله تعالى : ﴿**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا**﴾ الآية . مما يجعل بيان بالرسول وهو السُنَّة حجة فهو وإنْ كان مقتضاه حجية المخصص الواقع في السُنَّة ولزوم التخصيص به لكن الآيات النازلة في

غير الاحكام الفرعية كما أُحيلَتْ إلى البيان النبوي كل أُحيلَتْ إلى العقول ولازم ذلك كفاية البيان الكتابي في كشف المراد عنها على إِنَّ سياق الآية السابقة اعني قوله تعالى افلا يتدبرون الخ كافٍ في ذلك حيث إِنَّ لازمها إِنَّ الكتاب نفسه رافع للاختلاف حتى عند مَن لا يصغى إلى قول الرسول(صلى الله عليه وآله) كما إِنَّ لازم سياقه عدم كفاية البيان العقلي في كشف المراد ورفع الاختلاف لإثباته الاختلاف في ادراكات العقول ونفيه الاختلاف في القرآن ومعناه نفي اعتبار البيان العقلي في كشف مرادته اعني التفسير بالرأي فأفهم ذلك فظهر بما ذكرنا :

أولاً : إِنَّ عمومات الكتاب في غير الاحكام الفرعية يقتصر في الفحص عن مخصصها بما في الكتاب من غير لزوم التعدي الى السُنَّة ومن غير جواز التعدي إلى العقل والرأي والتفسير .

ثانياً : إِنَّ عموماته في الاحكام الفرعية وعمومات السُنَّة يجب الفحص فيها مطلقاً][1]

ثالثاً : علماً أَنَّ ذهب اليه السِّيد العلاّمة(قدس سره) من أَنَّ العموم القرآني في غير الاحكام الفرعية في الآية لا يخصص بخبر الواحد ، هو خلاف ما تسالم عليه من الفريقين إلاَّ مَنْ شذَّ باعتبار أَنَّ القرآن بيانه من نفسه ولا يدخل دليل آخر تحت ظل هذا الاستدلال ؛ لأنَّ القرآن نورٌ وبيان ولا يحتاج في بيانه إلى مصدر آخر ورائه ، وعليه فكيف يخصص عموم القرآن بالسُنَّة ؟ فلا ينسخ العموم القرآني بالسُنَّة القطعية ، وأنَّ القرآن لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ولا يبطله شيء من ورائه .

---

(١) حاشية الكفاية السيد العلامة محمد حسين الطباطبائي(قدس سره) : ص ١٦٢ – ١٦٧

رابعاً : ذهب بعض تلامذة السِّيد العلاّمة الطباطبائي﵀ إلى جعل تفسير القرآن بالروايات وبالمأثور هو دون التفسير اللغوي في الحُجّية .

خامساً : بعضهم تمادى به الأمر وذهب إلى إنَّ تفسير القرآن بالروايات هو دون تفسير الصحابة ـ والعياذ بالله ـ إلى غير ذلك من الإفرازات الخطيرة والعجيبة والغريبة اللازمة نتيجة التمادي بمنهج تفسير القرآن بالقرآن ، وإنَّ ذكرنا سابقاً ونؤكده مرَّة أخرى إلى أنَّ السِّيد العلّامة الطباطبائي﵀ لم يلتزم ولم يَصرِّح بمثل هكذا افرازات وتداعيات ولوازم .

[التأملات على القول الثاني الذي تبنّاه السيد العلامة﵀]

نذكر بعض التأملات على الإفرازات الخطيرة اللازمة على المنهج التفسيري الذي أقرّه السِّيد العلامة الطباطبائي﵀ وهو منهج تفسير القرآن بالقرآن وإنَّ كان نفس القول الثاني الذي تبّناه السِّيد العلّامة في نفسه سديد ومتين .

[التشابه على درجات]

التأمل الأول : إنَّ التجرّد والتخلص من التشابه و الالتباس المادي في القرآن هو على درجات من باب وفوقَ كُلِّ علمٍ عليم ، وفوق كل ذي درجة درجة ، وإذا كان التشابه على درجات فذو الدرجة الأنزل يحتاج لصاحب الدرجة العُليا ويكون الأعلى مبِّينا له ، وإنَّ كان الذي تخلّص من حضيض الدرجات الهابطة وتلَّطف وتَنزّه منها وصار بصيراً وعارفاً ، إلاَّ أَنَّه يبقى ذو درجة محدودة ، ولا يزال يجهل الدرجات العُليا ، وهذه حقيقة قرآنية دامغة يأتي

بيانها مفصَّلاً في نظام المعاني وحقائق القرآن ، وإِنَّ القرآن حقيقة غير متناهية ، ومعانيه غير متناهية ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾[١]

وقوله تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللهِ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[٢]

ومما يشير إلى عدم تناهي القرآن بالقياس إلى تناهي قدرة البشر وعجزه عن الوصول والإحاطة بالقرآن قوله تعالى ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[٣]

وقوله تعالى ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[٤]

بل وقوله تعالى ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[٥]

وقوله تعالى ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ﴾[٦]

بتقريب : كون البشر لديهم قدرة وقابلية للإحاطة والاستيعاب لهذا النور بمفردهم محل تأمل ، فإِنَّ القرآن العظيم كلّه هدًى ، إلاَّ إِنَّ قدرة البشر محدودة

---

(١) سورة الكهف: الآية (١٠٩).

(٢) سورة لقمان: الآية (٢٧).

(٣) سورة الإسراء: الآية (٨٨).

(٤) سورة هود: الآية: (١٣).

(٥) سورة البقرة: الآية ٢٣.

(٦) سورة البقرة: الآية (٢٣).

ومتناهية ولا تستطيع القدرات البشرية بانفرادها أنَّ تنتفع بكل القرآن ؛ لأنَّ نفس القرآن يصف نفسه بأنَّه غير متناهي ، وبما إنَّ قدرة البشر متناهية ، وليست هذه مجرد صفة وفضل للقرآن وإنَّما هي قاعدة مصيرية وخطيرة جداً ومهمة في كل منهج التفسير ، بل ومؤثرة في يوميات المنهج التفسيري .

إذن الاعتقاد بكون واقع حقيقة طبقات معاني القرآن ليست متناهية يستلزم تداعيات وقواعد منهجية في تفسير القرآن ويستدعي الالتزام بمنهجية الثقلين في تفسير القرآن أي الاستعانة بالمعلِّم الإلهي في تفسير الكتاب الإلهي .

فإنَّ الفاظ آيات وسور القرآن وإنْ كانت محدودة عدداً إلاَّ أَنَّ معانيها ليست محدودة بحسب طبقات المعاني ومراتبها ونِسَب الاحتمالات فيما بينها فإنَّ معدل ضريب نسب الاحتمالات فيها بين المعاني غير متناهية فضلاً عن لا تناهي مفردات المعاني بحسب الطبقات والمراتب .

إذن الفاظ الآيات والسور وإنْ كانت محدودة الألفاظ إلاَّ أَنَّ هذا العدد من الألفاظ ليس هو تمام حقيقة تعداد المعاني وحقائق القرآن وعليه فإذا كان القرآن غير متناهي فإنَّ المُفسِّر مهما أخذ درجةً وكان مستواه متميِّزاً فهو بالتالي متناهي ، فكيف نفرض أَنَّ اللامتناهي قد استغنى في الرقي ومواصلة المسير عن المُعَلِّم الإلهي لكي يوصله إلى اللامتناهي .

[الملازمة بين إعجاز القرآن والعجز عن تفسيره كُلَّه]

من خلال التأمل الأول يظهر معنى اعجاز القرآن و معجزته ، وأَنَّ البشر عاجز ولا يقدر على تفسير القرآن بمفرده ، وعليه فكيف يحيطون بكل تفسيره والآيات القرآنية الكريمة صريحة في عجز البشر كما تقدم كقوله تعالى ﴿قُلْ لَئِنِ

اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا القُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[١]

وقوله تعالى : **﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾**[٢]

وقوله تعالى : **﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ﴾**[٣]

فإنَّ البشر عاجز عن إنَّ يأتي بأصغر سورة بل بأصغر آية في القرآن ، فأنى لهم الإحاطة بعشر سورة فضلاً عن الإحاطة بكل القرآن ، وإلاَّ لما كان يعجز عنه البشر ، ومِنْ ثُمَّ قال تعالى : **﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ﴾** فإنَّ إعجاز القرآن يلازم عجز البشر عن تفسير تمام وكمال القرآن فهم لا يصلون إلى تمام وكما أغوار أصغر سورة في القرآن فضلاً عن العشر سور فضلاً عن كل القرآن .

[صفات القرآن غير متناهية كذلك من يكون معه]

التأمل الثاني : إذا كان القرآن غير متناهي كذلك مَن يكون مع القرآن أيضاً غير متناهي لحديث الثقلين «**إنِّي تاركٌ فيكم الثقلين : كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إنْ تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً وأنَّهما لن يفترقا حتى يردا عَلَيَّ الحوض**» .

---

(١) سورة الإسراء: الآية (٨٨).

(٢) سورة هود: الآية (١٢).

(٣) سورة البقرة: الآية (٢٣).

بتقريب : إنَّ القرآن والعترة الطاهرة لابد أَنْ يتشابها في الصفات ، فإذا كان أئمة أهل البيت وُصِفوا بصفات القرآن و اللاتناهي وإنَّ كان اللاتناهي مخلوقٌ وصُنعٌ من صُنعِ الله تعالى ولكن بهذه الصفات صُنع الله عظيم ، وبالتالي نحتاج إلى مُعَلِّم الهيّ في تفسير القرآن ، لأنَّ القرآن ليس كتاباً من صُنع ونتاج البشر ، وإنَّما هو كتاب الهي من لَدُن ربّ العرش فلا محالة يجعل الله عَزَّ وجَلَّ له مُعَلِّماً الهياً لدُنيا لأنَّ طبقات القرآن غير متناهية ، فإذا لم يكن هناك مُعَلِّماً الهياً يعلِّمك وينبئك ويقول لك أقرأ وارقَ ويأخذ بيدك شيئاً فشيئاً على طول ودوام المسير ، فإنَّ المفسِّر بلغ ما بلغ والعالم كذلك ، يبقى محتاج إلى الرُقي أكثر فأكثر ، ويبقى بحاجة ماسه ومستمرة إلى مُعَلِم ومرشد وهادي الهيّ .

وخير شاهدٍ عملي على ذلك ما نلاحظه من تضارب و تخاطئ بين عمالقة المفسرين ، مضافاً إلى أنَّ كل جيل لاحق من المفسِّرين يكتشف ما لم يكتشفه الذي قبله ، فلو تسألنا عن سبب غفلة الجيل السابق الذي اكتشفه اللاحق ؟ كان الجواب : إنَّ الوصول إلى كلَّ أعماق القرآن يحتاج إلى استمرار في المسير وبرعاية دليل ومرشد الهيّ ، وهذا هو معنى لن يفترقا لا في أوّل الطريق ولا في وسطه ولا في آخره ، وإنَّما لن يفترقا باستمرار ، وبالتالي لا يمكن الاكتفاء بمنهج تفسير القرآن بالقرآن ، وحسبُنا كتاب الله .

وسيأتي في قاعدة تفسيرية مستقلة بأنَّ [القرآن غير متناهي أبداً] وهذا ما تؤكده روايات أهل البيت وأنَّ قاعدة المحكم والمتشابه لها صميم التأثير في منهج التفسير القرآني ، كغيرها من القواعد الأخرى التي لها تأثير بالغ في المنهج التفسيري

كقاعدة ارتباط القرآن بليلة القدر ، وإنَّ هذه الليلة المباركة المتكررة النزول إلى يوم القيامة مرتبطة بحقيقة القرآن حسب روايات الفريقين ، وأن هذه الليلة لو رُفعَت لَرُفع القرآن وأنَّ تأويل القرآن لا يقف عند حدّ معيّن وعليه فإن صفات القرآن غير متناهية وكلامنا ليس في نفس القرآن بما هو هو وإنَّما في مَن يريد الاستفادة من القرآن ، وهل أَنَّ الباحث فيه قصور أولا ؟

إذن هذا تنبيه وايعاز من القرآن نفسه للبشر بنَّه يحتاج في تفسيره واستخراج كنوزه إلى مُعَلِّم الهي وإنَّكم أيُّها البشر بمفردكم لا تقوون ولا تقدرون على المضي والسير من دون ذلك المعلِّم الإلهي ، وأَنَّ ليس باستطاعة البشر الإحاطة بكل مراتبه ومِن ثَمَّ يحتاجون الى مُعَلّم الهي .

فمثلاً علم الرياضيات علم بديهي انْفجرت منه علوم واكتشافات وتطور و ازدهار علماً أَنَّ علم الرياضيات في حَدِّ نفسه علم قويم متناسق ومترامي الاطراف ولا متناهي الحدود ، ولكن لا يعني هذا كله أَنَّ علم الرياضيات رغم قوّته لا يحتاج إلى مُعلِّم ، نعم نفس العلم بما هو علم لا يحتاج إلى معلِّم ولكن الذين يريدون اكتسابه وتعلّمه يحتاجون في ادراكه ـ العلم ـ إلى معلِّم .

وهكذا الحال في بقيّة العلوم كعلم الفيزياء والكيمياء والإحياء وغيرها ، باعتبار أنَّ البشر يؤمنون بأنَّ هذه العلوم أيضاً غير متناهية ، ولذا نلاحظ وباضطرار من سير فطرة البشر ، والسير العقلي لهم تراهم يلجئون إلى مُعَلِّم في كُلِّ علم ، فإذا كان معلِّمُ البشر ذو افق محدود إلى حدٍّ لأَنَّه وفوق كل ذي علم عليم ، فإنَّ العلم في نفسه لا تقف درجاته عند حدّ معين اي درجاته غير متناهية وباستطاعة البشر أنْ يصل إلى درجات أعلى وأعلى ، إلاَّ أنَّهم مضطرون أن

يلجأوا نحو المعلِّم الأكمل والأعلم والأعلى ، ألاَّ وهو المعلِّم الالهي ، لأنَّ المعلِّم البشري في أيّ عصر وفي أي علم مهما بلغ رُقيّه فهو يقف عند حدّ ولا يتعداه وإلى ما وراءه وفوقه من العلوم ، وهذا باعتراف كل العلوم التي تنادي وتشهد بذلك وإنَّ معلميها من البشر يصل إلى درجةٍ ويقف ويأتي من بعدهم الجيل اللاحق ثم يواصل ذلك خطوة خطوة ، وليس بقدرة البشر أنَّ يسير ويتحرك حركةً مفتوحة لا متناهية بالفعل فإنَّ هذه قدرة وامكانية المعلِّم الإلهيّ ؛ لأنَّ كلَّ علم من العلوم واقعة ومنشأه لا متناهي وبالتالي تحتاج إلى معلّم الهيّ ، ولذلك فإنَّ صاحب كل العلوم التي يصحبها ولا تفترق عنها هذه الصفة ويتمتع بها المُعلِّم الإلهيّ فقط وهم محمد وآل محمد صلوات الله عليهم أجمعين كتابُ الله وعترتي أهل بيتي لن يفترقا ، وهذه المعيّة ثابتة بينهما ، إذن فالمعلِّم الإلهيّ للقرآن هم العترة وخلفاء الله وأوصياءه .

[طبيعة العلوم غير متناهية فكيف بالقرآن الذي هو مجمع العلوم فيحتاج إلى مُعَلِّم الهيّ]

التأمل الثالث : إنِّ السِّيد العلامةﷺ في كل كتبه يستعرض أقوال العلماء فيصحح بعضها وينفي الأخر ، فلماذا يكترث بأقوال العلماء ويستعرضها ؟ أوليس نفس نفيه لأراء بعضهم تعليم أولا ؟ نعم إنَّه تعليم وبالتالي فإنَّ البشر يحتاج إلى تعليم لا محالة لأنَّ طبيعة العلوم غير متناهية فإنَّ كتب البشر تحتاج إلى تعليم ومعلّم ، فكيف بمجمع علم العلوم وهو القرآن الكريم كتاب من ربِّ العالمين .

بل حتى النوابغ من البشر قد يستغنون عن المُعَلِّم الابتدائي عندما يصلون

إلى مراحل متقدمة ، ولكن بعد ذلك عندما يستعرضون أقوال غيرهم ويفتشون عنها ليشاركوهم في عقولهم لأجل أنْ يتَعلَّموا ، فتعلمهم بالصِغَرِ شيء والآن في مرحلة متقدمة شيء آخر فإنَّ « اعقل الناس من جمع عقول الناس الى عقله ، وأعلم الناس مَن جمع علوم الناس إلى علمه » ولذلك يحتاج البشر إلى مُعَلِّم وباستمرار حتى يتعلم ويجمع علوم الآخرين إلى علمه ، ويحصل على ما ليس عنده ، وحاجة البشر إلى المُعَلِّم لا تقتصر على البداية وإنَّما الحاجة إلى المُعلِّم على طول الطريق ، لأنَّ هناك مساحات مجهولة ومناطق مظلمة في العلوم لم يطرقها أحدٌ ولم يُنَر الدرب إليها ، وإلاَّ فإنَّ درجات العلوم لا تنفجر ولا تتفجر من ذاتها من دون معلِّم حتى يستطيع الخوض والولوج في تلك الظلمات ، هذا كُلُّه بلحاظ كتاب وعلم بشري فكيف بك بكتاب الهي .

والخلاصة أَنَّ ما انتهى إليه أصحاب القول الثاني من أَنَّ القرآن الكريم يحتاج فيه إلى مُعَلِّم الهي في بداية الطريق فقط للتخلص من الرواسب المادّية ، ونستغني عنه وسط الطريق أو نهايته ، فإنَّ مثل هذه المقولة أو النتيجة غير مطابقة للحقيقة وللواقع أبداً .

وكأنّما صارت هناك غفلة وخلط بين ما تعلمته ولا تحتاج فيه إلى معلِّم ومُبَيِّن ما لم تتعلمه فتحتاج فيه إلى معلِّم ، وأيضاً يُفرَّق فيه بين العلوم التي هي من تفنن البشر وإنَّ كان منشأها الهي ، وبين العلوم التي هي أصلاً الهيّة والبشر عاجزٌ عنها وخارجة عن قدرته ، ولعلَّه يمكن الاستغناء عن المعلم في بعض المراحل بخلاف الثاني ـ العلوم الإلهيّة اصلاً ـ التي لا يمكن الاستغناء عنه في أي مراحله

﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[١] و ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ *الَّذِي عَلَّمَ بِالقَلَمِ *عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[٢] و ﴿وَاللهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾[٣]

إذن يحتاج الإنسان في كل علم على الدوام إلى مُعَلِّم ، فكيف بك بالقرآن الكتاب الإلهي الذي هو مجمع للعلوم اللامتناهية وعلى طول الخط ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ﴾[٤]

بتقريب : إنَّه ليس المراد من التلاوة نوع تعليم ابتدائي فقط وللحفظ والتجويد ، وإنَّما يُراد منها درجة أعلى وهي تعليم المعاني والحقائق ﴿وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ﴾[٥] و﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾[٦]

بتقريب : إِنَّ الرسول صلى الله عليه وآله ليس فقط واسطة بالنقل بين الباري وخلقه ولا يعلم بالذي ينقله ومحتواه ويسلِّمها إلى البشر من دون إِنَّ يعلم ما بها ، كما تعتقد بذلك جملة من المدارس الإسلامية الأخرى ـ والعياذ بالله ـ وإنَّما أحد مقامات رسول الله صلى الله عليه وآله أنَّه معلِّمٌ ومُرَبِّيٌ إلى يوم القيامة بحسب ما دلّت عليه الآيات والروايات في بيان مقامات رسول الله صلى الله عليه وآله ومن المؤسف عندما يذكر المتكلمون تلك المقامات في بحث مقامات النبوة علماً إِنَّ البشر ـ كما تقدّم ـ بحاجة ماسة ودائمة إلى تعليم رسول الله صلى الله عليه وآله بالمباشرة منه صلى الله عليه وآله في الحياة الدنيا ، كما ذكرت ذلك

---

(١) سورة طه: الآية (١١٤).

(٢) سورة العلق: الآيات (١) الى (٥).

(٣) سورة النحل: الآية (٧٨).

(٤) سورة الجمعة: الآية (٢).

(٥) سورة الجمعة: الآية (٢).

(٦) سورة القيامة: الآية (١٩).

الآية المباركة ﴿**لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ**﴾[١] بأنَّ تتغذى البشرية في برهة حياته الشريفة في دار الدنيا ، بل وحتى الآن وهو صلى الله عليه وآله في الرفيق الأعلى قدوةً مضيئةً في القلوب ، ولا يشترط في الشيء القدوة إنَّ يكون فقط ماثلاً بالحس بل ولو كان كائناً في القلوب وتبصرة الأرواح بنور الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله ولا زال صلى الله عليه وآله يمارس جذب تربية الأرواح وهو في الرفيق الأعلى ، ولم ينقطع عن تربية البشر بموته .

[هل يشترط الاتصال الحسي الظاهر إنَّه المعلِّم والمرَّبي الإلهي الملكوتي]

إِنَّ الحياة الدنيوية والاتصال الحسي الظاهري نمط من الآليات وليست هي كل الآليات للمعلِّم والمربي الإلهي ، فلو لاحظنا كيفية تأثير تربية الأب لأبناء أسرته سيتضح لنا الأمر جلياً ، علماً أَنَّ الأب لم يتواجد بدنياً وجغرافياً طول الوقت مع أسرته ، لأنَّ يخرج إلى العمل خارج المنزل و الالتزامات الاجتماعية والعرفية ومتطلبات الحياة الأخرى ، إلاَّ إنَّه كيف يربيهم ويترك فيهم أثر التربية ؟ ما ذاك إلاَّ لحضور كينونة روحه بالارتباط الروحي ، مع أرواحهم ، كما **قال أمير المؤمنين** عليه السلام **لكميل بن زياد النخعي . . . يا كميل ـ هلك خُزّانَّ الأموال وهم أحياء والعلماء باقون ما بقي الدهر أعيانُهم مفقودة وأمثالُهم في القلوب موجودة**[٢] .

فإنَّ امثالهم حاضرة في الأرواح والعقول وأعيانُهم مفقودة ، ولكن لأجل أَنَّ يبقى الاتصال والتأثير حيوي ومؤثر وفعّال فإنَّه بحاجة إلى صيانة ، وصيانة كلّ بحسبه ، فصيانة بقاء تأثير تربية وتعليم الأب هو بالبر و امتثال أوامره وعدم

---

(١) سورة الأحزاب: الآية (٢١).

(٢) نهج البلاغة.

العقوق و الاستغفار له بعد وفاته والتصدق عنه وغيره ، وهكذا صيانة رسول الله صلى الله عليه وآله المعلّم الإلهي للبشر وأهل بيته ، وصيانة الاتصال بالله تعالى بالاستغفار وتهذيب النفس حتى تحصل على بث الهي روحي دائمي .

ومن كل هذا يُعْلَم أَنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله لازال مُربّياً ويقوم بأداء مسؤوليته ، ويُزكيهم ويرعى تزكية البشر أجمع ، كما يرعى تعليم العالم ، فإنَّ البشريّة على أي تقدير تحتاج إلى معلِّم وراعي ، ولا تنحصر آليات التربية والتعليم بالحسيّة فقط ، فليس الحس الظاهري هو القناة الوحيدة في التأثير .

[البراهين القرآنية وغيرها على استمرار التعليم الإلهي للبشر]

التعليم للكتاب الإلهي قائم على قدم وساق ، ولا يمكن الاستغناء عنه في مرحلة دون مرحلة لعدّة براهين تقدمت :

البرهان الأول : قوله تعالى : ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ﴾[1] فإنَّ [يعلمهم] فعل مضارع يدل على الاشتراك بين زماني الحال والاستقبال فالتعليم لازال مستمراً إلى يوم القيامة .

البرهان الثاني : إِنَّ القرآن غير متناهي فكيف يمكن الاكتفاء بالمتناهي عن اللامتناهي

البرهان الثالث : إِنَّ القرآن الكريم يؤكد دائماً ومكرراً في السور والآيات إِنَّه ليس ذو منزل ومقام واحد ، وإِنَّما هو ذو منازل ومقامات غيبيّة مهولة وكثيرة ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ *فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ *لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾[2] و ﴿بَلْ هُوَ

(١) سورة الجمعة: الآية: (٢).
(٢) سورة الواقعة: الآيات (٧٧) الى (٧٩).

قُرْآنٌ مَجِيدٌ *فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾[١] أي محفوظ ربما عن متناول كل البشر بل وما أكدته روايات أهل البيت من إنَّ القرآن ذو منازل حتى لا يغفل الإنسان عن إنَّ القرآن ذو مقامات ومنازل وسطوح وظهر وبطن وليس مقاماً ومنزلاً وسطحاً وظهراً واحداً ، فإنَّ في القرآن منازل ملكوتيه وغيبية من العوالم الملكوتيه ليس بمتناول البشر كما ذكرت ذلك جملة من آيات السور وهو وصف النبيﷺ بأنه حبلٌ ممدود لا مقصور ولا مقطوع طرف منه عند الناس وطرف منه عند الله .

اذن في القرآن مقامات لا يستطيع أحدٌ من البشر الوصول اليها مثل **﴿وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ * فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ * وَالبَيْتِ المَعْمُورِ * وَالسَّقْفِ المَرْفُوعِ * وَالبَحْرِ المَسْجُورِ﴾**[٢] و **﴿أُمِّ الكِتَابِ﴾**[٣]

وغيرها من المقامات التي ليس بمقدور البشر الوصول إليها فضلاً عن الإحاطة بها وتفسيرها فكيف يُدَّعى استغناء الإنسان بنفسه عن المعصوم والمعلِّم الإلهي ، بل على العكس أنَّ يحتاج دائماً إلى حبل يمدّه من السماء إلى الأرض لكي يستمسك به البشر وينقذ نفسه من الوقوع في الهاوية إذا تمسّك بمعيّة العترة والكتاب ، ومعيّة أقرء وأرقَ ، وبالتالي سوف يكون معلِّمك هو من يتلو عليك الكتاب وما يعلم تأويله إلاَّ الله والراسخون في العلم وقد أقرَّ كبار مفسِّري العامّة أمثال الطبري صاحب التفسير المعروف والتصانيف والتاريخ وغيره حيث ذكر في تفسير ذيل الآية أمّ الكتاب أنَّها أصل وأساس القرآن ، وأَنَّ هذا الأصل ليس بمتناول كل البشر ، وإنَّما بمتناول مَن اصطفاهم ووصفهم القرآن الكريم بقوله

---

(١) سورة البروج: الآيات (٢١) و(٢٢).
(٢) الطور: الآية (٢) إلى (٥).
(٣) الزخرف: الآية (٤).

﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ ومصداقها الأوّل والأكمل والأفضل هم محمد وآل محمد صلى الله عليه وآله .

ولذا لا مناص من أنّنا إذا أردنا الوصول إلى أي مساحة جديدة لابدّ وإِنَّ يستمسك بالكتاب والعترة الطاهرة ـ لن يفترقا ـ فلا يمكن التمسك بظاهر الفاظ القرآن للوصول الى النتيجة من دون الطيّات الباطنة الخفية نعم لا يمكن الاستغناء عن ظاهر الفاظ الكتاب الكريم فإنّها الطريق إلى الباطن والخفاء والأعماق ولا مانع من أعمال ما يتعلق بالألفاظ من المعاني اللغوية والتركيبية وغيرها من قواعد علوم اللغة والدلالة .

إذن البشر دائماً وأبداً في حاجة واحتياج مستمر إلى القرآن الكريم ، وكلامنا ليس في القرآن بما هو كتاب الهي ، وإنَّما كلامنا مَعَ مَن يريد إِنَّ يستفيد من القرآن وإِنَّه هل في هذا الباحث والفاحص نقصٌ وقصور أولا ؟ هذه هي أحد أهم تداعيات ونتائج الاقتصار على منهج تفسير القرآن بالقرآن .

[حقيقة تفسير القرآن بالقرآن]

إنَّ تفسير القرآن بالقرآن منهجٌ انتهجه جملةٌ من المفسِّرين ـ العامة والخاصة ـ ولكن هل المقصود من تفسير المعصوم للقرآن بالقرآن ، أم تفسير المجتهد بقدرة بشرية محدودة بالاستعانة بالقرآن ؟

فإنَّ كان المقصود منه استنطاق نفس المعصوم عليه السلام للقرآن أي إنَّ نفس المعصوم عليه السلام هو يقوم باستنطاق الآيات القرآنية فهذا هو الصحيح ، لأنَّ القرآن الكريم بما هو كتاب والفاظ ليس له القابلية على النطق ، وإنَّما يقوم به شخص آخر إمّا المعصوم أو شخص اخر غير المعصوم كالمجتهد .

وأمّا إذا كان المقصود من تفسير القرآن بالقرآن هو استنطاق فرد بشري محدود الجهد والفحص والسِعة ، فإنَّ هذا ليس من تفسير القرآن بالقرآن بشيء ، وإنَّما من تفسير المجتهد وبقدرة بشرية محدودة قد تخطئ وقد تصيب للقرآن بالقرآن .

إذن عنوان ومنهج تفسير القرآن بالقرآن الذي نجده مرفوعاً كاسم وشعار لكتب كبيرة وضخمة فيه مجانبة للواقعية وابتعاد عن الحقيقة ، لأنَّ تفسير القرآن بالقرآن هو مختص بما إذا كان المُفسِّر والموضِّح والمُبيِّن هو المعصوم فقط ، حيث إِنَّه الوحيد حصراًعليه السلام الذي يحيط بكل منظومة طبقات القرآن ، كما هو مفاد قوله تعالى ﴿**وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ**﴾ و ﴿**لاَّ يَمَسُّهُ إِلاَّ المُطَهَّرُونَ**﴾ .

أمّا تفسير المجتهد للقرآن بسعي بشري بالاستعانة بالقرآن فذاك مطلبٌ آخر ، فإنَّ استعانة المجتهد المُفَسِّر لتفسير القرآن بقرائن قرآنية و الاستعانة بالسياق ، وبوحدة السورة ، وبوحدة المنظومة ، وبكثرة التتبع في القرآن وبكثرة المراس في الاسلوب القرآني وغيرها الكثير ، فإن كل هذه القرائن متينة وسديدة كدلائل ظنيّة معتبرة قد تصل في بعض الموارد إلى القطع بدرجة معينة ، ولكنها تبقى في غالب الموارد ظنيّة ، والظهور الظني وإِنْ كان معتبراً في حدّ نفسه لكنه لا يبلغ درجة القطع واليقين ، بل إنَّ القطع واليقين الناشئ من هذه القرائن لا يرقى إلى درجة اليقين الوحيانيّ أو اليقين المبدّه ، بينما مفاد عنوان تفسير القرآن بالقرآن هو استحصال الظهور والمراد القرآني بآلية وحيانيّة بنحو يكون الاستنتاج والنتيجة وحيانية ، أي بدرجة اليقين الوحياني ، وكم هذا الادّعاء بعيد عن

حقيقة الحال ويوجب اللبس والتلبيس للحقائق ، ومسامحة ومجانبة للواقعية الحقيقية ، فإن كثيراً من الفتن الفكرية والعقائدية ، والمنهجية والعلمية والمعرفية تنشأ من استناد الإنسان إلى شيء وليس حجة في حدِّ نفسه ، ولم تتوفر في حقِّه موازين الحجية ، وبالتالي فإنَّ الأمر قد يلتبس على الباحث الكريم ، ويرتب الأثر على أنَّ هذا الأمر واجدٌ لموازين الحجية ، والحال أنَّه ليس كذلك ، أوقد يستند الإنسان الباحث إلى شيء حجة في حدِّ نفسه ، إلاَّ أَنَّ الخلل في عدم تشخيص رتبه وموقع هذه الحجة ، مما يسبب انحراف والتباس ، فإنَّ الشيء الذي يكون حجة في حَدِّ نفسه ومستجمعاً لشرائط الحجية إذا جعلته ، أو وضعته في غير موضعه وموقعه المناسب ، فإنَّه لا يكون حجة ، وإنَّما صورته واطارُه وقالبه حجة إلاَّ أَنَّ واقعه ليس بحجة وباطل ، وهنا تكمن صعوبة هذا على مستوى العمل والممارسة لا على مستوى الكلام والبحث النظري فقط .

وبعبارة أكثر وضوحاً ، مثلاً الخبر الواحد الصحيح الذي ينقله العدل هو حُجَّةٌ ولا مانع من الأخذ والعمل به ، لكن اذا تمسَّك الباحث بخبر واحد صحيح ورَكَّزَ عليه وشدَّ ذهنه وقلبه وعقيدته اليه في مقابل خبر متواتر ، وهنا تكمن الأزمة ويُرتِّب الباحث الأثر كُلّه على خبر الواحد دون المتواتر ، والخبر الواحد وإِنَّ كان حجة ، إلاَّ إِنَّ مرتبة حجيته تأتي بعد مرتبة حجية المتواتر وفي طولها ، وإذا رُتب الأثر على الخبر الواحد الذي تكون حجيته في طول حجية الخبر المتواتر حينها يحصل اللبس والاشتباه .

[مناقشة الاشتباه الذي وقع فيه الفخر الرازي]

إِنَّ من الأخطاء الفادحة التي وقعت بها المدارس الإسلامية الأخرى غير

مدرسة أهل البيت نتيجة ابتعادهم عن منهج أهل البيت ووقوعهم باشتباهات والتباسات كثيرة فمثلاً الفخر الرازي وقع في اشتباه والتباس في تفسير قوله تعالى **﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾**(١)

بتقريب : إِنَّ ما ذكره القرآن الكريم حول موقف اليهود وبني إسرائيل من النبي عيسى بن مريم وزعمهم قتله وإِنَّه عليه السلام ليس حياً .

واضطرب الفخر الرازي أيّما اضطراب في تفسير الآية المباركة وحصره الحجية بالحس وإِنَّ القرآن الكريم أقرّ لليهود بأَنَّهم رأوا قتل النبي عيسى عليه السلام حساً وشُبَّه لهم ذلك ، ومع ذلك قال الفخر الرازي في هذا الموضع إِنَّ القرآن الكريم خاطب اليهود بأَنَّه لِمَ اعتمدتم الحِسَّ ، ثم ذكر إِنَّه إذا لم يكن الحس حجة بحسب هذا المفاد القرآني فأيّ شيء حينئذٍ يكون حجة ؟ فإِنَّ الدين والديانات والملل السماوية كلُّها تَثبت ونُقلت بواسطة الحسِّ ، فإذا لم يكن الحسُّ حُجّةً زعزعت حجيته فحينئذٍ يصبح تعطيل لإحكام الدين .

ثم يتساءل الفخر الرازي وهل توجد حُجّة أعلى من الحسّ حتى يُطالب القرآن الكريم اليهود ؟ وكيف تُسمي القرآن الحسّ ظناً ، وكيف لا يكون التواتر حجةً الذي هو ـ التواتر ـ منشأً للحسّ حتى في حلقاته المتعاقبة والتي يتلو بعضها البعض ، فإِنَّه على هذا يلزم تعطيل الدين ـ والعياذ بالله . هذا ما انتهى إليه الفخر الرازي .

---

(١) النساء: الآية: ١٥٧.

وفي مقام التعليق على ما انتهى إليه الفخر الرازي نقول :

أولاً : إنَّ السبب الرئيسي لوقوع المدارس الإسلامية غير مدرسة أهل البيت ومنهم الفخر الرازي في الحيرة والضلالة بسبب متاركتهم منهج أهل البيت إذ لو التفتوا الى بيانات أهل البيت وتمسكوا بها لالتفتوا إلى الجواب ولما وقعوا في مثل هكذا حَيرَة وتردد ولخرجوا منها ويمكن تلخيص مضمون ما وَرَدَ في مجموع بيانات أهل البيت بشكل عام بما حاصله :

إِنَّ الإشكال الذي يسجله القرآن الكريم على اليهود ليس في أصل موقعّيه ورتبة حجية الحسّ وإنَّما يستنكر القرآن ذلك ويَذُم ويُبطل موقف اليهود ويؤنبهم ويعاقبهم من جهة أَنَّهم جعلوا حجّية الحسّ هو الأوّل والآخر ، وحصروا الحجية بالحس فقط والحال إِنَّ رتبة الحسّ كباقي مراتب الحجج فوقه مرتبه ودونه مرتبة .

[من تمام معرفة الحجة هو معرفة موقعيتها ورتبتها]

[لا يكفي في الحجة إثبات الحجية فقط ، بل لابُدَّ من تحرير وتنقيح رتبة الحجية]

إنَّ مؤاخذة القرآن الكريم على اليهود من جهة سلسلة الحجية وأنَّهم قدّموا حجية الحسّ على حجية المعجزة العلمية للوحي والتي هي فوق الحسّ ، ولماذا ترك اليهود اعجاز الوحي الذي هو أشد يقيناً وأعلى مرتبة في الحجية واستندوا إلى ما هو أضعف في الحجية ، وبالتالي فإنَّ اعتراض القرآن على اليهود ليس من جهة استنادهم إلى الحسّ وإنَّما كانت المؤاخذة من جهته أَنَّهم ـ اليهود ـ لم يُراعوا جهته وسلسلة ومرتبة الحجّية ، وأَنَّ الشيء المهم الذي ننتهي إليه في الحجية في

أي حجة من الحجج ـ كالخبر الواحد و الظهورات ، فإنَّه لا يكفي إِنَّ تثبت لها الحجية في نفسها من الإمارة ، بل لابد من تحرير وتنقيح رتبة الحجية ، وهذا هو السرُّ في إِنَّنا نقول بقول سيد الأنبياء وخاتمهم صلى الله عليه وآله ولا نقول بقول غيره من الأنبياء لا لأنَّهم ليسوا الحجج ، كُلُّهم حجج الله عَزَّ وجَلَّ ، ولكن من تمام معرفة الحجة والحجية هو معرفة موقعيّتها ورتبتها ولذا يؤكِّد القرآن الكريم على التفاضل بين رتب الأنبياء ﴿**تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ**﴾[1] ولا يكفي إِنَّ تعرف الأنبياء بأصل النبوة فقط ، فإنَّ هذا لوحده غير كافٍ ، بل لابد من معرفة وتمييز مَن هم اولوا العزم من الأنبياء ؟ ومَن هم مِن غير اولي العزم ؟ لأنَّ حجيّة اولي العزم أكبر والحجية الأكبر تقدّم على الحجية الأضعف .

تنبيه : **أولاً** : هناك مطلبٌ سيّال حاصله : إنَّ معرفة موقعيه الحجج من الأمور البالغة الأهمية وفي دلالات الحجج هناك تداخلٌ في المواقع دائماً فمن الضروري جداً تمييز ومعرفة موقع كل حُجَّة لما في ذلك من ترتب آثار خطيرة ومهمة ، وعليه فإنَّ الاستعانة في تفسير القرآن بالقرآن لابأس بها من حجة ظنيّة ، لكن بعد معرفة موقعّيه ورتبة تلك الحجة وأَنَّها ظنيّة وليست قطعية غالباً وأَنَّ اليقيني والقطعي منها ليس بدرجة اليقين الوحياني ، وإِنَّما هو من اليقين النظري ، وهل أَنَّ تفسير القرآن بالقرآن حجة في مقابل حجج أخرى فيه تفسير القرآن أو لا ؟

ثانياً : إِنَّ ما انتهى إليه الفخر الرازي وإِنَّ كُنّا لا نقبله ، ولكن نقول معَجّلاً وباختصار :

---

(١) سورة البقرة: الآية (٢٥٣).

إِنَّ حجج الدين لا تنحصر بحجية الحسّ فحسب كما توهمته بعض المدارس الإسلامية الأخرى ـ غير مدرسة أهل البيت ـ ومنهم الفخر الرازي ، فإنَّ أعظم حجج الدين حسب منطق القرآن ومدرسة أهل البيت ليس منحصراً بالحس فقط وإنّما هناك حجج فوقيّة وعلويّة وأعلى من حجيّة الحسّ ألاَّ وهي الحجج العقلية والقلبية وفوقها الحجة الوحيانية .

[هل تسمية المنهج التفسيري باسم تفسير القرآن بالقرآن صحيحة أم لا ؟]

هناك نكته مهمة في المنهج التفسيري أو البحوث العلميّة في العلوم الدينية ، بل وغير الدينية وهي أَنَّه قد يكون العنوان في حدٍّ نفسه صحيح ولا مانع منه ، ولكن بنفس الوقت ينبغي الالتفات والتنبه إلى عدم إعطاء العنوان معنى أكبر من حجمه ، أو يُعطى تسميّةً لا يستحقها ، وبالتالي قد يترتب عليها آثار خاطئة وخطيرة .

وما نحن في صدد بيانه كذلك من أنه ليس كلامنا في أصل منهج الاستعانة في تفسير القرآن بالقرائن ، فإنه منهج متين وضروري وقويم وسديد واكدوا عليه أهل البيت وعلّموا أصحابهم ، فلو لاحظنا الواردة في أبواب الفقه المختلفة كباب الوديعة وغيرها نلاحظ كيف يُعلِّم الإمام عليه السلام أصحابه . . . عن أبي الجارود قال : **قال أبو جعفر عليه السلام إذا حدثتكم بشيء فاسألوني عن كتاب الله ، ثم قال في حديثه : إنَّ الله نهى عن القيل والقال ، وفساد المال وكثرة السؤال ، فقالوا يأبن رسول الله وأين هذا من كتاب الله ؟ فقال : إن الله عزَّ وجلَّ يقول في كتابه ﴿لاَّ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ﴾[1] ، ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ الله**

(١) سورة النساء: الآية (١١٤).

لَكُمْ قِيَامًا﴾[١] وقال ﴿لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾[٢][٣] .

بتقريب : هدفُ الإمام عليه السلام هو إنَّ يُعَلِّم أصحابه كيف يستمدون الرواية الدينية والمعرفية والفقهية والعقائدية ويؤصلوها بتأصيل ومنبع قرآني وكيفية الاستنباط من القرآن .

إذن استعانة المجتهد والمفسِّر للقرآن بقرائن قرآنية وبتتبع قرآني في حدِّ نفسه منهج قويم أو متين ، فلا كلام لنا في المنهج الذي بيّنه أهل البيت في كيفية الاستعانة بالقرآن الكريم .

وإِنَّما الكلام في أصل تسمية هذا المنهج التفسيري باسم [تفسير القرآن بالقرآن] هل هي تسمية صحيحة أولا ؟ فإنَّ بعض المفسِّرين الذين تبَّنوا وتبانوا على أَنَّ منهج تفسير القرآن بالقرآن ، وأنَّ مرتبة حجيته فوق حجية تفسير النبي صلى الله عليه وآله للقرآن وهذا واضح الاشتباه والخطأ .

نعم لو كان معنى تفسير القرآن بالقرآن من أَنَّ القرآن ينطق بنفسه لكان تفسير الله لكلامه يسبق تفسير النبي صلى الله عليه وآله في الحجّية ، ولكن الموجود من منهج تفسير القرآن بالقرآن هو من تفسير مخلوق الله وهو المجتهد الفقيه أو المُفسِّر أو غيره ، وهو قد يخطأ أو يصيب وعليه فكيف يمثل هكذا تفسير للقرآن بالقرآن الذي هو من تفسير المُفسِّر مُقَدَّم بالحجية على تفسير النبي صلى الله عليه وآله وحاشا تفسير النبي صلى الله عليه وآله أَنْ يسبقه تفسير المجتهد .

---

(١) سورة النساء: الآية (٥).

(٢) سورة المائدة: الآية (١٠١).

(٣) الوسائل: ج (١٩)، ب (٦)، ص (٨٢) ح، من أبواب الوديعة.

وبالتالي فإنَّ عنونة وتسمية هذا المنهج بتفسير القرآن بالقرآن لا تنطبق حقيقة على هذا المنهج وإِنَّ حقيقة ما يقوم به المفسِّر المجتهد من الاستعانة بالقرائن القرآنية الظنية لتفسير موضع آخر من القرائن هو من الاستنباط الظني بحسب القدرة البشرية ومن ثم يتفاوت بها المجتهدون والمفسرون .

وإِنَّ كان يفهم من العنوان أَنَّ القرآن يفسِّر نفسه وينطق ، ومن هنا تنشأ المغالطة ، فقد تكون التسمية صحيحة إلاَّ إذا تجاوزت الحد فإنَّها تصبح مهلكة

إِنَّ قلت : إِنَّ عنوان تفسير القرآن بالقرآن مقتضاه كونه تفسيرَ وحياني من نتاج الوحي لا من نتاج الظني البشري ، مع أَنَّ واقع الحال هو من قبيل الثاني ـ الظني البشري ـ لا الأول ـ نتاج وحياني ـ كما مَرَّ بيانه .

قلت : الشاهد إِنَّ تفسير القرآن بالقرآن ظنّيٌ وليس يَقينيّاً فضلاً عن أنْ يكون وحيانياً إِنَّك تلاحظ النقض والأبرام والتخطئة والتصويب قائمٌ بين أصحاب هذا المنهج على قدم وساق مما يدلُّ على أَنَّه ليس الكل بصائب وسديد ، وإِنَّما أحد هما يُصيب والآخر يخطئ ، ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كبيراً وبالتالي فإنَّ القرآن الكريم لا ينطق من دون أنْ يستنطقه أحدٌ .

القول الثالث : المحكم : ما كانت دلالته واضحة وبيِّنة بسبب قرب العهد الزمني .

المتشابه ، ما لم تكن دلالته واضحة بسبب بُعد تراكمات العهد الزمانيّة أو بسبب ما طرأ وعَرَض على فهم أو ذهن أبناء اللغة من انقراض أو نسيان أو الغفلة عن الزمان والاختلاط بلغات أخرى وغيرها .

وبالتالي يكون أحد أهم مناشيء التشابه في دلالة الآيات هو غموض

التركيب ، أو غرابة المفردات ، بالإضافة الى الجيل المتولِّد أو المتولِّدون[١]

إِنَّ هذا التشابه والإحكام للموروث اللغوي بحسب ابتعاد الجيل اللغوي عن عصر النص تسبَّبَ تراكمات مُوَلدات اللغة من المولدين وبالتالي ينعكس هذا ويكون حاجباً عن وضوح الدلالة .

[مميزات القول الثالث]

أولاً : يمتاز هذا القول عن الأقوال الأخرى ، بأَنَّ التشابه يُعرَف لصفات عارضة وطارئة على القرآن ، فإِنَّ الشيء قد يوصف بأوصاف ليست ذاتية ، وإِنَّما يوصف بأوصاف طارئة عليه ، أو بسبب أمر خارج عنه ، نظير ما في علم الرجال من ذكر صفات الراوي العلمية والعملية ، لا بلحاظ نفس الراوي وذاته ـ أو ذاتها ـ وإِنَّما بلحاظ أَنَّ الطائفة عملت برواياته أولاً ومثل هذه الأمور طارئةٌ .

ثانياً : بأَنَّ أكثر ما يكون المحكم والمتشابه في القرآن الكريم من هذا النمط ـ الذي مرَّ أوّلاً ـ وعلى هذا القول فإِنَّ القرآن الكريم يُعزي التشابه والأحكام إلى عوامل طارئة على ألفاظ الآيات الكريمة ، لا بسبب نفس الصفات الذاتية للألفاظ في القرآن الكريم ، وإِنَّما بسبب ابتعاد أبناء اللغة العربية عن لغتهم ، كما يُشير الله قوله تعالى ﴿**وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ**﴾[٢]

وقوله تعالى : ﴿**وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الأَعْجَمِينَ * فَقَرَأَهُ عَلَيْهِم مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ**﴾[٣] وقوله تعالى ﴿**وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي**

---

(١) القول الثالث لأحد علماء الامامية من غير العرب الذي التفت الى أهمية اللغة العربية.

(٢) سورة فصلت: الآية (٤٤).

(٣) سورة الشعراء: الآية (١٩٨) و(١٩٩).

يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾[1]

إذن التشابه أمرٌ عارض على من يجيد اللغة العربية أو غيرها من لغات البشر وبالتالي فإنَّه بسبب التباعد الزمني عن عصر نزول الوحي .

[اللغة مفتاح الثقافة والعلم والمعرفة]

[المحافظة على قوة علوم الأدب واللغة العربية هي محافظة على لغة وحي القرآن]

إنَّ من أحد أهم مميزات القول الثالث هو أحياء علوم اللغة العربية من علم النحو والصرف والأدب والبلاغة والاشتقاق والنحت وفقه اللغة والعَروض وغيرها ، وليس هذا أمراً مرتبطاً بالعرب أو مَن يتكلم اللغة العربية ، بقدر ما هو مرتبط بأحياء لغة الوحي والسماء ، ولأجل أحياء هذه اللغة فإنَّه يجب أنْ لا تندرس هذه العلوم ليس فقط على صعيد النخب العلميّة ، بل هذا على صعيد أبناء مَن يتكلم تلك اللغة سواء العربية أو غيرها ، وأما التأكيد على اللغة العربية خاصة من بين اللغات ويجب المحافظة عليها من الأندراس و الانغماس باعتبار هي لغة الوحي ، لا لأجل المحافظة على عنصرية أو قوميّة معينة ، كما كان يصنع بعض اعلام النجف الأشرف في إبقاء لمحافظة على حيوية اللغة العربّية ، أمثال السِّيد محمد الطباطبائي بحر العلوم ﵀ إذ خصَّص مقداراً من وقته وهو عصر كل يوم لمنتدى أدبي وشعري كل ذلك لأجل المحافظة على قوّة العارضة الأدبية واللغوية .

وهكذا مثل ما صنعه السِّيد الشريف المرتضى ﵀ في أماليه ومجالسه التي هي عبارة عن منتديات أدبية له لا كما قد يتوهم منه ـ الامالي ـ إنَّه كتاب فيه روايات

---

(١) سورة النحل: الآية (١٠٣).

عن النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته كان يُمليها السِّيد المرتضى قدس سره على تلامذته ، وإنَّما هو كتاب قيِّم وفيه فوائد أدبية كثيرة تنفع في التفسير والفقه والمعارف والعقائد ، وعدم ملاحظة هكذا كتب وغيرها التي تُعنى في هذا المجال ، اوقعت الكثير من الفرق الإسلامية والباحثين والعلماء في علوم دينية مختلفة في أخطاء كان منشؤها الخطأ اللغوي ، أو الغفلة اللغوية في مفردة ، أو في علم الصرف ، أو علم البلاغة أو الاشتقاق وغيرها .

وكفى أهمية باللغة العربية وعلومها أَنَّ الوحي الإلهي النازل إلى البشر هو باللغة العربية ، ولذا وَرَدَ إِنَّه يستحب لكل مسلم فضلاً عن كل مؤمن أَنْ يتعلم اللغة العربية ويجيدها لا تعصباً لقومية أو عنصرية معينة **﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾** وإنَّما هذا الاهتمام باللغة العربية لأجل الوصول إلى جواهر علم الوحي الإلهي .

بينما هجران علوم اللغة العربية ، وعدم الاكتراث بها يُسبّب حاجباً عن فهم أجيال البشر للقرآن وحقائقه ، ويخلق حجاباً بين البشر وبين لغة الوحي ونؤكد أَنَّ هذا ليس من باب التعصب للقومية العربية[1] .

---

(١) فإن أحد أهم ما تتميز به حوزة النجف الأشرف قديماً وحديثاً ببركة أمير المؤمنين عليه السلام هو المحافظة على لغة القرآن أكثر من غيرها، وعقد الأمسيات الأدبية ومطارحة الشعراء والأدباء بقصائدهم ومقطوعاتهم النثرية الفصيحة والبليغة، وقد أولى مراجعنا العظام قديماً هذا الأمر اهتماماً كبيراً ـ كما مَرَّ قبل قليل ـ وتخصيصهم وقتاً معيناً من أوقاتهم المهمة والثمينة لذلك، كل ذلك لنكتة المحافظة على علوم اللغة العربية وإحياؤها، وبالتالي فإن مثل هذا الأمر هو نوع من المحافظة العظيمة على لغة الوحي كتاباً وسُنَّة، على خلاف ما صنعه بعض العلمانيين أمثال (أتاترك) الذي قام بتبديل رسم الخط التركي القريب من رسم الخط العربي برسم خط فرنجي، وبهذا العمل قطع الأجيال اللاحقة عن تراثها الإسلامي.

إذن البحث في اللغة أمرٌ حسّاس وبالغ الخطورة ، وليس الأمر محمولاً على الاستحباب أو الرجحان ، بل هو أمر خطير وشديد الأهميّة .

إنَّ ضعف التحصيل العلمي في علوم اللغة والأدب ـ لا سامح الله ـ له تداعياته الخطيرة منها ، ضعف الاستنباط ، وضعف التفسير ، وضعف قرارة النص الديني وغيرها علماً إن الكتب القديمة في اللغة مملوءة وحافلة جداً بقواعد وعلوم ونكات علمية ، وتسطيح المنهج العلمي والدراسة لعلوم اللغة ، ـ لا سمح الله ـ له آفات تُشَكّل خطراً على علوم اللغة والإستننباط .

[أكدمة المناهج تسطيح لها]

إِنَّ من أهم الخصائص والمميزات التي تميزت بها الدراسة الحوزوية لعلوم اللغة العربية وبشكل معَمَّق ، عن الدراسة الأكاديمية و أكدمة المناهج الذي أثّر سلباً عل بعض الحوافز العلمية الحوزوية كما ظرة الازهر التي جعلوها جامعة أكاديمية بينما هي في السابق حاضرة علميّة حُرّة ، إنَّ من أهم تلك الخصائص للدراسة الحوزوية هي بحثها المعمّق والمنتظم بمراحل ولا يتجاوز المرحلة الأدون الى الاعلى بنظام عبور أو غيره فإنَّ الهدف والغاية من الدراسة الحوزوية هو تفهيم الباحث والدارس فيها معاني الألفاظ وحقائقها وما تنطوي عليه من قرائن لفظيه أو حاليّه أو مقاليّه أو لُبيّة وغيرها ، بخلاف ما يُخال لبعضهم أنَّ المناهج الأكاديمية و أكدمة المناهج هي نظم وانتظام وهي في الحقيقة باعثة إلى المتوالي الروتيني بهدف الوثائق والشهادات التعليمية أكثر مما هي بهدف الابتكار والتطوير العلمي واكتشاف مساحات مجهولة .

ومما يجدر التنبيه عليه هو أَنَّه يجب على أبناء وطلبة الحوزة العلميّة إِنَّ تكون

لديهم بصيرة عميقة وقويّة في المناهج التي يَدرسونها ويُدرسونها وخطورة نوعية المنهج على البناء العلمي حتى تصبح لديهم قدرة تحليلية وعارضة أدبية متينة وقوية ، و لا يفهم من هذا إِنَّنا بصدد القول بأنَّ علوم اللغة العربية والأدب العربي هي كل شيء ، وإنَّما لها جانبا مهم وحظٌ أوفر من غيرها في قراءة النص الديني من الكتاب والسُنَّة .

[عدم الاهتمام بعلوم اللغة العربية له نتائجه السلبية على تفسير القرآن]

إنَّ من أهم وأخطر النتائج السلبية المترتبة على عدم الاهتمام بعلوم اللغة العربية هو زيادة ـ أو ازدياد ـ المتشابه في القرآن الكريم ، بينما القدرة والتضلع في علوم اللغة والأدب في القرآن الكريم وامتلاك القدرة العالية على التحليل يُسبّب الأحكام في آيات القرآن الكريم أكثر فأكثر ، وستأتي في مبحث القراءات شواهدٌ على كيفية وقوع الباحثين في الالتباس والتشابه نتيجة عدم الاهتمام بعلوم اللغة العربية وعدم امتلاكهم القدرة الكافية على التحليل

ونذكر على نحو الاختصار ـ لأنّ تفصيله يأتي في محلِّه من مبحث القراءات ـ ما بيَّنه الإمام الصادقعليه السلام في كيفية قراءة ، قوله تعالى : ﴿**لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ**﴾[1] . . . علي بن إبراهيم : أنها قرئت عند **أبي عبد الله**عليه السلام **فقال لقارئها : ألستم عَرَباً فكيف ستكون المعقبات من بين يديه ؟ وإنَّما المعقِّب من خلفه** ، فقال الرجل جعلت فداك كيف هذا ؟ **فقال : إنَّما نزلت له مُعقِّبات من خَلفِهِ ورقيب من بين يديه يحفظونه بأمر الله ومن ذا الذي يقدِرُ أن**

---

(١) سورة رعد: الآية (١١).

يحفَظَ الشيء من أمر الله وهم الملائكة والموكلون بالناس][١] .

. . . العياشي : عن بُريد العجلي ، قال : سمعني أبو عبد الله‌عليه السلام وأنا أقرأ له معقِّباتٌ من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله) **فقال : مه وكيف تكون معقِّبات من بين يديه ؟ إنَّما تكون المعقِّبات من خلفِه إنَّما أنزلها الله (له رقيب من بين يديه ومعقِّبات من خلفه يحفظونه بأمر الله)**[٢]

. . . عن مسعدة بن صَدَقة عن أبي عبد الله‌عليه السلام في قوله تعالى : ﴿يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ﴾ قال : « بأمر الله ـ ثم قال ـ ما من عبدٍ إلاَّ ومعه مَلَكان يحفظانه فإذا جاء الأمر من عند الله خَلَّيَا بينه وبين أمر الله »[٣] .

إِنَّ الروايات الثلاثة تشير إلى ثلاثة اخطاء في القراءة المعروفة .

الأول : له معقِّبات من خلفه ، بينما القراءة المعروفة له معقِّبات من بين يديه .

الثاني : والحال إِنَّ المعقِّب من خلف لا من بين يديه ، والذي من بين يديه أي الإمام فهو الرقيب

الثالث : إِنَّ الحفظ ليس عن أمر الله ، بل الحفظ بأمر الله فإِنَّهم فهموا من الآية **﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ﴾** إنَّ (من) بمعنى (عن) وهل إِنَّ أمر الله إذا أتى أو نزل يقي عنه أحدٌ ، فإِنَّهم جعلوا بينه ـ العبد ـ وبين أمر الله وقاية ، وبذلك يتبين أنَّ بإتقان علوم اللغة وأنَّه كلما ازدادت القدرة والقوّة لدى الباحث والمفسِّر في قواعد علوم اللغة العربية فإنَّه سوف

---

(١) البرهان في تفسير القرآن/ ج (٤)، ص (٢٥٥) ح (٢).
(٢) المصدر السابق: ح (٣).
(٣) المصدر السابق: ص (٢٥٦)، ح (٤).

تتحكم و تبده لديه دلالة الآيات أكثر فأكثر ، وسيتعلم القراءة الصحيحة من الخاطئة فضلاً عن كيفية إتقان الاستظهار من تراكيب الألفاظ القرآنية ، بخلاف مالو ضَعُفت قدرته عن ذلك فإنَّه سوف تزداد عليه الالتباسات و الاحتمالات والمتشابِّهات ، وقد أشرنا في بحث القراءات القرآنيّة إلى أَنَّ أحد شرائط اعتبار القراءة مطابقتها لقواعد علوم اللغة .

ولذا فإنَّ أهل البيت دائما يؤكدون على أَنَّهم قوم فصحاء فأعربوا كلامنا

. . . جميل بن دُرّاج قال : **قال أبو عبد الله**عليه السلام : **أعربوا حديثنا فإنّا قومٌ فصحاء**[1] .

وفي رواية أخرى : «**نحن قومٌ فصحاء فإذا رويتم الأخبار عنّا فأعربوها**»[2] .

بتقريب : أنّكم إذا أردتم أنْ تعرفوا وتلتفتوا إلى مغازي كلامنا ـ المعصومين ـ فعليكم بإتقان جهات الإعراب وعلوم الصرف واللغة والبلاغة والبيان و الاشتقاق .

وفي بصائر الدرجات بإسناده عن زرارة **عن أبي جعفر**عليه السلام **قال : تفسير القرآن على سبعة أحرف منه ما كان ومنه ما لم يكن بعد ذلك تعرف الأئمة**[3] .

بتقريب : إِنَّ الأئمة يعرفون كل تلك الوجوه بضوابط وموازين معيَّنة ، وهذا كُلُّه يحتاج إلى دراسة مُعَمَّقة لا مسطحة ، وبالتالي فإنَّ علوم اللغة لها شأنٌ كبير في الحفاظ على الموروث الوحياني .

---

(١) الكافي: ج (١)، ص (٥٢).

(٢) المصدر السابق.

(٣) بصائر الدرجات للبرقي، ج (١)، ب (٧)، ص (١٩٦).

[أثر الإحاطة باللغة في اختلاف المفسِّرين والمجتهدين]

إنَّ المصدر التشريعي الأول لاستنباط الأحكام الشرعية في النظام الإسلامي هو كتاب الله العزيز الذي نزل به الروح الأمين على قلب رسول ربّ العالمين ، بلسان عربي مبين ، فهو دستورٌ للمسلمين ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من عزيز حكيم حميد .

وأما سُنّة المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين ـ من قول أو فعلٍ أو تقرير ما أثر عن النبيﷺ فهي المصدر التشريعي الثاني ، وهي أيضاً بلسان عربي مبين ، لسان النبي الأمي هو الذي بعث رحمةً للعالمين وأهل بيته من بعده صلوات الله عليهم أجمعين .

فالكتاب والسُنّة هما المصدرانّ الأساسيان والرئيسيان لدى الفقهاء في استنباط الأحكام الشرعية ليحصلوا على سعادة الدنيا والآخرة ، ولا يكون فهم الاحكام صحيحاً إلاَّ إذا روعي فيها مقتضى أساليب اللغة العربية وطرق الدلالة فيها وما تتضمنه الفاظها ـ مفردَةً ومركبة ـ من معانٍ .

والكتاب والسُنّة هي نصوص قولية يجري في فهمها ما يجرى على أي نصٍ لغوي عند فهمه وتفسيره لا سيما وإنَّ اللغة العربية الواسعة الألفاظ والمعاني ومتعددة الأساليب في مخاطبة القلب والعقل ، ففيها المشترك الذي يحمل أكثر من معنى سواء كان ذلك في المفردات والتراكيب ، وسواء كانت المعاني متضادة أو غير متضادة وفيها التعبير الدقيق الذي لا يحتمل إلاَّ معنى واحداً ، وفيها التعبير المرن الفضفاض الذي تتعدد احتمالاته لسبب وآخر ، وفيها ما يَدُلّ على المراد بالمنطوق وبالصراحة وفيها ما يدلُّ بالمفهوم والظهور ، وفيها العام والخاص

والمطلق والمقيّد والمجمل والمبّين وغيرها ، مما يحتاج إلى فهم وإتقان ، ولذا فإِنَّ اللغة العربية وقواعِدها أوسع من غيرها وأفصح ، وكفى بها أهمية أَنَّها لغة الوحي الإلهي النازلة إلى البشر ، ولذا يستحب لكل مسلم فضلاً عن كل مؤمن أنْ يتعلّمها ويجيدها لا تعصباً لقوميّة أو عنصريّة ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾ وإنَّما لأجل الوصول إلى جواهر علم الوحي الإلهي .

واقتضت الحكمة الإلهية إِنَّ يكون في أحكام دين هذه الأمة ـ أمة الخاتمﷺ ـ المحكمات والمتشابهات والعام والخاص والمطلق والمقيَّد والناسخ والمنسوخ والقطعي الصدور وظنيّة المنصوص على بعض أحكام هذا الدين ، والبعض الآخر متروك استنباطه للمجتهدين على ضوء المنصوص عليه وبضوابط وموازين فقهية وأصولية ورجالية ولغوية تستنبط الإحكام الشرعية للمسائل المستحدثة وغيرها وفي هذه النصوص سواء القرآنية أو الروائية الواردة عن أئمة أهل البيت والتي فيها المحكمات والمتشابهات والعام والخاص وممّا يحتمل الوجهين أو أكثر ، والمجمل والمفسر والصريح والمؤول وما يُفهم من عبارة النص وما يفهم من أشارته ، وفي كلِّ ذلك ما دلالته قطعيّة وما دلالته ظنية ومحتملة راجحة أو مرجوحة .

وقد وضع الشارع الحكيم أكثر ما نصّ عليه من الاحكام بصيغة وقوالب وأطر كلية تتسع لتعدد الأحوال والأوضاع والأزمنة والامكنة ، فتعريف القرآن للأحكام أكثره كلي وحيث جاء في بعضها جزئي ، فله حكم الكلي ، إلاَّ ما خصَّ بدليل ، وفي بعضها وَردت نصوص الآيات والروايات مجملة كليّة لتكون الشريعة مَرِنة متماشية مع ما تقتضيه المصلحة في كل زمان ومكان ، ولكي تنطلق

الافكار والأفهام في تحقيق المصلحة على ضوء ما رسمه القرآن وأقرّته بيانات أهل البيت من قواعد في احكامها الكليّة ، فالله تعالى هو الذي اختار هذه اللغة لآخر وخاتمة الكتب السماوية وهو القرآن الكريم وهو الذي أحكَم آياته وفصَّلها ، فكل عبارة بل كل كلمةٍ كلمةٍ بل كل حَرفٍ حرف صيغت من لَدُن حكيم خبير لتتضمن أحكام خاتمة الشرائع .

فإذا ثبت صدور النص فقد يعروه غموض أو يكتنفه أيهام وابهام ، فينحصر اهتمام المفسِّر المجتهد في تحديد المعنى المراد حينئذ من النصِّ بتفسيره أو تعينيه وسهَّل أئمة أهل البيت ذلك بوضعهم قواعد ومعايير تفسيريّه حيال النصوص القرآنية ، وتناولت بياناتهم النص من جهة اللفظ ومن جهة المعنى .

وقد اعتنى واهتَّم فقهاء و مجتهدو و مفسِّرو الاماميّة ـ تبعاً لائمة أهل البيت فضلاً عن باقي المدارس الإسلامية ، باستقراء الأساليب العربية وعباراتها ومفرداتها واستمدوا من هذا الاستقراء ومما قرره علماء اللغة أيضاً قواعد وضوابط يُتوصل بمراعاتها إلى الاستنباط السليم والمتين من الكتاب والسُنّة ، وفهم الاحكام منها فهماً صحيحاً ، ولذا قرّر أهل الفن أَنَّ من جملة شرائط المجتهد أو المفسِّر الناجح أن يكون عالماً وملِّماً بقواعد اللغة وأحوالها ومحيطاً بأسرارها وقوانينها ليتوصل إلى إيضاح ما فيه خفاء من النصوص ، وإلى رفع ما قد يظهر بينها من تعارض ، ولا يمكن ذلك إلاَّ بتعليم اللغة والنحو والبلاغة وسائر ما يُسمى بعلوم الآلة[1] فلربما في كثير من الأبحاث التفسيرية أو الفقهية أو الكلامية أو المعرفية يُستخفُ أو يستهان بخطوات البحث اللغوي أو الصرفي أو

---

(١) أثر اللغة في اختلاف المجتهدين/ عبد الوهاب عبد السلام طويلة.

البلاغي أو الاشتقاقي أو غيرها أو يبحث على نحو السرعة ومن دون تأمل بمعاني الالفاظ ، إلاَّ أَنَّ هذا الاستخفاف وهذه السرعة تكَبِّد البحث التفسيري أو الفقهي أو العقائدي أو المعرفي اخطاءاً كثيرة غفلةً عن التركيز في معنى المفردة اللغوية في القرآن الكريم أو السُنّة فيؤدي بالنتيجة إلى شطط ، ممّا يُعزى هذه القول الثالث إلى ضعف اللغة وتباعد البشر عن عهد رونق اللغة العربية في عصر نزول القرآن ، وهذا الابتعاد وَلَّد وقوع كثير من الحداثويين في الفلسفات الألسنية في شبهات عقائديّة كثيرة وسببه غفلةٌ لغويّة بسيطة ، ولذا أهتمَّ القدماء من المفسِّرين ـ خاصة الأماميّة منهم ـ بالمبحث اللغوي في علوم دينية كثيرة ، وعليه فإنَّ التشبث والتروي و التأمل والتركيز على أوليات المعنى اللغوي شيء مهم جدّاً في الحواريات العلمية .

ولذا وَرَدَ في بيانات أهل البيت بيانٌ لأسباب انحراف كثير من فرق المسلمين سواءً كان الانحراف على مستوى العقائدي أو الفقهي أو التفسِّيري أو الروحي أو الأخلاقي أو غيره ، بسبب جهلهم باللغة .

وهناك بعض الروايات التي يسأل الإمامعليه السلام بعضُ أصحابه عمّا وَرَدَ في الحديث النبوي روى الصدوق في علل الشرائع ١/ ٨٥ بسنده عن عبد المؤمن الانصاري قال : قلت لأبي عبد اللهعليه السلام إنَّ قوماً يروون أن رسول اللهصلى الله عليه وآله قال : «**اختلاف امتي رحمة**» فقال : **صدقوا** ، فقلت إنَّ كان اختلافهم رحمة فاجتماعهم عذاب ؟ **قال: ليس حيث تذهب وذهبوا ، إنّما يُراد قول الله عَزَّ وجَلَّ ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ**

لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[1] فأمرهم إنَّ ينفروا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ويختلفوا إليه ، فيتعلموا ثم يرجعوا إلى قومهم فيعلموهم ، إنَّما أراد اختلافهم من البلدان وليس اختلافاً في دين الله إنَّما الدين واحد ، ببيان إنَّ كلمة (الاختلاف) الواردة في الحديث النبوي غير التعددية في الفهم ، وغير الاختلاف بمعنى النزاع النقمة ، وإنَّما المقصود من الاختلاف بمعنى الذهاب والإياب إلى حلقات العلم كما في قوله تعالى من معنى الاختلاف أي الذهاب والمجيء **﴿وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾** .

ولأجل أنْ يتعلَّم الإنسان ويحصل على معلومات فلابد من الذهاب والإياب إلى الحواضر العلمية والتشاور مع علمائها واساتذتها حتى يحصل تلاقح أفكار في تمازج الآراء وانفتاحها على بعضها البعض ، بخلاف مالو تعصب كلٌّ لرأيه فهذه هي النقمة والجهالة والتي نتيجتها التنازع والفشل ، كما دلت على ذلك صريح الآية **﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾**[2] وعلى الباحث الكريم أنْ لا يتسرع ليقضي بشيء ويستعجل بالحكم عليه من دون أنْ ينفتح على الطرف الآخر .

وعليه فإنَّ تفسير (اختلاف أمتي رحمة) يُفَسَّر بتفسير لغوي بما يتلائم ومعنى الحديث .

وهكذا تفسير أهل البيت للآية المباركة **﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾**[3] فإنَّه على عكس ما فسَّرته مدرسة الطَرف الآخر

فإنَّ قالب الافتراق منشأه لغوي من البداية ، فإنَّ مدرسة أهل البيت

---

(١) سورة التوبة: الآية (١٢٢).

(٢) سورة الأنفال: الآية: (٤٦).

(٣) سورة الشورى: الآية (٣٨).

فَسَّرَت (الشور) بمعنى الانفتاح على الآراء الناضجة والاستخراج بها وإِنَّ الشورى منهج لاستعلام المعرفة وليس منهجاً لفرض القوّة ، لا بمعنى تحكيم رأي الأكثرية ، وتحكيم وسيطرة إرادة على إرادة ، كما ذهبت إليه مدرسة الطرف الآخر وإِنَّ الشورى عندهم بمعنى ميزان الجاه وفرض .

فإنَّ مثل هذا المبحث وغيره من المباحث العقائدية له تداعيات مهمة جداً وخطيرة منشأها الأول وبداياتها هي علوم اللغة وما معنى المفردات الواردة في الكتاب والسنّة من كلمة [يَدُ الله في القرآن ، وجه الله ، جنب الله ، عين الله ، أعيننا ، أيدينا ، ويبقى وجه ربّك وغير ذلك] بل وحتى نظرية السِّيد العلامة الطباطبائيﷺ هي بالتالي مرتبطة باللغة باعتبار أَنَّ اليد مثلاً هل وضعت لليد الحسيّة أو لروح المعاني .

وهكذا الاشتباه الذي حصل لبعض الفرق **القاديانية** : فرقه مذهبية ظهرت أواخر القرن التاسع عشر الميلادية و بقاديان إحدى قُرَى البنجاب الهندية وحظي بمباركة ورعاية الاحتلال الإنجليزي .

ومؤسسه ميرزا غلام أحمد القادياني المولود ١٢٦٥هـ بقاديان

ويعتقدون بنتائج الارواح ، **وأَن الله** يصوم ويصلي وينام ويخطئ وأَنَّ النبوة لم تختم بالنبي الخاتم إلى غير ذلك ، من الاعتقادات الباطلة ، وهي فرقة ضالة منحرفة لا تَمُتُ إلى الإسلام بصلة .

إِنَّ عدم الإلمام باللغة في معنى قولهﷺ (لا نبي بعدي) فتَّوهم البعض بسبب اللغة أَنَّ (لا) في الحديث المراد منها أسم لنبي وهي باللغة (لا) نافيه لا اسم لنبي ، وبالتالي ذهبوا إلى أَنَّ معنى الحديث الشريف أَنَّه ليس النبي محمدﷺ

هو خاتم الأنبياء ، وإنَّما المراد من وصفه سيد الأنبياء خاتم الأنبياء حسب ما توهموه هو كونه ذروة وقمة النبيين كما أنَّه يطلق على فص الخاتم أنَّه خاتم وإلاَّ فيوجد بعده أنبياء ، كل هذا بسبب الانطلاق من تشابهات لغوية ، وبالتالي يُشكِّل هذا الاختلاف في اللغة أمراً عقائدياً خطيراً ، وعلى الباحث والمفسِّر الفطن إِنَّ ينتبه إلى مثل هكذا مواضع للاختلاف وإذا أراد إِنَّ يصطاد الزيغ والانحراف ويمسك به ويُخَمِّد انفاسه فعليه البدء باللغة وهذه خطوة منهجية مهمة .

تنبيه : لا يفهم من كل ما تقدّم من المباحث أَنَّ المفسِّر أو المجتهد أو الباحث الكريم لأجل أنَّ يُلِّمَ ويحيط بمسائل علوم اللغة هو أَنْ يصرف دهره في ذلك وإنَّما من الضروري جدّاً المراجعة المتكررة حتى تحصل عنده ملكة ، ولا تشترط الإحاطة والإلمام بكل العلوم المقدميّة بصغيرها وكبيرها ودقائقها على حدّ تعبير الفقهاء ـ وإنَّما تكفي أنَّ تكون عنده قدرة على المراجعة وذوق لغوي يتناسب وكونه مجتهداً ومُفسِّراً أو باحثاً ناجحاً ، فلا يُعقل أنْ يصنع الإنسان من نفسه فقيهاً ومفسِّراً ومتكلّماً وغيره من دون أن يُلِّمَ بعلوم اللغة .

[أهمية ديمومة التلاوة اليومية للقرآن]

ولكي يأنس الإنسان بألفاظ ومعاني آيات القرآن الكريم لابدَّ له من ديمومة التلاوة اليومية للقرآن ، وهي الخطوة الأولى في التفسير ومعرفة غريب الفاظ القرآن بمراجعة المعاجم اللغوية الخاصة بذلك لاسيّما القديمة منها أمثال كتاب العين للفراهيدي الصحاح للجوهري ، ومعجم المقاييس لأبن فارس وغيرهما ، وبالدوام والاستمرار تصبح لديه صورة واضحة عن المفردات ،

وبالابتعاد عن اللغة فإنَّه يُضعف الباحث الكريم كثيراً في مسار التفسير ويُسبِّب له التشابه والزيغ على مستوى علوم دينية مختلفة كالعقائد والفقه والتفسير .

القول الرابع : إنَّ معنى المحكمات : هي أمهات الآيات ومعاني الآيات التي هي محاور رئيسية في بنيان القرآن وأمهات الكتاب ، فإنَّ لكلِّ بناء محاور يقوم ويرتكز عليها وليس كل ما في البناء محاور وأعمدة وأسس

وأمّا المتشابهات هي الآيات والمعاني غير الرئيسية وغير المحاور والأم والهامشية أو في المساحة التابعة أو التفاصيل وغير ذلك[1]

[يمكن صياغة القاعدة التفسيرية الواحدة بعدّة صياغات]

تتميم للفائدة : يمكن أن تصاغ وتؤطّر و تقولب القاعدة التفسيرية الواحدة بصياغات وأُطر وقوالب مختلفة بما يرتبط بنظام الاستعمال اللفظي

---

(١) والقول الرابع هو ما تبنّاه شيخنا الاستاذ محمد السند ـ حفظه الله ـ في منهجه التفسيري امومة الولاية على المحكمات فضلاً عن المتشابهات بالقرآن.

وتبني وتقوية هذا القول ليس معناه تخطئة الأقوال الثلاثة المتقدمة في المحكم والمتشابه، بل على العكس تماماً فإنها كُلّها صحيحة وسديدة، ولا نقول بالتفضيل وإنما كل منهج له ايجابياته وفوائده، كما وإن إختيارنا لهذا القول لا يعني حصر تفسير المحكم والمتشابه به، بل بمعنى إن هذا من أهم التفاسير والأقوال حسب منهجنا التفسيري المختار أمومة الولاية والذي هو من أهم وأقوى المناهج التفسيرية لا بمعنى حصر تفسير القرآن به فإن سائر التفاسير سديدة في نفسها لكنها ليست شمولية ولا محيطة، لكن المحورية والهيمنة لمنهج تفسير أمومة الولاية.

علماً أن القول الأول والثالث وشيئاً ما من القول الثاني والنظرية للسيد العلامة الطباطبائي قُدِّسَ سِرُّهُ مرتبطة بنظام الاستعمالي اللفظي، بخلاف القول الرابع الذي نتَّبناه ونتوخاه لمعنى المحكم والمتشابه فهو مرتبط وملصق بقواعد نظام معاني القرآن، وبالتالي فإنَّ تلك الأقوال الثلاثة المتقدمة وإن كانت صحيحة ومتينة إلا أنَّها ليست هي التفسير التام والشامل للمحكم والمتشابه، وإنما التفسير الصحيح والتام هو ما اخترناه على القول الرابع وهو ملاحظة مجموع الأقوال لأجل توَّخي وتحرّي المنهج الأكبر والمشرف على بقيّة المناهج وهو منهج امومة الولاية على المحكمات.

ويكون لها معنى ، كذلك يمكن إِنَّ تؤطر بما يرتبط بقواعد نظام المعاني في القرآن فقط بلا أي صلة للألفاظ ، فتكون هذه القاعدة من قواعد نظام المعاني في القرآن ، ويمكن إِنَّ تُعْطى هذه القاعدة الواحِدة بعداً وجوديّاً عينيّاً في نظام حقائق القرآن فقط كبُعد ثالث ، وليس لها أي صلة أصلاً بالنظامين السابقين اعني نظام الاستعمال اللفظي ونظام معاني القرآن .

علماً إنَّ تمييز إِنَّدراج القاعدة تحت كُلِّ نظام له ثمرات مهمة تتضح في محلها .

وهذا التفسير الرابع لقاعدة المحكم والمتشابه متناغم ومتلائم ومتولِّد من المنهج التفسيري المختار أمومة ومحوريّة ومركزية ولاية أهل البيت على المحكمات في القرآن ، وقد أشَرنا سابقاً إلى إِنَّ عنوان منهجنا التفسيري المختار مقتبس ومنتزع من بيانات القرآن الكريم والروايات الواردة عن ائمة أهل البيت كما في رواية مسعدة بن صدقة **عن الإمام الصادق**عليه السلام « **إِنَّ الله جعل ولايتنا أهل البيت قطب القرآن ، وقطب جميع الكتب عليها يستدير محكم القرآن وبها نوّهت الكتب ويستبين الإيمان** »[(١)]

بتقريب : إِنَّ ولاية أهل البيت هي مدار ومركز ومحور أمومة كلِّ الكتب السماوية من التوراة والإنجيل والزبور والقرآن العظيم وهو مهيمن على الكتب الأخرى فكيف لا تكون قطب تلك الكتب ، فإذا كان القرآن الكريم مداره وقطب رحاه ولاية أهل البيت فكيف بالكتب السماوية الأخرى ، فإِنَّ ولاية أهل البيت محور تلك الكتب أيضاً .

---

(١) تفسير العياشي، ج (١) ص (٧٨) ح (٨).

[مميزات القول الرابع]

[اختلاف التفسير الرابع المختار عن سائر التفاسير والأقوال الأخرى]

[المحكمات على التفسير الرابع من سنخ نظام المعنى بخلاف البقيّة]

أولاً : إِنَّ هذا التفسير يختلف عن تفسير مشهور المفسِّرين ، بل ويختلف عن تفسير السِّيد العلامة الطباطبائيﷺ واختلافه لا بمعنى التقاطع والتنافي معها ، فإِنَّه قد يتقارب منها ، ولكنه مغاير لها بدليل ما نلمسه من الآيات القرآنية وبيانات أهل البيت كما سوف يتضح ، وهذا التفسير الرابع مرتبط بنفس المعاني بغض النظر عن الألفاظ ، وإِنَّما بصدد بيان أَنَّ بعض المعاني هي أعمدة استقطابٍ ، كما توصف بأَنَّها مهيمنة ، أي بمعنى أَنَّها من الطبقات العليا من المعاني التي تحيط وتهيمن على ما دونها من طبقات معاني أخرى نظير هيمنة القوانين الدستورية على القوانين البرلمانية وهيمنة القوانين البرلمانية على القوانين الوزارية وهيمنة الوزارية على القوانين البلدية ، فهذه الطبقات من القوانين مهيمنة بعضها على البعض .

وبالتالي فإِنَّ بعض المعاني هي أعمدة لمجموع منظومة المعاني وبعضها الآخر ليست أعمدة ولا ركناً ومن الواضح أَنَّ المعاني فيها أشياء هي أركانٌ وبعضها ليست بأركان لأَنَّه ليس كل ما في الركن ركنٌ ، مضافاً إِلى إِنَّ نفس الأركان هي على درجات بعضها ركن الركن مضافاً إِلى نفس الأركان هي على درجات ، وبعضها الآخر ليست كذلك ، ومن هذا يُعرَف أَنَّ الركن والمحورية والعمادية هي للمحاور والأركان والقطبية هي على درجات لا على درجة واحدة .

ثانياً : إِنَّ القول الرابع لا يعتني ببيان كون الألفاظ مجملة أو مبيّنة ، وأَنَّها

موضوعة لأرواح المعاني ، أو موضوعة للمصاديق المادية الحسّية كما تقدّم في القول الأول وشيء من القول الثاني للسِّيد العلامة الطباطبائي‏ﷺ والقول الثالث ، وأما البحث في القول الرابع للتفسير يبين لتفسير وتعريف قاعدة المحكم والمتشابه ليس بصدد بيان شجون وشؤون الألفاظ وإنَّما بصدد بيان ما هو وراء ذلك من نظام المعاني والحقائق .

ثالثاً : إنَّ القول الرابع يبّين أنَّ الأحكام والتشابه على طبقات ، فإنَّ المحكم محكمٌ بالإضافة إلى ما دونه ، ومتشابه بالإضافة إلى ما فوقه ، بحيث لولا الفوقية لما كان المحكم محكماً فإنَّ ما فوق المحكم هو الناظم والمهيمن ، وهكذا وإِنَّ فوقَ كلِّ مُحكمٍ محكمٌ وفوق كل ذي علم عليم ، ولولا الفوقية لتشتت وتناثرت ما كانت طبقته أدون .

علماً إِنَّ هذه الطبقات ليست فقط في المحكم والمتشابه ، وإنَّما حتى في العلم ودرجاته فالأعلم بالإضافة إلى الأعلم منه فإنَّه يجهل أمور الأعلم منه ، بل وهكذا طبقات الإيمان كما في الروايات ، فإنَّ طبقات أصحاب رسول الله‏ﷺ وأصحاب أمير المؤمنين علي بن ابي طالب‏عليه السلام والأئمة مختلفة فمثلاً طبقة رشيد الهجْري الذي علّمه أمير المؤمنين علم المنايا والبلايا وأحوالها وأوقات بداياتها ونهايتها ، كلُّ ذلك بتعليم أمير المؤمنين علي أبن ابي طالب‏عليه السلام وكذا القدرة على التصرف والتدبير في الأجسام وغير ذلك ، فإنَّ درجة أيمان وقدرة رُشيد بالإضافة إلى درجة الإيمان سلمان المحمدي‏رضي الله عنه وهكذا درجة إيمان سلمان بالنسبة إلى درجة جعفر الطيار‏عليه السلام هي متشابه . وفي رواية عن الإمام الكاظم‏عليه السلام يذكر فيها أَنَّ درجة أيمان رشيد الهجري بالنسبة أو بالقياس إلى ايمان الأمام

المعصوم عليه السلام فإنّها درجة ناقصة أو مستضعف أي ناقص الإيمان ، وإنَّ الإيمان على طبقات وفوق كل ذي إيمان إيمانٌ ، فإنَّ حالات الكمال غالباً على درجات وطبقات ولذا في منهجنا التفسيري المختار أمومة الولاية على المحكمات جُعلت الأمومة لولاية أهل البيت هي الحاكمة على المحكمات في القرآن ، ثُمّ إنَّ المحكمات هي الأخرى على طبقات وبعضها لها أمومة على البعض الآخر .

رابعاً : من الأمور المنبهة والداعمة للتفسير الرابع بقوّة هو الحديث الشريف المتواتر لدى المسلمين .

والذي يعتبر من أمهات القواعد والضوابط في الدين كلّه ما وَرَدَ عن عبد الرحمن بن أبي عبد الله **عن أبي عبد الله الصادق** عليه السلام **قال «اذا وَرَدَ عليكم حديثان مختلفان فاعرضوهما على كتاب الله ، فما وافق كتاب الله فخذوه وما خالف كتاب الله فردّوه»**[١] و **«فما وافق كتاب الله فخذوه وما خالف كتاب الله فدعوه»**[٢] .

ومن كلام لأمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة في كتاب لمالك الأشتر ، **قال: واردد إلى الله ورسوله ما يضلعك**[٣] **من الخطوب ويشتبه عليك من الأمور ، فقد قال الله سبحانه لقوم أَحَبَّ إرشادهم ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ﴾**[٤] **فالراد الى الله الآخذ بمحكم كتابه ، والرادّ إلى الرسول الآخذ بسنته الجامعة غير المتفرقة ـ المفرِّقة ـ**[٥] .

---

(١) وسائل الشيعة: ج (٢٧) ص (١١٨) أبواب صفات القاضي ب (٩) ح (٢٩).
(٢) المصدر السابق: ح (٢٦).
(٣) أي ما يثقلك النهاية/ ٣: ٩٧..
(٤) سورة النساء: الآية (٥٩)
(٥) وسائل الشيعة: ج (١٧) ص (١٢١) أبواب صفات القاضي ب (٩) ح (٢٨).

وتعتبر هذه الروايات قاعدة أصلية وشامخة هامة ورفيعة في العلوم الدينية والفكر الديني والثقافة والمسائل الدينية من تأسيس محورية محكمات الكتاب والسُنّة كمحور ومركز يعرض عليه ويدور حوله الدين كُلّه ، وهذه الروايات الداعمة لقاعدة المحكم والمتشابه على التفسير الرابع هي نفس منهج أمومة الولاية على المحكمات في القرآن ، فإنَّ ما جاء في متن الرواية «**ما وافق كتاب الله فخذوه**» أي ما وافق محكمات الكتاب فخذوا واعملوا به وما خالف محكمات الكتاب فردّوه أو فدعوه ، يدلُّ على نفس محورية أمومة الولاية على المحكمات اي ولاية الله عَزَّ وجَلَّ ، ثم ولاية النبي الأكرمصلى الله عليه وآله ثم ولاية أئمة أهل البيت وليس هذا بخصوص القرآن فقط وإنَّما لكل الكتب السماوية وكذلك يُدلل على أنَّ الدين منظومة مترابطة تدور حول مركز ومحور .

ويعتبر الأخذ بما وافق المحكمات أو العرض على محكمات الكتاب والسُنَّة هو الأصل في حديث الثقلين الذي يعتبر ـ هو حديث الثقلين ـ حديث قرآني بدليل ما جاء في سورة آل عمران : الآية (٧) **﴿هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾** .

بتقريب : إِنَّ المراد من الأمّ اي المركز والمحور وثقل القرآن وأَنَّ أحد الثقلين هي المحور والمركز والمراد بها محكمات القرآن ، فإنَّ القرآن يدعو إلى أتبّاع المحكم ، ولا مانع من الرجوع إلى المتشابه بشرط إرجاعه إلى المحكم اي بشرط وصاية الرجوع في التشابه اي المحكم ، فلا تأخذ بالمتشابه منحازاً به عن المحكم ، وإلاَّ فإنَّ نفس الأخذ بالمتشابه من دون الرجوع إلى المحكم والتحكيم ووصاية المحكمات يقودك إلى الزيغ والفتنة ، كما حصل للكثير في معركة صِفّين

وغيرها من فتنة رفع المصاحف من قبل معاوية بن أبي سفيان وعمر بن العاص اللذان دعيا إلى الفتنة ، بخلاف سيد الأوصياء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام الذي دعى إلى الهداية وعليه فإتباع المتشابه يوجب الفتنة ، وبالتالي لابُدَّ من توجيه بوصلة المسير نحو المحكمات و الاتجاه نحو المحكمات لوحده غير كافٍ ، بل لابُدَّ من الرجوع إلى مَن وصفهم القرآن ﴿**وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ**﴾ ألاَّ وهم العترة الطاهرة أئمة أهل البيت هم الراسخون والمتضلعون والمتبحرون في العلم والعالمون بالتأويل ، لا الراسخون في الجهل والعماية المنغمسون بارتكاب المحرمات من الخمر والميسر واللهو والمجون والليالي الحمراء والجواري واللبيب يعرف هذا الوصف لمن !

[مركزية ومحورية المحكمات متفرعة عن مُحكم فوقي]

إذن هذا هو السر في الرجوع إلى المحكمات وأمومة الولاية اي ولاية الله وولاية الرسول وولاية أولي الأمر المتمثلة بمن نَصَّبهُم الله أوصياء وأئمة وهم عترة الرسول صلى الله عليه وآله وأَنَّ نفس الآية تدل على تقدَم أمومة ومركزية ومحورية الولاية على المحكمات ، لأنَّ تحقق أمومة المحكمات برجوع ومأل المتشابهات اليها وحينئذٍ تصبح المحكمات محوراً للمتشابهات ـ هنَّ أم الكتاب ـ وإِنَّ أوْلَ ومال وتأويل المتشابهات بيد مَن لا يعلم تأويله إلاَّ الله والراسخون في العلم ، وهذا معناه أَنَّ الاستفادة من المحكمات واستثمارها كأمومة للمتشابهات لا يُفعَّلها إلاَّ الله والراسخون في العلم ، وهذا معناه أَن مركزية ومحورية المحكمات متفرعة عن أو ناشئة من محكم فوقي وهو أمومة ومركزية ولاية الله وولاية الرسول وأُولي الأمر ـ أي أئمة أهل البيت ـ أي آل النبي الذين وصفهم القرآن بقوله ﴿**إِنَّمَا**

وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾(١) والنازلة في حق أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام عندما تصدّق بخاتمه في الصلاة .

[المحكمات محكمات لا بنفسها]

أتّضح مما تقدّم إنَّ محكمات المحكَم ليست ذاتيّة بنفسها وبمعزل عمّا فوقها ، وإنَّما نفس المحكمات ـ كما تقدّم ـ هي على طبقات وفيها محورٌ أساسي وركن الأركان ألاَّ وهو أمومة الولاية أي ولاية الله ورسوله وأولي الأمر ، وقد رَكّزَ القرآن كثيراً على أمومة الولاية ليس فقط في سورة آل عمران : الآية (٧) **﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ﴾**

وإِنَّ هناك مواضع أخرى في القرآن أكّدت وركزّت على هذه الأمومة والمحورية والمركزية كما بيّنوه أهل البيت كما في سورة الواقعة **﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾**(٢) .

بتقريب : إِنَّ الشيء الذي يريد أَنْ يَقسِم به الله تعالى هو شيء عظيم يُنبى به ويُمَهِّد له هذا التمهيد المهم والتهويل العظيم ، وإِنَّه لو قَسَمتَ به لكان قسماً عظيماً .

وقوله تعالى : **﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ﴾**(٣)

بتقريب : إِنَّ القرآن كتابٌ الهي محفوظ عن مَسِّ ومتناول البشر وفي

---

(١) سورة المائدة: الآية (٥٥).

(٢) سورة الواقعة: الآيات (٧٤) و(٧٦).

(٣) سورة الواقعة: الآيات (٧٧) و(٧٩).

(كُن) لا يمسه ولا يصل الله إلاَّ ثلة من هذه الأمة فقط وهم الذين توفر بهم وصفهم ﴿إِلاَّ الْمُطَهَّرُون﴾ وتعبير القرآن (مطهرون) يختلف عن تعبير (متطهرين) في قوله تعالى ﴿إِنَّ الله يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾[1] من إِنَّ معنى متطهّرين اي الذي يتطهر بعمل نفسه ويحصل على تلك الطهارة بالوضوء أو الغسل من الحدث الأصغر والأكبر وبالتوبة ، وهذا المعنى يختلف عن معنى كلمة ﴿مُطهّرون﴾ الذي هو وصفٌ لثلة خاصة اصطفاهم وطهّرهم و اجتباهم الله عَزَّ وجَلَّ .

وأما بقيّة البشر فليس بمقدورهم الوصول إلى مكنون القرآن حتى يقولوا [حسبنا كتاب الله] وأبرز لنا الباري عز اسمه عيِّنة من تنزيل القرآن وكيف صوّرها بهذا التصوير المهول ، وعليه فلابُدَّ للباحث والمفسِّر الناجح أَنْ يتدبّر في آيات القرآن الكريم كي يفهم المعنى والحقائق التي يستعرضها لنا القرآن الكريم .

﴿أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ * وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾[2] أي تكذبون بحقيقة حديث الثقلين وتجعلون رزقكم وحظّكم ونتائج أعمالكم وعاقبتكم إِنَّكم تكذبون بهذا الحديث ، ولا تعلمون أَنَّ الإيمان بحديث الثقلين هو من أعظم النعم الإلهية على بني البشر ، اذن سورة الواقعة ، بالحقيقة ترسم لنا أمومة ﴿لاَّ يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُون﴾ فالمطهرون ، أعني ـ أهل البيت ـ هم المركز والمحور بعد مركزية ومحورية و أمومة الله عَزَّ وجَلَّ ورسوله صلى الله عليه وآله .

---

(١) سورة البقرة: الآية (٢٢٢).

(٢) سورة الواقعة: الآيات (٨١) و(٨٢)

وقوله في سورة العنكبوت : ﴿**بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ**﴾[١] .

بتقريب : إنَّ القرآن الكريم بيِّن وجلي وواضح في صدور الذين وصفهم القرآن بأنهم مطهرون ﴿**لاَّ يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ**﴾ فباستطاعة هؤلاء المطهّرون أنْ يمسوا القرآن فقط دون غيرهم .

ونفس هذه الآية المباركة من سورة العنكبوت تعتبر دليلاً وتُفَسِّر لنا اعراب الواو وأنها عاطفة ـ كما هو الصحيح ـ في قوله تعالى ﴿**إِلاَّ اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ**﴾ بخلاف ما ذهب إليه السِّيد العلامة‌ﷺ من أَنَّها ـ الواو ـ استئنافيه وعليه فإنَّ الواو عاطفة ، فإنَّ القرآن كلَّه بيِّن في صدور هؤلاء المطهرون ، إلاَّ أَنَّ الكثير من المفسِّرين وقعوا في غفلة من ذلك ، بسبب عدم الاعتناء بالجانب اللغوي والنحوي والصرفي لألفاظ القرآن ، مضافاً إلى أَنَّ كل هذه النكات والحقائق ذكرها وبيَّنها لنا أهل البيت فإذا ما اعرضنا عن بيانهم وقعنا في الغفلة ، وبالتالي تقودنا الغفلة إلى جعل غير المحور محوراً ، أي جعل المتشابه مركزاً ومحوراً وغير العمود عموداً وغير الركن ركناً ، بأنَّ تُعطى العَمدية لغير المتأهل لها كالذي يقيم بناءه على غير الجدران الرئيسية ، فينهار بناؤه ، وبنفس هذا البيان الهندسي بيِّنة أهل البيت «**لولا الحجة لساخت الأرض بأهلها**» ، أي لولا المحور والمركز والعمود وهم النبي‌ﷺ و اله لانخسفت وساخت الأرض بأهلها .

إذن القرآن الكريم يُبيِّن لنا معنى المحكم ومدى خطورته وكذلك يُبَيِّن لنا ما كان أشد احكاماً ومحورية وأركانه أركاناً ، لا أَنَّ معنى الأحكام بمعنى البيِّن

---

(١) سورة العنكبوت: الآية (٤٩).

في اللغة ، أو بيِّن بالمعنى أو بيّن في كون وجوده ملكوتياً لا مادياً ، وبالتالي فإنَّ معنى الإحكام ليس ما ذهبت اليه الأقوال الثلاثة السابقة ولا يُفهم من هذا أنَّها ليست صحيحة ، ولكن لم تعطِ للإحْكام معناه الذي أراده القرآن الكريم وأهل البيت بخلاف التفسير الرابع ـ المختار ـ للمحكم والمتشابه .

[خلاصة القول الرابع]

يتلخص القول الرابع بعدم الاكتفاء باكتشاف الأعمدة والمحاور في الإسناد والسند ، وإنَّما لابُدَّ من معرفة طبقات أعمدة المعاني والمضامين وسلسلة مراتب أعمدة المعاني و المداليل ، فمثلاً بيَّن القرآن الكريم خارطةً رسمها بلحاظ حاكميّة وهيمنة بعض السور القرآنية على الأخرى مثل هيمنة سورة الفاتحة والتي هي من أمهات السور القرآنية ، ولها هيمنة وأحكام على سائر السور القرآنية حتى على آخر سورة نزولاً كسورة المائدة ، فإنَّ بعض المناهج التفسيرية تلاحظ آخر السور نزولاً ويجعلونها هي المُحكمَة والمهيمنة على سائر السور الأخرى التي قبلها نزولاً وإنَّ ما عدا السورة الأخيرة نزولاً هو متشابه بالقياس اليها ـ الأخيرة نزولا ـ .

وأمّا على المنهج التفسيري المختار أمومة الولاية على المحكمات ، فليس الأمر كذلك وإنَّما تبقى مثل سورة الحمد التي هي من أوائل السور شروعاً في النزول مهيمنة وحاكمة حتى على آخر سورة نزولاً كسورة المائدة مثلاً ، نعم سورة المائدة هي محكمة بالنسبة للسور التي في عرضها نزولاً ، إلاَّ أنَّه تبقى سورة الحمد حاكمة عليها ، وإن كانت الإطلاقات و العمومات الموجودة في سورة المائدة مثلاً ناسخة لإطلاقات و عمومات الآيات والسور القرآنية قبلها نزولاً ،

لكن القرائن الموجودة في السور الأسبق نزولاً كسورة الحمد مقيِّدةً لإطلاقات سورة المائدة المتأخرة نزولاً .

وليس المأخوذ بنظر الاعتبار والأهمّيّة هو عامل الزمن في النزول وفي تفسير القرآن ، وإنَّما هناك أمور أخرى تدخل في الحساب من ملاحظة القرائن وكيفية الاستعانة بها وكون الآية من المحكمات أو لا ؟ ثم معرفة طبقة ودرجة الآية من الاحكام ، فإنَّ مثل هذا وغيره له دخلٌ في بيان كون الآية محكمة أو لا ، فمثلاً طبقة القوانين البرلمانية قد يكون المتأخر صدوراً مقدّمٌ على السابق صدوراً ولكن ليس القوانين البرلمانية مقدمة صدوراً عن القوانين الدستورية مع أَنَّ كل القوانين البرلمانية متأخرة صدوراً عن القوانين الدستورية ، وكذلك الحال بالنسبة الى القوانين الوزارية بالإضافة الى القوانين البرلمانية والقوانين الدستورية فطبقات القوانين ميزانٌ أكبر في الحاكمية لا التأخر الزماني والاحدث صدوراً .

ومن خلال هذا كُلِّه يُعْلَم :

أولاً : إنَّه لا يكفي التفسير التجزيئي للآية أو السورة ، وإنَّ كان تفسيراً صحيحاً ، إلاَّ إِنَّه لا يكفي الاستعانة بالقرائن القرآنية لتفسير القرآن بأيِّ نمط ولو كان بشكل متناثر وغير مرتب ، فإنَّ هذا غير كافٍ وإنَّما اللازم ـ كما مَرَّ ـ اكتشاف طبقات القران ومعرفة هيمنة وحاكميّة كُلِّ طبقة من الآية على الآيات الأخرى .

ثانيا : أتضح وجود نظم خاص وراء أصل قرآنية القرينة ووراء أصل تفسير القرآن بالقرآن ، وما تقدّم ذكره عن السِّيد العلامةﷺ عند ذكر القول الثاني من منهجية تفسير القرآن بالقرآن غير كافٍ ولا يتم استعلام ذلك كُلِّه ومجموعة

الا بالاستعانة والاستعلام من تعليم أهل البيت كي ينتظم الرسم الهندسي في تفسير القرآن وهذا الذي أكّد عليه أئمة أهل البيت بحسب ما اقتبسناه و اقتنصنا من بياناتهم وأودعناها تحت منهجنا التفسِّيري المختار أمومة الولاية على المحكمات في القرآن الكريم .

[الأنظمة الثلاثة الاستعمال اللفظي والمعاني والحقائق لا تتداخل]

دفع توهم : أما التوَّهم ، لَعَلَّ بعضهم كان مبناه على إِنَّ نظام حقائق القرآن لا دور له وغير مرتبط في تفسير الفاظ القرآن ، بل بعضهم الأخر توَّهم أَنَّ القواعد المرتبطة بمعاني القرآن غير مرتبطة بنظام الاستعمال اللفظي .

ودفعه : إِنَّ هذا التوَّهم في حدِّ نفسه غير صحيح ، ولا يُفهم من إمكان صياغة القاعِدَة الواحدةِ بعِدّة صياغات أَنَّها تتكرر بنفس المعنى ، ليس الأمر كذلك ، وإِنَّما صيغت بصياغة ومعنى في نظام الاستعمال اللفظي ، وبمعنى سنخ أخر من نظام المعاني ، وبثالث في نظام الحقائق ، بمفاد ومؤدى مختلف ، هذا من جهة ومن جهة اخرى[١] .

[تفسير امومة الولاية على المحكمات له تفسير خاص لقاعدة المحكم المتشابه]

الفات نظر : سيتضح من خلال بيان قاعدة المحكم والمتشابه ، إِنَّ منهجنا التفسِّيري المختار أمومة الولاية له تفسير خاص لقاعدة المحكم والمتشابه ، ومن

---

(١) فإن الحقائق حاكمة على المعاني وذلك لأن المعاني كصورة قرآنية منعكسة عن ضوء الحقائق حاكية لها والصورة ظِلٌ لشمس الحقيقة، والظل تابع للشمس لا العكس كما أن المعاني حاكمة على الالفاظ، فإن اللفظ تابع للمعنى وإنما يأخذ اوصافه من المعنى فشؤون وطبقات المعنى مهيمنة على الالفاظ التابعة لها

أهم مميزاته هو اعطاء صيغة خاصة ومفاد معين لكل قاعدة تختلف عن سائر المناهج الأخرى ، فإنَّ كلّ منهج من مناهج التفسير يُعطى تفسيراً للقاعدة التفسِّيرية بشكل قهريٍ وتلقائي بما ينسجم مع ذلك المنهج التفسِّيري ، وبالتالي فإنَّ المنهج التفسِّيري المختار ـ أمومة الولاية ـ يُضفي بضلاله ولونه على تفسير القواعد وأصول التفسير .

[كيفية تفسير الإعجاز اللغوي والبلاغي والأدبي للقرآن]

إِنَّ مبحث الإعجاز اللغوي والأدبي للقرآن[1] من المباحث التي إذا لم يُحِط ولم يُلِم بها لُمُفَسِّر والباحث ، فسوف يترجل فيه ، فإنَّ كثيراً من المعاصرين والمثقفين أو الغربيين وغيرهم لا يحيطون بنكات وزوايا هذا المبحث ، بل وكثير من يتطفل في الخوض في هذا المبحث ويُنكره ويُناقش فيه بمناقشات و اهية وهو لم يَعرِف ولم يُحط بمعادلات هذا الفن ، وعليه إذا أردت أَنْ تخاطب أمثال هؤلاء فعليك أنْ تمهِّد لهم أيّها الباحث والمُفسِّر الناجح الموازين العامة لمثل هذه المباحث في العلوم اللغويّة المتنوِّعة .

[قاعدة ضرورة معيّة الثقلين في كل مراحل تفسير القرآن]

إِنِّ أحد البراهين القرآنية والعقلية والتي يعتمدها أئمة أهل البيت في بيان ضرورة حاجة معيَّة الثقلين هو الحاجة الى المبحث اللغوي .

---

(١) إن قاعدة الإعجاز اللغوي والأدبي والبلاغي للقرآن الكريم هي أحد قواعد النظام الاستعمالي والذي يأتي بحثها مستقلاً، إلا أنه ومن باب الإشارة والتنبيه وإتمام الفائدة وددنا ذكرها بشكل مقتضب هنا لبيان كيفية أرتباط مبحث المحكم والمتشابه بالمبحث اللغوي، وإن أحد أنواع اعجاز القرآن هو اعجاز القرآن الأدبي واللغوي.

وإنْ كان البعض من المدارس الإسلامية الأخرى يستشكل بأَنَّ القرآن لا حاجة للوصاية عليه والقيمومة من قبل الأئمة فإنَّ القرآن غني بنفسه ولا يحتاج في تفسيره لمثل هذه المباحث اللغوية وغيرها .

جوابه : إِنْ كان الأمر كما تذكر فعلامَ المفسَّرون جيلاً بعد جيل يفتقون وينقحون ويبلورون نكات في لغات القرآن وعموماته وخصوصياته ومنظومته مالم تنقحه الأجيال السابقة ، وليس بيان مثل هذه النكات بمقدور كلِّ أحَدٍ إلاَّ مَن شغل عمره في تحصيل علوم القرآن المختلفة ، وهذا يدُلّ على أَنَّ الإحاطة بلغات القرآن وآياته وكلماته ونكاته ليست متيسرة لكل البشر ، فإنَّ مجموع آيات وسور القرآن فيها من الاحتمالات والمحتملات تقدّر بعشرات الالاف ، مضافاً للملازمات فيما بين بعضها البعض الآخر ، والأنَّ ببركة تطوّر العلوم ونضوجها في كافة المجالات العلميّة والصناعية والتكنولوجية وأجهزة الحاسوب التي تساعد بمجموعها في احصاء الاحتمالات والمحتملات في كثير من البحوث التفسيريّة الرقمية حول الفاظ القرآن فقطْ ، وهي بحوث تخدم العلوم الأدبية واللغوية والبلاغية وغيرها في القرآن الكريم ، ومثل هكذا بحوث تفسيريّة معجمية رقميّة غير متاحة للمتقدمين من المفسِّرين لعدم اختراعها أو اكتشافها بهذا الشكل الفهرسي والجداول الرقمية كما هي عليه اليوم .

نعم كل الجهود التي بذلت سواء على مستوى المعجم المفهرس لألفاظ القرآن أو المعجم في فقه لغة القرآن وسر بلاغته وغيرها الكثير بل وحتى الفقهاء من الفريقين عندما يستدلون بعمومات ومطلقات قرآنية فإنه يخفى على الكثير منهم وجود مقيدات ولم يلتفتوا اليها .

وهكذا استدل البعض بظواهر قرآنية ، ولم يلتفتوا إلى ظواهر أخرى حاكمة عليها وكل ذلك لازال في البداية وفي ساحل القرآن ودون ما يذكره الأئمة ومَن حباهم الله عَزَّ وجَلَّ بمراتب ودرجات لا يستطيع البشر الوصول إليها مثل **﴿لاَّ يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ﴾** وغيرها ، لأنَّ القرآن كما وصفه عزّ مِن قائل **﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾**[١]

وللأسف لم يتخصص مفسِّراً من مفسري الأمامية ويعتني بجنبة المعالجات اللغوية والأدبية الواردة في الروايات عن أهل البيت لآيات القرآن ، إلاَّ ما صدر عن بعضهم وبجهود فرديه بسيطة ومتواضعة أمثال ملا شريف أبو الحسن الفتوني صاحب كتاب مرآة الأنوار[٢] وكذا في منهجه تفسير لغات القرآن وكلماته ومفرداته بسير موسوعي استقرائي لجميع روايات أهل البيت وهذا عملٌ شاق وليس بالسهل ، فلا يتصور أحدٌ أَنَّ الروايات المتكفلة لتفسير القرآن هي روايات مصَرِّحة بالتفسير كلا وأَنَّ هناك تفسير روائي ابتدائي ، وإِنَّ التفسير بالمأثور عند بعضهم هو تفسير اجتهادي فإنَّ الروايات الصادرة عن أئمة أهل البيت بالمأثور عند بعضهم هو تفسير اجتهادي ، فإن الروايات الصادرة عن أئمة أهل البيت وإِنَّ لم يُصَرَّح فيها اسم الآية ولا لفظها ، فإنَّ كل رواية هي تفسير لآية عَلِمَها مَن عَلِم وغفلها من غفل بمقتضى إِنَّ الثقلين وجهان لحقيقة واحدة .

نعم هناك بعض المحاولات التي صدرت من بعض المحققين وكُلِلَّت بالنجاح كمنهج وإنْ لم توَّفق كموسوعة بالنظر من أوّل كتاب الكافي الى الجزء

---

(١) سورة الكهف: الآية (١٠٩).

(٢) وهو جزء واحد يحتاج الى تنقيح ويُسمى على غرار مفردات غريب القرآن للراغب الاصفهاني.

الخامس منه إلى كل رواية رواية بنظرة وقوّة اجتهادية وباستنباط اجتهادي وبتفرس قوي إلى أَنَّ هذه الرواية ناظرة إلى أي كلمة في القرآن الكريم ، وإنْ لم تصرِّح الرواية بالآية ، أو بلفظها ، وهذه قدرة اجتهادية ليست بالسهلة ، وهذا منهج جديد وليس الغرض من ذكره الخوض في تفاصيله ، وإنَّما لأجل بيان الصلة بين هذا المبحث وبين البحوث التفسيرية المستجدة والمستحدثة ، كما في تفسير أبو الحسن الشريف الفتوني وهو تفسير روائي اجتهادي وليس تفسيراً روائياً إخبارياً سطحياً حشوياً .

[ضرورة الرجوع الى المعَلِّم الإلهي في بُعْد العلوم اللغوية في تفسير القرآن]

لا يمكن الاستغناء عن الناظم والمربي الإلهي في التفسير اللغوي والأدبي البلاغي للقرآن هناك حقيقة نقف أمامها ولا يمكن تجاوزها ونحن في بداية التفسير اللغوي والأدبي والبلاغي للقرآن الكريم ، نقف أمام بحر لا ينفذ ولا يستطيع أحدٌ إِنْ يبحر في هذا البحر ويغور في أعماقه ويُخرج من قاعه درراً ونكات بلاغية ولغوية في هذا البحر فإنَّ الإحاطة بكلِّها غير متيسرة لأحد إلاَّ المعصومين من أهل البيت فإنَّه وَرَدَ في ضمن روايات أهل البيت والبراهين الدالة على إمامتهم هو قدرتهم دون غيرهم من البشر سواء من الفقهاء أو الفلاسفة أو المفسِّرين أو المتكلمين أو غيرهم على الإحاطة الكاملة والتامة بكل منصات ونوافذ الظاهر في القرآن وكيف تتوصل إلى باطن وبواطن أعماق القرآن ، وهذا لا يعني اليأس ، كما لا يعني الغرور وإِنْ كان هذا يكبح الغرور عند البشر ، وبنفس الوقت لا يعني أَنْ تسدُّ الباب أمامهم وإنَّما باستطاعة البشر أَنْ يذهبوا

ويتعلّموا من ذلك المعلِّم الإلهيّ بمنهج يسيرون عليه لا مجرّد شعار فقط يرفع ، ولا يقتصر هذا على البحث اللغوي والأدبي والبلاغي ، بل حتَّى في اعاريب القرآن في بحث لغات القرآن .

وخير مثال من المفسِّرين اللذين ولجوا هذا الباب وخاضوا عُبَابَه أمثال الشريف أبو الحسن الفتوني ، فإنَّه أقحم معيّة منهجيّة الثقلين في أصل بدايات البحث التفسيري والمفردات اللغويّة .

إذن إذا أردت معلِّمين لغويين على الميزان الإلهي فعليك بالرْجوع إلى أئمة أهل البيت

فإنَّه لابُدَّ من الرجوع اليهم ولا يمكن الاستغناء عنهم بما توصل إليه غيرهم أمثال سيبويه والخليل بن أحمد الفراهيدي والفيروز آبادي والجوهري وابن فارس وغيرهم وإنَّ كان إنتاجهم لا بأس به ويكترث به إلاَّ أنَّه ليس فيه احاطة كإحاطة الثقلين والسببين اللذين يؤلان إلى سبب واحد متصل بالسماء ، وهذه المنهجة تكاد تكون جديدة ، خاصة ونحن في منهج أمومة الولاية على المحكمات فضلاً عن المتشابهات في القرآن فإنَّه توجِد في المحكمات القرآنيّة صياغة هندسيّة لمعيّة الثقلين بجميع مراحل التفسير من البداية والقواعد اللغوية التفسِّيرية والبلاغية والنحوية ونظام المعاني ونظام حقائق القرآن وأسباب نزول ترقيم القرآن ، ومرحلة جمع القرآن وتدوينه وغيرها ، بخلاف نظرة البعض في المعيّة وأَنَّها في بعض المراحل دون غيرها ، فلا انفكاك لهذه المعيّة بشرط ما إنْ تمسكتم بها لن تضلوا بعدي أبداً .

والخلاصة إِنَّ ترجمان المعيّة للثقلين في كل قواعد وخطوات التفسير أمر

صعب للغاية باعتراف الجميع وليس من قدرة البشر الإحاطة به بما في ذلك الأجيال السابقة والراهنة واللاحقة المستقبليّة وبرهان عجز البشر وعدم الإحاطة بأبعاد العلوم اللغوية في ألفاظ القرآن هو الإعجاز اللغوي في القرآن ومقتضى اعجازه اللغوي عدم قدرة البشر على الوصول إلى تمام دقائقه ونكات محاسنه مما يستدعي الاستعانة بالمعلِّم الإلهي ، فإنَّ الروايات الواردة عن أهل البيت ليس فيها تصريح بالآية وإِنَّ معنى قوله تعالى الفلاني كذا وكذا ، فإنَّ الأمر ليس كذلك فإنَّ مثل هكذا معنى ساذجٌ وبسيط ابتدائي ، وإنَّما يُتعامل معك أيُّها المفسِّر كمجتهد في التفسير وعلوم القرآن والعلوم الدينية ويجب أنْ تستنبط من كُلِّ رواية موازاتها لأيٍّ لفظ في الآيات ومن كُلِّ آية موازاتها للروايات واستكشاف الموازاة يحتاج إلى اجتهاد ولا يُكتفى بالبحث والدراسة السطحية .

[اختلاف الخارطة الهندسية المعادلية الرياضية لمنهج أمومة الولاية عن سائر المناهج التفسيرية الأخرى]

من الواضح أَنَّ المناهج التفسيريّة في القرآن كثيرة ومتنوِّعة ، ولكل منبع موضوعه ومحوره الخاص به والذي يبني عليه منهجه ، نذكر بعضاً منها :

١) المنهج التفسيري الذي اختاره السِّيد العلامة الطباطبائي ﴿﴾ منهج تفسير القرآن بالقرآن أي الاستعانة بالقرآن .

٢) التفسير الموضوعي .

٣) التفسير التجزيئي بأنْ يجَزّأ القرآن مُرّتباً بحسب سوره وآياته .

٤) تفسير أسباب النزول .

٥) تفسير حسب اللغات والمفردات .

٦) تفسير تاريخ أسباب النزول .

٧) التفسير الإشاري .

٨) التفسير اللطائفي .

٩) تفسير أمومة الولاية على المحكمات فضلاً عن المتشابهات في القرآن وهو المنهج المختار .

ويتمَّيز كُلَّ منهج تفسيري بنظام هندسي أو رياضي أو معادلي يختلف عن المناهج الأخرى ، ويتمَّيز منهجنا التفسيري المختار أمومة الولاية على المحكمات عن سائر المناهج الأخرى حسب خارطته الهندسية والمعادلية أنَّه يفتِّش عن الأعمدة والأمومة والمحورية والمركزية في القرآن وإنْ لم تكن لها وحدة في الموضوع والعنوان ، إلاَّ أَنَّ لها وحدة محورية ، ووحدة أحكام رغم اختلاف العناوين والموضوعات ، ولكن بما أنَّها تحوم حول محور واحد ، ولذا يكون المُفسِّر مضطراً في أنْ يوجِد لهذه الموضوعات والعناوين المختلفة منظومة واحِدَة .

[مميّزات منهج أمومة الولاية على المحكمات عن سائر المناهج التفسريّة]

أولاً : إنَّ منهجنا التفسِّيري المختار بخلاف المناهج التفسِّيرية الأخرى ، فمثلاً التفسير التجزيئي يفتِّش فيه عن ترتيب السور المدوّنة في القرآن حسب الترتيب الذي هو عليه الآن من سور القرآن الكريم الذي اوله سورة الفاتحة وآخره المعوذتين والذي مجموعةٌ (١١٤) سورة .

وليس منهج أمومة الولاية كمنهج التفسير الموضوعي الذي يعتني بأخذ موضوع التوحيد مثلاً ، أو النبوة ، أو الإمامة ، أو الصلاة ، أو الطهارة ، أو العقود ، أو الزواج ، أو الشجاعة أو الإيمان أو قول الزور في القرآن والذي يصب هذا المنهج التفسيري جهده على هذا الموضوع الذي تختار بحثه ولا يكترث بغيره ، وهذا نوع من هندسة المنهج .

كذلك ليس منهج أمومة الولاية كمنهج أسباب النزول : وهو الاعتبار بأسباب النزول للآيات وظروفها وتاريخها ، فتُرَكِّز هندسة منهج أسباب النزول على هذا دون غيره ولا تعتني بترتيب السور أو الموضوعات أو تجزئتها أو غير ذلك ، وإنَّما المُهِّم في منهج أسباب النزول أنْ يكون فيها تسليط الأضواء على كيفية تناسق وانسجام أسباب النزول فلو كانت أسباب النزول تهتم بمفردات اللغة فحينئذٍ لا تبحث ولا تغتش ولا تسعى نحو مثل غرائب المفردات ، وهكذا منهج التفسير اللغوي الذي يعتني بالمفردة اللغوية دون غيرها ، وأين موضعها من السورة وما هي الاحتمالات الممكنة فيها .

إلى غير ذلك من المناهج التفسِّيرية الأخرى والتي لها فوائد وثمار عظيمة ، وسيأتي في مبحث مستقل ـ إنْ شاء الله ـ المقارنة بين المناهج التفسِّيرية . مع أَنَّ في منهجنا التفسَّيري المختار لا نُهمل رعاية المناهج الأخرى وفوائدها إلاَّ أَنَّنا لا نقتصر ولا نكتفي بها .

إذن بناءاً على القول الرابع في تفسير المحكمات والمتشابهات ـ المختار ـ يدعونا لمعرفة الخارطة القرآنية الهندسية للقرآن وكيانه وبيانه وأَنَّ له معادلات معينه إذا استطاع الإنسان أَنْ يتعرف شيئاً فشيئاً على نظام هذه الهندسة لكيان

القرآن ، ويلتفت إلى أساسيات سور القرآن أكثر فأكثر ، وهذا ما يتكفل به منهجنا التفسِّيري المختار أمومة الولاية على المحكمات . قدر المستطاع والإمكان .

[الأحكام والتشابه على طبقات] [طبيعة النظام الهندسي المعادلي نسبيٌّ]

إِنَّ من أهم ما تتميز به طبيعة النظام الهندسي المعادلي أَنَّه نسبيٌ ، فمثلاً باب الصلاة يمكن النظر إليه من خلال مناهج تفسِّيرية مختلفة .

فقد يُنظر اليها من جهة التفسير الموضوعي وما هو موضوع الصلاة ويُرّكز فيه على الموضوع بقطع النظر عن الحيثيات الأخرى .

وقد يُنظر اليها من جهة تفسير المحكمات وأَنَّ الصلاة مركزٌ ومحورٌ للمجموع فينظر للقراءة من جهة ﴿**فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ**﴾[1] ، وقد يُنظر إلى محور الركوع ﴿**وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ**﴾[2] وإلى محور السجود ومحور الآذان ﴿**وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ**﴾[3] ومن جهة تكبيرة الاحرام والتشهد والتسليم والقيام وغيرها ، مع أَنَّ جميع هذه الحيثيات عناوين موضوعية مختلفة ، ولكن يمكن أن ينتزع منها عنوان جامع ومحور واحد يجمعها ألاَّ وهو محور الصلاة ، فإنَّ الصلاة محورٌ محكم مقابل تفاصيل أخرى قد لا تجمعها وحدّة موضوعية ، إلاَّ أَنَّه توجد فيما بين أجزائها محاور محكمة وهي الأركان وتعتبر الصلاة محور محكم بالقياس لما دونها ، أما بالقياس لما فوقها فهي ـ الصلاة ـ ليست محكمة .

---

(١) سورة المزمل: الآية (٢٠).

(٢) سورة البقرة: الآية (٤٣).

(٣) سورة المائدة: الآية (٥٨).

ثانياً : ومن مميزات وخواص منهجنا التفسِّيري المختار أمومة الولاية على المحكمات هو إِنَّ الإحكام على طبقات ودرجات ، فقد يكون الشيء الواحد مُحكَمٌ لما دونه متشابه بالنسبة لما فوقه ، نظير بعض الأبنية فيها أعمدة محورية ترتكز عليها هي الأم ، وهناك بعض الجدران كأنْ تكون خلفيّة أو أماميّة هي دخيلة في قيام هذا البناء إلاَّ أنَّها ليست من الأعمدة والمحاور والأساسيّة ، وإنْ كانت مرتبطة بذلك العمود و الأساسي والمحوري ، مع الالتفات إلى أَنَّ نفس هذا العمود المحوري والأساسي فيه ما هو أشد محوريةً وارتكازية ، وفيه ما هو أَقَلّ محوريّة وارتكازاً ، فإنَّ هذا العمود المحوري هو عمادٌ لما تحته ، وليس عماداً ومحوراً لما هو أشدّ وأحكَمَ عماديّة ، وهكذا نفس الكلام في التشابه .

كذلك الولاية على طبقات فإنَّ ولاية الأوصياء من الأئمة المعصومين فوقها ولاية سيد الأنبياء الرسول ﷺ وفوقها ولاية الله عَزَّ وجَلَّ .

مما تقدّم يتلخص لدينا ما يلي :

أولاً : إنَّ الإحكام والتشابه مرتبط بمحاور هي أعمدة في نظام معاني وحقائق القرآن ، لا أنَّ الإحكام مرتبط بنظام ولغة دون غيرها ، أو مرتبط ـ الأحكام ـ بشيء ملكوتي او بشيء مادي ، أو أنَّ الإحكام بسبب بعد زمني عن اللغة أو غير ذلك ، وإنَّما الإحكام يرتبط بأمور وحقائق ومعاني مهيمنة على بعضها البعض ، حتّى بالنسبة إلى المعاني المادية فإنَّ بعضها محوري وعمدة ، وبعضها الآخر ليس كذلك .

وهكذا الحال بالنسبة إلى عالم ما وراء المادة من المجردات المكوتية أيضاً هو الأخر بعضها أعمدة وبعضها الآخر أقلّ عِمادة ، وفوق كُلِّ محكمٍ محكمٌ فوقه أشدُّ أحكاماً .

ثانياً : إِنَّ التشاغل بتفسير المحكمات وطبقاته ودرجاته ، وأَنَّ بعضها أشد أحكاماً من الآخر ، أولى من التشاغل بتفاصيل المتشابهات ، وبعبارة أخرى إِنَّ هيمنة معاني المحكمات على المتشابهات يرفع تشابه المتشابهات ويوضِّح حقيقة معاني المتشابهات لا بالمعنى المتقدّم في الأقوال السابقة ، من أنَّه على بعض المناهج التفسِّيرية هناك قرائن قرآنية تفسر قرائن قرآنية أخرى وإنَّما على منهجنا التفسير المختار وتصبح ضابطة القرينيّة بأنَّ المعنى في الآية المعينة له محورية وعمودية ومركزية ، ومن ثمَّ تلقائياً يصير له هيمنة تفسيرية وهيمنة قرينية دلالية ويعتبر هذا نوع من استخراج القرائن في التفسير لا بطريقة اللغة ، بل بطريقة أخرى ستتضح من خلال بحوث قاعدة المحكم والمتشابه .

[معاني القرآن لغة مشتركة بين المخلوقات من البشر والملائكة والجن والحيوانات وكلُ ذي روح]

قبل الخوض في بيان معاني القرآن وإِنَّه لغةٌ مشتركة لا بأس بتقديم مقدمة عن مجمل علوم البلاغة وأهميتها للباحث والمفسِّر الكريم .

إنَّ دراسة البلاغة العربية تعني الوقوف على خصائص الأسلوب العربي وطرائقه في التعبير ، وهي تضع اليد على خصائص اللغة العربية وغناها بمناحي القول ، وأفانين الأداء ، ثم إنَّ ـ لها البلاغة العربية ـ في الدراسات والبحوث والمناهج التفسِّيرية القرآنية ـ بشكل خاص ـ شأنٌ متفرّد فهي أداةٌ لفهم كتاب الله وتفسيره وتأويله ، ثم معرفة اعجازه البياني والأسلوبي بشكل خاص ، ولذا أجمع المفسِّرون والفقهاء والباحثون القدماء على عدم جواز التصدي للقرآن الكريم بتفسير أو تأويل ، أو استنباط حكم أو غيره مَن كان لا يُتقن العربية

وقواعدها ، أو لا مُكنَة له بطرائق العرب في التعبير وأساليب القول .

يقول الزمخشري مُبيّناً دور البلاغة في الوقوف على لطائف القرآن الكريم ومعرفة أسراره [إنَّ أمل العلوم بما يغمر القرائح ، وأنهضها بما يبهر الألباب القوارح علمُ التفسير الذي لا يُتمُّ لتعاطيه وإجالة النظر فيه كلُّ ذي علم][(١)] .

كذلك ذكر الزمخشري في كتابه نظم القرآن [. . . فالفقيه وإنَّ بَرَزَ على الأقران في علم الفتاوي والأحكام . . . لا يتصدى أحدٌ منهم لسلوك تلك الطرائق ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق ، إلاَّ رجلٌ قد بَرَعَ في علمين مختصين بالقرآن وهي : علم المعاني وعلم البيان][(٢)] .

وبعد هذه المقدّمة نقول :

إِنَّ معاني القرآن هي لغةٌ مشتركة بين البشر والملائكة والجن وكل ذي روح ، أمّا أَنَّه كيف مشتركة ؟ وذلك بالبيات التالي :

إنَّ مثل الحيوان وكل ذي روح وإنْ كان بهيماً في لسانه وصوته ، إلاَّ أَنَّه هناك جنبة اشتراك يشترك بها البشر مع غيره في أحساس المعاني والحالات النفسية ، فهو يحس بالجوع والعطش والحرارة والبرودة والخطر وغيرها ، فإنَّ بعض الحيوانات إذا ما داهمها خطرٌ فإنَّها تطلق بعض الأصوات الغريبة المناسبة لذلك وهكذا الملائكة والجن .

كذلك يتأثر بالحالات النفسية كالخوف والسرور واللذّة والألم والإحسان و الإساءة وغيرها من المعاني والحالات الروحية بحسب الطبقات من الروح

---

(١) مقدمة الكشّاف ص/ ك.

(٢) المصدر السابق.

المتوفرة فيه فهذه المعاني والحالات الروحية مشتركة بين كُلِّ ذي روح فالمعاني لغةٌ روحية يتم عبرها التفاهم والتحسس ونقل الأحاسيس بين الطرفين .

وتلك اللغة ليست خاصة بالبشر فضلاً عن أَنْ تكون خاصة بقومية منهم كالعربية ، بل هي لغةٌ روحيةٌ مشتركة بين كل أَنّواع الكائنات ذات الأرواح .

إِنَّ قوام القرآن بمعانيه ، وبمعادلاته المعنوية قبل اللغة اللسانيّة له ، وأَنَّ اللغة اللسانيّة بمنزلة ثوب تنزيل للقرآن ، وإلاَّ فإِنَّ القرآن في الأصل هو معاني وسيأتي في النظام الثالث وهو نظام حقائق القرآن وسيتضح إِنَّ القرآن في الأصل فيه ما هو أعظم وأعلى من المعاني التي هي أصل الأصل في القرآن ألاَّ وهي الحقائق العينية .

وإِنَّ كلاً من النظامين ـ الاستعمال اللفظي ونظام معاني القرآن ـ هي طريقان ومقدمة للغاية العظمى وهو النظام الثالث حقائق القرآن .

[جانب مشترك بين نظام الاستعمال اللفظي وبين نظام المعاني في القرآن]

من الأمور المشتركة بين النظام الأول : الاستعمال اللفظي ، والنظام الثاني معاني القرآن أنَّ في كل واحدٍ منها تَنَزُّلُ للقرآن ، فالأول فيه الألفاظ اللسانيّة والعربية تَنَزُّلُ للقرآن ، وكذلك الثاني فيه تَنَزُّلُ لمعاني القرآن .

إلاَّ أَنَّه يجب على المُفسِّر والباحث الكريم أنْ يفرز بين شؤون نظام الاستعمال اللفظي واللغة اللسانيّة وما يخص شؤون الفاظ القرآن ، وبين ما يتعلق بشؤون معاني القرآن ، فإِنَّ عالم المعاني يمكن للباحث المتمرس ذو الخبرة

الكافية على الخوض فيه ، ولو كان ممن لم يمتلك اللغة العربية ، لأنَّ بحوث عالم المعاني معادلية معنوية مرتبطة بالمعنى ، فالأكفأ في بحور عالم المعنى يمكنه أنْ يخوضها ويستخرج منها جواهر ودرراً ثمينة .

[هويّة القرآن بمعانيه]

إن ارتباط هوية القرآن بمعانيه أشد من ارتباطها بألفاظه الصوتية اللسانيّة المكتوبة ، ويمكن للباحث والمفسِّر أنْ يتفاعل مع معانيه ومع نفس أصل حقيقة القرآن ، وحقيقة القرآن بمعانيه ، ومعانيه على طبقات أيضاً وفيه طبقات المعنى الأكثر بطوناً في القرآن ، أو الأكثر فوقيّة وعلوّاً في القرآن أن يكون هو الأقرب لأصل وحقيقة وهوية القرآن من المعنى الأنزل .

[أصل الالفاظ هو المعاني والمعاني على طبقات الصوت والصدق والكذب في الكلام]

تقدّم أَنَّ القرآن صوَّر لنا عِدّة أحداث وقصص بألفاظ وحتى في بعضها الفاظ معربة ، ولكن كانت حقيقة المعنى محفوظة فيها ، وإِنْ اختلفت الألفاظ واللغات ، بل وحتّى لو اختلفت الصياغات والتراكيب ، فإنَّ المعاني القرآنية باقية على ما هي عليه ، فمثلاً بعض الآيات تركيبها اللفظي عشرة كلمات ، وبعضها من خمسة ، وثالثة أربعة ، ورابعة من أثنين ، وهكذا كُلّها صادقة وحقيقة المعنى محفوظةً ، فمثلاً إذا اراد شخص أنْ يصف العدل فوصفه قائلاً : العَدلُ حسنٌ وآخر قال : إنَّ العدل أسّ أساس الأمور ومنه يتشعب الوصول إلى الكمال والسعادة ، وعليه فالذي وَصَف أو عرّف العدل بكلمتين هو صادقٌ ،

والذي ذكره بسبعة أو ثمان كلمات صادق أيضاً ، إذن المدار حول المعاني لا الألفاظ والكلام اللساني ، فإنَّ لكلِّ لفظ معنى ولكلِّ معنى معاني ، وللمعاني معاني ، إلى أنْ تصل إلى المحور والمركز والعماد ولا يُكتفى بالقول بأنَّ أصل الألفاظ هو المعاني ، وإنَّما يبحث في طبقات المعاني ، عن أصل كل طبقة من طبقات المعاني هذا كُلّه مقتنص من بيانات القرآن وأهل البيت الذي ينظم لك الفكر والمعارف ، فإنَّ الخارطة التي بيّنها لنا القرآن الكريم ليس عبطاً ﴿**هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ**﴾[1] .

بتقريب : إنَّ معنى الأم هو الأصل والهوية وحقيقة الحقائق ، وهذا يصلح إنَّ يكون تعريفاً آخر للمحكم ، بأنَّ الأحكام معناه الهويّة الأصلية للشيء ، والمتشابه بمنزلة الثوب والكساء ، وليس المتشابه حقيقة أصلية ، وإنما التشابه منعكس عن الحقيقة الأصليّة .

والخلاصة : إنَّ الحقائق على مراتب والصدق والكذب على مراتب وبالتالي فإنَّ هوية الكتاب الإلهي ، القرآن ـ بمعانيه لا بألفاظه .

[مبحث مستجد في علم التفسير]
[فهم الغاية من كل سورة وآية]

إنَّ من أهم المباحث من المستجدة والجذّابة والمفيدة كقاعدة من قواعد التفسير والتي لابُدَّ للمفسِّر الفطِن إنَّ يتنبه اليها وهو مبحث فهم الغاية والهدف من كل آية ، والذي يعبرون عنه بالسياق التركيبي إلى سياق وهدف الآية أو السورة ، وفهم الجو العام لهما ـ الآية والسورة ـ وإنَّ كان الكلام عنه سيأتي في

---

(١) سورة آل عمران: الآية (٧).

قاعدة مستقلة ، وبخلاف ذلك لا يهتدِ المفسِّر إلى حقيقة مضامين الآيات والسور ، وإنَّ كانت جهود مثل السِّيد العلامةﷺ لا تنكر في هذا المجال وتشدده وحُرْصه على التقيد بهذه القاعدة التي بُيِّنت في بيانات القرآن وروايات أهل البيت .

هذا مضافاً إلى وجود قاعدة أخرى وهي أيضاً من تتمات أو ذي صلة بقاعدة [فهم الغاية من كل آية وسورة] وهو القاعدة الآتية .

قاعدةٌ [لماذا أُطِّر القرآن بتجزئته إلى سور وآيات]

هذا المبحث وإِنَّ كانت بداية إثارته قديمة إلاَّ إِنَّ بلورته حديثاً وبشكل جيّد ومؤثِّر في علم التفسير ، فإِنَّ هذه القاعدة وإِنَّ كان يأتي بحثها في محلها المناسب أيضاً إلاَّ إِنَّ قاعدة المحكم والمتشابه كذلك لها الهيمنة وعليها وعلى غيرها من القواعد الأخرى التي لها صلة في المقام :

ومن الضروري جداً أَنَّ يبحث كلّ مفسِّر عن هدف كل سورة ، وكذا هدف كل آية لأنَّ جملة وكلمات كلّ آية لها وحدة مائزة لها عن جو غير الآية الأخرى ومجموع هذه الآيات وحدات لمدينة هي السورة والسورة بمثابة البلاد للآيات لها جوّها ، وطابعها وخطابها الخاص بها ، فهناك تصنيفات جغرافية للسور بلحاظ المكان الذي نزلت فيه ، فمنها سور مكية ، وأخرى مدنية ، وهناك تصنيف للآيات والسور على أساس وطابع عسكري أيضاً لها جوّها ونبرتها الخاصّة بها ، وهكذا التصنيفات القضائية أو السياسيّة أو العقائدية والمعرفية للسور أيضاً ولها نبرتها وجوّها الخاص بها ، وكلّها تقسيمات صحيحة دويلات وبقاع جغرافية علمية في القرآن الكريم ، وهذه التفسيرات وغيرها

ينبغي للمفسِّر الكريم ملاحظتها ومراعاتها ويكون يقظاً تجاهها ، والمهم من كل هذا هو ملاحظة هيمنة قاعدة المحكم والمتشابه وأمومة الولاية على كل هذه القواعد .

فإذا كان المفسِّر أو الباحث الكريم يبحث في غاية السورة من دون أن يضع في الحسبان إِنَّ وراء هذه الغاية للسورة محوراً آخر وهو ولاية أهل البيت فإنَّه لن ولم يصل إلى المنظومة الشبكية للقرآن ، نعم سيصل في بحثه إلى ملفات مبعثرة وبنود مُنَّتَثَرَة ومتشتتة ، والتشتت في ملفات المعلومات وعدم مراعاة علم نظم المعلومات يُسبب الفوضى وتصبح تلك الملفات القرآنية مجهولة بدلاً إِنَّ تكون معلومة ، ومجرد تراكم معلومات من دون إِنَّ تنظمها عن طريق علم الحديث ، أو علم الإدارة الذي يُسَمى بعلم نظم المعلومات ، فإنَّ تراكم المعلومات لوحده لا يكفي ، بل ويوقعك بخسارة كبيرة وخطيرة ، فإذا لم تنتظم تلك المعلومات المكدسة الركامية فإنَّك لا ترى الحقيقة على ما هي ، أو سترى الحقيقة مقلوبة ومعكوسة ، ونظم المعلومات هي المحورية والمركزية والمنظومة المتوخاة والذي تؤكد عليه بيانات القرآن الكريم وأهل البيت وإِنَّه هو المنهج المهيمن لتفسير القرآن ، بخلاف ما إذا كان هناك شتات ونوع من الانفلات لآحاد المعلومات فإنَّه يشكل خطر وزيغ وفتنة وجهل بدلا إِنَّ يكون هناك عمارة وصلاح وهداية وعلم ، وكذلك يترتب على عدم وجود المحورية والمركزية بين آيات القرآن خطورة فادحة ويتولّد جيلاً من الخوارج ، ويكون مروقاً من الدين وجبريّة وقدريّة وأموية و مروانيّة وزيغ ووزغ ونماذج أخرى كثيرة على هذه الشاكلة والنمط .

ولذا فإنَّه قاعدة المحكم والمتشابه والقاعدة الفوقية والحاكمة عليها أمومة الولاية ليست خاصة بتفسير القرآن ومعرفة علوم القرآن فقط ، بل تشمل كل الدين ، بل ولكل الشرائع كما في رواية مسعدة بن صدقة **عن الإمام الصادق**عليه السلام «**إن الله جعل ولايتنا أهل البيت قطب القرآن ، وقطب جميع الكتب ، عليها يستدير محكم القرآن وبها نوّهت الكتب ويستبين الإيمان**»(١) فإنَّ جعل المحورية والمركزية للنبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته ليس في القرآن فقط بل حتى في الكتب السماوية السابقة على القرآن نزولاً كالتوراة والإنجيل والزبور والصحف ، فمثلاً التوراة ليس المحور والناظم فيها فقط ولاية موسى عليه السلام بمفردها ولا بالنسبة إلى الإنجيل ولاية عيسى عليه السلام لوحدها ، وهكذا باقي الكتب والصحف السماوية لم يكن نبي ذلك الزمان لوحده هو المحور والمركز ما لم تكن ولاية أهل البيت محوراً فيها وعليها فإنَّها لم تستطع الوصول إلى عمق تلك الكتب السماوية ، فإنَّ ولاية موسى عليه السلام منفرداً لم يستطع إنَّ يغور ويصل إلى أعماق التوراة من دون ولاية الرسول الخاتم صلى الله عليه وآله ، وولاية الرسول لم تكن محوراً وناظماً ما لم تجعل ولاية الله محوراً وناظماً لها ، وعليه فإنَّ المحكمات والولاية هي الأخرى على طبقات ، ولكن المركزية والهيمنة هي لولاية الله ثم كل الكتب السماوية ثم ولاية الرسول صلى الله عليه وآله وأهل بيته ، ثم ولاية نبي ذلك الزمان كالنبي عيسى عليه السلام أو موسى أو إبراهيم أو إدريس أو آدم أو الخ كل في زمانه .

إذن هذا الحديث الشريف هو هندسة خطيرة في كل الشرائع ، ولذا ينحرف اليهود والنصارى وغيرهما ما لم يجعلوا ولاية سيد الرسل وعترته مركزاً

---

(١) تفسير العياشي: ج (١)، ص (٧٨)، ح (٨) باب فضل القرآن.

ومحوراً في دينهم وشريعتهم ، وبخلاف ذلك يكون زيغٌ وانحراف وفتنة في الاعتقادات ، وفتنة في الفروع ، وفتنة في نظام الأخلاق ، بل وتحصل الفتنة في كل المجالات .

وأحد تلك الفتن التي حصلت لبعض المحسوبين على الإسلام من بعض الفرق الإسلامية وهم ـ السلفية أو الوهابية ـ نتيجة الانحراف عن خط ولاية أئمة أهل البيت وهي قضية محاربة زيارة النبي صلى الله عليه وآله وهو شعيرة دينية أصيلة وعزيمة .

وهكذا محاربة السلفية ، أو الوهابية لزيارة عترة النبي صلى الله عليه وآله بسبب قراءة هؤلاء النواصب والخوارج لبعض الروايات ، وغضهم النظر عن الطرف الآخر ، فمثلا قرئوا حديثاً نبوياً واحداً ينهى عن زيارة القبور وتمسكوا به وانتهى الأمر وهو [نهى النبي صلى الله عليه وآله عن زيارة القبور : كنتُ نهيتكم عن زيارة القبور] ولم يلحظوا أجواء الحديث وزمانه علماً إنَّ النبي صلى الله عليه وآله قاله في بدايات الإسلام وكان المشركون يزورون قبور أباءهم المشركين فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وآله عن ذلك ، وسبب هذا النهي إصرار الكفار على الكفر بالله ورسوله حتى الموت .

ولم يقرأ هؤلاء ـ الوهابية أو السلفية ـ حتى تتمه الحديث النبوي [كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها] فلم يقرئوا ولم يلحظوا ذيل الحديث [فزوروها] ، بل وزاد رواة وعلماء العامة مثل أبي داوود والسجستاني والنسّائي وهما من أصحاب الصحاح ـ هذه الزيادة [فإنَّها تذكرة الأخرة] ، بل والحاكم ـ النيسابوري ـ **عن النبي** صلى الله عليه وآله **«وترق القلب ، وتوجع العين ، فلا تقولوا هجراً . . . تزهد في الدنيا»**[1] .

---

(١) التفسير الكاشف/ محمد جواد مغنية/ ج (٤)، ص (٧٩) الى (٨١).

بل وَرَدَ الحث والتأكيد على زيارة القبور

منها : **عن رسول الله**ﷺ : «**مَن أتاني زائراً كنتُ شفيعه يوم القيامة**»[١] .

منها : **عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب**عليه السلام «**زوروا موتاكم فمنهم يفرحون بزيارتكم وليطلب الرجل حاجته عند قبر أبية وأمّه بعد ما يدعولهما** »[٢] .

قال مسلم في صحيحه القسم الثاني من الجزء الأول ، باب استئذان النبيﷺ ربَّه في زيارة قبر أمه(زار النبيﷺ قبر أمه وقال : «**استأذنتُ ربي في زيارة قبر أمي ، فأذِنَ لي فزوروا القبور فإنها تذكر بالموت**» .

إذن النبيﷺ وبعد مضي فترة على أمر الإسلام والمسلمين ومات منهم جيل ، أمرﷺ المسلمين بزيارة قبور أمواتهم .

وعليه فإنَّ تمسك هؤلاء الوهابية والسلفية ببعض الروايات دون مجموعها تكون قراءتهم للنص ناقصة ومبتورة .

بخلاف ما عليه مدرسة أهل البيت التي لم تفرِّط حتى بقراءة القصاصة في ضمن قصاصات مواد الدين التي تؤثر على النتيجة النهائية ، ولأجل إنَّ تكون النتيجة سليمة وخالية عن المعارضة لابُدَّ من ملاحظة المجموع ، إلاَّ إِنَّ مشكلة هؤلاء الوهابية وخوارج العصر ومَن سار على خُطاهم إِنَّهم ينظرون بعين واحدة ، ونظرتهم للنصوص القرآنية والنبوية مجزئة وبالتالي يجهلون عن الوصول الى النتيجة الصحيحة التي يذكرها القرآن وأحد تلك الصفات التي وصفهم القرآن بها إِنَّهم يؤسين ايسين وأصحاب يأس ﴿**كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ**

---

(١) بحار الأنوار للمجلسي: ج (١٠٠) ١٤٢/ ١٨.

(٢) الخصال للصدوق: ٨/ ٦/ ١٠.

القُبُورِ﴾[(١)] .

بتقريب : إِنَّ علامة اليؤسي واليائس والبائس إِنَّه من أهل القبور وعلامة الكفار إِنَّهم لا يؤمنون بالبرزخ والغيب والآخرة ، بعكس الموَّحِد فإِنَّه يعتبر القبر نافذة للآخرة ، فإِنَّ الحرب مع القبور هي حربٌ مع الآخرة والتشبت بالقبور هو تشبت بالغيب .

والخلاصة : فإِنَّ القراءة المجزئة للنص الديني القرآني أو النبوي قِراءةٌ مغلوطة ومقلوبة تؤدي إلى نتائج معكوسة عن دين الله ، مما تؤدي إلى سفك الدماء والتناحر وتقاتل المسلمين وأهل القبلة فيما بينهم ، ويُرفع شعار الكفر باسم التوحيد ، وغفلوا أو تغافلوا أمثال هؤلاء المحسوبين على الإسلام مثل السلفية أو الوهابية عن إِنَّ الدين دائماً هو منظومة ووحدة واحِدَة متكاملة وتقرأ بقراءة كاملة مجموعيه لا قراءة مُجزئة ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾[(٢)] .

إذن كل من قاعدة المحكم والمتشابه ، وقاعدة ما وافق محكمات الكتاب والسُنة فخذوه يرسمان كياناً هندسياً مُعَيَّناً للقرآن الكريم ، بل ولمجمل عموم خارطة الدين الحنيف ومن ثمَّ تعتبر قاعدة العرض على محكمات الكتاب والسُنة من أعظم وأكبر الضوابط التي وردت من الأدلة الشرعية وفي عموم أبواب الدين في الفروع والعقائد والتفسير وغيرها ، وجعلها هي الميزان الذي تزن به كل شيء والمدار الذي تعطف عليه الأشياء ، ولا يؤخذ القرآن والسنة مُقَطَّعاً

---

(١) الممتحنة: الآية (١٢).

(٢) سورة البقرة: الآية (٨٥).

بعضُه عن بعض ، وبخلافه ما نلاحظه بأم أعيننا ـ كل يوم من انحراف بعض الفرق والمذاهب الإسلامية والوقوع في الضلال و الزيغ والتيه نتيجة القراءة المجزئة والابتعاد عن مدرسة أهل البيت التي هي مدرسة الوحي وعدم جعلها محوراً وقطباً ومركزاً فهلكوا أنفسهم وأهلكوا الآخرين نتيجة إتباعهم وتنفيذهم لأوامر السلطان الحاكم وصيرورتهم اداة ولُعبة بيده يفعل بهم ما يشاء فظلوا وأظلوا ـ أعاذنا الله وإياكم من الضَلال والانحراف ـ .

القاعدة الحادية عشرة

في مراتب حجية القرآن

* معالم هذه القاعدة وآثارها
مراتب حجية القرآن
أهل البيت وتعظيمهم للكتب السماوية

* الحجية ذات انواع وأقسام
* آثار الحجية مختلفة
* تعريف قاعدة مراتب حجية القرآن

* الأقوال والنظريات في قاعدة الحجية للقرآن
* استعراض القرآن لبعض مقطوعات التوراة والإنجيل والزبور وغيرها
* قول المدارس الإسلامية الأخرى في صفة حجية القرآن الكريم
* رأي مدرسة أهل البيت في درجة وصفه حجية القرآن
* برهان قرآني وعقلي على ضرورة وجود الحافظ الوحياني للوحي النازل
* تعدد أنواع الوحي التي يتلقاها رسول الله ﷺ من الله عزوجل
* ضرورة وجود الإمام المعصوم ؑ في كل جيل
* حفظ القرآن وتراث الحديث وهما ذكر
* شمول الذكر لكل كتاب سماوي ولكل أنواع الوحي
* أهل البيت هم أهل السنة النبوية حقيقة
* المساواة الوحيانية بين أصل إنزال الكتاب وبين حفظ بقائه
* الضرورة يقين وحياني والتواتر يقين حسي
* حجية القرآن عند مدرسة أهل البيت وحيانية النزول والبقاء والحفظ
* الحجية الوحيانية للقرآن لا تعني نفي المراتب الأدنى الأخرى للحجية
* اللوازم المترتبة على تفسير معنى النسخ بالابطال
* هل الخبر الظني الخاص مقدم على عموم الكتاب
* طبيعة ونمط الحجية في القرآن وصفاته ومنازله مختلفة
* أبعاض القرآن هو على درجات مختلفة في الحجية وليست على درجة واحدة
* حجية أبعاض القرآن ليست حججا مستقلة
* ولاية الله ورسوله وأهل البيت ؑ إرتباط بالتوحيد والنبوة والإمامة عملاً
* الولاية جانب تفاعل في التوحيد والنبوة والإمامة

مقدمة :

إِنَّ هذه القاعدة هي القاعدة الثانية من قواعد نظام المعاني في القرآن وهي النظام الثاني من أنظمة منهجنا التفسِّيري المختار ، بعد ما تقدّم الكلام في النظام الأول وهو نظام الاستعمال اللفظي وذكرنا فيه ما يقرب من أحد عشر قاعدة أو أكثر مع القواعد الفرعية ، وسيأتي الكلام في نظام حقائق القرآن في النظام الثالث :

[معالم هذه القاعدة وآثارها]

[مميزات وآثار قاعدة مراتب حجية القرآن]

أولاً : إِنَّ البحث عن هذه القاعدة المهمة ـ مراتب حجية القرآن ـ له ثمرات كثيرة تتضح من خلال استعراض أهم البحوث المطروحة والمستحدثة فيها ومناقشتها .

ثانياً : إِنَّ الالتفات الى قاعدة مراتب حجية القرآن ومعرفتها له الأثر الكبير في اعطاء المُفسّر المسار والنسق والعمل في دلالة الآيات والسور بين بعضها البعض ، أو بين بعضها وبين السُنّة أي سُنّة النبيصلى الله عليه وآله وأهل بيته أي سُنّة المعصومين سواء القطعية منها أو الظنية وهكذا يَعرف المفسِّر ببركة هذه القاعدة علاقة القرآن مع الأدلة الأخرى وإِنَّ هناك تناسباً ونسبة ومناسبة القرآن مع بقيّة الأدلة والحجج ، باعتبار إِنَّ تفسير القرآن لا ينفرد ببيان السور والآيات وإنَّما

يشمل بيان السُنّة بما فيها من أحاديث نبوية وروايات أهل البيت بل والأحاديث القدسية وأسباب النزول وفطرة العقل والآثار الأخرى ، فإنَّ هذه وغيرها تدخل في نظام منهج التفسير وآنذاك لا مناص ولا مفرّ للمفسِّر من معرفة قاعدة مراتب الحجية للقرآن ، فإنَّها قاعدة لا غِنى للمفسِّر عنها ، وتزِن الباحث في التفسير المقارنة والموازاة والمحاذاة بين مرتبة حجية القرآن وبين مرتبة حجية غيره ، ويكون أمام المفسِّر منابع معرفية متعددة حين الولوج في خِضمِّ سيرة التفسير ، وحيث تتعدد المنابع المعرفية لدى المفسر فيجب عليه إِنَّ يلتفت إلى مراتب حجية هذه المنابع والمنافع وأدوارها ويكون لبعضها درجة فوقانية وأخرى تحتانية ، ويُعمل ميزان التقديم والتأخير على وفق ضوابط وموازين معينة وإلاَّ لكان هناك شوب الاختلاط بين المراتب .

وبالتالي فإنَّ بحث هذه القاعدة يُعطي مَدَى أهمية درجات الحجية للقرآن الكريم ، ومن ثمّ مَدَى موازنة القرآن مع الحجج الأخرى ، ومنه سيتضح إِنَّ القرآن الكريم ذو منازل ومراتب ومواقع ، وليس هذا فقط في صفة مراتب حجية القرآن وإنَّما في سائر صفات القرآن بحسب منازله ومقاماته .

ثمّ إِنَّ الإرباك الذي يحصل عند جملة من المفسِّرين سببه الخلط في درجات أو صفات الحجية بين مقام وآخر وعدم وضوح الصورة لدى بعضهم في منشأ حجية القرآن بالقياس إلى الحجج الأخرى واعطاء ما لهذه الطبقة لغيرها وبالعكس ، ممّا يسبب الكثير والمزيد من التشويش .

ثالثاً : إِنَّ البحث في قاعدة مراتب القرآن له تأثير بنيوي على المنهج التفسيري الذي يختاره ويعتمده المفسِّر .

والبحث في هذه القاعدة يقع في جهات

[الحجيّة ذات انواع وأقسام]

الجهة الأولى :

إِنَّ الحجية ذات أنواع وأقسام تصل إلى ما فوق العقل لنعرف حجية القرآن من أي قسم من هذه الأقسام ، وبحسب اختلاف أقسام الحجية اختلفت العلوم بغض النظر عن بحثنا في حجية القرآن المجيد كالتالي :

١ ـ حجية اليقين

٢ ـ حجية الظن

٣ ـ حجية الحس

٤ ـ حجية و حيانية .

وإِنَّ نفس هذه المراتب من الحجية هي على طبقات ومراتب ، فإِنَّ اليقين مثلاً على مراتب وهكذا حجية الظن والحس فإِنَّهما على مراتب .

. . . وذلك باعتبار انقسام القضية أنيقينية إلى بديهية ونظرية كسبية تنتهي لا محالة إلى البديهيات ، فالبديهيات ـ إذن ـ هي اصول اليقينيات وهي على انواع بحكم إلى الاستقراء .

١ ـ أولويات .

٢ ـ ومشاهدات .

٣ـ وتجريبيات .

٤ ـ ومتواترات .

٥ ـ وحدسيات .

٦ ـ وفطريات[1]

وكل واحد من هذه الأصول أيضاً هو على أقسام ومراتب .

والغرض من ذكر هذا هو لأجل بيان إنَّ هناك يقين للحس ، وليس الحس هو كل اليقين ؛ لأنَّ الحس محدود المدى ، ولذا يعبرون دائماً بتعبير ما وراء الحس اي إنَّ آلية مجهر الحس سواء السمع أو البصر أو الشم أو الذوق أو اللمس أو غيرها ، لا تحسها الحواس فإنَّ كثيراً من الروائح لا تشمها ، وكثير من المبصرات لا نبصرها أي لا تستطيع شحمة العين أبصارها ولا غضروف الأنف أن يشمها .

نعم هناك شيء وراء درجات الحس لكل مخلوق كما وَرَدَ في دعاء السمات [. . . فوق احساس الكروبين] فإنَّ درجة الإحساس عند هذا الخلق العظيم وهم الكروبيون عظيمة لا يعلمها إلاَّ الله عَزَّ وجَلَّ ، ثم درجة [فوق غمائم النور] فإنَّها درجة أخرى من الإحساس ليست مقصورة على النور الحسي ، وإنَّما هناك درجات من الحس وأشعة تكتشف وتكشف عن كل شيء إلاَّ تكليم الله لموسىعليه السلام فهي غير قادرة على اكتشافه مثلاً .

إذن درجات وطبقات الحس مختلفة منها حسٌ بحدود طاقة البشر ، ومنها فوق طاقة البشر بطاقات جبّارة وهكذا .

وعليه فإنَّ الإحساس بواسطة الحواس يختلف شدّة ضعفاً بالنسبة للأشياء عند الإنسان ، بل وحتى الحيوان ، فالمرأة مثلاً تشم خلال فترة الحمل ما لا يشمه الأخرون بسبب اشتداد حاسة الشم خلال فترة حملها .

---

(١) المنطق للشيخ المظفر.

وإذا مَرَض الإنسان فإنَّه يستذوق أشياء لا يستذوقها ولا يشعر بطعمها الأصحاء وهكذا الحيوان ، فحاسة الشم عند الكلب قويّة وبعيدة المدى ، أو سمع بعض الحيوانات يكون أقوى من غيرها ومن البشر وهكذا ، فإنَّ الحس يكون على طبقات ودرجات .

الخلاصة : إِنَّ الحس هو أحد مصادر الحجية وليس كل مصدر ، فمثلاً قوّة الخيال ، وقوّة العقل تدرك أموراً لا يدركها ولا يشعر بها الحس ، بل وتخفى عليه ، ولذا تكون الحجية العقلية أوسع مداراً من الحس ، بل حتى الوهم يدرك أموراً لا يدركها ألحس ـ وليس المقصود من الوهم هو التوهم والأوهام ـ كما هو المعروف ـ وإنَّما المقصود من الوهم أي ما بين العالم الجسماني والعالم العقلي يعبر عنه وهمٌ .

وهكذا الحُبُ والكراهة فإنَّها شعور باطني لا تدرك بآليات الحس من البصر والسمع والشم وغيرها ، مع أنها موجودة باليقين .

وعلى هذا فإنَّ حجية الحس محدودة ، فوقها حجية قوّة الخيال ، ثم حجية الوهم التي تدرك الحب والبغض ، وليس هذا مختصاً بالبشر ، بل يتعدى إلى الحيوانات ولا تقتصر الحيوانات على قوّة الحس فقط ، وإنَّما عندها القوّة الواهمة ، وقوّة الخيال أو غير ذلك .

كما وينبغي الإشارة الى قسم آخر من أقسام الحجية ألاَّ وهو :

[الحجيّة الوحيانيّة]

إِنَّ الحُجيّة الوحيانيّة أعظم من الحُجيّة العقلية ، بل وأعظم من إِنَّ تصادمها الحُجيّة العقلية ، وهي فوق العقل ، فقد يتوهم مَن يجعل العقل البشري

هو الحاكم والرئيس ، وقد يقال عنها ـ الحُجيّة الوحيانيّة ـ بالعقل الوحياني مقابل حُجيّة العقل البشري .

نعم حجة العقل فوق حجة الحس ، بدليل إِنَّك تجزم وتؤمن بوجود أشياء يدركها العقل ولا يدركها الحسِّ ، فمثلاً نفترض وجود معادلات فيزيائية غير مرئية تتحكم في المادّة ومهيمنة عليها يُدركها العقل ، وما يدرك بالعقل يهيمن على ما يدرك بالحس ، والعقل آلةٌ للإدراك ، ومع ذلك فإنَّ كلاً من العقل والحسِّ حجةٌ وهذا لا يُنافى الطبقات وهيمنة بعض على البعض ، كذلك لا يعني وجود الطبقات والدرجات والمراتب وجود مصادمة ، نعم يمكن تحقق التنافي والتعارض والتصادم في الطبقة الواحِدَة ، مضافاً الى وجود التنافي بينهما ، بخلاف ما إذا كانت هناك طبقات طوليه فأين يحصل التنافي إذا كانت كل طبقة مستقلة ولها ضوابطها الخاصة بها ومَن ادّعى وجود التنافي في حالة وجود الطبقات فقد توهم .

[الحُجيّة الأعلى لا تلغي دور الحُجيّة الأدنى]

إِنَّ وجود حُجيّة أعلى من حُجيّة العقل البشري ألاَّ وهو الحُجيّة الوحيانيّة ، لا يعني تهميش وإلغاء حُجيّة العقل البشري التي هي أدون من حُجيّة الوحي ، فإِنَّ ألأدون حجة في طبقته ، ولا تُسلَب حجية ألأدون مع وجود حجية الأعلى ، نعم لا تصل النوبة الى حُجيّة ألأدون مع وجود حُجيّة الأعلى وإنَّما كل طبقة لها مجالها وموردها ومساحتها ، والفوقي فوقيٌ فمثلاً حُجيّة العقل أعلى طبقة من حُجيّة الحس ، فلا يعني هذا الغاء حُجيّة العقل لحُجيّة الحس مادام العقل فوق الحسِّ ومهيمناً عليها ، نعم غاية الأمر إِنَّ العقل ينظم لا إِنَّ يلغي حُجيّة الحسِّ .

كذلك الحُجيّة الوحيانيّة عندما تكون مهيمنة على العقل البشري ليس معناه الغاء حُجيّة العقل البشري المحدودة ، فإنَّ الوحي يُنَظِم ويُرشِد ويُعَلِّم العَقلَ البشري .

[مراتب حجية القرآن]

أولاً : لا يخفى إِنَّ دلالات المصحف الشريف تنقسم إلى محكم ومتشابه ، وقد تقدم المتشابه على معانٍ وإِنَّه لا حجية للمتشابه إلا بالمحكم .

ثانياً : تقدّم إِنَّ المحكم على مراتب ودرجات و إِنَّ المحكم و إِنَّ كان حجة في نفسه إلّاَ إِنَّه تبع بالحُجيّة للمحكم الفوقي .

ثالثاً : أيضاً قد تقرر في علم الأصول إِنَّ ظهور الدلالات القرآنية على مراتب منها ظني ومنها قطعي الدلالة ، كما إِنَّ كلاً منهما على مراتب فالظهور الظني منه ما هو صريح ومنه ما هو ظاهر بقوة ، ومنه ما هو ظهور اعتيادي ، كما إِنَّ قطعي الدلالة منه ما هو نصٌ ، ومنه ما هو آبٍ عن التأويل ، ومنه ما هو آبٍ عن التخصيص والتقيد .

رابعاً : إِنَّ من الآيات ما هو منسوخ الحكم ، ومنه ما هو ناسخ إلى غير ذلك من التقسيمات المذكورة بالرواية عن أمير المؤمنين عليه السلام المعروفة برواية النعماني المتقدمة في المحكم والمتشابه ، والمعروفة أيضاً برواية المحكم والمتشابه .

خامساً : إِنَّ المحكم القرآني منه ما هو في العقائد ومنه ما هو في الأصول الأخلاقية ومنه ما هو في أصول قواعد التشريع في الفروع وبمقتضى إِنَّ الثوابت العقائدية حاكمة على الثوابت الأخلاقية والثوابت الأخلاقية حاكمة على ثوابت

التشريع والفروع يتبين إِنَّ أحكام المحكم مرتبط أيضاً بمراتب المضمون .

سادساً : ومن كل ذلك يبيّن إِنَّ مراتب حُجيّة دلالات القرآن على درجات وهذا كله في نظام دلالات والفاظ القرآن ، وهو في قبال معاني القرآن وحقائق القرآن .

سابعاً : قد تبين من النقطة الخامسة المتقدمة إِنَّ نظام المعاني هو الآخر على مراتب في الحجية ومراتب في الأحكام والهيمنة .

ثامناً : إِنَّ نظام الحقائق في القرآن كما سيأتي ، وكما تقدمت بعض الاشارات له باعتبار ما للقرآن من منازل تكوينية هو أيضاً على طبقات هيمنة وأحكاماً .

تاسعاً : ومن كل النقاط المتقدمة يتبين إِنَّ حُجيّة القرآن هي على مراتب سواء في نظام الاستعمال اللفظي أو نظام المعاني أو نظام الحقائق ، كما إِنَّ الأنظمة الثلاثة هي أيضاً الحقائق مهيمنة على المعاني والمعاني مهيمنة على الالفاظ ثبوتاً وإن كان الإثبات عكس ذلك احرازاً واستكشافاً لكنه لا يتنافى مع الثبوت .

[الجهة الثانية :ـ حُجيّة القرآن ذات درجات ـ]
[آثار الحُجيّة مختلفة]

عندما ينتهي بنا البحث إلى أَنَّ للقرآن الكريم مراتب في الحُجيّة ، و إِنَّ الحجج ليست على درجة واحدةٍ من الحُجيّة ، إذن الحجية للقرآن الكريم هي بلحاظ نفس مراتب القرآن . وهذا الأمر حساس وله عدّة معاني أكدت عليها مدرسة أهل البيت ، عكس المدارس الإسلامية الأخرى التي لم تؤكد عليها ، ولها ثمرة مهمة حاصلها :

إِنَّ معنى الحُجيّة معنى مُشَكَك معناه وجود قوّة وضعف في الحُجيّة ، فإِنَّ بعض الحجج اقوى من غيرها ، وبالتالي فإِنَّ الحجج ليست على درجة واحِدَة ، وإنَّما على درجات ، مما يُفضي هذا الأمر بالأخير إلى إِنَّ آثار الحُجيّة تختلف من مرتبة إلى أخرى ، لأنَّ آثار الحجة الأقوى أكثر تأثيراً من آثار الحجة الوسطى ، وآثار الحجة الوسطى أكثر تأثيراً من الحجة الأدنى وهكذا ، فمثلاً مفهوم العدالة كلما ازدادت درجتها كلّما اختلفت آثارها ، و إِنَّ كانت هناك درجة معينة ونقطة بداية وسطح تبدأ به العدالة ، إلاَّ إِنَّ العدالة على درجات وبالتالي فإِنَّ درجاتها تختلف من درجة إلى أخرى ، فالعدالة التي لدى الفرد العادي في ممارسات سلوكياته الفردية يحتاج إلى قوّة ماسكة عن الحرام مثلاً ، أو قوّة يسيره باعثة إلى الطاعات ، تختلف عن العدالة لدى ربّ أسرة صغيرة ، فإنَّه يحتاج إلى موازنة في الأفعال يستقم بها هو ومَن معه ، وهنا ازداد حجم المسؤولية فازداد العبء بحيث احتاج إلى درجة من القوّة الماسكة عن الحرام ، أو القوّة الباعثة على الطاعة أكثر فأكثر ، وهكذا كلّما تزداد مسؤولية الإنسان ، فإنَّ دائرة ادارة الإنسان وهي العدالة التي يحتاجها تكون أشد وأقوى وأصعب ، بما يتناسب وحجم المسؤولية وبالتالي فإنَّ آثارها تكون أكبر .

فالعدالة إذا وصلت إلى كل المجالات لا تبقى العدالةُ عدالةً وإنَّما تنقلب إلى عصمة ، فإنَّ الشخص الذي يكون عادلاً أي صورة وبحسب الظاهر عادلاً ، لأنَّ الإنسان العادي لا يعلم بكل موارد الحرمة ، لا أقل من جهة موضوعية فإنَّه لا يُلِّمُ بالموضوعات ، وبالتالي يرتطم بالحرام من حيث يعلم أو لا يعلم ، أو مِن جهة نظرية فإنَّه لا يُلِّمُ وبكل الاحكام إلاَّ الرسول ﷺ وأوصياؤه .

ولذا فإنَّ العادل من جهة نظرية وجهة موضوعيّة بقول مطلق هو الله ورُسُلة وأنبياءه وأوصياؤه ، وما عداهم فعدالتهم عدالةٌ صورية ونسبيّة وبحسب الظاهر ، وكلما تقوى العدالة وتشتد تختلف آثارها ، وهي على طبقات ودرجات وبالأخير تكون الحجية على درجات .

وهناك درجة تبدأ منها الحُجيّة ، ولا يمكن جعل وحصر الحُجيّة في درجة ومقياس واحد وإنَّما لها مقاييس ، نظير اختلاف المصابيح في قوّتها فبعضها قوّته (٤٠) وحدة كهربائية والآخر (٦٠) وحدة كهربائية وثالث (١٠٠) وحدة كهربائية وهكذا وإِنَّ كان يصدق على الجميع مصباح لكن درجة الإنارة والإصباح فيه مختلفة ، كذلك الحُجيّة هي على طبقات ودرجات ممّا ينجم بالتالي اختلاف آثار الحجيّة .

ولذا فإنَّ جملة من جهابذة المفسِّرين وقعوا في خلط واشتباه نتيجة عدم مراعاة هذه القاعدة المهمة وهي قاعدة صفة مراتب حجيّة القرآن ، وكأنهم يجعلون القرآن كله ذو درجة واحِدَةٍ من الحُجيّة ، فإنَّ صفة بعض درجات الحُجيّة التي تذكر في الآيات للقرآن الكريم وهي ليست لجميع مراتب القرآن الكريم وإنَّما لبعضها كالمراتب العُليا من القرآن .

وإِنَّ كانت كل مراتب القرآن لا حجية إلاَّ إنَّها ليست بدرجة واحِدَة من مراتب درجات الحُجيّة .

[قدسية وعظمة القرآن على مراتب]

مما تقدّم يُعلَم إِنَّ قدسية وعظمة القرآن الكريم تختلف شِدَّةً وضعفاً ، وإِنَّ كانت كل مراتب القرآن الكريم مقدّسة وعظيمة ومجيدة إلاَّ إِنَّ هناك عظيم

وهناك أعظم ، ومجيد وأمجد ، مما تُنبئ عن إِنَّ قدسية وعظمة القرآن لها مراتب ومنازل بنفس مراتب ومنازل القرآن الكريم نفسه ، وهذا ما أكّدت عليه مدرسة أهل البيت بخلاف المدارس الإسلاميّة الأخرى التي وقعت في الخلط والاشتباه والتخبط نتيجة عدم مراعاة جعل الحجية على مراتب .

ومن أحد أهم الثمار المهمة لهذه القاعدة والتي ستتضح أكثر من خلال البحث ، إِنَّه إذا علمنا إِنَّ للقرآن مراتب حجية بحسب مراتب ومنازل القرآن فسوف ننفتح على قاعدة لاحقة تأتي في النظام الثالث ـ إنْ شاء الله تعالى ـ في حقائق القرآن وإِنَّ القرآن ذو منازل ومقامات ويجهل مّن يحسب القرآن ذو حقيقة ومنزلة ودرجة واحدة .

فإِنَّ معرفة قاعدة إِنَّ القرآن ذو منازل ومقامات ودرجات في الحقائق هي من أولويات وضروريات فهم القرآن الكريم كما سيأتي في نظام حقائق القرآن ، ووجه ضرورتها في تفسير القرآن باعتبار أن لكل درجة لها آثارها المترتبة عليها ، فإذا ما ميّزنا بين مراتبه يحصل خلط بين آثار كل مرتبة مع الأخرى .

إذن القرآن الكريم يشتمل على مراتب من الحُجيّة وليست مرتبة واحدةً ، وإِنَّ المرتبة العليا منه ـ كما سوف يتضح أكثر من خلال عرض مباحث القاعدة ـ هي المرتبة الوحيانية فإِنَّها ذات شأن عظيم ولها آثار في الحُجيّة الوحيانية عظيمة ، وهناك طبقات أخرى من القرآن بمثابة الحدود الهامشية التي تحيط بالقرآن نظير القراءات ، فإِنَّ مرتبتها من الحُجيّة هو مرتبة ظنية ، وهذا الظن بعضه معتبر والآخر غير معتبر ، وبعض درجات القرآن حسيّة وبعضها وبعضها .

إذن لا يمكن إِنَّ نزن أو نصف طبقات القرآن الكريم على نسق واحد في صفة الحُجيّة .

[الحديث عن مراتب الحُجيّة في القرآن الكريم ليس ترفاً فكرياً]

إِنَّ قاعدة صفة حُجيّة القرآن تبين مدى درجة عظمة وعلو و موقعية القرآن الكريم ، وعليه فإنَّ الكلام والبحث عن نمط ومراتب حجيّة القرآن ليس من نافلة القول أو فضول الكلام ، أو من باب الترف الفكري ، وإن كان أصل حجية القرآن مفروغ عنها فإنّها أصل الدين ، إلّا أنَّ المعرفة الأكثر والأعمق والأوفر بحُجيّة القرآن يكسب المفسر منها علماً منهجياً أكبر بكيفية تفسير القرآن الكريم وشؤونه وكيفية المناسبة والموازنة بين القرآن الكريم والمصادر الأخرى ، فإن المعرفة الأعمق لها تأثيرها البالغ ، فإذا لم تعرف درجة ومرتبة حُجيّة القرآن الكريم لا تستطيع التعرف على المعادلة والموازنة والمناسبة وكيفية الصلة و الارتباط بين القرآن وبين المنابع والعلوم المعرفية الأخرى إلى المعادلة والعلاقة بين القرآن وبين العلوم التجريبية ، أو بين القرآن وبين القراءة العقلية ، بين القرآن والسُنّة النبويّة ، أو بين القرآن وسنة المعصومين وغيرها من البحوث الملِّحة على المفسِّر إِنَّ يُلمَ بها في بحثه التفسيري ، فإنَّ الكثير من البحوث والشؤون والقواعد التفسيرية في القرآن الكريم تتأثر مباشرة بمعرفة قاعدة درجة وصفة حجية القرآن الكريم ، وإِنَّ هناك فرقاً كبيراً بين نظرة مدرسة أهل البيت حول حجية القرآن وبين المدارس الإسلامية الأخرى فإنَّ الأخيرة رغم تقديسها وتعظيمها للقرآن ، ورفع الكثير منهم شعار حسبنا كتاب الله ، إلاَّ أنَّهم وكما سيأتي خلال البحث وبشكل تدقيقي وتحقيقي لا يعطون للقرآن الدرجة العظيمة العالية من الحُجيّة ، كالدرجة التي يوليها ويعطيها أهل البيت للقرآن الكريم بل وللكتب السماوية الأخرى .

[أهل البيت وتعظيمهم للكتب السماوية]

وهنا نقاط :

أولاً :

إِنَّ أهل البيت يعظمون الكتب السماوية كالتوراة والإنجيل والزبور والصحف فضلاً عن القرآن أشدّ تعظيم ، فإنَّهم يعظّمون الإنجيل غير المحُرّف أشدّ من تعظيم أهل الإنجيل للإنجيل ، ويعظمون التوراة غير المحرّفة أشدّ من تعظيم اليهود للتوراة وهكذا وليس هذا مجرد شعار ترفعه مدرسة أهل البيت بل له مصاديق برهانية ميدانية عندهم فإنَّ من خصائص مدرسة أهل البيت تعظيم الأنبياء والرسل أكثر من تعظيم أتباعهم لهم ، بدليل إِنَّ أكثر أتباع الأنبياء يلصقون بالأنبياء عثرات ومثالب وأهل البيت يقومون بنفيها وردّها عنهم حتى في التوراة والإنجيل .

ولا زالت سيرة أئمة أهل البيت على الاحتجاج بالتوراة والإنجيل والزبور على أهل الكتاب كما هو منطق القرآن الاحتجاج بها على أهل الكتاب ، ولاريب إِنَّه احتجاجٌ بالقسم الوحياني من الكتب السماوية لا الجزء المحرَّف البشري .

وهناك رواية ذكر الصدوق‏ في عيون أخبار الرضا‏عليه السلام ب ١٢ ص (١٢٤) في ذكر مجلس الرضا‏عليه السلام مع أهل الأديان وأصحاب المقالات في التوحيد عند المأمون . . التفت المأمون إلى جاثليق عنده فقال له يا جاثليق هذا أبن عمي علي بن موسى بن جعفر وهو من ولد فاطمة بنت نبينا وابن علي بن أبي طالب صلوات الله عليهم فأحِب إِنَّ تكلمه أو تحاجه وتنصفه . . . **فقال : له الرضا‏عليه السلام يا نصراني فإنَّ احتججتُ عليك بإنجيلك أتقرُّ به ؟** قال الجاثليق :

وهل أقدر على رفع ما نطق الإنجيل . . . **فقال له الرضاعليه السلام سل ما بدا لك واسمع الجواب** فقال الجاثليق ما تقول في نبوة عيسى وكتابه هل تنكر منها شيئاً ؟ **قال الرضاعليه السلام أنا مُقرٌ بنبوة عيسى وكتابه وما بشر به أمته وأقرّت به الحواريون وكافر بنبوة كل عيسى لم يُقر بنبوة محمدصلى الله عليه وآله وبكتابه ولم يبشر به أمته . . . قال الرضاعليه السلام يا جاثليق ألا تخبرني عن الإنجيل الأول حين افتقدتموه عند مَن وجدتموه ومَن وضع لكم هذا الإنجيل** ؟ فقال له : ما افتقدنا الإنجيل إلاَّ يوماً واحد حتى وجدناه غضاً طرياً فأخرجه الينا يوحنا ومَتَّى **قال له الرضاعليه السلام: ما اقل معرفتك بسنن الإنجيل وعلمائه . . . فقال الرضاعليه السلام للجاثليق أسألك ولست أقبل منك حجة إلاَّ من التوراة أو من الإنجيل أو من زبور داوود أو بما في صحف إبراهيم وموسىعليهما السلام .**

قال الرضاعليه السلام : لا تقبل مني حجة إلاَّ بما تنطق به التوراة على لسان موسى بن عمران والإنجيل على لسان عيسى بن مريم والزبور على لسان داوود .

بتقريب : إِنَّ الإمام الرضاعليه السلام بيَّن أن النصارى وعلماء اليهود في حوار له مع هؤلاء كيف إِنَّهم يُفرّطون في قدميّة التوراة والإنجيل ، وإِنَّهم اليهود النصارى لا يتعاطون معهما كتعاطي كتاب الهي نازل من السماء هذه هي أزمة أتباع الأنبياء مع الانبياء في كتبهم ، بل وحتى أزمة المدارس الإسلامية من غير مدرسة أهل البيت مع القرآن ، فإنَّهم يتعاطون مع الكتب السماوية ـ لا من كل الزوايا وإِنَّما من بعضها ـ إِنَّها ككتاب بشري ، وربّما حتى بعض مفسِّري الخاصة فإِنَّه لا يُبدي للقرآن درجة من الاعتبار والعظمة والأهمية ، بدرجة اعتبار وتعظيم وتقديس أهل البيت للقرآن .

وهذا هو ما عليه علماء الأمامية ، بخلاف مَن يرفع شعار حسبنا كتاب الله مثلاً ، أو تفسير القرآن بالقرآن أو غيره وإِنَّه ـ القرآن ـ هو الأصل لا غير ، وإِنَّ كان هو شعاراً ظاهره تعظيماً للقرآن ، إلاَّ إِنَّ باطنه يحتوى على نوع حطّ من درجة حجية القرآن ، وذلك ببيان :

ثانياً :

وإِنَّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله بيّن موقعية حجية القرآن ودرجة اعتباره ، بأنَّ القرآن معه صلى الله عليه وآله ومع عترته وأنَّهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض ، ويعتبر هذا من اعظم اوصاف ودرجات القرآن الكريم كما يبيّن القرآن الكريم **ذلك في عدَّة مواضع منه :**

منها في قوله تعالى : ﴿**وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ**﴾[(١)]

ومنها قوله تعالى : ﴿**بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ**﴾[(٢)]

ومنها قوله تعالى : ﴿**فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ * لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ**﴾[(٣)] وغير ذلك من الآيات القرآنية .

فإِنَّ اقتران القرآن مع العترة وعدم افتراقه هو إعلاء من درجة حجية القرآن وهذا ما تذهب اليه مدرسة أهل البيت بينما الذين يذهبون إلى رفع شعار التفرُّد بالقرآن وحسبنا كتاب الله ويريدون التمسك بالقرآن منفرداً ومِن دون الثِقل الأخر وهم عترة النبي صلى الله عليه وآله كمنهج أو مصدر في أي لون من الوان التعاطي مع القرآن ، فإِنَّ هذا يُعتَبر . . حَطٌّ من عظمة الكتاب الإلهي القرآن الكريم .

---

(١) سورة آل عمران: الآية (٧).

(٢) سورة العنكبوت: الآية (٤٩).

(٣) سورة الواقعة: الآيات (٧٨) و(٧٩).

ثالثاً :

وبالتالي فإنَّ سنخ ونمط حجيّة القرآن عند القرآن وأهل البيت يختلف عن سنخ ونمط ما عليه المدارس الإسلامية البشرية الأخرى ، فإنَّ جميع الكتب السماوية الإلهية من القرآن والإنجيل والتوراة والزبور والصحف ـ أي صحف آدم عليه السلام وصحف إبراهيم عليه السلام وصحف موسى عليه السلام ـ لا يكون المعلّم لها إلاَّ معلماً إلهياً إذ لو كان باستطاعة البشر إنَّ يفهم تلك الكتب الإلهية السماوية ويتعلم اسرارها من دون مُعلِّم إلهي لما أصبحت كُتباً سماوية ، بل يكون تمام ما في هذه الكتب من نتائج وهي من صنع وتعليم البشر .

إلاَّ إِنَّ الواقع خلافه فهؤلاء اليهود والنصارى وغيرهم أقرّوا وأذعنوا بأنّهم لا يستطيعون الوقوف على تمام حقائق هذه الكتب إلاَّ مِن خلال مُعَلِّم إلهي كنبي من أنبياء الله تعالى ، أو وصي من الأوصياء ، وهنا سوف تختلف المعرفة للكتب السماوية كالتوراة والإنجيل وغيرها ، وتكون بشكل أعمق وأعظم من تلك المعرفة أو النظرة التي في متناول القدرة البشرية وحدودها العادية .

[طرفا الكتاب السماوي طرف منه عند الناس وطرف منه عند الله]

رابعاً :

فإذا قصرنا النظر على المعلِّم البشري وحسبنا كتاب الله ، فهذا معناه إِنَّ البشر نظر إلى الدرجة الهابطة والنازلة من درجات الحجيّة فإنَّ كل الكتب السماوية فيها درجة نازلة ، ولذلك سُميت بالكتب النازلة من الله عَزَّ وجَلَّ ، فإنَّه لو كانت فقط كتباً صاعِدة وفيها جنبة علو لما كان باستطاعة عادي البشر التعاطي معها .

كما أشار إلى ذلك النبي الأكرمﷺ « **القرآن حبل ممدود طرف منه عند الناس وطرف منه عند الله** » إذ لو كانت كل أطراف الحبل عند البشر لما استطاعوا معرفة حقيقة القرآن ، بخلاف ما إذا قلنا إِنَّ المُعلّم لها ولأسرارها إلهي فإنَّه يبين إِنَّ للقرآن مراتب ودرجات في الحجيّة .

إذن يرسم القرآن لنا في جملة من آياته وسوره مراتباً لحجية القرآن الكريم ، وللكتب السماوية المنزلة في قوس الصعود ، كما يرسم لها درجات للحجية في قوس النزول فالقرآن الكريم يبين الدرجات العالية والصاعدة وكذا الرسولﷺ يبينها إلى إِنَّ تبلغ الحُجيّة الإلهية ومقام العندية طرفٌ منه عند الله أي مقام تلك الحجّية والقدسية و الاعتبار هو عند الله ، وهذه الدرجة من الوجود والاعتبار فوق العقل وفوق النور وطرفٌ آخر وصل إلى الناس ولكن بنحو أقرأ وإرق ، وعليه فإنَّ القرآن الكريم والكتب السماوية الأخرى ليست حبلٌ غير ممدود ، أو حبلٌ له طرف واحدٌ في السماء فقط ، وإنَّما حبلٌ ممدود فيه درجات حجيّة علوية ، وفيه درجات هابطة ونازلة بيد البشر ، فالقرآن ذو بعدين بقوله بعدٌ عالي وبعد نازل ونازل متباشر مع أيدي الناس بلغهم ووصلهم هذا الطرف عن طريق الأنبياء والمرسلين الذين هم حجج الله عَزَّ وجَلَّ .

إذن كل من القرآن والحديث النبوي المتواتر العظيم وهو حديث الثقلين يرسمان للقرآن وللكتب السماوية الإلهية الأخرى درجات من الحُجيّة وليست درجة واحدَةَ ، إلاَّ إِنَّ المشكلة والأزمة التي تواجه اتباع الشرائع السماوية السابقة والتي لا زالت موجودة عند الكثير من المدارس الإسلامية عدا مدرسة أهل البيت من أنهم يرسمون للكتب السماوية وللقرآن الكريم درجات بشرية فقط ،

بأنَّ يصورون جانب النزول ، فقط ويكتفي قائلهم بـ [حسبنا كتاب الله] وإِنَّ نفس هذه المقولة التي رفعها بعضهم بألوان وقوالب أخرى تعني إِنَّ القرآن كله بيان ونورٌ ، وكُلّه في مُكنّة البشر ، لكنهم تناسَوا إِنَّ نفس القرآن يصف نفسه وإِنَّ بعض آياته فيها تشابه ومتشابه ﴿**مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ**﴾(١)

إلاَّ أنَّه لا يمكن الالتزام بمثل هكذا شعار ومنهج ، لأنَّ فيه أو لازمه انزال لدرجات القرآن الكريم ، وأنَّه له طرف واحد فقط ، ألاَّ وهو الطرف الموجود عند الناس .

وعليه فإنَّ المفسِّر الذي يضع في مخيلته باديء ذي بدء ، وفي مساره التفسيري ويوميات التفسير ومنازل ومراحل وأدوار التفسير بأنَّ للقرآن طرف واحد نازل وهكذا نفس الكلام بالنسبة إلى الكتب السماوية النازلة الأخرى كالتوراة والإنجيل والصحف وغيرها فإنَّه لم يصل إلى أسرار القرآن وأسرار تلك الكتب السماوية ، لأنَّه ليس بمقدور كل البشر الوصول إلى أسرار القرآن ، بل وأتباع الكتب السماوية الأخرى من الوصول إلى اسرارها .

والأمام الرضاعليه السلام بيّن برواية تقدمت في عيون أخبار الرضاعليه السلام باب/ ١٢ تأويلات للتوراة لم يفهمها نفس اليهود لعدم علمهم بتلك التأويلات العميقة للتوراة التي بيَّنها الإمامعليه السلام فإنَّ في التوراة أعماقاً أخفق اليهود في الوصول إليها ، حسباناً منهم أنَّ كل ما في التوراة يستطيعون الوصول اليه وبمقدورهم ذلك ، وكذلك أهل الإنجيل وسائر الكتب والصحف السماوية .

---

(١) سورة آل عمران: الآية (٧).

إذ لو وَصَلَ أتباع الكتب السماوية من التوراة والإنجيل وغيرهما ولو زعماً منهم إلى تلك الأعماق لاهتدوا الى ولاية ونبوة سيد الأنبياءﷺ وولاية أهل البيت .

[ثمرات قاعدة مراتب حجية القرآن]

إنَّ لقاعِدة مراتب حجية القرآن في العقائد والمعارف ثمارٌ عظيمة ومهمة ، رغم بداهتها وإنَّها من أبده البديهيات ولو إجمالاً وإبهاماً ، وإنَّها أم الحجج عند المسلمين ، لكنه تفصيلاً نجد إنَّ مبحث قاعدة مراتب حجية القرآن إنَّها أمرٌ دقيق وعميق وله غورٌ كثير وآثار وثمرات متعددة ، ليست ثمرات على مستوى المنهج التفسيري فحسب ، بل ثمرات حتى في العقائد والمعارف ، وبحوث كثيرة أخرى كان القرآن الكريم هو المصدر الأول للتشريع فيها ، وعليه فإنَّ تأثير درجة الحُجيّة وفائدتها العظيمة هو إنَّها تدخل في كل أبواب الشريعة والدين ، ومن هذا يُعرف إنَّ حُجيّة القرآن ذات درجات ، فمنه حجية ظنية في الدلالة والظهور فيكون من باب القطع الحسي ومنه حجية نصيّة قطعية من باب الظن الحسي ومنه حجيته من المحكمات الوحيانية ، ومنه حجيته من أمهات المحكمات الوحيانية والوحي الصاعد ، ومنه ما يكون روحاً أمرياً أودع في ذات رسول اللهﷺ ومِن بعده في ذات أوصيائه .

الجهة الثالثة [الأقوال والنظريات في قاعدة الحجية للقرآن][1]

نستعرض بعض الأقوال والنظريات في درجة ونمط الحجية للقرآن لدى

---

(١) ينبغي التنبيه على أن هذا المبحث غير مبحث التحريف في التوراة والإنجيل، ويختص كلامنا بالقسم غير المُحرّف منها/ أي كلامنا في التوراة والإنجيل قبل التحريف.

المدارس الإسلامية المختلفة أو لدى أتباع الأديان حول الكتب السماوية ، كأقوال ونظريات اليهود والنصارى وغير ذلك .

القول الأول : إِنَّ أغلب أتباع ومعتنقي الديانات السماوية السابقة لاسيّما اليهود والنصارى ، يزعمون ويُصّرون على إِنَّ ألفاظ الكتب السماوية كالتوراة والإنجيل والزبور وإنَّ كانت مقدسة إلاَّ إِنَّ الفاظها الصوتية أو المنقوشة هي من إنشاء الأنبياء ، ويعتقدون إِنَّ معاني أو حقائق هذه الكتب هي من فعل الله تعالى أو إِنَّها كلام الله عَزَّ وجَلَّ ، فمعتنقوها يعتقدون إِنَّها كتب سماوية وحيانية إلى إِنَّ تصل إلى نفوس الأنبياء ، أي إِنَّ المعاني وحيانية ، أما عندما تصدر من الأنبياء إلى الآخرين فهي ليست وحيانية ، فاليهود والنصارى وغيرهم يعتقدون إِنَّ الوحي ينزل على الأنبياء في وسط الطريق العمودي وتنتهي صفة الوحيانية عند نفس النبي عليه السلام وهنا نهاية القناة الوحيانية ، ثم تتنزل هذه الصفة من المعنى إلى الالفاظ بشرياً من النبي عليه السلام .

ومن ثمَ اعترض الكثير من علماء اليهود والنصارى بمختلف تعبيرات القابهم ـ القساوسة أو البابوات أو الكاردينال أو بطرياك ـ سجَلوا أحد المؤاخذات على وحيانية ألفاظ القرآن واعتقاد المسلمين بوحيانية القرآن ، وإِنَّ الفاظ القرآن من رب العالمين بخلاف ما يعتقدونه اليهود والنصارى بأنَّه نظير الفاظ التوراة والإنجيل في كونها تعبيراً بشرياً من النبي عليه السلام وليست الفاظ وحي من الله .

ولا يخفى ظهور الفرق والثمرة بين المقولتين والرؤيتين ، إذ بناءاً على وحيانية الالفاظ فإِنَّ حجيتها وقدسيتها أعظم من كونها الفاظ بشرية حاكية

للوحي ، وحينئذٍ ستكون لها حجية وقدسية وموضوعية ومدارية ومركزية في مصادر التشرّيع وفي كل أبواب البحوث المعرفية المختلفة ، بخلاف ما يعتقده علماء اليهود والنصارى بالتعاطي مع الكتب السماوية يكون من أنشاء بشر خاصة وإِنَّ اليهود والنصارى لا يعتقدون بالعصمة المطلقة لموسى وعيسى وهذا معناه إِنَّهم يقولون بوجود الزلل والخطأ والخطل عند الأنبياء ـ والعياذ بالله ـ وهذا ما تنفيه مدرسة أهل البيت .

وحينئذٍ يكون الفرق بين تمسك المسلمين بالقرآن وبين تمسك اليهود والنصارى بالتوراة والإنجيل ، إِنَّ تمسك المسلمين بألفاظ القرآن كألفاظ وحي إلهية ، فكما إِنَّ حقائق القرآن وحيانية وطبقات معانيه وحيانية ، فألفاظه كذلك وحيانيّة . ولذا كان تمسك المسلمين بالقرآن وإِنَّه حجة في كل باب على نحو التفصيل ، ولا يجوز مخالفته ، ومَن خالفه يستحق العقاب لأنه من الله عَزَّ وجَلَّ .

بخلاف ، نحو تمسك اليهود والنصارى بالتوراة والإنجيل ، فإِنَّه تمسكٌ بإجمال معاني التوراة والإنجيل ، ولا يتمسكون بالتفاصيل بالدقة فيهما ، لأَنَّه بالتالي حسب ما يعتقدون به اليهود والنصارى ـ من إنَّشاء بشر وإِنَّ كانت المعاني وحيانية إلهية ، ولا يعتقدون بالعصمة المطلقة لأنبيائهم وعلى هذا لا يوجد مُلزم بالإتيان بالعمل وامتثال الأوامر وترك النواهي ، وأن تلك الأوامر المودعة في التوراة والإنجيل حجةٌ في الحجة

[استعراض القرآن لبعض مقطوعات التوراة والإنجيل والزبور وغيرها]

إِنَّ نفس القرآن الكريم يستعرض وفي سور متعددة مقطوعات من التوراة

والإنجيل والزبور والصحف وغيرها ، فمثلاً ما يستعرضه القرآن في سورة المائدة ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾(١) و ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الكَافِرُونَ * وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالعَيْنَ بِالعَيْنِ وَالأَنْفَ بِالأَنْفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ * وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾[٢]

وقوله تعالى ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ المُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾[٣]وقوله تعالى : ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الأُولَى * صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾[٤] .

وقوله تعالى : ﴿وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الأُولَى﴾[٥]وغيرها من آيات القرآن اذن القرآن الكريم حافلٌ بجملة من

---

(١) سورة الأنبياء: الآية (١٠٥).

(٢) سورة المائدة: الآيات (٤٤) الى (٤٦).

(٣) سورة الأعراف: الآية (١٥٧).

(٤) سورة الأعلى: الآيات (١٨) و(١٩).

(٥) سورة طه: الآية (١٣٣).

مقطوعات كتب الأنبياء والمرسلين السابقين من بيان أحداث وتشريع أحكام وغير ذلك .

ونسلط الأضواء في كلامنا على إِنَّ هذه المقطوعات التي استعرضها القران الكريم للكتب السماوية السابقة من التوراة والإنجيل ، والصحف وغيرها ، هل هي مِن إِنَّشاء الأنبياء السابقين أي هل إِنَّهم تلقوا المعاني فقط من الله عَزَّ وجَلَّ وكان إِنَّشاء الفاظها الصوتية المنقوش بها تلك الكتب السماوية من التوراة والإنجيل والزبور والصحف ؟ أم إِنَّهم تَلَقّوا الألفاظ مع معانيها كاملة من الله تعالى وانهم صلوات الله عليهم مرآة شفافة خالية من أي شائبة في انعكاس الوحي الإلهي ، وكان أحد أدوارهم الوساطة وفي النقل بين الخالق والمخلوق وكأنما هذا القول في درجة صفة حجية القرآن والكتب السماوية الأخرى عند اتباعها إِنَّ حجيتها شبيهة بحجية النقل بالمعنى ، علماً إِنَّ النقل بكلا قسميه ـ سواء بالمعنى أو الألفاظ مع معانيها ـ موجود في مصطلحات علم الحديث ، وإِنَّ حجية الثقل بالمعنى دون حجّية الثقل بالألفاظ مرتبةً ، وقد اتبع هذا القول بعض العلمانيين أو الحداثويين والمثقفين من المسلمين المقلدين للغرب في القرآن الكريم وتبنوا النقل بالمعنى ـ والعياذ بالله ـ وإِنَّ ألفاظ القرآن هي من إِنَّشاء النبيﷺ وبالتالي فإِنَّ حجية إيصال الكتب السماوية إلى الأجيال اللاحقة عن طريق الحس والتواتر إلاَّ إِنَّ الصحيح هو إِنَّ الأصل في الكتب السماوية هي الفاظ الهيّة .

[قول المدارس الإسلامية الأخرى في صفة حجيّة القرآن الكريم]

القول الثاني : إِنَّ الفاظ القرآن الكريم هي وحيٌ من الله عَزَّ وجَلَّ نزولاً أي إِنَّ نزول القرآن على النبيﷺ حجيته وحيانية عموداً ، أما بقاؤهُ أفقياً

واستمراره فهو حسيٌ وليس بوحياني فإذا أردنا إِنَّ نرسم خارطة السماء والأرض فلابُدَّ إِنَّ نصوِّر نزول القرآن على النبيﷺ وحياني وبطريق عمودي ، ويكون وصول القرآن للأجيال البشرية اللاحقة أفقياً ، اي يكون ايصال القرآن للأجيال البشرية ليس عبر قناة الوحي ، بل عبر قناة الحس والتواتر ، هذا ما عليه المدارس الإسلامية الأخرى غير مدرسة أهل البيت فسائر مذاهب المسلمين وإِنَّ التزموا بوحيانية الفاظ القرآن فضلاً عن معانيه وإِنَّ الألفاظ الصادرة من النبيﷺ هي الفاظ وحيانية وكلام الله إلاَّ إِنَّ هذه الألفاظ الوحيانية بعد صدورها من رسول اللهﷺ تصل إلى سائر البشر غير المشافهين في محضر رسول اللهﷺ بتوسط الحس القطعي البشري وهو النقل بالتواتر ففي نهاية المطاف يتلون الطريق بالحس القطعي البشري .

[رأي مدرسة أهل البيت في درجة وصفة حُجيّة القرآن]

القول الثالث : إِنَّ صفة ودرجة حُجيّة الفاظ القرآن هي وحيٌ من الله عَزَّ وجَلَّ نزولاً وبقاءاً . وبين هذا القول وسابقه بونٌ كبير . وسيأتي تفصيله .

وبعد استعراض أهم الأقوال في هذه القاعدة ، نذكر بعض المناقشات التي توجه الى اصحاب تلك الأقوال :

[مؤاخذة على القول الثاني]

هناك تساؤل يُوَّجه إلى أصحاب القول الثاني ـ المدارس الإسلامية الأخرى غير مدرسة أهل البيت ـ **حاصلهُ** : إِنَّ العلوم الدينية هل هي علوم نقليّة أم علوم وحيانية أم مجموعهما ؟

الصحيح عند علماء المدارس الإسلامية الأخرى غير مدرسة أهل البيت نزولاً هي وحيانيّة ولكن بقاءاً هي علوم نقليّة .

إلّا إِنَّ الصحيح عند مدرسة أهل البيت : إِنَّ هناك فرقاً بين العلم النقلي والعلم الوحياني فإِنَّ العلم النقلي هو علم حسيٌ ، والعلم الوحياني علمٌ ودرجته أعلى من درجة الحجية العقلية ، فضلاً عن درجة حجية العلم القطعي الحسي وبينهما مسافةً كبيرةً جدّاً ، إذن حجية العلم الوحيانيّ فوق الحجية العقلية إلاَّ إِنَّ هذا لا يعني تهميش دور الحُجيّة العقلية عند وجود طبقة للحجية أعلى وهي طبقة الحُجيّة الوحيانية ، وعلى المفسِّر الفطن والنبه إِنَّ لا تختلط عليه أقسام وأنواع الحُجيّة ، كما تقدّمت الإشارة إلى أقسام الحُجيّة في أوائل بحث قاعدة صفة حجية القرآن الكريم .

وعليه فإِنَّ نول ونوال القرآن هو وحياني ومنه ما يكون وحيانياً بإدراك عقلي أو منه ما يكون و حيانياً بإدراك حسي قطعي وايصاله إلى الأجيال اللاحقة مشتمل على الاقسام الثلاثة لا نقلي حسي قطعي محض وطبقة الحس أقل درجة من طبقة العقل ، وطبقة حجية العقل أقل درجة من طبقة الحُجيّة الوحيانيّة المهيمنة على العقل ، فضلاً عن كون الوحي ذو الطبقات . كما مرَّ

[برهان قرآني وعقلي على ضرورة وجود الحافظ الوحياني للوحي النازل]

أوّلاً تقدّم إِنَّ صفة حجية القرآن الكريم عند المدارس الإسلامية الأخرى غير مدرسة أهل البيت إِنَّ القرآن الكريم وصل إليهم بالتواتر ـ أي النقل الحسي ـ وهذا معناه إِنَّ مستوى الحُجيّة للقرآن عندهم هو اليقين الحسي ، أي إِنَّ مستوى الوثوق بالقرآن الكريم و الاعتماد عليه مرهونٌ ومتولدٌ من التواتر ، وإِنَّ التواتر

عبارة عن جسر وحلقات وطريق يوصلنا إلى جيل الصدر الأول من المسلمين وهم الصحابة ، وهم قد تلقَّوه من الرسول الأكرمﷺ تلقّياً حسياً بينما في مدرسة أهل البيت حجية القرآن وحيانية البقاء ليست بيقين حسي ، علماً إِنَّ جدار حراسة الحس ليس بالسور المنيع لاشتباه الحس في مئات الأنواع من الادراكات كما ثبت ذلك علمياً .

وعليه فكيف تبقى هذه الجوهرة والحقيقة الوحيانية ـ أي القرآن ـ في مَنَعة ومحاطةٌ بجدار مانع وطارد للشيطان والأبالسة من الجن والإنس ، وليس طارداً ومانعاً من الآفات فقط من الجن والإنس والشياطين ، بل ومن فتور الحافظة والتباس الأمور وغيرها من الآفات .

[تعدد أنواع الوحي التي يتلقاها رسول اللهﷺ من الله عَزَّوجَلَ]

ثانياً : إِنَّ تلقي النبيﷺ عن الله عَزَّ وجَلَ لا ينحصر بالتلقي عن جبرئيل عن الله عَزَّ وجَلَ فإِنَّ للنبيﷺ عدَّة أنحاء وأنماط للتلقي الوحياني عن الله عَزَّ وجَلَ كما ذكر ذلك القرآن ﴿**وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ**﴾[1]

وبالتالي فإِنَّ تلّقي النبيﷺ عن الله عَزَّ وجَلَ لا ينحصر بنمط واحد أو نمطين من التلقي الوحياني ، وإِنَّما يُتلّقى بأنماط متعددة من طبقات الوحي والتلّقي الوحياني فإِنَّ المُلقى ايحاءٌ وحياني من الله عَزَّ وجَلَ ، و المُتَلَقى وهو النبي الأكرمﷺ أيضاً عن طريق و حياني .

---

(١) سورة الشورى: الآية: ٥١.

ومِن كل هذا يُعْلم إِنَّ نفس الوحي على طبقات ودرجات[١] في مدرسة أهل البيت أما عند المدارس الإسلامية الأخرى فإنَّ النوبة إذا وصلت إلى ما بعد النبيﷺ فسوف تنغلق لديهم القنوات الوحيانية .

تساؤل : يا ترى هل يَعْلَم أتباع المدارس الإسلامية الأخرى إِنَّ هذه الحقيقة الوحيانية وهي القرآن في المآل والبقاء يحافظ عليها الوحي وحيانياً . والتي نزلت من الملكوت الأعلى

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[٢] .

بتقريب : إِنَّا حافظون له نزولاً أي حدوثاً وإيصالاً الى الناس ، و بقاءاً أو استمراراً وديمومة وليس بمقدور الحس أنَّ يحافظ ويحرس القرآن بدرجة وحيانية ، لأنَّ قدرة الحس محدودة في الحراسة والحفظ ، وإذا كانت كذلك فكيف يستطيع الذب والدفاع عن هذه الجوهرة الوحيانية من الآفات ؟

ولا يكون ذلك إلاَّ عن طريق الإعجاز الوحياني في القرآن أو بمعيّة الحافظية الوحيانية للقرآن من العترة ، هذا مع إِنَّ تلقي النبيﷺ عن الله عَزَّ وجَلَ ، ومِن الواضح أنَّ القدرة الوحيانية أقوى من الحس ، فإنَّ الحس حتى لو كان بالتواتر ، أو حس الصحابة أو غير ذلك ، فليس له قدرة المحافظة والحراسة المنيعة .

وقد ذكر العلماء والباحثون في العلوم المختلفة ومنها العلوم الإنسانيّة ،

---

(١) تعرّض وبسط الكلام الشيخ الأستاذ محمد السند دام عزه لقاعدة أنواع الوحي في كتاب الإمامة الإلهية ج (٢)، ص (٢٥٧) مَن أراد المزيد فليراجع.

(٢) سورة الحجر: الآية (٩).

والعلوم النفسيّة والعلوم العقلية ، والكلامية وغيرها ، إِنَّ الحس له آفات كثيرة في حين إِنَّ الحس هو يقين وحجة ، إلاّ إِنَّ درجة إيقانه ليست من الدرجات اليقينية الصاعِدَة والفوقية والقوية ، وفي نفس الوقت ليس درجة الحس ظنية ، وإنَّما هي درجةٌ محدودة في اليقين وتكون ما بعد هذا الحدّ ظنيةً ، وعليه فكيف يكون بمقدور الحس إِنَّ يَرُدّ آفات الحس أعداء الوحي الذين يذكر أوصافهم القرآن وإِنَّ كانوا ضعفاء ﴿**وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ**﴾[١]

بتقريب : إِنَّه يمكن للشيطان إِنَّ يتعرض إلى الحس ويسحره ويُخادعه ﴿**يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى**﴾[٢] أو في وصف النبي أيوب عليه السلام ﴿**وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ**﴾[٣] وفي وصف ابليس ﴿**إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ**﴾[٤] اي يوجه الشيطان واتباعه سهامه اليكم من حيث لا ترونهم ، إلاَّ إِنَّه ليس بمقدور الحس إِنَّ يمنع ويصد الشيطان واتباعه من التلاعب والخداع والتأثير ، وكذلك الإدراك الحسي إِنَّ يمنع ويصد الشيطان واتباعه ، من التلاعب والخداع والتأثير ، لدى الصحابة والجيل الأول لا يكفي للحراسة الوحيانة ، وإِنَّ كان البعض من المدارس الإسلامية الأخرى تَوهَّم وذهب إلى إِنَّ حسّ الصحابة قناة قويّة وعملاقه تحرس القرآن وبالتالي فإِنَّ حس الصحابة عندهم قناة تحمي الوحي الإلهي ـ القرآن ـ ولازم هذا التصوير انقضاض الشياطين عليهم واعتماد الحس .

---

(١) سورة الشعراء: الآية (١٠و١١).

(٢) سورة طه: الآية (٦٦).

(٣) ص: (٤١).

(٤) سورة الأعراف: الآية (٢٧).

ولكن هل يا ترى يُعقل أن الله عَزَّ وجَلَّ يوكل حفظ وحراسة القرآن والوحي الإلهي إلى الضعفاء ، وإنَّما كان الحارس الوحيد بالدرجة الوحيانية والمحافظ والمدافع عن القرآن كما وصفه القرآن والرسول صلى الله عليه وآله هم العترة الطاهرة آل الرسول صلوات الله عليهم بنص الحديث النبوي والقرآني إِنَّ الأصل والمنبع حديث الثقلين « **إني تارك فيكم الثقلين ، كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبداً وأنهما لما يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض** » .

إِنَّ القرآن والعترة متلازمان ولن يفترقا لا في الجيل الأول ولا الثاني ولا الثالث ولا بقيّة الأجيال ، بل وفي روايات أهل البيت إِنَّ القرآن الكريم إذا رُفِعَ رَفَعَ أهل البيت وإِنَّ أهل البيت إذا رُفعوا رُفِعَ القرآن ؛ لأنَّه لم يكن هناك قرين وعدل وحافظ لهذه الجوهرة الوحيانية ـ القرآن ـ إلاَّ أهل البيت فلو انقطعت هذه الجوهرة الوحيانية ـ لا سامح الله ـ في حلقة أو مرحلة من مراحل أجيال المسلمين ، فإنَّه لم تبقَ بعد ذلك للقرآن وحيانية وتتلاشى إلى يوم القيامة ، فإنَّ المعادلة الكونية لعالم الحس التي ذكرها القرآن في الاختبار الإلهي المستمر إلى يوم القيامة ﴿**إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ**﴾[(١)]

ليس الشيطان فحسب عدوٌ للوحي وإِنَّما هناك أعداءٌ آخرون ذكرهم القرآن الكريم من الإنس والجن كقوله تعالى : ﴿**وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا**﴾[(٢)]

وقوله تعالى : ﴿**وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ**

---

(١) الأعراف: ٢٧

(٢) سورة الأسراء: الآية (٧٤).

يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ﴾[١]

ومن الجن كما أشار اليه في قوله تعالى : ﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾[٢]

ومن النفس كما في قوله تعالى : ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾[٣] بتقريب : إن النفس التي ألهمها الله عَزَّ وجَلَّ فجورها هي العدو اللدود الآخر غير شياطين الإنس أيضاً هي من أعداء الوحي .

ولا نغفل عن ما لدى اليهود والنصارى من نوازع في تحريف التوراة ومثلهم في الأمة الإسلامية منذ الصدر الأوّل فضلاً عمّا بعدهم من الأجيال اللاحقة ، وحَذَّرَنا القرآن الكريم والنبي الأكرم صلى الله عليه وآله من أمثال هؤلاء وإِنَّه سيقع في الأمة سُنَن مَن كان مِن قبلكم في حديث متواتر لدى الفريقين .

ومما لا يخفى على اللبيب وجود جماعة من شياطين الإنس ممّن يحيط بالنبي صلى الله عليه وآله ويحول حوله ويحمل في فكره هكذا نزعات للتحريف وهم من القريبين منه صلى الله عليه وآله ويجسلون تحت منبره ، كالذين حَرَّفوا التوراة والإنجيل وهم من أقرب الناس لموسى وعيسى وممن تتلمذ على يديهما عليهما السلام .

فالنبي الخاتم صلى الله عليه وآله حذّر الأمة من سنن الأمم السابقة حتّى أنّهم لو دخلوا حجر ضب لدخلتموه .

إِنَّ مثل هذه النوازع تكتنف الوحي من أطراف وجهات شتى ، مما يكشف إِنَّ اعداء الوحي كثيرون ، وحَذَّرَ القرآن والنبي صلى الله عليه وآله من كفار قريش

---

(١) سورة المائدة: الآية (٤١).
(٢) سورة الأعراف: الآية (٢٧).
(٣) سورة يوسف: الآية (٥٣).

وإِنَّهم يطمعون إِنَّ تتقوّل عليهم بعض الأقاويل ، وودّوا لو تدهنُ فيدهنون .

ويتلخص من كل ما مرَّ إِنَّه على منهج ورؤية مدرسة أهل البيت هذا إِنَّ الحافظ للوحي والمستودع كتاب الله من شرِّ هؤلاء المحرّفون والأعداء الكُثر هم مَعدِن وحي النبوة ، كما وَرَدَ في زيارة أمير المؤمنين عليه السلام وإِنَّ أحد أوصافه عليه السلام هو الحافظ والمستودع لكتاب الله ، وهكذا أحد أوصاف الأئمة إِنَّهم المستحفظون لكتاب الله ، كما أشارت الى ذلك الآية المباركة ﴿**إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللهِ**﴾[1]

بتقريب : إِنَّ الاستحفاظ المناسب للجوهرة الثمينة المودعة فيه لأبُدَّ وأن يكون وحيانياً ؛ لأنَّ هذا الأمر الوحياني ليس بإمكان قدرة البشر إما تحفظه وتحافظ عليه وتحرسه من حين نزوله الى يوم القيامة بإذن أصل التلقي الوحياني لوحيانية القرآن لم ولن يتمكن من هذا التلقي الوحياني للقرآن إلاَّ النبي صلى الله عليه وآله ومَن تَلّقى عن النبي صلى الله عليه وآله من أهل بيته صلوات الله عليهم أجمعين من أئمة أهل البيت ولم يفتح باب التلقي لكل مَن هبَّ ودب ، فلو كان باب التلقي مفتوحاً لكل مَن هَبَّ ودَبَّ فكيف يكون حافظاً ومُبقياً لوحيانية القرآن ، حيث إِنَّ التلقي لو كان مشوباً ومنقوصاً و مخطوراً بالآفات ابتداءاً فكيف بالبقاء وتطاول فترة الاستمرار بعده ، فإِنَّه لو كان الأمر كذلك فإِنَّه تضاف إلى آفات ونواقص الإبتداء طرو آفاتٍ كثيرة أخرى وطوارئ مُخلة لا تُحصى ملابسَةً لتطاول مُدَّة البقاء سواء فرض المتلقى من الصحابة أو غيرهم .

---

(١) سورة المائدة: الآية (٤٤).

وإنّما الذي يتلقاه وحيانياً عن النبيﷺ قد اعطى وصفه القرآن تخصيصاً دون سائر الأمة كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾[١] .

بتقريب : إنَّ القرآن الكريم قد خصَّص اللذين اصطفاهم بوراثة الكتاب دون غيرهم ممن لم يصطفوا من الصحابة والتابعين وسائر الأمة ، ومن الواضح لَدَى كل فرق المسلمين إنَّ المصطفين هم آل بيت النبي وقوله تعالى : ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ * لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ * تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ العَالَمِينَ﴾[٢]

وقوله تعالى : ﴿قُلْ كَفَى بِاللهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الكِتَابِ﴾[٣]

وقوله تعالى : ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ﴾[٤]

وقوله تعالى : ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ﴾[٥]

وغيرها من الآيات المخصصة بعلم القرآن كُلِّه حصراً بأهل البيت

مضافاً للأحاديث النبوية المتواترة عن النبي الأكرمﷺ في حديث ابلاغ سورة براءة « **لا يؤدي عنك الا أنت او رجلٌ منك** »[٦] .

بتقريب : إنَّ هذا وصفٌ يمتاز بأنَّه حصريٌ لمن يتلقى ذلك وحياناً عن

---

(١) سورة الفاطر: الآية (٣٢).

(٢) سورة الواقعة: الآيات (٧٧) الى (٨٠).

(٣) سورة الرعد: الآية (٤٣).

(٤) سورة العنكبوت: الآية (٤٩).

(٥) سورة آل عمران: الآية (٧).

(٦) فرائد السمطين للحمويني.

النبيﷺ ألاَّ وهو أمير المؤمنين وصي رسول رب العالمين وخليفته من بعده علي بن أبي طالبعليه السلام والأوصياء من ولده عليهم أفضل الصلاة والسلام .

إلاَّ إِنَّه وللأسف بعض مَن هو ينتسب إلى الإسلام ـ من السلفية والوهابية ـ يجحد مثل هذا الحديث عن رسول اللهﷺ .

وكذلك الحديث النبوي الآخر [أنا مدينة العلم وعليٌ بابها] وهو حديث متواتر عن النبيﷺ لدى الفريقين والداعي لجحوده لمثل هذه الأحاديث النبوية هو ما في قوله تعالى ﴿**بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنَشَّرَةً * كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ**﴾[١] ويريد أمثال هؤلاء المنكرون لهذه الحقائق الوحيانية إِنَّ يكون الأمر فوضى ، ويعتبرون كل مَن سَلَّم على النبيﷺ أو تكلم معهﷺ صحابي ويتمتع بالدبلوماسية والحصانة الصحابية يحمل ما حَمَلَ ، وله حق إِنَّ ينقل كل ما يروق له باسم الدين والقرآن ، وإِنَّكم لماذا حصرتم الصحابة لرسول الله ﷺ بشخص عليعليه السلام ولماذا يُلغى دور باقي الصحابة إلى غير ذلك ممّا انتهى اليه حدّ تفكيرهم .

وقد جهلوا إِنَّ القرآن الوحياني لا يحفظه إلاَّ حافظ وحياني مختارٌ مُصطفى من قبل الله عَزَّ وجَلَّ ، ولا قدرة للحس البشري والحواس إِنَّ تكون حافظة لموجود وحياني يفوقها قوة ويقيناً ، وكيف يكون للضعيف أنْ يحفظ ما هو الأقوى منه .

نعم آثار طبقة الحُجيّة الحسيّة وإنْ كانت أقل درجةً من آثار طبقة الحُجيّة الوحيانية ، إلاَّ أنّنا نحتاجها ـ الحسية ـ في مراحل معينة ، فمثلاً أدلة وجود الغيب

---

(١) سورة المدثر: الآيات (٥٢) و(٥٣).

قد تكون مقدماتها الأولى حسيّة ، ولكن قد نضطر فيما بعد وفي مرتبة فوقية إلى ما وراء الحسَّ ، ولا يعني هذا إثبات وجود الله تعالى بالحسّ وإِنْ كان انطلاق كثير من الأدلة من الحسِّ ، ولكن ليس تمام أجزاء الدليل مقدمات حسية ، ومع ذلك احتجنا إلى بعض مقدمات من الدرجة الحسيّة ، وأِنْ كانت طبقة ودرجة الحسَّ أقل وأدوَن من درجة الحُجيّة العقلية والوحيانية .

إذن كل درجة للحُجيّة لها آثارها في طبقتها ، ووجود الطبقة والدرجة الأعلى لا يعني الغاء أو تهميش أو عدم ضرورة وجود الأقل والأدنى ، ونفس الكلام نقوله بلحاظ طبقة ودرجة الحُجيّة العقلية التي هي دون طبقة الحُجيّة الوحيانية وفوق الحسيّة ، وذلك بسبب أَنَّه إذا أردنا الوصول إلى ما وراء العقل فإنَّ العقل يكون مقدّمة للوصول إلى ما ورائه ، وعليه فإنَّ الدليل العقلي لا يكون حجةً مستقلةً حتى بناءاً على ما ذهب اليه الفلاسفة من حجيّة الدليل العقلي على وجود الله عَزَّ وجَلَّ ، ومن هذا يُعرف إِنَّ كل الأدلة التي ساقها الفلاسفة ليست أدلة مستقلة على التوحيد ، والكلام مبسوط في محله .

[الوحي حسب اعتقاد القولين]

إنَّ الوحي حسب اعتقاد القول الأول وهو قول اصحاب الديانات السماوية والأخرى والقول الثاني غير مدرسة أهل البيت ـ بينهما نقطة أشتراك والتقاء ، فإنَّ أتباع الديانات السماوية الأخرى من اليهود والنصارى الصابئة وغيرهم يعتقدون بأنَّ المعاني تتنزل على الأنبياء وأما الالفاظ الموجودة في تلك الكتب من التوراة والإنجيل والصحف والزبور وغيرها فإنَّها مِن إنْشاء تعبير وتركيب ورسم ونقش ذلك النبي عليه السلام .

وأمّا المدارس الإسلاميّة الأخرى ـ غير مدرسة أهل البيت ـ فهم يعتقدون أَنَّ نزول الالفاظ على النبي الخاتم صلى الله عليه وآله وحياني أي تنزل الوحي إلى ثوب وقالب الالفاظ وحيانيّ بلحاظ الخط العمودي ، وأما بلحاظ الخط الأفقي والإيصال إلى الناس ، فبقاؤه بقدرة وحفظ وحس بشري ، وعليه فإنَّ نقطة الاشتراك بينهما ـ القول الأول والثاني ـ من أَنَّ استمرار الألفاظ وإيصالها إلى الناس بخط أفقي وليس وحيانياً وإِنَّما بشري حسي ، أيْ بحث عن طريق الحسّ والتواتر ومن الواضح أَنَّ التواتر نوع من الحس .

ولذا فإنَّ صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله أو أنصار النبي موسى عليه السلام أو عيسى عليه السلام وسائر أصحاب الأنبياء والمرسلين أَنَّهم تلقوا هذا الكتاب السماوي بإذُنٍ بشريّة عاديّة وبالحسِّ ، إذن فالسمع قناة حسيّة ثم نقلوها الينا بألسنتهم وهذه قناة حسيّة ثانية ، ثم خزنوه في أذهانهم وأوصلوه الينا باللسان وهذه قناة حسيّة ثالثة ، وهكذا وصل إلينا من جيل إلى جيل آخر بالسمع وباللسان وغيرهما من حلقات الحسّ البشري الضعيفة والتي تطرأ عليها الآفات ومع ذلك يريدون جعلها قنوات يمر بها الوحي .

وعليه فمن يستطيع أنْ يوصل ما يريده الوحي وبسلامة وأمن خلال هذه القنوات الحسيّة الضعيفة ، وقد أثبتت العلوم الإنسانية الحديثة أَنَّ الحسَّ له (٣٠٠) ـ ثلاثمائة حالة من الخطأ النوعي ، وقد أوصلته بعض الأبحاث الى أكثر من هذا قد تصل الى (٥٠٠) ـ خمس مائة ـ حالة من الخطأ النوعي ، مع إِنَّ الحسَّ يقين إلاّ أَنَّه ليس بذلك اليقين الوسيع فإنَّ للحسِّ مداراً ومدى معين ثم يضعف الحسّ البشري فتبدأ أخطاء الحس البشري فمن ثَمَّ فأَنَّ الحسِّ ليس من أقوى مصاديق اليقين .

وقد ذكروا في علم الدراية والحديث أنَّ للحسِّ آفات كثيرة ، منها آفات التكلم وآفات السمع والبصر فقد يتكلَّم المتكلِّم بكلام والسامع قد لا يركز في سمعه على الكلام فتفوته بعض الكلمات ، وهذا كثيراً ما يقع في الواقع الخارجيّ في حياتنا وتعاملاتنا اليومية ، كما لو كان المتكلِّم فصيحاً دقيقاً في كلامه ويتكلم ببطيء كرسول الله صلى الله عليه وآله وهو أفصح مَن نطق بالضاد ، ومع ذلك قد تفوت السامع بعض الكلمات ، فكيف بك إذا كان المتكلِّم من عادي البشري الصحابة ، وليس بالضرورة أَنْ يكون فصيحاً في كلامه ، فلعله توجد آفة في لسانه ، أو عنده مشكلة بالنطق أو مبتلى بالتعتعة ، أو التلعثم بالكلام أو الحروف وشاكل ذلك من مشاكل النطق وبالتالي لا يفصح في نطق الحروف فحينئذ يُخفق المتكلم في كلامه ويقصر في النطق الحسي فضلاً عن آفات سمع السامع والموانع البيئية المحيطة بين المتكلِّم والسامع .

هذا بلحاظ الزمان المتقدّم والجيل الأول من الصحابة وقربهم من عهد رسول الله صلى الله عليه وآله ونزول القرآن ، ومع ذلك يواجهون هكذا مشاكل في آفات الحسّ كالسمع والتكلم وغيرها ، فكيف بنا بعد مرور أكثر من أربعة عشر قرناً ، فإنَّ الآفات الحسيّة تتفاقم أكثر فأكثر وتتكثر أكثر فأكثر ، وأَنَّ ذاكرة الإنسان العادي قد تنسى وقد تسهو ، وقد تدخل عوامل ، أخرى في الذاكرة ، بل حتى في مجال التدوين ، فإنَّ خط البشر مختلف منه الواضح المقروء ، وبعضها غير واضحة ويصعب قراءتها ، وبعضها يصيبها الماء فيتلاشى حبرها ، وبعضها تختلط فيها الأوراق وتلتبس وتتشابه به الخطوط وغيرها من آفات الكتابة فيقع في مشاكل من هذه الناحية .

إذن زوايا وأنواع آفات الحس كثيرة ومتعددة في الشخص الواحد في الجيل الواحد فضلاً عن الأجيال اللاحقة ، خاصة إذا تباعدت المُدّة الزمنية فتراكم وتتكثر آفات الحس عبر هذه القرون المتمادية ، والوحي يتعرض لكل هذه الآفات للحسِّ البيئية عليها .

وعليه فإنَّ نظرية المدارس الإسلامية الأخرى ـ غير مدرسة أهل البيت القائلة بأنَّ القرآن الكريم يحفظ بالصحابة أو التابعين ، أو بتابعي التابعين وبالجهود البشرية وحفظ وحراسة بشر ، فإنَّ هذا ليس بتمام وفيه ما فيه

وبالتالي يكون حفظ القرآن أسيراً ومرهوناً لقدرة البشر .

وعلى ضوء ذلك اختلفت طريقة تفسير الآية **﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾** عند المدارس الإسلامية عمّا عليه عند مدرسة أهل البيت وعليه فلابد للمدارس الإسلامية الأخرى غير مدرسة أهل البيت من تصحيح تفسيرهم للآية المباركة ، أو تقرأ بطريقة أخرى ، وقد تأثر المستشرقون في نظرتهم للقرآن الكريم بالمدارس الاسلامية الأخرى غير مدرسة أهل البيت وأنَّ القران كتاب بشري بقاءاً وينزل من صفة وحيانيّة إلى صفة بشريّة ، أو وحيانيّة ممزوجة ببشريّة وبالتالي فإنَّ القرآن الكريم ليس عندهم وحياني مَحض وكأنَّهم لم يقرأو قوله تعالى الدال على الحصر **﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾** وقوله تعالى **﴿وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾** وقوله تعالى **﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾**[1] أَنَّ القرآن وحيانيٌ نزولاً و بقاءاً ، إلاَّ أنَّ البشر وللأسف يُحرّفون معاني الكلم عن مواقعه شعروا بذلك أولا .

---

(١) الحجر/ ٩.

[ضرورة وجود الإمام المعصوم عليه السلام في كل جيل]

ذكرت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والروايات الواردة عن أئمة أهل البيت إنَّ أحد أهمَّ وأعظم صفات ضرورة وجود الإمام المعصوم في كلِّ جيل ، ومن المهام الأولية لوظيفته عليه السلام هو حفظ الدين من زيادة البشر ونقيصته وردعهم عن ذلك ، أي ينفي عمّا يزداد عن الدين ، ويُكمِّل في الدين ما ينقص منه ، أمّا أنَّه كيف أنَّ الإمام عليه السلام يمارس هذا الدور فذاك بحث آخر .

[حفظ القرآن وتراث الحديث وهما ذكرٌ]

وهذا الدور الذي يمارسه المعصوم ـ كما مرَّ ـ لو يُقصر على حفظ القرآن عن كُلِّ زيادة ونقيصة وينفي عنه كُلِّ تلاعب ، بل يشمل الحديث النبوي وأحاديث المعصومين ولو بنحو إجمالي ضمن دائرة محصورة ما يقرب إلى (١٥٠) ـ مائة وخمسين عاماً ـ والسلطات الحاكمة من الخلفاء وبني أمية يمنعون كتابة وتدوين الحديث النبوي ، بل ويمنعون التحدث بالحديث النبوي ، وعلى ضوء ذلك فما ظنك بحال نقل الحديث النبوي في المدارس الإسلامية الأخرى غير مدرسة أهل البيت وكيف يُؤَمّنون على حفظ السنة ومن ثم كان أهل البيت هم حفظة السُنّة النبويّة والولاية والمعصوميّة حقيقة وأولهم بعد النبي صلى الله عليه وآله وصيّه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام معصوم مُطَهَّر بشهادة القرآن الكريم ، وقام بكتابة الحديث النبوي وكتاب الجامعة وكتاب الجفر فإنَّ كل من المملي وهو رسول الله صلى الله عليه وآله والكاتب وهو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام والكتاب كُلّهم مسدودون بتسديد إلهيّ ويحفظون بطريق وحياني ، فإنَّ السُنّة النبويّة حِفظَها عند أهل البيت وحياني وليس حفظاً بشرياً .

والخُلاصة : إنَّ نقطة الاشتراك بين المدارس الإسلامية الأخرى غير مدرسة أهل البيت مع إتباع الديانات السماوية مثل اليهود والنصارى في أَنَّ استمرار الالفاظ وبخط أفقي ليس وحيانياً وإنَّما بشرياً .

[شمول الذكر لكل كتاب سماوي ولكل أنواع الوحي]

وأمّا القول الثالث ـ فهو لمدرسة أهل البيت مِن أَنَّ الوحي ينزل عمودياً وكلّه وحياني ثم يبقى افقياً وحيانياً بلحاظ عمل الكتب السماوية سواء التوراة أو الإنجيل أو الزبور أو الصحف الأخرى أو القرآن فهي وحيانية النزول عمودياً وبقاءاً أفقياً إلى يوم الدين وتقدّم إِنَّ الحافظ للشرائع الإسلامية وكتبها هم أهل البيت منهم أعرف بالتوراة والإنجيل والزبور من أهلها واحفظ لها منهم ، وهذا ما يصفه القرآن الكريم : ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾ .

بتقريب : إِنَّ الباري هو الذي نَزَّل الذكر ـ القرآن ـ والكتب السماوية الأخرى وهو الحافظ لا عن تحريف المحرّفين وانتحال المبطلين وكذلك الحافظ للقرآن يصطفيه ويجتبيه وهم المعلِّمون الإلهيون محمد و اله صلوات الله عليهم أجمعين وسائر الأنبياء والمرسلين ، هذه هي العقيدة الراسخة في مدرسة أهل البيت .

وهذه الآية المباركة دليل وبرهان قرآني وضرورة شاملة لجميع الكتب السماوية ولتراث الحديث اجمالاً أي الحافظ لها قدرة لدنية وحيانية .

تنبيه : سيأتي في مبحث قادم وقاعدة تفسيرية مستقلة إنْ شاء الله ـ تحت عنوان [أقسام وأنواع الوحي] لها تأثيرها البالغ في شؤون علم التفسير ، وإِنَّ أحد

امتيازات مدرسة أهل البيت في هذه القاعدة الشريفة أَنَّهم يُبَيِّنون في بياناتهم أَنَّ الوحي على أقسام وليس قسماً واحداً بخلاف ما ذهبت اليه المذاهب الاسلامية الأخرى من حصر أَنَّواع الوحي بأنواع محدودة بعدد الأصابع وهو خطأ واخفاق فادح في المعرفة بالوحي وبالنبوة ، وكذلك الملل والنحل الأخرى إنَّهم يظنون أَنَّ الوحي له نوع أو نوعين أو ثلاثة ، بينما الواقع الحق الذي عليه مدرسة أهل البيت إِنَّ الوحي له أنواعٌ وأنواع ونماذج كثير لا تحصيها البشر ، فإنَّ أحد أنواع الوحي هو أنزال الوحي ، والمحافظة عليه من قبل الوحي وبقدرة غيبية ملكوتيه وهبيّة لدنية الهية ، لا من قبل البشر ، لأَنَّه ليس بمقدورهم ذلك ، كما أَنَّ نزول القرآن ووصوله إلى البشر ليس بالبشر العادي ، وإنَّما من خلال بشر يوحى إليه وبعباد مكرمين عند الحضرة الإلهية ليسوا بعاديين ، كذلك حفظ القرآن ليس بالبشر العادي ، إنَّما يحفظ القرآن بمنظومة أنواع الوحي المستودع عند مَن اصطفاهم الله من العباد المكرمين . يتنزل عليهم القرآن ومصداقه الأكمل والأول هم أهل البيت .

[أهل البيت هم أهل السنة النبوية حقيقة]

إنَّ أهل البيت هم أهل السُنَّة النبويّة حقيقة ، وهم الوحيدون الذين باستطاعتهم حفظ القرآن و السُنَّة النبويّة الشريفة من كل تلاعب ونفي كلِّ زيادة وتكميل النقص اِنْ كان ، لأنَّ هذا الحفظ ليس باستطاعة عادي البشر وإنَّما هناك أناسٌ من البشر خصهم الله واصطفاهم واودع فيهم قدرات لم تكن موجودة في غيرهم من عادي البشر ، وهذه من أولى مهامهم ، أما ما عداهم من البشر كأهل سُنَّة الخلفاء وسنن الحكومات وسنن وعّاظ السلاطين فليس بمقدورهم وكلهم أخطاء أنْ يحفظوا ما هو أوسع وأعلى درجة منهم ولم ينصبهم الغيب بإمكانيات

و حيانية ، أمّا أنَّهم يعطون لأنفسهم القاباً ومناصِباً فكل ذلك لا ينطلي على ذوي الألباب ، نعم اعطاءهم لأنفسهم لقب الصحابة أو مقام أو منصب شوري فذاك صحيح بلحاظ هم أهل سُنَّة الخلافة والخلفاء والسلاطين كالسقيفة وبني أمية وبني مروان وغيرهم وهم الذين حاربوا السُنَّة النبويّة تدويناً وترويجاً وإعلاماً ويُعاقبون على مَن يحفظها بحفظ بشري لما يزيد عن القرن والنصف من الزمان وغير ذلك .

فإنَّ مثل هؤلاء ليسوا من أهل ورعاة السُنَّة النبويّة وإنْ ادّعوها ظاهراً ، لأنَّهم ليسوا من أهل آية ﴿**وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ**﴾[1] اي وعاء واعي وسيع ومأذون من الله بحفظ القرآن و السُنَّة النبويّة المطهرة لَدُنياً ، فإنَّ الوحي والقرآن يحتاج إلى جهاز حافظ وحياني وإلاّ لم يبق القرآن ولا السُنَّة وحيا لأنَّها سوف تتبدد وتمتزج بالبشر وتتلوث بأخطاء البشر ويصبح القرآن قرآناً بشرياً ومن نتاج وضع البشر ، وهكذا السُنَّة النبويّة والحديث النبوي ، لولا الحافظ الوحياني لأصبح حديثاً بشرياً لا نبوياً ، فإذا أردنا أنْ يبقى كلام الله عَزَّ وجَلَّ فلابُدَّ وأنْ يكون بحفظ من الله تعالى ولأجل أنْ يبقى الكلام النبوي فلابُدَّ وأنْ يكون بحفظ نبوي .

[المساواة الوحيانية بين أصل إنزال الكتاب وبين حفظ بقائه]

إِنَّ التدبر في قوله تعالى : ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾ يُفيد إِنَّ هناك مساواة وحيانية في حقيقة وكيفية التنزيل والإنزال للقرآن وحيانياً مع علمية حفظ القرآن وبقائه ، فمنبع الوحي الذي نزل منه هو المنبع الوحياني لحفظ القرآن وبقائه .

---

(١) سورة الحاقة: الآية (١٢).

وهذا ما تشير اليه آيات أخرى كما في بيانات الروايات الواردة في تفسير ذيل الآيات ، كما في قوله تعالى ﴿**وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الكِتَابُ وَلَا الإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا**﴾(١)

وقوله تعالى ﴿**يُنَزِّلُ المَلآئِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ**﴾(٢)

وقوله تعالى : ﴿**رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو العَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ**﴾(٣)

فإنَّ آية الشورى حيث تشير إلى إنَّ حقيقة القرآن هي الروح الأمري وإِنَّ هذا الروح الأمري يظل باقياً بعد رسول الله صلى الله عليه وآله في مَن يصطفيهم الله وتختص مشيئته بهم من عباده المصطفين .

فهذا الروح الأمري من أمرنا ـ كما كان هو مبدأ ومصدر نزول حقيقة القرآن في النزول الدفعي على رسول الله صلى الله عليه وآله كذلك هو باقٍ بعد النبي صلى الله عليه وآله مع المصطفين من بعده وهو دائمٌ التنزل في ليلة القدر على المصطفين اللذين اختصت بهم المشيئة الإلهية كما في آية النحل وغافر المتقدمتين ومِن ثَمَّ تواتر عند الفريقين عن النبي صلى الله عليه وآله أَنَّه لو رفعت ليلة القدر بعد رسول الله صلى الله عليه وآله لرُفِع القرآن وهو إشارة إلى أَنَّ الروح الأمري الذي يتنزل ليلة القدر وهو حقيقة القرآن باقٍ انزاله وتنزله والقاؤه من الله على مَن يشاء من عباده المصطفين ، وهو معنى الوراثة الاصطفائية المشار اليها في قوله تعالى : ﴿**ثُمَّ أَوْرَثْنَا الكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ**

---

(١) سورة الشورى: الآية (٥٢).

(٢) سورة النحل: الآية (٢).

(٣) سورة الغافر: الآية (١٥).

عِبَادِنَا﴾[١] فالعترة النبوية هم المصطفون لوراثة الروح الأمري و لألقائه عليهم من بعد رسول الله صلى الله عليه وآله حيث أفصح القرآن عنهم في سورة الواقعة **﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ *فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ *لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾**[٢] و **﴿تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ *أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ﴾**

أمّا أنْ يأتي عادي البشر من الصحابة أو الرواة وينقلون بالمعنى أو بما تتذكره الحافظة أو غير ذلك .

ومن ثم مِن راوٍ إلى آخر وبعد فلترته وتمحيصه تجده قد تغير الحديث بدرجة ١٨٠ ، هذا هو شأن نقل عادي البشر المبتلى بالآفات وعند التدقيق نجده مخالفاً للقرآن والسُنَّة ، ولا يحفظ الوحياني من القرآن والسُنَّة الا حافظ وحياني وهذا المتمثل بشخص الإمام المعصوم ، ويجب أنْ يكون من سنخ اصطفاء الهي ولذا يُنادي القرآن أين صاحبي ، وأين حافظي ، كذلك السُنَّة النبويّة .

وهذا الحافظ الوحياني بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ينحصر بمَن اصطفاه الله عَزَّ وجَلَّ لوديعة وصيه وهو وصي النبي الأكرم صلى الله عليه وآله علي ابن أبي طالب عليه السلام ومِن بعده الأئمة ، المعصومون من ذريته علماً أَنَّ نمط ونوع حفظهم للقرآن وللأحكام ليس حسياً ، وذلك لأنَّ الحِسَّ مثار آفات ونسيان والتباس وأوهام وأعداء وغير ذلك ، بِخلاف الحافظ الوحياني **﴿وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾**[٣] .

بوعاء وحياني ، وليس فقط المظروف ـ وهو الشيء الذي يوضع بالوعاء ـ وحيانياً وإنَّما لابُدَّ أنْ يكون كل من الوعاء ـ الظرف ـ كذلك وحيانياً ، لا مِن

---

(١) سورة الفاطر: الآية (٣٢).

(٢) سورة الواقعة: الآيات (٧٧) الى (٧٩).

(٣) سورة الحاقة: الآية (١٢).

عادي البشر وهذا الوعاء مستحفظ وصندوق ليس بنبوة ، وإنَّما هو حافظٌ لميراث النبوة ويرث بوراثة وحيانية ، اصطفائية إلى يوم الدين اي يؤهل روحياً و ملكوتياً لذلك ، وإلاَّ لارتفعت الودائع الوحيانية بعد نزوله فإنَّ مناوؤا أو اعداء الوحي كثيرون ، كما ذكرهم القرآن من الشياطين والأبالسة ومن الجن والإنس وهوى النفس الأمّارة بالسوء وغير ذلك ، ولا يزالون على أهبة الاستعداد للانقضاض على ودائع النبوة .

إِنَّ الحافظ للتوراة والإنجيل في عقيدة أهل البيت ليس هم اليهود والنصارى ، فإنَّ هؤلاء مُضَيّعون لهما ، وإنَّما الحافظ للكتب السماوية ولكل صحيفة نزلت من السماء ليس بقدرة البشر العاديين ، وإنَّما الحافظ لها هم أوصياء مصطفون وصفهم القرآن ﴿**ثُمَّ أَوْرَثْنَا الكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا**﴾[١] .

بتقريب : إِنَّنا اورثنا الكتاب لأناس مصطفون لهم انتخاب خاص ، فإنَّه مثلما يُراد للقرآن مُعَلِّم ومُبَلِّغ ومُبيّن الهي ، كذلك يُراد له حافظ وحياني الهي .

إِنَّ قلت : الحافظ للقرآن هم أيضاً من البشر سواء الأنبياء أو المرسلين أو الأوصياء ، ومن المعلوم أَنَّ للبشر قدرة محدودة وناقصة لا يستطيع بهذه القدرة الضعيفة أنْ يحفظ تلك الجوهرة الوجودية الوحيانية الملكوتية فإنَّها وإِنَّ تنزلت في أصوات حسيّة مادية إلاَّ أَنَّها ذات صفة تكوينية وحيانية

قلت : صحيح أَنَّ الحافظ الوحياني من البشر إلاَّ أَنَّهم كما وصفهم القرآن : ﴿**عِبَادٌ مُكْرَمُونَ * لَا يَسْبِقُونَهُ بِالقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ**﴾[٢]

---

(١) سورة الفاطر: الآية (٣٢).

(٢) سورة الأنبياء: الآيات (٢٦) و(٢٧).

بتقريب : إِنَّ العباد الذين يحفظون الوحي الإلهي ليسوا عباداً مهانين ، أو عبادٌ أصابهم الخزي أو نوع من العذاب أو غير ذلك ، وإنَّما هم بشر مكرّمون بكرامة الكمالية التكوينية وهي أَنَّه لم ولن تُصِبه خزي المعصية قط ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ الله أَتْقَاكُمْ﴾[1] وكذلك لم يُصبه فِرارٌ في الحروب ، ولا عبادةٌ لوثن ، ولم يتلوث بالكفر و الفسوق وشرب الخمر ولعب القمار وقتل النفس التي حرَّم الله قتلها وغير ذلك ، وبعد كل هذه الجرائم والكبائر التي ارتكبوها ولم يسيطروا على أنفسهم وأهوائهم أ فهل يُعقل من أمثال هؤلاء أنْ يحفظو كتاب الله ـ القرآن الكريم ـ المطهر المقدّس .

وهذا خير برهان قرآني وعقلي على أَنَّه لابُدَّ أنْ يكون هناك حافظٌ وحياني للوحي إلى يوم الدين .

نعم هو حافظ بشري مكرَّم بالكمالات التكوينية الاصطفائية الوحيانية ولذلك اختلف عن البشر العاديين ، لأَنَّه ليس بمقدور وقدرة عادي البشر المحافظة على القرآن والوحي الإلهي ، كما يشير اليه قوله تعالى : ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ .

ونعتهم بالرسوخ بالعلم بقوله تعالى : ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ الله وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ﴾ .

كما نعتهم بالمطهرين المختصين باللمس والوصول إلى علو كرامة القرآن .

[الفرق بين القول الثاني والثالث]

ممّا تقدّم يُعلَم الفرق بين نظرية أهل البيت في حجية القرآن نزولاً وبقاءاً إلى

---

(١) سورة الحجرات: الآية (١٣).

يوم الدين وأَنَّها وحيانية والحافظ لها أيضاً بانتخاب واصطفاء الهي ﴿**عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ**﴾ وبين نظرية الطرف الآخر ـ أعني المدارس الإسلامية الأخرى ـ التي تشابه نظريتهم مسار الأديان السماوية الأخرى وأتباع الكتب السماوية كالتوراة والإنجيل من اليهود والنصارى وغيرهم من أَنَّ حُجيَّة وصول القرآن إلى أجيال البشر عبر قناة الحسّ وبالتالي يصير ويؤول القرآن إلى كتاب تراث تاريخي حسي منقول بحسّ البشر عبر الأجيال ينتابه ما ينتاب بقيّة كتب الآثار التاريخيّة البشرية ولو كانت منقولة عِبر التواتر ، إذ التواتر وإنَّ عُدَّ من أقسام اليقين إلاَّ أَنَّ مراتب اليقين متفاوتة قوةً وشدةً ، كما قُرِّرَ في العلوم العقلية ، فاليقين النابع من التواتر الحسيّ دون اليقين في البديهيّات والفطريات بمراتب ودرجات كبيرة جداً والوحي باقسامة وأنواعه المختلفة يقين يفوق اليقين الحسيّ .

وبين النظريتين أو القولين بونٌ كبير ، لترتب آثار عظيمة وكبيرة على الحُجية الوحيانية ، بينما آثار الحجية الحسيِّة أقلُّ من آثار الحجية الوحيانية بكثير ومساحتها ـ أي مساحة حُجيّة اليقين الحسيّ ـ أضيق من حجية اليقين الوحياني .

[الضرورة يقين وحياني والتواتر يقين حسيّ]

بعد ما مَرَّ من الفوارق بين اليقين والحسيّ واليقين الوحياني وأَنَّ التواتر لا يزيد عن كونه يقيناً حسياً ولا يصل إلى أدنى درجات اليقين الوحياني ، ولاُبدَّ من الفات النظر إلى أَنَّ الضرورة الدينية بين المسلمين أو بين المؤمنين مع كونها على درجات لأَنَّ البداهة ليس على درجة واحدة ، وهذه الضرورة الدينية تفوق التواتر الحسيّ ، ومِن ثَمَّ جعلوها ـ المناطقة ـ من اليقين المتقدّم ، رتبة على التواتر وإذا تعلَّقَت الضرورة بالدين فسوف تكون يقين وحياني .

نعم هي الضرورة الدينية من أدنى درجات اليقين الوحياني فهي تمتاز على التواتر في النقل أو التواتر في الدلالة فإنَّ مجموع التواتر في النقل الدلالة لا يصل إلى درجة الضرورة الدينية في درجة اليقين ، واليه يشير قول الإمام موسى بن جعفر عليه السلام إلى هارون العباسي إلى أَنَّ جميع أمور الأديان الأربعة ، أمرٌ لا اختلاف فيه وهو أجماع الأمة على الضرورة التي يضطرون إليها ، والأخبار المجمع عليها وهي الغاية المعروض عليها كل شبهة المستنبط منها كل حادثة وهو اجماع الأمة . . . بحجة من كتاب الله مجمع على تأويلها وسُنة مجمع عليها لا اختلاف فيها أو قياس تعرف العقول عَدله ولا يسع خاصة الأمة وعامتها الشك فيه والإنكار له وهذان الأمران من أمر التوحيد فما دونه وأرش الخدش وما فوقه ، فهذا المعروض الذي تُعرَض عليه أمر الدين ، فما ثبت لك برهانه اصطفيته ، وما غمض عليك صوابه [و ما غمض عنك ضوؤه] نفيته ، فمن اورد واحدةً من هذه الثلاث فهي الحجة البالغة التي بينها الله تعالى التي في قوله لنبيه [قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين] يبلغُ الحجةُ البالغة الجاهل فيعلمها بجهله كما يعلمه العالم بعلمه[1]

فيشير الإمام عليه السلام الى الضرورة واختلاف درجاتها عن اليقين في التواتر .

[حجية القرآن عند مدرسة أهل البيت وحيانية النزول والبقاء والحفظ]

إِنَّ حجية القرآن وحيانية النزول عند أهل البيت و وحيانية البقاء والحفظ ، وهذا ما امتازت به مدرسة أهل البيت عن بقيّة المدارس الإسلامية الأخرى .

---

(١) تحق العقول ب كلام الإمام موسى بن جعفر عليه السلام مع هارون الرشيد ص (١٠٤).

وتقرير كلام أهل البيت حول حُجيّة القرآن بهذا المعنى الذي مرَّ لا يعني ولا ينفي أَنَّ هناك للقرآن مراتب أخرى من الحُجيّة أيضاً عندما نبني على أَنَّ القرآن الكريم بقاؤه بالوحي وليس فقط حفظه وبقاؤه بالتواتر وبالحسّ ، ولا يتدافع مع ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ﴾ أي وحيانياً ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ أيضاً وحيانياً ، ولا نجد لهذا التفسير إلاَّ عند أهل البيت حينما يتقرر هذا المعنى للحجية الوحيانية للقرآن ، لا يعني ذلك نفي المراتب الأدنى للحجية كصفة للقرآن .

[الحجية الوحيانية للقرآن لا تعني نفي المراتب الأدنى الأخرى للحجية]

وبيانه يقع ضمن نقاط :

أولاً : إِنَّ تقرير المعنى للحُجيّة الوحيانية للقرآن لا يعني نفي مراتب أخرى للحُجيّة أدنى مرتبةً كصفة للقرآن ، فعند ما يُقرر أَنَّ الوحي هو الحافظ للقرآن لمن عنده من البشر وحيٌ وإنْ لم يكن وحياً نبوياً ـ وهو الإمام المعصوم ـ كما تذكر ذلك سورة فاطر ، وإِنَّ هذا الوحي النبوي جعلناه وارثاً وحيانياً لدنياً ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾[1] فإِنَّ بعض المفسِّرين قد اشتبه عليه الأمر وشطَّ به الفكر والقلم بعيداً ومجانباً عن الحقّ والواقع بأَنَّ فَسَّرَ الآية : ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ ، يعني كل المسلمين من كل الأمة الإسلامية ، وهذا معناه أَنَّ كلَّ الأمم الإسلامية مصطفاة إذا كان معنى توريث الكتاب هو تناوله ـ الكتاب ـ باليد والقراءة و الاطلاع على القرآن الكريم ، وعلى هذا لا يكون الاصطفاء خاصّاً بالأمة الإسلامية بل يشمل كل

---

(١) سورة الفاطر: الآية (٣٢).

البشر ، وعليه فلا يبقى معنى للآية المباركة : ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا﴾ فأين معنى الاصطفاء عند هذا الصنف من المفسِّرين ، أمَا يقرؤن المعاجم اللغوية العربية ومادة اصطفاء وصفي صفاءاً وصفوة وغيرها حيث إِنَّ معناه ـ الاصطفاء ـ الانتخاب والانْتقاء وطلب المقدار الصافي من مجموع الطلب أي المقدار الصافي من النخبة الإلهية وليس النخبة البشرية التي هي من انتخاب البشر وإنَّما المقصود هو النخبة الإلهية التي أنْتخبها الله تعالى .

إذن المراد الصحيح من اصطفينا هو الاصطفاء الإلهي وليست وراثة حسيّة مادية ، وإنَّما وراثة لدنيّة إلهية ، وإِنَّ وراثة الله وراثة اصطفائيّه وليست وراثة أرضية بشرية تاريخيّة .

إذن الحافظ للقرآن في بيانات أهل البيت هو حافظ وحياني للحُجيّة ابتداءاً وبقاءاً وهذا صحيح ، مُسلَّم إلاَّ أنَّه لا يعني ذلك نفي الحُجيّة من أقسام أخرى أدنى ، أو دون هذا القسم عن القرآن الكريم ، فإنَّ القرآن مروي لنا بالتواتر وهذا مسلَّم وصحيح .

ثانياً : وهكذا تلَّقى المسلمين للقرآن في الصدر الأول للإسلام تلقياً حِسِّيّاً فهو مُسَلَّم ، انطلاقاً من قاعدة **[إثبات الشيء لا ينفي ما عداه]** وإذا كان هناك أشكال فهو يلاحظ حصر الشيء فيما عداه ، وعليه فمن الخطأ حصر حُجيّة وميزان ومصير ومدار القرآن على التلقي الحسي فقط للصحابة وليس من الصحيح جعل المدارية والقطبية والمحورية في القرآن الكريم على الحصر بالحسّ . وإنَّما الصحيح أَنَّ مدار القرآن الأكبر هو النزول الوحياني والبقاء الوحياني ولا ينفي هذا حُجيّة التواتر وحُجيّة الحسّ ، بل ودون ذلك من

الدرجات حتى القراءات السبع أو العشر ـ في مبحث القراءات وإنْ كانت هي أكثر من ذلك ولعله تصل إلى العشرين أو الخمسة والعشرين قراءة أو أكثر ـ تعرضنا إلى ذلك كله في مبحث القراءات ـ إلاَّ أَنَّه اختزلت تلك القرارات بسبع أو العشر الظنية الصدور ، ودلالتها الظنية هي معتبرة على رأى بعض .

ومن هذا يُعرَف أَنَّ الصدور الظني والدلالة الظنية هي درجة أخرى من درجات ومراتب حُجيّة القرآن .

ثالثاً : هذا كله بالنسبة إلى البشر العاديين ، أمَّا بالقياس إلى النبي صلى الله عليه وآله والعترة الطاهرة فلا توجد مساحة ظنية ، بل القرآن كُلُّه وبرمته ومجموعه آياتٌ بينات ﴿**بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ**﴾[١]

بتقريب : إِنَّ القرآن هو آياتٌ بيّنات ليس في صدور كل الناس والأمة الإسلامية أو صدور الصحابة ، وإنَّما في صدور ثلّة خاصة من البشر وهم الذين وصفهم القرآن بأنَّهم ﴿**فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ**﴾ بل و ﴿**وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ**﴾ ولذا فإنَّ كلَّ آيات القرآن الكريم بيِّنة وواضحة وليس فيها متشابه لدى الراسخون في العلم وإنَّما المتشابه من نصيب عادي البشر ، ولذا فإنَّ هذه الآية من سورة العنكبوت قرينة على إِنَّ الواو عاطفة ، وليست استئنافية على رأي مدرسة أهل البيت في سورة آل عمران ﴿**وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ الله وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ**﴾ فالذي يعلم تأويل القرآن وليس عنده متشابه هو الله عَزَّ وجَلَّ ثم الرسول صلى الله عليه وآله ثم يرفِد ويفيض الله على الراسخين في العلم لا على المفسِّرين او العلماء أو الفقهاء أو المحدَّثين أو المتكلِّمين أو العرفاء وغيرهم ، وإنَّما هو آياتٌ

---

(١) سورة العنكبوت: الآية (٤٩).

بيّنات في مَن وصفهم القرآن في سورة الواقعة ﴿**لاَّ يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ**﴾ اي لا يصل إلى مكنون آياته وبيّناته إلاَّ المطهّرون الذين طهّرهم الله واصطفاهم واجتباهم لا أنَّهم مطهَّرون باكتساب الطهارة بالغسل وبالتوبة ، إلاَّ إِنَّ الله يحب التوابين والمتطهِّرين فذاك معنى آخر ، ومطهَرون معنى آخر فإنَّها وصفٌ لمن وصفهم الله في ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ الله لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾ وهذا التطهير فعل من الله ، ولذا فإنَّ معنى المُطَهّر مَن أوقع عليه التطهير من غيره وهو الله وبالتالي فإنَّ القرآن الكريم قد أفصح وأوضح ونبَّه وبَيَّن مَن هم الراسخون في العلم والمرتبطون بالقرآن الذين اوتوا العلم من دون بقيّة الأمة ، إذ لم يقل القرآن لا يمسه إلاَّ الصحابة أو إلا المفسِّرون أو إلاَّ العلماء أو غير ذلك ، وإنَّما حصرهم بالمطهِّرين إذن حُجيّة القرآن وحيانية نزولاً وبقاءاً عند النبيﷺ وأهل بيته ، وأمّا عند بقيّة الناس فإنَّ درجة وحُجيّة القرآن مشتركة بين النزول الوحياني والبقاء الحسِّي أي مشترك بين وحي وحسّ ، وأَنَّ درجته ـ القرآن ـ ظنية وصدوره يقين حسِّي ممتزجٌ بكلٍّ من الدلالة الضروريّة والقطعية الحسّية والظنية .

رابعاً : وأمّا صدور القرآن في مدرسة أهل البيت فقطع وحياني وأمّا بلحاظ القراءات فإنَّها هوامشٌ بعيدة عن المركز والمتن الأصلي في القرآن ، فإنَّ كثيراً من اعلام مفسِّري الفريقين يبنون على أَنَّ طرف صدور القراءات ظنيَّةٌ ، ودلالتها ظنيَّة أي كالمتشابه في آيات القرآن فأَنَّ دلالته ظنيّة أيضاًـ

نعم يأخذ القرآن صفة الحُجيّة القطعية الحسيّة والحُجيّة الظنيّة المعتبرة لكن في درجات نازلة ودوائر بعيدة عن المركز والمتن الأصلي .

[اختلاط أقسام أنواع صفة الحجية للقرآن الكريم]

خامساً : تنبيه : إِنَّ تقسيمات أنواع صفة الحُجيَة للقرآن الكريم اختلط الأمر فيها حتى على أكابر المفسِّرين وأهل التحقيق في التفسير ، فلعَلَّ أحد نتائج اختلاط الأقسام عند بعضهم إنكار تخصيص العموم القرآني بالدليل الخاص من السُنَّة وهذا ناشئ من الجهل وعدم تمييز درجات الحُجيّة في القرآن ، وعليه فإنَّ درجة حُجيّة القرآن وحيانية عند مدرسة أهل البيت وليس عند الفقهاء والمفسِّرين أو العرفاء أو المتكلمين فإنَّ بعضَهم يذهب إلى ما شاء الله من الدلالات الظنيّة في القرآن كالعارف الكبير أبن عربي الذي يبجلّه البعض ويكبرّه ، الذي ملأ كتابه الفتوحات الإسلامية من أوّله إلى آخره بمثل هكذا تعبير (لَعَلَّ ظاهر الآية كذا) أو (أحتمل هكذا معنى) أو استظهر كذا .

وفي مقام التساؤل من أبن عربي وغيره أين درجة وصفة اليقين في القرآن الكريم ؟ بل وحتى مثل هكذا غفلة ومسامحة حصلت للسِّيد العلامة محمد حسين الطباطبائي في حاشيته على الكفاية ، إلاَّ إِنَّ الذي يُهوِّن الأمر إِنَّ مثل هكذا رأي يعتبر شاذ ، لأنَّ حُجيّة القرآن على طبقات ، لذا فإِنَّ السِّيد وجملة من علماء أهل السُنَّة يصرون على أَنَّ مثل هكذا قراءات ظنيّةٌ ، وأَنَّ بعض أصحاب طرق القراءات لم تثبت وثاقتهم .

وبعضها هوامش وبعيدة عن المركز وصدورها ظنيٌّ وبالتالي تكون طرق صدور القراءات سواء السبع أو العشر أو الأكثر عند الفريقين ظنيّة .

بل انتهى بعضهم إلى منع تخصيص الدلالة الظنيّة للقران بالسُنَّة القطعية نتيجة عدم وضوح درجات صفات الحُجيّة في القرآن واختلاطها وبعضهم

ذهب إلى عدم تخصيص عموم الكتاب بالسُنة القطعيّة باعتبار أَنَّ القرآن لا يُخَصَصَ بغيره ، و الاكتفاء برفع شعار حسبنا كتاب الله وكأنَّهم لم يقرؤا الآية وتغافلوا عنها ﴿**أَطِيعُوا الله وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ**﴾ فالآية المباركة ثنَّت بإطاعة الرسول بعد اطاعة الله عَزَّ وجَلَّ ، وهكذا قوله تعالى ﴿**ما آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا**﴾ .

ولذا انتهى بعضهم إلى إِنَّ القرآن لا يُنسخ إلاَّ بالقرآن فقط ، ولا يُنسخ حتى بمثل السُنَّة القطعيّة ، لأنَّ القرآن كلام الله ولا يأتيه الباطل ، بخلاف ما يصرّح به الميرزا النائيني في علم الأصول وإِنَّه بالإمكان نسخ الكتاب حتى بالسُنَّة القطعيّة من المعصومين فضلاً عن السُنَّة النبويّة ، وانظر الفرق بين ما يذهب إليه الميرزا النائيني ، وبين ما يذهب اليه الغير من أنَّ السُنَّة النبويّة القطعيّة لا تُخَصِّص الدلالة الظنيّة في القرآن وغير ذلك ومما يؤثر في تنقيح الحال تحقيق معنى النسخ وما يراد به .

[اللوازم المترتبة على تفسير معنى النسخ بالإبطال]

أوّلاً : نقول هنا عاجلاً وباختصار وتحقيقه إلى مبحث النسخ ، ردَّاً على مَن ذهب إلى أَنَّ القرآن أصلاً لا ينسخ إلاَّ بالقرآن ، لأنَّ القرآن كلام الله ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، إِنَّ هذا صحيح إلاَّ أَنَّهم فسَّروا النسخ بمعنى الإبطال وبالتالي يكون استدلالهم بالآية المباركة ﴿**لاَ يَأْتِيهِ البَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ**﴾ مصادرةً .

ثانياً : يلزم من تفسير النسخ بالإبطال إلى أَنَّ القرآن الكريم يُبطِل بعضه بعضاً ـ والعياذ بالله ـ وحاشاه من ذلك ، وهذا لازم باطل أيضاً ، لأَنَّه تقدّم أَنَّ

القرآن لا يبطله شيء من غيره ، فكيف يبطله شيء من نفس القرآن لنفسه بنفسه ؟ !

هذا وغيره من اللوازم الباطلة التي تلزم من تفسير النسخ بالإبطال ، والصحيح في معنى السنخ على مختار منهج أمومة الولاية على المحكمات على النظرية الأتم بعد تحقيق وضبط معنى النسخ ـ غير المعنى الدارج والمعروف ـ من أَنَّ النسخ ليس هو إبطال ، وإنَّما هو انتهاء أمد المعنى ، بل وليس انتهاء أمد المعنى على ما ذكرناه مفصلاً في مبحث النسخ ، بل تجميد العمل بالمعنى المتقدّم غيره عليه ـ

ثالثا : يلزم من تفسير النسخ بالإبطال إِنَّ القرآن ينسخ نفسه من الداخل ولو بالواسطة ، فإنَّ القرآن الكريم يُصَرِّح **﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾** .

بتقريب : إِنَّ السُنَّة النبويّة تنسخ القرآن بنفس القرآن ، وقد صَرَّح القرآن بذلك في عدَّةِ مواضع من القرآن .

﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ و**﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ﴾** و**﴿لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾** و**﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾** وغيرها .

[هل الخبر الظنيّ الخاص مقدّم على عموم الكتاب]

من المباحث المهمة في تفسير القرآن الكريم وعلم الفقه والأخلاق والعقائد وغيرها هو مبحث تقديم الدليل الخاص على الدليل العام ، باعتبار أنَّ

القرآن منبع لكل العلوم الإسلامية والدينية ، وتبيَّن من المباحث السابقة أَنَّ القرآن الكريم يشتمل على مراتب متعددة من الحُجيّة وليست على مرتبة واحدة ، وأَنَّ المرتبة العليا منه هي المرتبة الوحيانيّة ، فإنَّها ذات شأنٌ عظيم وذات آثار خطيرة ومهمة في الحجّة الوحيانيّة ، وفيه ـ القرآن ـ مراتب أدنى أو بمنزلة الحدود الهامشية التي تحيط بالقرآن الكريم ، نظير القراءات فإنَّ مرتبتها من الحُجيّة هي مرتبة ظنيّة ، وأَنَّ بعض هذا الظن معتبر وبعض الآخر غير معتبر ، وأنْ كان مبحث القراءات ظنيٌّ وليست هي مركز المتن الأصلي للقرآن الكريم .

وبعد إِنَّ كان لحُجيّة القرآن الكريم طبقات ودرجات فلا يمكن إِنَّ نزن أو نصف طبقات ودوائر القرآن الكريم على نسق واحد في صفة الحُجيّة في كل العلوم التي تعتمد على القرآن الكريم ، فإنَّ قوالب وأطر بعض الآيات تكون عامة ، بينما يأتينا قالب وإطار خاص من السُنَّة النبويّة أو السُنَّة الولوية المعصومية المعتبرة المبيِّنة لسُنَّة النبيصلى الله عليه وآله وكتاب الله في مثل هكذا مورد أيُّ الدليلين يُقدَّم الخاص على العام أم العكس ؟

المشهور شهرة عظيمة لدى غالب علماء الفريقين هو تقديم الدليل الخاص أيُ السُنَّة ، على عموم الكتاب ، قبال نفر يسير من الفريقين منعوا تقديم الدليل الخاص على عموم الكتاب تحت ذريعة ، أَنَّ القرآن لا يأتيه الباطل كما تقدّم ، وكما هو الحال في النسخ كذلك الحال في التخصيص وإنْ كان محل الكلام نقطة مشتركة وعامة للقسمين النسخ والتخصيص ، فإنَّ التخصيص للعموم في الكتاب عبارة عن تخصيص أفرادي ، والنسخ عبارة عن صورة تخصيص أزماني ، علماً أَنَّ بين التخصيص والنسخ تقاربٌ شديد ، فإنَّ الدليل الناسخ يُقِّيد

أو يُضيِّق المنسوخ زماناً ، أو كأنَّما يحدِّد الفترة الزمنية التي تنتهي فيها مُدَّة العمل والأمد .

وأمّا **التخصيص** : فهو تضيق أفرادي من الابتداء إلى الانتهاء ، وتلك الأفراد باقية من الابتداء إلى الانتهاء تحت دليل العام .

ومن خلال هذا يتضحُ وجود جهة مشتركة بين التخصيص والنسخ ، وإنْ كانت هناك جهة اختلاف بينهما ، وأَنَّ نفس الإشكالات التي تذكر على التخصيص تذكر على النسخ ، وأَنَّه كيف ينسخ الكتاب القطعي بالسُنة القطعية ؟

والجواب ـ أوّلاً : تقدّم أَنَّه مَن ذهب إلى أَنَّ النسخ والتخصيص هو إبطال

يجاب عنه : إِنَّهما ـ النسخ والتخصيص ـ كشف حدود ، وليسا إبطال ورفع حقيقي ، وإنَّما هي لبيان المراد الجدي من أول الأمر من الكتاب ، لا بمعنى أَنَّ الكتاب يريد اثبات شيء ويأتي دليل ويرفعه ويبطله ، وبعبارة أخرى هناك فرقٌ بين البحث الإثباتي والثبوتي ، فإنَّ الرفع هو إثبات للتضييق والتصرف في الإثبات والدلالة ، وليس تصرفاً في عالم الثبوت والواقع .

إذن النسخ والتخصيص ثبوتاً وواقعاً ليسا ابطال كشف المراد .

ثانياً : لو تنزلنا وسلمنا أَنَّ معنى النسخ والتخصيص هو إبطال حتى للمعنى الإثباتي ، حيث وصفه القرآن نفسه ﴿**لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ**﴾ هل بمعنى إِنَّ القرآن لا يلتبس به الباطل بكل مراتبه بما في ذلك المراتب النازلة منه مع أَنَّ المراتب الدنيا فيها متشابه ومحكمٌ .

ثالثاً : في الآية المباركة أثبت أَنَّ القرآن لا يأتيه الباطل لا من بين يديه ولا

من خلفه ولا غيرهما ، أمّا إذا كان الذي يأتي القرآن حقاً فكيف ذلك ؟ فإنَّ الحق مع الحق ، وبعبارة إنَّ القرآن يُلزمنا بالعمل بالسُنَّة كما في النص القرآني **﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾** و **﴿وَأَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾** فإذا لم نعمل بهذا وأعرضنا عنه والرسول صلى الله عليه وآله أمرنا بتخصيص القرآن ، أو بنسخ بعض أحكام الآيات فهذا معناه إبطال لصورة الدلالة في هذه الآية الكريمة **﴿مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾** عملاً بنص القرآن ، وبالتالي يدور الأمر بين أمرين ومحذورين حسب قول هذا القائل أي بين العمل **﴿لا أتيه الباطل﴾** وبين ما أُمِرَ بالأخذ عن النبي صلى الله عليه وآله واطاعته والانقياد إليه . وإِنَّ الحكم المخصص في عموم آية ما ، أو الحكم المنسوخ بالسُنَّة القطعيَّة في آية ما نبقيه على حاله .

ويلزم رفع اليد عن عموم **﴿مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾** ، علماً إِنَّ هذه الآية المباركة تشمل عترة الرسول صلى الله عليه وآله ، فإنَّ القرآن أمرنا كذلك بإطاعة أوامرهم والأخذ بها و الانتهاء عما ينهون عنه **﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الأَمْرِ مِنْهُمْ﴾**[1] وفي موضع آخر أفصح القرآن عن هؤلاء الذين يستنبطونه فوصفهم **﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ﴾**[2] و **﴿الراسخون في العلم﴾** و **﴿لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا المُطَهَّرُونَ﴾** و **﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾** وغيرها فالمراد بأصحاب هذا الوصف هم أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله الذين شهد القرآن بأنهم مطهرون من الله وأنهم أهل الذكر وأصحابه الذين يمسوه .

---

(١) سورة النساء: الآية (٨٣).

(٢) سورة العنكبوت: الآية (٤٩).

رابعاً : إذن أتضح أَنَّ العمل بتخصيص عموم الكتاب سواء بمخصص من السُنَّة النبويّة ، أو من السُنَّة الولوية ـ العلوية ـ من المعصومين هو عمل بالقرآن ، وعدم العمل به معناه طرح لبعض آيات القرآن الكريم ـ اعوذ بالله ـ وفي مثل هذه الحالة ماذا نصنع بمثل قوله تعالى : ﴿**أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ**﴾ المتكررة في القرآن مرّات متعددة وهكذا قوله تعالى : ﴿**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا**﴾ وغيرها ، فأمّا أنْ نجمّد هذه الآية ونطرحها في قبال عموم آية أخرى أو قبال حكم آخر لكي لا يكون نسخاً له .

فنحن مأمور بالعمل بالتخصيص أو النسخ بالسُنَّة النبويّة والمعصومية من قبل القرآن ومن قبل السُنَّة النبويّة ، وبالدقة فإنَّ الدليل المخصِّص والناسخ ليس من خارج القرآن ، وإنَّما بالتأمل هو من القرآن الى القرآن .

وإذا كان لحُجيّة القرآن الكريم طبقات ودرجات فلا يمكن أَنَّ نزن أو نصف طبقات ودوائر القرآن الكريم على نسق واحد في صفة الحُجّية . وخلاصته أَنَّ التخصيص بالسُنَّة النبويّة والنسخ بالسُنَّة القطعيّة ـ ليس إبطالاً للقرآن بغيره بل هو من التخصيص والنسخ للقرآن بالقرآن إذ مردّ العمل بالسُنَّة إلى القرآن نفسه .

[طبيعة ونمط الحُجيّة في القرآن وصفاته ومنازله مختلفةٌ]

هناك قاعدة مهمة ستأتي في مبحث قواعد نظام الحقائق وهو النظام الثالث أَنَّ القرآن ذو منازل ومقامات مختلفة ، وهذه القاعدة ذات صلة في القاعدة التي نحن بصدد بحثها وهي قاعدة صفات الحُجيّة في القرآن ومراتبها ، فإنَّ القرآن بحسب منازله ومقاماته نمط ، وليس فقط طبيعة الحُجيّة مختلفة في القرآن ، بل

عموم صفات القرآن تختلف من منزل إلى آخر ، ومن مقام إلى آخر ، وأمّا أصل المقامات التي هي قاعدة مستقلة ستأتي في محلها وتدل عليها آيات قرآنية كثيرة ﴿**وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ**﴾ و ﴿**هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ**﴾ و ﴿**يَمْحُو اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ**﴾ فتكررت أمُّ الكتاب وأصله حتى أَنَّ بعض كبار مفسِّري العامة كالطبري يُسَلِّم بأنَّ معنى أمُّ الكتاب هي الأصل الغيبي الذي انحدر منه القرآن الكريم ، فهذا أصل ، وهناك أيضاً أصول ومقامات ومنازل أخرى للقرآن مثل ﴿**اللوح المحفوظ**﴾ ، و ﴿**الكتاب المكنون**﴾ ، و ﴿**القلم**﴾ ، و ﴿**الكتاب المسطور**﴾ و ﴿**الرق المنشور**﴾ و ﴿**البحر المسجور**﴾ وغيرها .

فإنَّ القرآن الكريم له مقامات متعددة يصف القرآن فيها نفسه وأَنَّ لكلّ منزلة ومقام صفة خاصةٌ به ، وكذلك في صفة ومراتب الحُجيّة في القرآن مراتب متعددة كل مرتبة لها حجيتها الخاصة ، ومع عدم التفات المفسِّر والباحث الكريم إلى هذين النمطين يقع في الخلط و الاشتباه والخطأ عند ما يحسب كل صفات القرآن في منزل ومقام وطبقةً واحدة ، مما يسبِّب أزمة في فهم معاني آيات وسور القرآن الكريم فإن القرآن كتاب الهي سماوي ﴿**أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ**﴾[١] فإنَّ تفصيل القرآن شيء وإحكام القرآن شيء آخر ، وعليه فكيف تحمل هذه الصفات التي هي أشبه بالمتضادة والمتخالفة لمنزل ومقام واحد ، كما قد يتخيله الكثير من المفسِّرين من أَنَّ القرآن له مقام واحدٌ .

إذن هذا البحث وإنَّ كان في صفة حُجيّة القرآن ، إلاّ أَنَّه في نفس الوقت نبيِّن أَنَّ حُجيّة القرآن ذات مراتب ودرجات لأنَّ نفس القرآن ذو درجات .

---

(١) سورة هود: الآية (١).

[الوصف الإعجازي من النبي صلى الله عليه وآله للقرآن]

[وصف النبي الأكرم صلى الله عليه وآله لحقيقة القرآن وأنه حبل ممدود طرف منه عند الناس وطرف منه عند الله عَزَّ وجَلَّ]

إِنَّ هذا التوصيف المعجز من سيد الأنبياء صلى الله عليه وآله لحقيقة القرآن الذي رواه الفريقان يشير ويوحي ويُنبِّه على أَنَّ سيد الأنبياء صلى الله عليه وآله يشير إلى أَنَّ حقيقة القرآن هي « **حبلٌ ممدود طرفٌ منه عند الناس وطرف منه عند الله** » .

بتقريب : إِنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله لم يقل حبلٌ ملفوف وإِنَّما حبلٌ ممدود إذ لو عَبَّرَ صلى الله عليه وآله وقال : « **إِنَّه حبلٌ ملفوف أو مجموع لكان هذا الطرف المجموع والملفوف إمّا سفليٌ أو علويٌ عند الله عَزَّ وجَلَّ** » .

إذن ماذا يعني قول الرسول صلى الله عليه وآله حبلٌ ممدود ؟ معناه أَنَّ القرآن ذو طبقات ودرجات طرفٌ أرضيٌ منه عند الناس وهو المصحف الموجود بين أيدينا ، وطرف منه عند الله يعرج الروح والملائكة اليه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة مما تعدّون ، وليس هذا مقياس انحصاري مسطري ، وإِنَّما أحد طبقات ومقاسات ودرجات القرآن إِنَّ يكون خمسين الف سنة ، وسبب إصرار الرسول صلى الله عليه وآله بالتعبير بهذه العبارة والتشبيه بالحبل هو لأجل أَنَّه صلى الله عليه وآله يبيِّن لنا أَنَّ حقيقة القرآن عبارة عن طبقات ودرجات ، والتنبيه على عدم الخلط العشوائي إذ لم يعبَّر صلى الله عليه وآله بأنَّ القرآن ذو طبقة واحدة وإِنَّما ذو طبقات .

كما ويعتبر هذا الوصف النبوي قاعدة من جوامع قواعد علوم القران ، وأَنَّه حبل ممدود من أمهات معرفة قواعد تفسير القرآن ، ومن جوامع الكلِم ، فإِنَّ الكلمة النبوية الواحدة تتفجر منها علوم وقواعد ، كذلك كلام أمير

المؤمنين عليه السلام من جوامع العلم فإنَّ الكلمة الواحدة من كلماته الذهبية تتفجر منها مسائل متعددة في العلم .

إذن كل الأحاديث النبويّة يستخرج منها العلماء والمتخصصون في كل مجال علوم فضلاً عن تأسيس القواعد الكثيرة سواء القواعد التفسيريّة أو الفقهيّة أو الكلاميّة أو الحديثيّة وغيرها .

وهكذا الحال بالنسبة إلى التوصيف النبوي الآخر « **إني تاركٌ فيكم الثقلين وأن العليم الخبير أنبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض** » ولم يعبِّر صلى الله عليه وآله عن الثقلين بالحبلين وإنَّما بالحبل الواحد ، أي إِنَّ مآلهما واحد ، فإنَّ كل عالم الخلقة مرتسَم إمام سيد الأنبياء صلى الله عليه وآله وبوصفه بأنَّ الثقلين حبل واحدٌ . إلى غير ذلك من المعاني والحقائق التي يشتمل عليها هذا الحديث الشريف حول القرآن العظيم والعترة الطاهرة .

وتحصَّل من كل ما تقدّم أَنَّ توصيف وتبين سيد الأنبياء صلى الله عليه وآله لحقيقة القرآن وأنَّها ذات طبقات ودرجات ، وإذا كانت كذلك فلا يمكن حمل صفة الحجية بدرجة واحدة لكل درجات وطبقات القرآن ، وإلاَّ يكون هذا خلطاً بينَ درجات الطبقات وفتنة ، وبالتالي يؤول ذلك إلى الجهل بحقيقة القرآن .

وبحثنا لقاعدة صفة الحُجيّة للقرآن وأَنَّها على درجات وطبقات وليس على طبقها واحدة ، وهذا البحث تقريباً لهذه القاعدة أي صفة الحُجيّة للقرآن مما تَفَرَّد به منهجنا التفسيري المختار أمومة الولاية على المحكمات ، فضلاً عن المتشابهات في القرآن الكريم دون المناهج التفسيريّة الأخرى إلى منهج التفسيري الموضوعي والمنهج التجزيئي وغيرها .

[أحد أهم ثمرات قاعدة صفة الحُجيّة في القرآن وإنَّ القرآن ذو طبقات هو رفع ما ظاهره التضاد والتناقض بين الصفات التي بيَّنها القرآن]

إنَّ القرآن الكريم ذكر أوصافَ نفسه في مواضع متعددة منه ـ كما سوف يتضح ـ وإنْ كانت هذه الصفات والمقامات والمنازل تبدو وتظهر لأوّل وهلة أنَّها متضادة لِمَن ليس عنده باع وخبرة في التفسير، والواقع أنَّها ليست كذلك، فمثلاً: ما ذكره القرآن في سورة آل عمران (٧) ﴿**هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ**﴾ فلوا دققنا بالتعبير القرآني المعجز نلاحظ إنَّ القرآن لم يصفهم ﴿**فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ**﴾ فيجهلون أو يعصون أو يكفرون أو يتمردون على ما تشابه وإنَّما وصفهم القرآن بـ ﴿**فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ**﴾ وهذا معناه إنَّ القرآن يُصرِّح بأنَّ أتّباع بعض آيات القرآن يُسبِّب فتنة وضلال وباطل وزيغ وعليه كيف يكون اتّباع بعض آيات، القرآن توقع الإنسان في الزيغ والضلال والفتنة والتشابه والباطل، فإنَّ الداعي في إتّباع بعض آيات القرآن ليس الله وليس النجاة وليس القرآن والهداية، وإنَّما الداعي هو الردى والهلاك في اتباع القرآن، أي أَنَّ بعض طبقات القرآن يكون اتباعها زيغاً وباطلاً وفتنة هكذا يفصح القرآن الكريم.

في حين هناك آيات قرآنية يصف القرآن الكريم فيها نفسه بأنه ﴿**لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ**﴾[1]

---

(١) سورة فصلت: الآية (٤٢).

وهكذا الصفة الأخرى التى يذكرها القرآن الكريم نفسه ﴿**الْكِتَابِ الْمُبِينِ**﴾ أي كلّه كتابٌ مبين ، وفي موضع آخر يصف القرآن نفسه بأنَّه (محكم ومتشابه) و ﴿**لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ**﴾

علماً هذه الآيات المباركة وغيرها تَمَسَّك بها الكثير من العامة ، بل حتى من كبار مفسِّري الخاصة كالسِّيد العلامة الطباطبائي‌ﷺ ، والتي يلزم منها وجود تناقض في صفات القرآن وحاشاه من ذلك ، ـ وعليه فكيف يمكن الجمع بين هذه الآيات التي يتصور أَنَّ ما ظاهرهُ التناقض والتضاد في الصفات .

والجواب : إِنَّه ببركة القاعدة ُالتي نحن بصدد بحثها وهي قاعدة صفة حُجيّة مراتب القرآن يوجه ما ظاهره التضاد والتهافت وهو ليس بتضاد ولا تناقض واقعاً ، وذلك ببيان :ـ

إِنَّ القرآن فيه طبقات فوقية صاعدة علوية مثل طبقة أمُّ الكتاب ، وطبقة لا يأتيه الباطل ، وطبقة لا يمسّه إلا المطهّرون ، وطبقة أَنَّه لدنيا لعلي عظيم وأنَّه كتاب نور وهُدى وهو قرآن مجيد في لوح محفوظ .

وفيه طبقات نازلة مثل طبقة المتشابه والزيغ والفتنة ، والطامة ، وبعض أوصاف القرآن الكريم مثل وصف ﴿**آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ**﴾ وهم العترة ، وهذا مقام ومنزل ليس في صدور الناس ، أو الفقهاء أو العلماء أو المفسِّرين من الفريقين ، وإنَّما فقط وفقط آيات بيّنات في صدور الذين أوتوا العلم وهم أئمة أهل البيت ومَن اَتّبعهم فهو على هدًى وفي طريق النجاة ـ إنْ شاء الله ـ فإنَّ مثل هذا مقامٌ وطبقةٌ ودرجة وليس تناقضاً في صفة مراتب حُجيّة القرآن .

أو مثل صِفة ومقام ﴿**لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ**﴾ فالبعض

يفهم منها إنَّ السُنَّة النبويّة وإنْ كانت قطعيّة فهى لا تخصص العموم القرآني لأنَّ غير القرآن لا يُخَصِص القرآن ، إلاَّ أنَّه وببركة قاعدة صفة مراتب حُجيَّة القرآن ترفع هذا المقال السقيم وهو عدم تخصص العموم القرآني بالسُنَّة ، فإنَّ بعض طبقات القرآن نفس القرآن يُحذِّر من إتّباعها بمفردها لأنَّها ليس حجة بمفردها وإنَّما لابُدَّ من النظر إلى المجموع ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ﴾ وإذا اتبعت بمفردها سوف تعصف بالأمة بالزيغ و الانحراف وفعلاً الذي أتبعته الأمة طيلة (١٥) خمسة عشر قرناً اتبعت المتشابه بمفرده وبمعزل عن المُحكم حصل ما حصل من زيغ دَبَّ إلى عروق الأمة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله ، وكان الغرض من تلك الفتنة هو استئصال أصل الأمة التى أسسها وجذّرها رسول الله صلى الله عليه وآله وهى خير أمةٍ ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[١]

ولذا يُحذِّر القرآن الكريم من اتباع هكذا فتنة ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾[٢] فإنَّ هناك فتناً تجتاح كُلَّ الأمة وتعصف بها ـ والعياذ بالله ـ بسبب اتباع المتشابه في القرآن من دون ارجاعها إلى الآيات المحكمة ، فالمتشابه من دون ارجاعه إلى المُحكم لا يكون حجةً وتُوقِع من يتبعها ـ المتشابه ـ بالفتنة والزيغ والضلال إلاَّ من اتبع الراسخين بالعلم الذين أمر الله بإتباعهم ومعرفة المحكم من المتشابه بهم وإرجاع المتشابه الى المُحكم وعليه فإنَّ قاعدة صفة حُجيّة مراتب القرآن تحذِّرنا من أَنْ نحسب الصفة الواحِدَة لطبقة واحدة هي صفة لكل طبقات القرآن ، وإنَّما لكل طبقة صفاتها المعينة الخاصة بها ، فمثلاً صفة إنَّ القرآن

---

(١) سورة آل عمران: الآية (١١٠).

(٢) سورة الأنفال: الآية (٢٥).

كلّهُ نورٌ وهدىً لا تشابه زيغي ولا فتنوى فيه .

إذن هناك طبقات في القرآن فوقية وعلوية نور وهُدىً وهناك طبقات زيغ وتشابه وباطل ، وليس هذا تهافت وتناقض وتدافع ـ والعياذ بالله ـ وإنّما هذه طبقات ومنازل ، بخلاف ما اذا أراد إنَّ يجعل المفسِّر أو الباحث متعددة بعضها فوقية وبعضها ليس علوية فآنذاك يقع المفسِّر أو الباحث في الارتباك والخلط وشباك الزيغ والضلال والفتنة .

[المؤاخذات التي تُسجَل على منهج تفسيرالقرآن بالقرآن]

[المغالطة في عنوان المنهج]

المؤاخذة الأولى :

إنَّ منهج تفسير القرآن بالقرآن وإنْ كان منهجاً سديداً إجمالاً إلاَّ إنَّ فيه جهة نقص واضحة وبأدنى تأمل وحاصلها :

إنَّ هذا الشعار المرفوع لمنهج تفسير القرآن بالقرآن حقيقته هو التفسير بجهد بشري للوقوف على القرائن القرآنية لدلالة الآيات ، فليس هو تفسير للقرآن يقوم بقدرة القرآن كي يُقال أنَّ القرآن ينطق ويُفسر نفسه بنفسه ، بل هناك وساطة القدرة البشرية المحدودة للمجتهد المفسِّر البشري كحلقة وصل بين القرآن ونفسه .

وبعبارة أخرى : إنَّ الإحاطة بجميع ما في القرآن من قرائن ومناسبات مرتبطة ومتممة بعضها مع البعض ، ولا يتسنى للمفسِّر البشري مهما بلغت درجات علمه ومهما تراكمت جهود البشر ، وذلك لأنَّ القرآن كما وصف نفسه بَحرٌ لا ينفذ **﴿قُلْ لَوْ كَانَ البَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ البَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ**

رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾[١] وقوله تعالى : **﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللهِ﴾**[٢]

فإنَّ كلمات القرآن التي تزيد على سبعة وسبعين الف وأربعمائة وتسعة وثلاثين كلمة ، وكُلُّ كلمة مرشحة لأنَّ تكون قرينة لظهور الآيات ولدلالة الجمل فكيف يحيط بكل هذا مع حساب الاحتمال قدرة بشر .

المؤاخذة الثانية :

أولاً : إِنَّ هذا المنهج ـ تفسير القرآن بالقرآن ـ هو تفسير للقرآن ببعض القرآن لا بكله ، وذلك لأمر عشرات الآيات من القرآن بتفسير القرآن بالسُنَّة بل أكد وصرَّح بذلك القرآن الكريم **﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾**[٣] وغيرها عشرات الآيات القرآنية الآمرة بطاعة الرسول صلى الله عليه وآله فإنَّ الآيات القرآنية الكريمة ومنها هذه الآية المباركة هي أحد الأدلة والقرائن العامة الكبيرة والكليّة والسيّالة والمنتشرة على لزوم الأخذ بما آتانا وأمرنا به النبي صلى الله عليه وآله ، وترك ما نهانا عنه صلى الله عليه وآله ، وإذا كان الأمر الإلهي القرآني كذلك فكيف لا نتبع سُنَّة النبي صلى الله عليه وآله لفهم القرآن ونكتفي ونستغني بالقرآن عنه الاستعانة بالسُنة الشريفة في تفسير القرآن ، وكذلك نستغني بالقرآن عن تفسير القرآن .

ومُحصَّل هذه المؤاخذة هو : أَلَا يُعدُّ هذا نوع طرح لبعض القرآن ، والقرآن يُنادي بأعلى صوته ، بأصرح آياته وكلماته : بأنَّ أحد القرائن العامّة والسيالة والدائمة في فهم القرآن هي السُنَّة النبويّة ، وسُنَّةَ مَن بتصدق بالخاتم في صلاته

---

(١) سورة الكهف: الآية: (١٠٩).

(٢) سورة لقمان: الآية (٢٧).

(٣) سورة الحشر: الآية (٧).

وهو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، والذي أُمِرنا بطاعته وتوليه من قبل الله ورسوله في القرآن والسُنَّة النبويّة الشريفة ، وأُمِرنا بأنْ نُصدِّق مَن هم مستحفِظون و مستحفَظون مستأمَنون ومستأمِنون للقرآن وأمناء الكتاب وهم عترة النبي صلى الله عليه وآله وآل بيته الذين وصفهم القرآن بأوصاف منها : **﴿لا يَمَسُّهُ إلاّ المُطَهَّرون﴾**[1] و **﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ الله وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾**[2] و **﴿ومَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا الله وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ﴾**[3] و **﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ﴾**[4] وغير ذلك من الآيات المباركة .

وهذا معناه أنَّه ليس بمقدور أحد من البشر ـ الإحاطة بمعرفة حقائق القرآن إلاَّ مَن فتح له الباب وكان مستحفظاً ، ومَن وصفهم القرآن الكريم بأنَّهم أصحاب الذكر ، والذكر هو رسول الله صلى الله عليه وآله بنص الآية المباركة **﴿قَدْ أَنْزَلَ الله إِلَيْكُمْ ذِكْرًا * رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ الله مُبَيِّنَاتٍ﴾**[5] . مضافاً للحديث النبوي المتواتر لدى المسلمين وهو حديث الثقلين « **إنّي تاركٌ فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي** » .

الذي هو حديث قرآني قبل إنَّ يكون حديثاً نبوياً ، ولما ذكرته سورة آل عمران : الآية (٧) **﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا الله وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ﴾** وأَنَّ الواو في الآية المباركة **﴿و الراسخون﴾** هي للعطف ـ عاطفة ـ لا لإستئناف ، ومعناها

---

(١) سورة الواقعة: الآية (٧٩).

(٢) سورة المائدة: الآية (٥٥).

(٣) سورة آل عمران: الآية (٧).

(٤) سورة العنكبوت: الآية (٤٩).

(٥) سورة الطلاق: الآيات (١٠) و(١١).

أَنَّ القرآن لا يَفهمه إلاَّ الراسخون في العلم .

وهكذا ما ذُكر في سورة العنكبوت ﴿**بَل هُوَ آياتٌ بيناتٌ في صدور الذينَ أوتوا العلم**﴾ وإِنَّ هناك قرنٌ بين آيات القرآن وبين صدور الذين أتوا العلم .

وكذلك ما ذكر في سورة الواقعة ﴿**لا يَمَسُّهُ إلا المُطَهَّرون**﴾

إلى غير ذلك من الآيات الدالة على أَنَّ للقرآن صاحب ألاَّ وهو العترة ، وعليه فما معنى ما يرفعه أصحاب منهج تفسير القرآن بالقرآن من شعار اكتفاء القرآن بالقرآن ؟ !

أي اكتفاء القرآن بالقرآن بلا هذا الصاحب !

إلاَّ أنَّ أصحاب هذا المنهج يُسألون : هل إِنَّ هذا الشعار هو عملٌ بالقرآن أمُّ اعراضٌ عنه ؟

علماً أَنَّ القرآن يُنادي بأنَّ تفسير وتبيان حقائق القرآن تحتاج إلى معلِّم إلهيٌّ وليس بمقدورك وبجهدك الضعيف أيُّها البشر أنْ تصل إلى بعض الحقائق القرآنية من دون المعلِّمين الإلهين وهم العترة الطاهرة للنبيّ صلى الله عليه وآله ولا يمكن الاستغناء عن المعلِّم الإلهيّ بحال من الأحوال حتى لو كان المعلِّم البشري من أعلم وأنْبغ علماء البشر .

إنَّ رفع شعار تفسير القرآن بالقرآن بهذا الإطار والقالب ـ كما مَرَّ ـ فيه نوع مسامحة وليس دقيقاً وفيه إبهام كبير للسامع ، لأنَّه يوهم السامع بأنَّ القرآن الكريم يُفسِّر وينطق بتفسير نفسه ، وهذا ليس بالصحيح .

وإنَّما هو شأنّ المعصوم ، وليس بقدرة البشر أنْ يفسِّروا القرآن بتفسير اجتهادي وبالرأي ، ولذا فإنَّ المفسِّرين يتنافسون ويتبارون ويختلفون في مراتب

قدرتهم على التفسير ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾[(١)]

بتقريب :

أولاً : إِنَّ هذا الاختلاف دليل على أَنَّ التفسير البشري للقرآن ليس هو المنبع الأصلي بين المفسِّرين ، ودليل على تفاوت القدرات فيما بين البشر في الإحاطة بالقرائن القرآنية .

ثانياً : كذلك هذا الاختلاف دليل على أنَّ المفسِّر البشريّ مهما بلغ من العلم يخطئ ويُصيب في جعل القرينة قرينة ، فيجعل ما ليس بقرينة قرينة ، أو ينفي القرينية عمّا هو قرينة ، هذا فضلاً عن عجزه عن الإحاطة بُكلِّ القرائن .

ثالثاً : إنَّ هذه المؤاخذة التي سجلت أو تسجل على منهج تفسير القرآن بالقرآن كُلّه معتمِدَةَ على الاستعانة بالقرائن القرآنيّة للقرآن بحسب القدرة البشرية ، لكن هناك فرقاً بين إِنَّ تعتمد على القرائن القرآنيّة بحسب الجهد البشري ، وبين إِنَّ نحصر القرائن فقط وفقط بالقرائن القرآنية من دون أنْ نستعين بسُنَّة المعصوم وبالتالي عزل الروايات الواردة عن الأئمة وعدم العمل بها وهذه بحد نفسها طامةٌ كبرى ، وإنَّ كُنّا لا ننفي العمل والاستعانة بالقرائن القرآنيّة بحسب الجهد البشري .

والاقتصار على هذا المنهج له تداعيات باطلة تؤدي إلى اضعاف التمسك بقول المعصومعليه السلام أو تقليل أهمية العمل بقول المعصومعليه السلام وهذا ما ترفضه أصول القرآن وقواعد الدين وإِنَّ الحاصل من الجهود البشرية من لغويين أو مفسِّرين أو كلاميين أو صرفيين أو بلاغيين أو نحويين أو غير ذلك بأَنَّ مقدماً

---

(١) سورة النساء: الآية (٨٢).

الحُجيّة و المدارية في أصل تأسيس مفاد الآية وتفسيرها وتقديمها على كلام المعصوم وذلك بأنْ تجعل المراد على كلام أهل اللغة والتفسير والصرف والنحو البلاغة والاشتقاق أولاً وفي الرتبة الثانية يعتمد على كلام المعصوم .

فيُسأل أصحاب منهج تفسير القرآن بالقرآن بأنَّه هل أصبحت قدرة البشر على تفسير القرآن أكثر وأقوى من قدرة المعصومعليه السلام .

المؤاخذة الثالثة :

هل المُفَسِّر البشري وبجهود بشرية بسيطة يمتلك القدرة اللدنية الكافية لاستقصاء كل قرائن القرآن أو لا ؟

الجواب : ليس لديه القدرة الكافية على ذلك .

المؤاخذة الرابعة :

لو سلمنا بشعار منهج تفسير القرآن بالقرآن إلاَّ أنَّه يُتساءل إِنَّ هذا الاستقصاء للقرائن من هذا المفسِّر أو الباحث هل هي تمام القرائن القرآنية أو لا ؟

أو ليس هذا تتبعٌ وجهد بشري اجتهادي قابل للإصابة والخطأ والإخفاق فقد يُدرك ويُصيب الواقع ، وقد يخفق ولا يدرك الواقع ، بخلاف ما إذا استعنت بالسُنَّة النبويّة والسُنَّة المعصومية الولوية فحينئذ تلتفت إلى الكثير من القرائن القرآنيّة التي لم يلتفت اليها اللغويون أصلاً ولا المفسِّرون ولا المجتهدون أو الفقيه أو غيرهم فإنَّ المُدمِنَ للتعاطي مع روايات أهل البيت يجد كيف أنَّها مبيِّنة لنكات القرآن وظهور القرآن سواء للنكات اللغوية ، أو النحوية والبلاغية أو

الصرفية أو الاشتقاقية أو التفسيريّة أو غيرها مما لا يلتفت إليه البشر فلماذا تراجع أهل اللغة واللغويين والنحويين والبلاغيين وغيرهم من البشر ، وتترك مَن هم أصحاب لغة الوحي أي اللغويون الإلهيون القرآنيون وأنَّهم أمراء البيان .

نعم ذكرنا سابقاً أَنَّ منهج تفسير القرآن بالقرآن في نفسه كمرحلة من مراحل التفسير هو سديد ، أمّا أنَّه كمرحلة نهائيّة وحصريّة ووحيدة لا يمكن قبوله لأنَّ فيه هكذا اخفاقات ومؤاخذات تقدّم ذكر بعضها .

والخلاصة : إذا أردت أنْ تستقصي كل قرائن القرآن ونكاته ، ولكي يصدق منهج تفسير القرآن بالقرآن عليك أيَّها المفسِّر الفَطِن الاستعانَّة بمراجعة روايات وكلمات أئمة أهل البيت حتى لو كنت أيَّها المفسِّر لا تعتقد بإمامة أهل البيت ولم تعتقد بأنَّهم قرين عِدْل القرآن وإنَّ كانوا هم بالواقع وبنصّ القرآن أنَّهم عِدله ، فلا أقل مراجعة كلماتهم وبياناتهم يَوَلِّد لك احتمالاً ، فلماذا أيَّها المفسِّر تحرم منهجك وبحثك عن دور أهل البيت والاستنارة بنورهم عن كُلِّ هذه الدرر الثمينة ، فإنَّ أهل البيت ليسوا مزويين عن أحد فلماذا تزوي نفسك عنهم وتحرم نفسك عن هذا المعين الرافد والمنبع الصافي .

[أبعاض القرآن هو على درجات مختلفة في الحُجيّة وليست على درجة واحدة]

إنَّ أحد أهم الثمار لبحث قاعدة صفة حُجيّة القرآن هو إنَّ القرآن ذو درجات من الحُجيَّة ، وأَنَّ أبعاض القرآن أيضاً تختلف في درجة الحُجيّة ، وخير مثال على ذلك ما صَرَّحَت به الآية المباركة ﴿**هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الكِتَابَ مِنْهُ**

آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾[(١)] مِن أَنَّ حُجيَّة ودور المحكم شيء وحُجيّة ودور المتشابه شيء آخر ، فالقرآن ليس على درجة واحدة في الحُجيّة ، بل وحتى عند ما تؤسس قاعِدة أو ضابطة في عموم علوم الدين مثل ضابطة العرض على كتاب الله والسُنَّة النبويّة وسُنَّة المعصومين فهل المراد من العرض هو العرض على كل الكتاب أمُّ على بعضه ؟ فإنَّ الكتاب فيه محكمات ومتشابهات ، ولكنَّ الذي يصلح للعرض عليها وكميزان وضابطة والمدار والمحور هي محكمات القرآن ، فصار العَرض ليس على كل الكتاب. وإنّما العرض على ما هو المركز والمدار فيه ألاَّ وهو المحكمات ، فإنَّ المحكمات والمتشابهات هي الأخرى على درجات وطبقات أيضاً وليست على طبقة واحِدَة .

إذن تبين أَنَّ أبعاض القرآن أيضاً هي على درجات مختلفة في الحُجيّة وليست على درجة واحِدَة .

ومِن الأبحاث المرتبطة بهذا المطلب المبحث التالي :

[حُجيّة أبعاض القرآن ليست حججاً مستقلة]

إِنَّ اعطاء صفة الحُجية المستقلة لأبعاض القرآن اي لكل آية آية وسورة سورة غيرُ ممكن ، وعليه فإذا لم يمكن اعطاء الحُجيّة المستقلة للأبعاض فأيُّ حُجيّة لها ؟

الجواب : أولاً : إِنَّ حُجيَّة القرآن هي حُجيّة مجموعيّه منظوميّه ، والدليل القرآني الدال عليها

هو قوله تعالى : **﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾**[(٢)] أي لا

(١) سورة آل عمران: الآية (٧).

(٢) سورة البقرة: الآية (٨٥).

يمكن اعطاء ابعاض القرآن ـ أي كل آية آية وسورة سورة ـ حُجيّة مستقلة ولا يمكن التمسك بهذه الأبعاض أو التمسك بالبعض على انفراد وإنَّما حجيتها في ضمن حُجيّة مجموعيّه للكل وللبعض .

[طبيعة حُجيّة آيات وسور القرآن حُجيّة مجموعيّة و منظوميّة]

ثانياً : ليس بمقدور المفسِّر أن يقف على مرادات القرآن في كل آية وسورة ، لأنَّ القرآن عبارة عن حلقات مترابطة مع بعضها البعض كمجموعة ومنظومة واحدة وأَنَّ أكثر بل كل الاشتباهات و الانحرافات والزيغ الذي نشأ في فرق الأديان السماوية وفرق الإسلام وما وقعت به من ضلال فإنَّ أحد أسبابه هو النظرة المشتتة والموزعة والمتناثرة في الكتب السماوية من توراة وانجيل وزبور وصحف وقرآن ، والأدلة في المنابع الدينية ، كما نَصَّ على ذلك القرآن الكريم ﴿**الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ**﴾[1]

بتقريب : إِنَّ معنى (عضين أي مُقَسَّم اي مُبَعَّض فيؤمنون ببعض ويكفرون بالبعض الآخر﴿**أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ**﴾[2] . أو مُفَرّقٌ ومبوّب وموزّع ، فإنَّه لابُدَّ من الالتفات إلى أَنَّ حجية آيات وسور القرآن الكريم هي حُجيّة مجموعيّه منظوميّه وليست مستقلة فإنَّ حُجيّة القرآن لا يمكن أنْ تكون على نحو العموم الاستغراقي في الحُجبّة لمجموع آياته وسوره ، أو مستقلة بعضها عن بعض ، بل حُجيّة مجموعيّه ، نظير العمومِ المجموعي لا العموم البدلي والاستغراقي .

---

(١) سورة الحجر: الآية (٩١).

(٢) سورة البقرة: الآية (٨٥)

[قاعدة في مراتب حُجيّة القرآن على ضوء منهج أمومة الولاية على المحكمات]

الفات نظر : إنَّ هذا النمط من البيان المتقدّم متطابق جداً مع منهجنا التفسيري المختار أمومة الولاية على المحكمات فضلاً عن المتشابهات في القرآن ، وذلك ببيان إنَّ القرآن الكريم قُرِأَ في جميع أبعاده كدائرة واحدة مترابطة ترتبط بمركز ومجموع ونظام هذه المنظومة يدور ويستدير على أعمدة كما في رواية مسعدة بن صدقة **عن الإمام الصادق**عليه السلام **إنَّ الله جعل ولايتنا أهل البيت قطب القرآن] أي إنَّ الله جعل ولايتنا أهل البيت عمودٌ مركزي وقطب القرآن بل وجميع الكتب السماويّة المنزلة تستدير حول محكم القرآن الذي فوقه محكم آخر ألاَّ وهو ولاية الله وولاية الرسول وولاية العترة الطاهرة .**

[ولاية الله ورسوله وأهل البيت ارتباط بالتوحيد والنبوة والإمامة عملاً]

[الولاية جانب تفاعل في التوحيد والنبوة والإمامة]

إنَّ معرفة التوحيد شيءٌ وولاية العبد المؤمن وارتباطه بالله عَزَّ وجَلَّ شيءٌ وأمرٌ أعمق ومتطور أكثر ، وهكذا معرفة النبيصلى الله عليه وآله شيءٌ وولاية النبيصلى الله عليه وآله أمر وطورٌ أكمل في ارتباط المؤمن بالنبيصلى الله عليه وآله ، وهكذا معرفة الإمام أمرٌ ، ومقام وولاية المؤمن بإمامه من عترة نبيّه هو الآخر طورٌ أكمل ، فإنَّ التنظير شيء والتحقيق والتحقق العملي شيءٌ آخر ، فإنَّ التوحيد على مستوى الفكر واللسان شيء ، و الارتباط بالتوحيد عملاً شيء آخر ، وهكذا التنظير للنبوة فكراً ولساناً شيء ، ولكن حقائق النبوة في العمل والقلب وهي الولاية شيء آخر ، كذلك

الإمامة فإنَّ معرفة الإمام فكراً ولساناً أي الجانب التنظيري شيء ، و الارتباط بحقائق الإمام روحاً وقلباً وعملاً شيء آخر ، كما وَرَدَ في زيارة الإمام الحسين عليه السلام ما مضمونه [اللهم اجعل ما أقول بلساني حقيقة في قلبي وشريعة في عملي][(١)]

ويتميز منهجنا التفسيري أمومة الولاية على المحكمات عن سائر المناهج التفسيريّة الأخرى كمنهج التفسير الموضوعي ، ومنهج تفسير القرآن بالقرآن ومنهج التفسير التجزيئي ومنهج أسباب النزول وغيرها هي وإنْ كانت مناهج سديدة ومؤثرة ولها آثار كل بدرجته وقدره إلاَّ أنَّ المنهج المهيمن والمحور المركزي الذي تدور حوله المحكمات فضلا عن المتشابهات هو منهج أمومة الولاية اي ولاية الله ورسوله والعترة الطاهرة .

ويتلخص من كل ما تقدّم أَنَّ منهج تفسير أمومة الولاية على المحكمات هو منهجٌ وعنوان وحياني ، وعليه إذا أردنا إِنَّ نفسر قاعِدة صفة حُجيّة القرآن بحسب طبقات القرآن على ضوء منهج أمومة الولاية على المحكمات فسوف يرسم لنا هذا المنهج أَنَّ القرآن كيانٌ ذو طبقات وليس فقط أَنَّ القرآن قاطع وحياني عمودي وأفقي ، وإنّما هناك أبعاد متعددة لكيان القرآن وعليه فإنَّ رسم القرآن بهذه المثابة لصفة الحُجيّة في القرآن سوف يُصيرها منظوميّه .

إذن ليس حُجيّة القرآن لحلقات في دائرة فإنَّ هذا لوحده لا يكفي ، فلو أردنا إِنَّ نترجم حُجيّة القرآن بشكل رياضي هندسي ـ لأنَّ الأرقام الرياضية والأشكال الهندسيّة خيرُ ترجمان وتفسير وتوضيح للأفكار ـ كالدائرة فهل ترسمها دائرة مجموعيّة ـ والدائرة عبارة عن نقاط وحلقات ـ ؟ أو ترسم وتترجم

---

(١) كامل الزيارات: ب (٧٩) ح (١) ص (١٩٦).

حُجيّة القرآن مضافاً للدائرة ، مركزاً أيضاً ، أو نُمَثّل بالجسم الكروي الدائري ؟

فتارة نقول : إنَّ حُجيَّة القرآن هي المحيط الدائري لمجموع الدائرة فقط ، أو أَنَّ هذا المحيط الدائري ملحوظ فيه أيضاً نسبته إلى المركز باعتبار أنَّ المركز يعتبر ميزاناً تدور عليه رُحى نقاط المحيط ، فهذه حيثية أخرى للحُجيّة من جهة أخرى ، ومِن هذا يُعرَف أَنَّ القرآن الكريم ليس له سطحٌ واحد وإنَّما له سطوحٌ متعددة يتحكم بها المركز ، و هذا يعني أَنَّ العموم المجموعي ليس على شاكلة واحدة وإنَّما على أشكال متعددة .

إنَّ قلت : ما هي الفائدة والثمرة المرجوّة من إتعاب النفس وبذل الجهد العلمي في تنقيح وتحرير مثل هكذا مطلب ؟

قلت : له فوائدٌ كثيرة منها :

أولاً : أنَّه لا يكفي في تفسير الآية أو السورة الواحدة الاقتصار عليها ، بل لابُدَّ من ضمِّها إلى سور أخرى وآيات أخرى .

ثانياً : إنَّ لمجموع آيات وسور القرآن مركزٌ وعمود يهيمن عليه وهو الولاية أي ولاية الله عَزَّ وجَلَّ ورسولهﷺ وولاية الرسول والأئمة ثم المحكمات ، اذ لا يكفي مجرد اكتشاف النسبة والعلاقة بين الآيات والسور بمفرده ، بل لابُدَّ من اكتشاف العمود والمحور والمركز فضلاً عن الاقتصار على الآية أو السورة الواحِدة .

ثالثاً : إنَّ الآية الواحِدة لها أعمدة وبنيان تقوم عليه ، أو المفسِّر الذي لم يستطع اكتشاف جوّ السورة الحاكم على آيات السورة لن يستطيع اكتشاف بنيان

السورة حتى لو أجهد وأتعب نفسه في ذلك ، فإنَّ تفاصيل آيات السورة لا يتعرف عليها من دون أنْ يكتشف هيكل السورة ـ كما يعترف بذلك الباحثون والمفسِّرون في هذه القاعدة المبلورة الجديدة قاعدة صفة مراتب القرآن ـ نظير ما إذا لم تعرف مواضع قوّة هذا البناء فإنَّك لا تستطيع أنْ تبني عليه وتكمل بنيانه ـ فإنَّ السورة هي بنيانٌ للآية ومن دون التعرف على الهيكلة الأساسية للسورة والخوض في تفاصيل تفاصيل جزئيات السورة يكون مبعثراً ومشتتاً وغير هادف وغير مُحَصَلٍ وهدرٍ للمعلومات والحقائق بشكل عجيب وغريب .

إذن هكذا تكون أهمية معرفة وحدة السورة والهدف منها ، فإنَّه في بداية البحوث التفسيريّة عند مدارس أهل البيت يُركّزون على هذه المحاور الأساسية عند مطلع السورة ، وكأنَّما المفسِّر يتبِّع ما يلي :

أولاً : يسبر السورة سبراً احاطيّاً مجموعيّاً .

ثانياً : اكتشاف المواقع المهمة منها في معاني السورة .

ثالثاً : يحاول المفسِّر بعد ذلك العودة مَرَّة أخرى إلى بداية السورة لكي يبدأ الخوض في التفاصيل ، والمسح الجزئي بخلاف ما إذا ابتدأت بالتفاصيل ـ في هذا المنهج ـ فسوف تضيع وتهيم على وجهك ويصيبك تيةٌ ولا تخرج بنتيجة ، وليس التعرّض لمثل هذا من باب الترف العلمي ، أو الفضول العلمي أو زيادة المعلومات أو غير ذلك ، وإنَّما هو من أساسيات الوصول إلى ابتدائيات معاني السور ، فإنَّ مثل هكذا بحث كأنَّه ديدن مُركَّز عند المفسِّرين سيّما الأمامية منهم ، وهو كيفية اكتشاف أعمدة السورة منذ البداية كما هو دأبهم في اكتشاف معاني مفردات كلمات الآيات وأسباب النزول . وغير ذلك من البحوث الأوليّة في

تفسير الآية ، وعلى المفسِّر الناجح قبل الذهاب إلى التفاصيل الكثيرة القاء نظرةٍ عامة شموليّة حول السورة واكتشاف منتهى الغايات من هذه السورة والآيات أشبه ما يكون بالذي يريد أنْ يكون على بصيرة قبل الشروع والدخول والخوض في صميم وتفاصيل سير البحث ، ويريد معرفة المقصد والهدف وإلاَّ فسوف يكون سيره هيمان وبلا نتيجة تحدِّد المقصد ، كذلك الحال بالنسبة إلى السورة فإذا لم يحدد المُفَسر أو الباحث أعمدتها وجوهرتها وبوصلتها وإلى أين تتجه فيها فإنَّه لم يتعرف على حقيقة السورة ، وعليه فمن الضروري جداً تحديد أهداف وأعمدة السورة فإنَّها بمنزلة البُنيان في الآية الواحِدَة ، وسيأتي المزيد من الدلائل والشواهد على هذا المبحث مفصَّلاً في محله إنْ شاء الله .

إنَّما ذكرنا شيء منه هنا عاجلاً لأجل أيصال فكرة : وحدة السورة ووحدة الآية ووحدة السور في الوحدة الجامعة لهوية القرآن وبهذا يكون لدينا ثلاث وحدات ، وحدة جُمَل الآية في الهوية الواحدة للآية ، ووحدة الآيات في السورة ضمن الهوية الواحدة للسورة ، ووحدة السور ضمن الهوية الواحدة للقران ، كقاعدة تفسيريّة مؤثرة في تفسير السور والآيات ، ومعنى الوحدة أي المجموع أنَّ لكُلِّ سورة وحدة جامعة ، وسلك ناظم موّحد وحلقات مترابطة ولها أعمدة ونفس هذا يُقال عن مجموع كل القرآن ، فإنَّ مجموع القرآن له أعمدة أيضاً ومحاور ومركز ، ولا يستطيع المفسِّر اكتشاف حقائق القرآن أو النظرة الشموليّة له من دون أن يتعرف على أعمدة القرآن .

وروايات وبيانات أهل البيت على الدوام تركز وتؤكد على اكتشاف معاقد العِز من القرآن فإنَّ لها إعزاز هيمني واشراف على بقية أجزاء القرآن ، فمثلاً

سورة الفاتحة أو الحمد لها دورٌ يختلف عن سائر السور ، ولها أوصافٌ كثيرةٌ ذكرتها روايات أهل البيت منها : أمُّ الكتاب ، والسبع المثاني والفاتحة وغيرها فهذه تعبيرات كلها معادلات علميّة .

فمثلاً سورة يس توصف بأنَّها قلب القرآن ولماذا سميت ووصفت بهذا الاسم والوصف ، وهكذا سورة الإخلاص أو التوحيد وأنَّ مَن قرأها كأنما قرأ ثلث القرآن وهذا معناه أنَّها من أعمدة القرآن بهذا الوصف .

وهكذا سورة الحجر ربع القرآن أي في عموديتها لها دور الربع في عمادة أبنية القرآن ، أي أنَّ ربع مجموع سور القرآن إذا لم تحَكّم فيها عمادية سورة الحجر لم تصل لحقيقة مفاد السور ، فإنَّ ما يقرب من رُبع الضوابط التى تراعيها في كل سورة من مجموع سور القرآن يجب أن يُراعى فيها التولي والتبري فمثل سورة الحجر ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ .

بتقريب : إِنَّ التبري هو ما يقرب من ربع آيات القرآن ، وقد وَرَدَ هذا الفضل لسورة الحجر في روايات الفريقين ، وخاصة في روايات أهل البيت من أنَّ ربع القرآن هو براءة وتبري من أعداء الله ورسوله والعترة الطاهرة ، وعليه فإنَّ المُفسِّر إنْ لم يُقِم السورة على ميزان التبري ـ اي تعقيم ووقاية ـ فمعناه أنَّه لم يبتنِ على أَنَّ ربع توصيات السور فيها وقاية التبري من اعداء الله ورسوله والأئمة فلم يصل إلى مفاد السورة ، وبالتالي فإنَّ مثل سورة الحجر مهيمنة على كيان ربع القرآن ، لأنَّ فيها تبري ، وهكذا سورة التوحيد وهذه الأحدية تشكل ثلث القرآن ، فإذا لم تحَكِّم سورة التوحيد على كل سورة سورة فإنَّك لم تصل الى ثلث مفاد السور ، فمثلاً الآيات الخاصة بالزكاة أو الخمس أو الصوم أو

الصلاة ، اذا جعل مفاد تلك الآيات مجرد زكاة أو خمس أو حج أو صلاة من دون أنْ تجعل ثلثها توحيد فإنَّك لم تصل أيها المفسِّر إلى حقيقة مفاد السورة ، حسب مفاد روايات أهل البيت وعليه فلا يذهب ظنك إلى أنَّ مفاد هذه السورة كلّها مثلاً الزكاة فهذا اشتباه وإنَّما الصحيح أَنَّ ثلثها في التوحيد مثلاً ، وربعها في التبري و التولي ، وهكذا والباقي في موضوعها من الزكاة أو الصلاة أو الصوم أو الخمس أو الحج أو الجهاد وغيره .

وعليه فإنَّ مثل هكذا قواعد هي منظوميّة والنظرة اليها نظرة بقالب صناعي جديد .

[اكتشاف الجو الموحَّد لآيات وسور القرآن]

من القواعد المهمة والتي ستأتي بلورتها وبحثها مستقلاً ـ إنْ شاء الله ـ قاعدة [اكتشاف الجو الموحّد لآيات وسور القرآن الكريم] وهذه القاعدة لا علاقة لها بمبحثنا هذا في قاعدة صفة أو مراتب حُجيّة القرآن إلاَّ أَنَّنا نذكر محل الشاهد منها ـ كما يذكره المفسِّرون من أَنَّ السورة الواحدة لها فضاءٌ موَحَّدٌ ولون موَحَّدٌ ومعالم موَحَّدٌ وغير ذلك ، فإنَّ المفسِّر الفَطِن إذا اكتشف وتنَّبه إلى الجو العام الموحَّد للسورة فهذا معناه انه يهيمن ويؤثر على استظهار وتفسير آحاد الآيات ، فإنَّ جمل وفقرات الآيات سواء كانت تركيبتها مستطيلة أو متوسطة أو من كلمتين أو من كلمة واحدة أو من حرف واحد كما في أوائل السور ، فإنَّ لها في الجميع جوّاً واحداً حاكماً خاصاً يهيمن على كلماتها وجملها وفقراتها ، وإلاَّ فليس عبطاً أَنَّ تُوَّحَد الآية أو الآيات في السورة الواحدة سواء السور الطوال منها أو القصار ، ويحاول الكثير من المفسِّرين مراعاة هذه القاعدة اي مراعاة

القرائن العامة في التفسير واكتشاف الهيكل العام وأعمدة السورة ومحاورها ، إذا اكتشفت أعمدة السورة الواحدة سيُكتشف بنيان السورة الكاملة والتفاصيل من اكتشاف أَنَّ هذه السورة في صدد بيان عقيدة التوحيد ، أو في بيان عقيدة النبوة أو الإمامة ، أو بيان حكم فرعي فقهي كالصلاة أو الصوم أو الزكاة أو الحج ، أو صدد بيان الأخلاق أو السرد التاريخي لقضيّة معيَّنة .

[لماذا : سميت مجموع آيات في تعبير الوحي بالسورة]

إنَّ بحث هذا العنوان محله في القاعدة التفسيرية اللاحقة والتي هي قاعدة وحدة السورة ووحدة الآية ، إلاَّ أَنَّ إقحام بحثها في قاعدة صفة حُجيّة القرآن والتي نحن الآن بصددها فعلاً ـ بمقدار معين لا مانع من موازاة الحديث عن قاعدتين في إنَّ واحد إذا كانت بينها جهة مشتركة .

وللجواب عن السؤال : الذي ذُكر في العنوان وأَنَّه لماذا سميت مجموع آيات من القرآن بالسورة **نقول** :

إنَّه لابُدَّ من تحقيق معنى السورة وبأنَّ معنى السورة هو الجامع لمجموع أشياء نظير سور المدينة والحديقة والبستان والمعسكر وغيره ، وعليه فإنَّ تسمية الوحي لمجموع آيات بسورة وعزلها عن آيات أخرى لها مغزى معين ، وإلاَّ كان بإمكان الوحي الإلهي السماوي إِنَّ لا يُجزّأ آياته ضمن سور ويجعل كُلَّ القرآن بمجموعة من أوّله إلى آخره بلا فصل ، ولك أنْ تنظر المصحف الكريم بكل آياته بلا فصل ، لكن نفس القرآن يصف آياته وسوره بأنَّها [أحكمت ثم فُصّلت] أي فيها فصل وتفصيل والذي هو نوع توزيع ، والتوزيع نوع من التبويب والتنظيم ، وعليه فهذا هو دور السورة ومعناها .

فإنَّ القرآن الكريم فيه (١١٤) مائة وأربعة عشرة سورة ، يعني وجود مجموعات (١١٤) وبناءاً على ما وَرَدَ في الروايات الواردة عن أئمة أهل البيت أَنَّ القرآن مُقَسَّمٌ إلى أربعة أو خمسة أقسام ، أي أَنَّ مجموع السور الـ (١١٤) سورة تجتمع في ظل أربعة أو خمسة أقسام منها السور الطوال وسور المفصَّل ، وسور المئين ، والسور القصار ، فإنَّ مثل هذه التقسيمات العنقودية على شكل مجموعات وكُلُّ مجموعة لها حالة تشجير خاص بها ، ويبين ويوضح لنا هذا التشجير ترابطاً عضوياً ذاتياً بنيوياً بين أبعاض القرآن ، كُلُّ هذا على ضوء منهجنا التفسيري المختار أمومة الولاية على المحكمات فضلاً عن المتشابهات ، والذي يختلف عن بقيّة المناهج التفسيريّة كمنهج التفسير الموضوعي ، وتفسير القرآن بالقرآن والتفسير التجزيئي وأسباب النزول وغريب القرآن وغيرها ، بأنَّ منهج أمومة الولاية يمتاز عنها بأنَّه يهدف إلى أنَّه لا يمكن الوصول إلى حقيقة القرآن إلاَّ بعد أنْ يتضح لنا رسم الكيان الكامل للقرآن عندما يعطي المفسِّر مثلاً لأم الكتاب دوراً اساسياً في كل السور ويحاول استكشاف الارتباط بين كل السور وأم الكتاب ، وحينما ترتسم له مادة وصورة تفسيريّة لكلِّ السور بشكل تنظيمي تراتبي الأعلى فالأعلى والأسفل فالأسفل ، بخلاف ما لو لم يُكتشف هذا الارتباط ويكون بشكل ركامي تكديسي فلا ترتسم له المادة والصورة التفسيريّة .

ولو لاحظنا الروايات الواردة عن أئمة أهل البيت في تفسير القرآن ونظرنا الميزان والنظام الذي يتبعه المعصوم في تفسير الآية وكيفية انتقاله عليه السلام من هذه الآية في هذه السورة إلى آية أخرى في سورة في سورة ثانية ، ثم إلى آية ثالثة في سورة أخرى لها ارتباط بالآية السابقة ، وكيف يجمعها المعصوم عليه السلام ويربط

بعضها مع البعض بمنهجية اكتشاف الأعمدة والساق ، لمنهج ترابط الأعمدة في نظام ومنظومة واحدة وهذه المنهجية تبلورت لدى المتأخرين من حيث يشعروا أو لا يشعروا ومالوا اليها ، فيحدّدون أهداف السورة وغاياتها خاصة في كلام المتأخرين من مفسري مدرسة الأمامية ، وأنَّه من دون التعرف والوقوف على أهداف السورة وغاياتها فإنه لن تستطيع الوصول إلى حقائق كُنه كُلِّ آية من السورة .

[نوع الوحدة التي تقوم عليها سور القرآن]

إِنَّ حقيقة النظام الذي يُرتسم لنا من وحدة السورة ووحدة الآية هل المراد به وحدة السياق للآيات أو سياق كلمات الآية الواحدة ؟ فإنَّ الوحدة التي تقوم عليها السورة ليست وحدة سياق كلمات أو جمل أو فقرات .

وكذلك ليست الوَحدَةَ في السورة وحدة موضوع ، فإذا كانت هناك أهداف وغايات متعددة الموضوع فلا تكون وحدة السورة بوحدة الموضوع مع فرض تعدده وهذا ما يكون غالباً في السور وباعتراف متأخري المفسِّرين وكل منها له دور رئيسي لأحد الموضوعات ودور حصري حتى تكون وحدة السورة به .

إذن الوحدة الإنسجامية التي تصهر الآيات في سورة واحِدة فيها آيات مدنية ومكيّة ، وليست الوحدة بحسب الموضوع ، ولا بحسب السياق ولا بحسب أسباب النزول ، فإنَّ أسباب النزول متعددة اتفاقاً فإنَّ السور المكية غالباً فيها آيات مدنية ، بل وحتى السور المدنية فيها آيات مكية ، فالوحدة بين آيات السورة هي وحدة هدف وغاية ولم تنبثق وتتولد من وحدة موضوع ولا سياق ولا أسباب النزول .

القاعدة الثانية عشرة

وحدة السورة ووحدة الآية
ووحدة القرآن ووحدة السورة

من البحوث والقواعد المستمدة والمهمة في قواعد علم التفسير هي قاعدة (وحدة السورة ووحدة الآية ووحدة القرآن سوراً) وإِنَّ كان أصل هذه القاعدة وارد في بيانات القرآن والروايات الواردة عن أئمة اهل البيت ولكن بلورة هذه القاعدة خاصة عند المتأخرين بشكل أكثر وضوحاً .

وتكلَّمنا حول هذه القاعدة التي نحن بصدد بحثها وبيانها في القاعدة السابقة قاعدة مراتب حُجيّة وطبقات القران على ضوء منهجنا التفسير امومة الولاية على المحكمات وذلك لارتباط الجهة المشتركة بين القاعدتين .

إِنَّ بحث قاعدة وحدة السورة وحدة الآية ووحدة القرآن سوراً وتأثيرها على المناهج التفسيريّة المختلفة ، سواء التفسير الموضوعي أو التفسير التجزيئي وأسباب النزول أو أمومة الولاية أو غيرها ضروري في رسم وتحديد الخطوط العامة للسورة وغاياتها وأهدافها والهيكل العام لها واكتشاف المحاور العمدة فيها وعليه فإِنَّ هذه القاعدة مشتركة بين المناهج التفسيريّة المختلفة ولا يمكن لأي منهج تفسيري الاستغناء عن بحث هذه القاعدة .

سنبين خلال بحث هذه القاعدة إِنَّ أكثر المناهج التفسيريّة ملائمة لها هو منهج أمومة الولاية ، إنْ لم نقل هو المنهج الوحيد الملائم لها ، وإنْ كانت المناهج التفسيريّة الأخرى سديدة ، ويستفيد الباحث منها بعض الفائدة ، بخلاف ما يستفيد منها منهجنا التفسيري أي أمومة الولاية ، وإِنَّ سائر المناهج التفسيريّة في

طورها تحاول الاستفادة من منهج أمومة الولاية على المحكمات في كيفية الاستفادة من قاعدة وحدة السورة ووحدة الآية ، سواء اتفقت سائر المناهج التفسيريّة الاخرى مع منجنا التفسيري المختار أمومة الولاية ، أم اختلفت في هذه القاعدة أو القاعدة السابقة صفة مراتب حُجيّة القرآن ، أو غيرها من القواعد الأخرى .

إِنّ كلّ الكلام الذي يجري بلحاظ وحدة السورة نفسه يجري بلحاظ وحدة الآية ، فإنَّ وحدة الآية كوحدة السورة لا بالموضوع الواحد ولا بالسياق الواحد ولا بأسباب النزول الواحدة ، وإِنَّما وحدة الآية بملاحظة مجموع نظام ومنظوم الأغراض والأهداف ومجموعة الخطوط .

إِنَّ روايات أهل البيت أكدّت وركزّت على الوحدة بين السورة والآية لأهميتها ، وأَنَّ أكثر أخطاء المفسِّرين أَنَّهم يحسبون أسباب النزول واحدة للآية الواحدة ، والحال إِنَّ الروايات الواردة عن أهل البيت وعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام تؤكد على أَنَّه قد يكون لصدر الآية الواحدة سبباً للنزول ، ولوسطها سبباً آخر ، ولذيلها سبباً ثالثاً .

عن جابر بن يزيد الجعفي قال سألت أبا جعفر عليه السلام عن شيء من التفسير فأجابني ثم سألته عن ثانية فأجابني بجواب آخر ، فقلت جعلت فداك كنت قد أجبتني في هذه المسألة بجواب غير هذا قبل اليوم **فقال يا جابر إِنَّ للقرآن بطناً وللبطن بطناً وله ظهر وللظهر ظهر يا جابر ليس شيء أبعد من عقول الرجال من تفسير القرآن إِنَّ الآية يكون أوَّلها في شيء وآخرها في شيء وهو كلام متصل منصرف على وجوه**[1] .

---

(١) المحاسن للبرقي ج٢ ص٣٠١.

ورواه العياشي باختلاف ذيل الرواية (وهو كلام متصل يتصرف على وجوه)[١] .

وما رواه العياشي بسنده عن زرارة في باب من فسّر القرآن برأيه عن أبي جعفر عليه السلام قال : ليس شيء أبعد من عقول الرجال من تفسير القرآن أنَّ الآية ينزل أوَّلها في شيء ، وأوسطها وآخرها في شيء ، ثم قال ﴿**إِنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ البَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**﴾ من ميلاد الجاهلية[٢] .

وما ذكره القمي في تفسيره (. . . وأمّا المنقطع والمعطوف فهي آيات نزلت في خبر ثم انقطعت قبل تمامها ، وجاءت آيات غيرها ، ثم عطف بعد ذلك على الخبر الأول ، مثل قوله عزَّ وجَلَّ ﴿**وَإِبْراهِيمَ إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللهَ وَاتَّقُوهُ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * إِنَّما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ أَوْثاناً وَتَخْلُقُونَ إِفْكاً إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقاً فَابْتَغُوا عِنْدَ اللهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾[٣] ، ثم انقطع خبر ابراهيم فقال مخاطباً لأمة محمد ﴿**وَإِنْ تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ وَما عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ البَلاغُ المُبِينُ * أَ وَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللهُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ**﴾[٤] . . الى قوله ﴿**أُولئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي وَأُولئِكَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ**﴾[٥] ، ومثله في قصة لقمان قوله ﴿**وَإِذْ قالَ لُقْمانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ**

---

(١) تفسير العياشي ج١ ص٨٧ ح٨.

(٢) تفسير العياشي، ج١، ص٩٥ ح١ باب من فسر القران برأيه.

(٣) العنكبوت ١٦ ـ ١٧

(٤) العنكبوت ١٨ ـ ١٩

(٥) العنكبوت٢٣

عَظِيمٌ﴾[١] ، ثم انقطعت وصية لقمان لابنه فقال **﴿وَوَصَّيْنَا الإِنْسانَ بِوالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلى وَهْنٍ . . . . الى قوله فَأُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾**[٢] ، ثم عطف على خبر لقمان فقال : **﴿يا بُنَيَّ إِنَّها إِنْ تَكُ مِثْقالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّماواتِ أَوْ فِي الأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللهُ إِنَّ اللهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾**[٣] ، ومثله كثير .

وما ذكره في تفسير النعماني عنه البحار . . . المنقطع المعطوف في التنزيل هو انَّ الآية من كتاب الله عَزَّ وجَلَّ كانت تجيء بشيء ما ثم تجيء منقطعة المعنى بعد ذلك وتجيء بمعنى غيره . . الى قوله . . وإنَّما معناه إلى أنْ تَقَطَّع قلوبهم ومثله كثير في كتاب الله عَزَّ وجَلَّ [٤] .

وعن علي بن الحسين المرتضى في رسالة (المحكم والمتشابه) نقلاً من تفسير النعماني عن اسماعيل بن جابر ، **عن الصادق**عليه السلام **قال : إِنَّ الله بعث محمداً فختم به الأنبياء فلا نبي بعده ، وأنزل عليه كتاباً فختم به الكتب فلا كتاب بعده إلى إِنَّ قال : فجعله النبي**صلى الله عليه وآله **علماً باقياً في أوصيائه فتركهم الناس ، وهم الشهداء على أهل كل زمان حَتَّى عاندوا من أظهر ولاية ولاة الأمر وطلب علومهم وذلك إنَّهم ضربوا القرآن بعضه ببعض ، واحتّجوا بالمنسوخ وهم يظنون أَنَّ الناسخ واحتجوا بالخاص ، وهم يقدرون انَّه العام ، واحتجوا بأوَّل الآية وتركوا السُنَّة في تأويلها ، ولم ينظروا إلى ما يفتح الكلام وما يختمه ولم يعرفوا موارده ومصادره ، إذ لم يأخذوه عن أهله فضلّوا وأضلوا .**

---

(١) لقمان ـ ١٣

(٢) لقمان:١٣

(٣) لقمان ـ ١٦

(٤) بحار الانوار ج٩٠/ ٣٠ ـ ٣٢.

ثم ذكر عليه السلام كلاماً طويلاً في تقسيم القرآن إلى أقسام وفنون ووجوه ، تزيد على مائة وعشرة إلى أنْ قال عليه السلام : **وهذا دليل واضح على أنَّ كلام الباري سبحانه لا يشبه كلام الخلق كما لاتشبه أفعاله أفعالهم ولهذه العلة وأشباهها لا يبلغ احد كنه معنى حقيقة تفسير كتاب الله تعالى إلاّ نبيه واوصياؤه . . . الخ**[1] .

وما ذكره العلامة المجلسي في البحار ج٩٠ ب١٢٩ احتجاجات امير المؤمنين عليه السلام على الزنديق المدعي للتناقض في القرآن وأمثاله ، أعرضنا عن نقلها لطول الاحتجاج من ص٩٨ ـ ص١٢٧ وقد اشتملت على اعتراضات واحتجاجات مختلفة ، من أراد فليراجع .

وغيرها الكثير من الروايات الواردة عن أئمة اهل البيت في بيان الآية الواحدة قد يكون لها اكثر من سبب نزول بلحاظ صدرها ووسطها وذيلها وهذا مما يغفل عنه الكثير من المفسِّرين وللأسف ، وتقدّم البحث في قاعدة أسباب النزول أَنَّ الآية الواحدة لها نزولات متعددة على رسول الله صلى الله عليه وآله في مواطن متعددة مما أوهم الكثير من المفسِّرين أَنَّ تعدد أسباب النزول للآية الواحدة هو تعارض والواقع ليس كذلك ، والحكم بالتعارض بين تكرر أسباب النزول خطأ ، لأنَّ طبيعة النزول متكررة ، ويأتي معنى آخر للنزول مرتبط بالنظام الثالث وهو نظام حقائق القرآن فانتظر .

وعليه فإنَّ وحد السورة ووحدة الآية لا يمكن إنَّ يكون معنى الوحدة هو وحدة النزول وإنَّما وحدة السورة أو الآية هي نظام في السورة والآية مؤثر ومهيمن على جو ومسار تفسير السورة والآية .

---

(١) وسائل الشيعة للحر العاملي ج٢٧ ص٢٠٠ ـ ٢٠١ ب١٣ من أبواب صفات القاضي ح٦٢.

وحدة مجموع أهداف السورة توجب وحدة السورة

[الفرق بين الوحدة التي توجدها الأغراض والأهداف المتعددة في السورة الواحدة عن وحدة الموضوع أو وحدة السياق او غيرها]

إِنَّ وحدة الأغراض والأهداف المتعددة في السورة الواحدة أو الآية الواحدة أو مجموع اهداف السورة يوجب وحدة في السورة ، إلاَّ أَنَّ الطابع لهذه الوحدة يختلف عن الأنماط الأخرى المختلفة من الوحدة كوحدة الموضوع ، أو وحدة السياق أو وحدة أسباب النزول أو غيرها .

وبعبارة هل السورة في وحدتها تدور مدار وحدة الموضوع أو السياق أو تدور مدار وحدة الأهداف ؟

إِنَّ الفارق واضح بشيء من التأمل والتدبر حيث نجد الفارق بين وحدة الموضوع يعني الموضوع والعنوان واحد ، وبين وحدة الاهداف أو الغايات أو الخطوط العامة أو الهيكل العام والتي تعني مجموعة عناوين ووحدة مجموع هيكل ومجموع أعمدة لا وحدة عنوان .

إذن معنى الوحدة عبارة عن وحدة منظومة ومجموعة نظام وليست وحدة منظومة في البعد الأفقي ، بل العمودي بل في أبعاد متعددة شبيه بالشيء الكروي .

فوحدة السورة أو الآية ليست قائمة على وحدة الموضوع ، وهذا بنفسه نوع من تسجيل المؤاخذة على منهج التفسير الموضوعي الذي هو تفسير سديد ومتين وناجح في حد نفسه إلاَّ أَنَّه ليس منهجاً تفسيرياً مهيمناً ، وإِنَّما يتكفل دوراً من عشرات أو مئات الادوار التفسيريّة الأخرى وليس هو كل التفسير .

إذن قاعدة وحدة السورة أو الآية تختلف عن وحدة الموضوع وتختلف عن وحدة التفسير الموضوعي باعتراف متأخري المفسِّرين ، سيَّما مفسِّري الأمامية في عصرنا الحالي والعصور المتأخرة من ضرورة الالتفات إلى وحدة نظام ومنظومة الأغراض والأهداف ووحدة الخطوط العامة ووحدة المنظومة للسورة أو الآية ، وأَنَّ الوحدة قائمة بشيء آخر غير وحدة الموضوع وغير وحدة السياق أو غيرها فالسورة أو الآية قد تكون مشتملة على مواضيع متعددة ورغم ذلك هي منظومة ونظام ، كما أَنَّ السياق في أكثر أو غالب الحوار وليس واحداً لباً وإنْ كان كذلك صورة فإنَّ الآية كما تقدم في قاعدة أسباب النزول قد يكون صدرها في شيء وذيلها نزل في شيء آخر ووصفها بشيء ثالث ، فضلاً عن كلٍ منها في النزول والمسائل المتباينة صورة قد يوحدها غرض واحد وهدف متحد ، بل الأغراض المتعددة والأهداف المتكثرة قد يجمعها هدف وراءها أكبر وغرض مهيمن ، فوحدة النظام لا تقوم على أساس وحدة الموضوع فضلاً عن وحدة السياق وسوق الجمل والتراكيب ، وعلى ضوء هذا المعيار في الوحدة يختلف منهجنا التفسيري أمومة الولاية على المحكمات فضلاً عن المتشابهات في تفسير القرآن ، عن سائر المناهج التفسيريّة الأخرى كالتفسير الموضوعي وتفسير أسباب النزول أو التفسير التجزيئي الذي هو أشبه بوحدة السياق .

(تغاير وحدة الآية من سورة عن وحدة السياق)

وقد حكى الشيخ المفيد في كتابه الفصول المختارة (فصل مناظرة آية التطهير) الاتفاق عن عدم التحويل عن وحدة السياق في القرآن ومغايرتها الوحدة الآية ووحدة السورة (. . . لا خلاف بين الامة إنَّ الآية من القرآن قد

يأتي أوَّلُها في شيء وآخرها في غيره ووسطها في معنى وأوَّلها سواه وليس طريق الاتفاق في معنى احاطة وصف الكلام بالآية . .) .

(نماذج تطبيقية من روايات أهل البيت واحتجاجاتهم على المعترضين في الاعتماد على محورية الهدف دون وحدة السياق في آيات القرآن فضلاً عن سوره)

أولاً : عن الأصبغ بن نباته إِنَّه سئل أمير المؤمنين عليه السلام عن قول الله عَزَّ وجَلَّ ﴿أَنَّ اشْكُرْ لِي وَلِوالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ **قال الوالدان اللذان أوجب الله لهما الشكر هما اللذان وَلّدا العلم . . . إلى قوله يؤمنون فهذا من المنقطع المعطوف**[١] .

ثانياً : قوله تعالى ﴿سَيَقُولُونَ ثَلاثَةٌ رابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ وقوله عَزَّ وجَلَّ عند ذكر عدتهم (ما يعلمهم إلاَّ قليل) مثل حكايته عنهم في ذكر المدة ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعاً * قُلِ اللهُ أَعْلَمُ بِما لَبِثُوا﴾ فهذا معطوف على قوله ﴿سَيَقُولُونَ ثَلاثَةٌ رابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ فهذه الآية من المنقطع المعطوف[٢] .

ثالثاً : رواية النعماني[٣] **عن أمير المؤمنين** عليه السلام . . . **قوله** ﴿سَيَقُولُونَ ثَلاثَةٌ رابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ إلى آخر الآية وقوله عَزَّ وجَلَّ عند ذكر عدَّتهم ﴿مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ مثل حكايته عنهم في ذكر المُدّة ﴿ولبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعاً * قُلِ اللهُ أَعْلَمُ بِما لَبِثُوا﴾ فهذا معطوف على قوله ﴿سَيَقُولُونَ ثَلاثَةٌ رابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ فهذه الآية من المنقطع المعطوف[٤] .

---

(١) تفسير القمي ج٢ ص١٤٩.

(٢) المصدر السابق.

(٣) رواية النعماني لها عنوانان الاول: رسالة في المحكم والمتشابه المنسوب للسِّيد المرتضى، والثاني تفسير النعماني لابن ابي زينب النعماني من تلامذة محمد بن عقوب الكليني.

(٤) بحار الانوار، ج٩٠ ب١٢٨ ص٣٨.

(وحدة السورة بوحدة نظام ومنظومة الاغراض والاهداف وكذلك الآية)

كما وينبغي التنبيه على أنَّ وحدة الآية ووحدة السورة هي بوحدة نظام ومنظومة الأغراض من الآية أو السورة ، فإنَّ الغرض ليس واحداً ، وكذلك الهدف ليس بالضرورة واحداً ، بل باعتراف متأخري المفسِّرين بأنَّ أهداف الآية أو السورة غالباً ما تكون متعددة ومتكثرة وليست غرضاً واحداً ، ولكن هناك رابط موحد ومنظومي يربط هذه المجموعات من الأغراض للآية أو السورة .

نعم وحدة الأغراض للآية والسورة هي وحدة نظم ومنظومة ويشير إلى ذلك قول الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام حول وحدة النظم (. . . وامامتنا نظاماً للملّة) فأمومة الولاية للمحكمات هي نفس أمومة المحكمات لجميع القرآن ، وعليه فعندما يقال وحدة السورة ووحدة الآية في هذه القاعدة ليس المقصود به وحدة الهدف أو وحدة الخطوط أو الاتجاهات التي تبيُّنها السورة أو الآية ، وإنَّما المقصود من الوحدة يعني مجموعة الأغراض ومجموعة الاتجاهات التي تبينها السورة أو الآية ، وإنَّما المقصود من الوحدة يعني مجموعة الأغراض ومجموعة الاتجاهات والخطوط والابعاد التي ترسم شكلاً واحداً ونظاماً واحداً أي وحدة النظم المتشكلة من أغراض وأهداف متعددة .

إذن وحدة الآية أو السورة بوحدة الأغراض ، ووحدة الأهداف ، وإلاَّ فالسياقات في الآية الواحدة أو السورة الواحدة متعددة ، وبالتالي فإنَّ وحدة الآية أو السورة ليست بوحدة السياق كما غفل عن هذا أكابر المفسِّرين وخلط واستبدل وحدة الأغراض والاهداف في السورة أو الآية بوحدة السياق ، ويرى التناسب بين الآيات أو بين الجمل في الآية الواحدة مسترسلاً وباتجاه واحد

بسياق واحد بخلاف ما إذا كانت الاتجاهات مختلفة ـ كما مرّ ـ فإنَّه بينها اختلاف كبير .

(الفرق بين وحدة السورة أو وحدة الآية وبين وحدة أسباب النزول)

كذلك الحال بالنسبة إلى وحدة السورة أو الآية تختلف عن وحدة أسباب النزول وهل إنَّ وحدة السورة قائمة بأسباب النزول الواحد أو لا ؟ ان هذا لا يمكن للمفسِّر الالتزام به لأنَّ أسباب النزول في أكثر أو أغلب السور ـ إلاَّ ما ندر ـ متعددة ومتباينة زماناً ومكاناً ـ جغرافية ـ وموضوعاً واتجاهاً منها المكيّ ومنها المدنيّ وسواء قبل القتال والجهاد وقيام دولة الرسولﷺ أم بعد ذلك ، وبعد هذا الاختلاف والتباين في قضايا أخرى كثيرة فلا يمكن للمفسِّر أنْ يتفوه بها حتَّى بلحاظ وحدة السورة أو وحدة الآية الواحدة ، وهذا ما يغفل عنه الكثير من المفسِّرين ـ وللأسف ـ حتَّى من الخاصة ، بينما أهل البيت يؤكدون على هذا كثيراً بل رُبَّما غفل الكثير من المفسِّرين عن تعدّد سبب النزول في الآية الواحدة خاصة إذا كانت الآية قصيرة ولا يرى المفسِّر تحمل الآية القصيرة أسباب النزول المتعددة ، عكس ما أورد في روايات أهل البيت من أَنَّ المقطع الواحد من الآية الواحدة قد يكون له بنفسه أسباب نزول متعددة بعضها متقارب من بعض زمانياً وبعضها الآخر متباعد .

بل ربما بعض المفسِّرين يوقعون التعارض بين روايات أسباب النزول المختلفة للآية الواحدة أو المقطع الواحد للآية الواحدة مع إِنَّه تقدم في مبحث أسباب النزول تعدد أسباب النزول للآية الواحدة أو المقطع الواحد منها أكثر من واحد من أسباب النزول وبمعان مختلفة إلى درجة الذم في مقابل المدح من دون أن يكون تناقض أو تضاد .

(الفرق بين وحدة السورة ووحدة الآية وبين وحدة السياق)

لسائل إِنَّ يسأل هل أنَّ معنى وحدة السورة ووحدة الآية هي وحدة سياق أم لا ؟ وإذا كان الجواب بالنفي فما هو الفارق بين الوحدتين ؟

وهذا ما يقع فيه الخلط من قبل كثير من المفسِّرين ، بل ربما حتى من قبل الذين يلتزمون بضرورة تعين وحدة السورة ووحدة الآية بأهدافها وغاياتها مع ذلك يقعون في اشكالية وحدة السياق ، وكأنَّما يفسِّرون وحدة السورة بوحدة السياق ، بينما حقيقة الأمر ليست كذلك وأَنَّ حقيقة وحدة السورة أو الآية ليست وحدة سياق وهذا الخلط والضابطة الخاطئة لكثير من المفسِّرين في تفسير وحدة السورة ووحدة الآية يبعدهم عن فهم كلام الله العزيز ويتخيلون ويتصورون خطأ إِنَّ الله تعالى ساق هذه الآيات والسور بمساق واحد .

وقد تقدّم ذكر جملة من الروايات الواردة عن أئمة اهل البيت التي أكدت وركزت على أهمية وجود وحدة بين السورة والآية وأَنَّه يمكن أنْ يكون للآية الواحدة أسباب نزول متعددة بلحاظ صدرها سبباً وبلحاظ وسطها سبباً آخر وثالثاً بلحاظ ذيلها[(١)] .

فائدة : إِنَّ علماء العلوم الدينية لاسيَّما علماء أصول الفقه يعتبرون وحدة السياق حجة معتبرة ، إلاَّ أَنَّه من أضعف القرائن و لا يصار اليها حيث لا قرينة أخرى في البين ، ولا تصمد قرينة وحدة السياق في وجه قرينة خاصة مدافعة فما إنْ وردت القرينة الخاصة المدافعة فسوف تذهب قرينة وحدة السياق ادراج الرياح .

---

(١) تقدم ذكر مجموعة روايات نقلها صاحب المحاسن ج٢ ص٣٠١ والعياشي ج١ ص٨٧ ح٨ ص٩٥ ح١ وبحار الانوار ج٩ ص٣٠ ـ ٣٢ ، ووسائل الشيعة ج٢٧ ص٢٠٠ ـ ٢٠١ ب١٣ من أبواب صفات القاضي ح٦٢ .

التنبيه على امور : (وحدة السياق منزلق فيه أقدام المفسِّرين وحذرت منه روايات أهل البيت) .

أولاً : على الرغم من تنبيه علماء البلاغة وعلماء الأدب في أدب اللغة ، وعلم أصول الفقه وغيرهم على أَنَّ قرينة وحدة السياق قرينة ضعيفة وأنْ كانت معتبرة إلاَّ أَنَّه وللأسف اعتمدها متأخرو المفسِّرين اعتماداً كبيراً وبدرجة عالية وكأَنَّما قرينتها مهيمنة ومن أقوى القرائن الأخرى جميعاً ومثابة الخيمة التي تظلِّل الجوَّ التفسيري للسورة والآية وهذا بحدِّ نفسه يُشكِّل ارباكاً وخلطاً كبيراً جدّاً بين ميزان وحدة السورة الذي هو بوحدة نظام ومنظومة الأغراض والأهداف لا بوحدة السياق وفرق بين الوحدتين ، فإنَّ وحدة نظام ومنظومة الأغراض لها ضوابط وآليات مختلفة مادامت لأغراض متعددة وليس الهدف والخط واحداً وإنَّما متعدداً . كلُّ ذلك بيّنه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في قواعد التفسير في كتاب الاحتجاج للشيخ الطبرسي وكذلك كتاب تفسير النعماني وغيرهما من أَنَّ المنشأ الأكبر للاشتباه عند البشر في فهم كلام الخالق في القرآن هو الاعتماد على وحدة السياق في الآية فضلاً عن السورة ، وإِنَّ وحدة السياق في الآية على ما بيناه سابقاً في بحث قاعدة النزول خدعة ينزلق فيها قدم المفسِّر ، وينبغي للمفسِّر الفطن إنَّ لا يعتمد على قرينة وحدة السياق فإِنَّها منزلق تزل فيه الأقدام .

ثانياً : ينبغي الالتفات أيضاً إلى أَنَّ بعض المفسِّرين فهم من وحدة الآية أي وحدة السياق بمعنى التتالي والتعاقب والاتجاه ، وأَنَّ أحد أسباب وآليات وحدة السياق هو وحدة الموضوع ، وإنْ كان السياق لا يعتمد فقط على وحدة الموضوع ، ولا على وحدة أسباب النزول وإِنَّما أحد آليات ضوابط وحدة السياق هو الترابط

في التعاقب الذكري ، فإنَّ مثل هكذا ارتباط يؤثر أيضاً على وحدة السياق ، وإنَّما بوحدة نظام منظومة أهداف وأغراض فإنَّ الضابطة المدارية في وحدة الآية أو السورة بمعنى وحدة الغرض تختلف عن وحدة السياق ، وإنْ كان هناك تشاكل وتشابه بين الوحدتين ، إلاَّ أنَّه يوجب الخلط وبالدقة فإنَّه بينهما اختلاف بل إنَّ وحدة نظام ومنظومة الأغراض تختلف عن وحدة الغرض والهدف وحدة السياق ، وعليه فإنَّ الوحدة التي تتشكل من التعدد هي وحدة النظام ووحدة المنظومة التي تتشكل من الشيء الواحد ، شبيه التنوع والتعدّد والتخالف الذي يصب في غرض واحد كما في قوله ﴿**وَلَوْ لا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوامِعُ وَبِيَعٌ**﴾[1] فإنَّها تختلف عن الوحدة التي تتشكل من الشيء الواحد موضوعاً أو عنواناً وماهية ﴿**وَجَعَلْناكُمْ شُعُوباً وَقَبائِلَ**﴾[2] ، لغاية واحدة وليس وحدة عرفية أو وحدة نسبية .

(الخلط بين وحدة السورة ووحدة الآية وبين وحدة السياق)

[تنبيه] إنَّ الخلط الكبير الذي وقع فيه أكابر محققي متأخري المفسِّرين من الفريقين هو الوقوع في الخلط بين وحدة السورة غرضاً وغاية وهدفاً وهيكلاً وبين وحدة السياق فإنَّهم يندفعون تلقائياً إلى وحدة السياق في السورة و الآية حسباناً منهم إنَّه واحد .

وليس هذا الخلط على مستوى التنظير ، فإنَّه لو كان كذلك لسهل الأمر ، فإنَّ الخلط على مستوى التنظير هو التمييز بين وحدة السياق ووحدة السورة أو

---

(١) الحج/ ٤٠.

(٢) الحجرات / ١٣.

الهدف أو الغرض ، فإنَّ العلوم التي درسها المفسِّر كثيرة منها علوم اللغة وعلم أصول الفقه وغيره وبالتالي فإنَّ الأمر على مستوى التنظير في التمييز بين الوحدتين هيّنٌ وسهل وواضح .

وإنَّما الكلام في مقام العمل والتطبيق فإنَّ المفسِّرين المتأخرين عادة يقعون في الخلط بين وحدة السياق ووحدة السورة أو الآية وإنَّه لأجل أنْ يتقيَّد المفسِّر ويضبط وحدة أغراض السورة وغاياتها وأهدافها ظنّاً منه بأنْ يجعلها في سياق واحد ، وهذه غفلة كبيرة لأنَّ بين الوحدتين فرق جوهري .

(العلاقة بين منهج تفسير أمومة الولاية والمحكمات ووحدة السورة ووحدة الآيات)

قد يُثار اعتراض ما حاصله إِنَّ منهج امومة الولاية والمحكمات يوحِّد في المحور الواحد ما بين طوائف من آيات من سور متعددة ، فهذا يتدافع مع وحدة السورة في النظرة الاولية ويكون تبيان وحدة نظام أمومة المحكمات ووحدة الامومة للولاية لا يتناغم مع وحدة السورة أو وحدة الآية لاسِّيما وأَنَّ نظام وحدة الامومة قد يبعض الآية الواحدة إلى أبعاض مختلفة فضلاً عن تبعيض السورة الواحدة بل قد يبعِّض الجملة الواحدة في الآية كما مرت الاشارة اليه .

[تبيان حقيقة الحال] : إِنَّه لا تقاطع و لا تدافع بين وحدة أمومة الولاية والمحكمات وبين وحدة السورة ووحدة الآية وذلك لأنَّ بين السور المتعددة وحدة هي وحدة القرآن فكلُّ سورة وإنَّ كان لها وحدة إلاَّ إنَّ بين السور أيضاً نظام وحدة هو وحدة القرآن فبالتالي فإنَّ وحدة السورة لا تتنافى مع وحدة أخرى قائمة وفيما بين السور وفيما بين أبعاض السور المختلفة فالوحدة من جانب ومن

هوية لا تتنافى مع وحدة أخرى وبهوية جامعة أخرى مع سور أخر فالمهم الهام هو الالتفات إلى الوحدة بحسب النظام والمنظومة تختلف سواء كان وحدة نظام السورة أو وحدة الآية أو وحدة نظام القرآن أو وحدة نظام ومنظومة أمومة المحكمات أو أمومة الولاية تختلف عن وحدة الموضوع أو وحدة النسق والسياق أو وحدة النزول أو وحدة الزمان أو أي وحدات أخرى .

(تساؤل وحيرة منهجية صناعية)

يشكل البعض على المنهج التفسيري في روايات وبيانات أهل البيت بما حاصله إِنَّ هذه الروايات تأويلية باطنة وفيها بيان مطالب ومعاني للآيات والسور القرآنية غائرة في الأعماق والبطون و لا تتفق مع الظهور والظاهر لأَنَّ كل مقطع من الآية في بيانات أهل البيت يحمل على اتجاه ومعنى ومقاطع بيانية أخرى من نفس الآية المباركة وهو الآخر يحمل على معاني أخر في مقطع ثالث في نفس الآية المباركة والثالث يحمل على معنى ومقطع رابع في الآية وهكذا .

وحينئذٍ نتساءل هل أَنَّ هذه الآية المباركة لها معنى واحد أو أكثر من معنى ؟ أم لها اتجاه وسياق واحد أم اتجاهات وسياقات متعددة ؟ وبالتالي فإِنَّ هذا يشكِّل نوع من التضارب والتدافع والتهافت إلاَّ إِنَّ تحمل على تأويلات لا شأن لهذه البيانات بقالب الظهور .

ويظن البعض إِنَّ هذا الاشكال صناعي وموزون

وجوابه : إِنَّ هذا بالحقيقة ليس بموزون ولا صناعي كما أشار اليه أئمة أهل البيت المنبثق كلامهم من كلام رسول الله صلى الله عليه وآله وكلامه منبثق من كلام الله

تعالى ولكن بمقدور من استخراج هذه المعاني ؟ ففي الرواية عن أمير المؤمنين عليه السلام المتقدمة والمعروفة باحتجاج أو رواية الزنديق **قوله عليه السلام (ولا يشبه تأويله كلام البشر ولا فعل البشر . . وإنَّما جعل الله تبارك وتعالى في كتابه هذه الرموز التي لا يعلمها غيره وغير انبيائه وحججه في أرضه لعلمه بما يحدثه في كتابه المبدّلون . . . قسّم كلامه ثلاثة أقسام فجعل قسماً منه يعرفه العالم والجاهل ، وقسماً لا يعرفه إلاَّ من صفا ذهنه ولطف حسُّه وصحَّ تمييزه ممن شرح الله صدره للإسلام ، وقسماً لا يعرفه إلاَّ الله وأمناؤه الراسخون في العلم ، وإنَّما فعل ذلك لئلا يدعي أهل الباطل من المستولين على ميراث رسول الله من علم الكتاب ما لم يجعله الله لهم**[(١)] .

وهذا الاحتجاج وجواب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وهذا الجواب يحمل في طيّاته أصول لعلوم القرآن بل لعلوم كثيرة وإِنَّ كل بند موضوع لعلم مستقل برأسه كعلم الرجال وعلم الحديث والسيرة وعلم تفسير القرآن وعلم الأخلاق وغيرها .

وبيّن أمير المؤمنين عليه السلام أحد أهم الأسباب الكبيرة في اخفاق البشر وعلماء التفسير في الوصول إلى حقائق تفسير كلام الله هو أَنَّ الآية الواحدة ظنّاً منهم أَنَّ لها غرضاً وهدفاً في سياق واحد وهذا خطأ فادح ونسوا أو تناسوا أَنَّ الاشكال الهندسيّة البهية والعظيمة المختلفة هي في خطوط واتجاهات متعاكسة ظاهراً إلاَّ إِنَّ بتعاكسها وتضادها ظاهراً تَشكّل وحدة وقوّة كما في بناء المساجد العظيمة

---

(١) الاحتجاج للطبرسي ج١ ص٥٦١ باب احتجاجه على الزنديق ح١٣٧ ومحل الشاهد في مواضع متفرقة ص٥٨٧، ٥٩٥، ٥٩٦.

والأبنية ذات الأشكال الهندسيّة المختلفة الأبعاد والمتداخلة ، وأنّه ليست الوحدة فقط بمعرفة الأقطاب والركائز وإنّما الوحدة تلاحظ بمجموع الخطوط بجميع اتجاهاتها المتعاكسة في نظم واحد ، فإنَّ مثل هذا يولد نوع من القوة والوحدة .

كذلك الروايات الواردة عن أئمة اهل البيت خاصة الواردة عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بيّنت اِنَّ السياقات المختلفة والمقاطع المتعددة للآية الواحدة فيها معاني مختلفة ، لا كما توهم عكس ذلك جملة من أكابر المفسِّرين من أَنَّ اختلاف السياقات المتعددة للآية الواحدة في معاني مختلفة يوجب هدم وحدة الآية .

والحاصل من كل هذا أَنَّ السياقات المختلفة تبني الآية بناءاً متكاملاً ذو أبعاد بوحدة واحدة وجميلة ، فإنَّ ذلك نظير تصميم المهندس المعمار للخرائط فإنَّه كلُّما ازدادت دقته في التصميم والبراعة كلّما ازداد تعقيداً في اختيار رسم وتصميم الخرائط ، فهم ينظرون إلى خارطة خارجية ظاهرة وإنّها بناء واحد ، إلاَّ أَنَّ نظرة المهندس لها تختلف عن نظرة غير صاحب الاختصاص فنظرة غير المختص لا يعلم كيفية ارتباط وقيام هذا البناء المعقّد والصعب مثلما يعلم المصمِّم لها وأين مراكز الثقل واين الاعمدة وأين المحاور و . . . الخ كذلك بنيان العلم من مسائل فإنَّ العالم الحاذق يعلم أين محور العلم الواحد ، وأين موقع محور المحاور وقطب الأقطاب والعلم باتجاهات وتعاكسات الخطوط والسياقات وكيفية الالتفات إلى التناسب والنسبة الوحدوية بين سياقات مختلفة بين مقاطع الظاهر المختلفة والمتناثرة بين اتجاهات متعاكسة وكيف تشكل رباطاً واحداً وهنا الوحدة المنتزعة من نسبة بين المختلفات او المتضادات لا إِنَّ الوحدة منتزعة من البساطة .

وهكذا الكلام الصادر من الساسة ذو الدهاء فإنَّهم يأتون بكلام فيه كلمات متعددة أو جمل متعددة لكنها جملة واحدة مقتضبة ، بينما حسب فهم الانسان الساذج البسيط يقرؤه بجملة واحدة وسياق واحد واسترسال واحد ، بخلاف قراءة الخبراء واهل الاختصاص له على اختلاف اختصاصاتهم من خبراء امنيين أو سياسيين أو استراتيجيين فهؤلاء يتوَّقفون في قراءتهم عند كُلَّ كلمة ويحللِّونها تحليلاً دقيقاً ، وإِنَّ كلَّ كلمة تمثِّل ملَّفاً ، وكلَّ جملة تمثل ملف سياقات متعددة تربطها وحدة أخرى غير وحدة السياق .

وعليه فإنَّ كلَّ محور له تفاصيل وملفات وبنود مختلفة ، والجمع بين المحاور المختلفة في نفس التفاصيل لا يعني أَنَّه ليس هناك نسبة بسبب عدم وحدة السياق ، وإنَّما فيها وحدة بناء ونظام اي وحدة نسبة تشكل وحدة النظام والمنظومة للمختلفات وهذه الوحدة ليست قائمة على وحدة السياق ، وإنَّما البناء والوحدة قائمة على اكتشاف التناسبات والنسب بين أشياء مختلفة تمام الاختلاف ظاهراً وليست بينها جهة مشتركة ولا متلائمة ، فإنَّ براعة المهندس في أيِّ علم من العلوم تكمن بملاحظة النسب المتفقة بين الأشياء المختلفة والخروج بالوفاق من الخلاف وبالملائمة بين غير المتلائمات فهذه هي براعة المهندس السياسي والاجتماعي والعلمي السياسي والاجتماعي وغيره .

كذلك بالنسبة للمفسِّر الناجح عندما يخوض في مبحث وحدة السورة أو الآية فإنَّه من الخطأ إِنَّ يبحث ذلك ببساطة سطحية بأنْ يجعل الآية في موضوع واحد ، أو في سبب نزول واحد او وحدة سياق واحدة وغير ذلك وإنَّما الصحيح على المفسِّر الناجح أنْ يمتحن نفسه ويخوض غمار استخراج النسب المتناسبة

والمَوَّحدة من الموضوعات المختلفة وأسباب النزول والسياقات والاتجاهات المختلفة للآية الواحدة فضلاً عن السورة الواحدة ، فإذا اكتشف المفسِّر الناجح تلك النسب المتناسبة والموحدة فآنذاك استطاع اكتشاف وحدة البناء ووحدة الغرض أو الأغراض في السورة .

وهكذا يكمن سرّ نجاح ومهارة المفسِّر الحاذق في استكشاف الجهة المشتركة في شأن أنبياء الله تعالى ابراهيم وشعيب وموسى وعيسى فإنَّ شؤونهم ليست في سياق واحد ، ولا في جوّ معين فإنَّ لكلٍّ نبي جو وسياق معين ، فقد يكون تصوير القرآن لهذه الاجواء المختلفة في آية واحدة ، أو آيات فأين السياق الواحد والقرآن الكريم بيّن لها سياقات مختلفة ، ولكن بينها تناسبات واحدة .

وهذه هي النكتة في اكتشاف وحدة الجهة المشتركة من بين الجهات والسياقات المختلفة ، فإذا ضيّع المفسِّر هذه الحقيقة وهي اختلاف هذه السياقات فقد ضيّع حقيقة بناء الآية أو السورة أو إذا جعل السياق واحد فحينئذٍ اسقط أعضاء بناء الآية وبناء السورة .

إذن المهارة في اكتشاف الجهة المشتركة من السياقات وأسباب النزول المتعددة والمتباينة في الظاهر ولكن في الواقع بينها جهة ونسبة مشتركة .

الوحدة حقيقة واقعية موجودة في الكثير (وحدة الاهداف والأغراض قائمة باتجاهات مختلفة بل غالباً تكون بعدم وحدة السياق)
(كمال الوحدة في الكثرة وليس في اللاكثرة)

إنَّ الباحث في التفسير ومعاني الكلمات القرآنية إذا لاحظ معان كل جملة

من جمل الآية الواحدة فضلاً عن ملاحظة المعاني لكل آية من آيات السورة وكانت تلك المعاني متباعدة فالمفروض إنَّ لا يحسب هذا التباعد نوع من التناقض أو التدافع ، وعلى المفسِّر أو الباحث الفطن أنْ لا يحذف هذا التباعد من الحساب ، بل يبقيه بين الآيات والجمل وأنْ يستكشف الرابط المنسق كمنظومة بين المتباعدات فإذا استطاع اكتشاف ذلك فحينئذٍ سوف يلتفت إلى ما هو المدار والمحور لوحدة الآية والسورة بخلاف ما إذا كان الباحث أو المفسِّر الكريم يحاول دائماً أنْ يصهر معاني الجمل ويسكبها في شاكلة واحدة بارزة وطراز وهيئة واحدة ، فاعلم أنَّه قد أخفق في الوصول إلى الوحدة الحقيقيّة في تفسيرها أو في وحدة السورة .

وهذه ترجمة عملية لما ورد في بيانات أهل البيت من أنَّ اكبر سبب لا خفاق البشر في فهم كلام الخالق ظَنَّهم أَنَّ الكلام في الآية أو في السورة هو سياق واحد والحال أنَّه سياقات مختلفة ومتعددة ومتناسبة فيما بينها نظير هندسة البناء فإنَّه ليس ببعد واحد ، فإنَّ البعد الواحد لا يَشكِّل بناءً اصلاً لأنَّ طبيعة البناء يجب إِنَّ تكون ذو أبعاد واتجاهات واختلافات وبالتالي يتولد من تلك الكثرة وحدة وأمّا اللاكثرة فليست وحدة فإنَّ اللاكثرة نقص وعدم وليست الوحدة باللاكثرة .

وبعبارة أخرى : إِنَّ كمال الوحدة في اللاكثرة ، فإنَّ الوحدة حقيقة واقعية موجودة في الكثرة وليس في الكثرة والقلّة ، وهذا شبيه إلى حَدٍّ ما بما يتوَّهمه بعض ورد عليه الشيخ الطوسي في كتابه التهذيب من أَنَّ هذا لا يتعارض مع لسان الروايات ولذا أسسوا قاعدة مهمة جدّاً (الجمع مهما أمكن أولى من الطرح) بمعنى أَنَّ الجمع بالمحافظة على التعدّد بما هو تعدد برابطة مُوَّحَدَةً نظميّة

هذه هي الواقعية والحقيقة أي كذلك الكلام في الآيات وجملها والسور فإنَّ الجمع بين ما يتوهم منه التعارض بين الآيات أولى من طرح قالب وهيئة في الجملة على حساب جملة أخرى من القرآن (القرآن لا يضرب بعضه بعضا) .

ولذلك وردت عندنا توصية مهمة وعظيمة في تفسير القرآن بعضه ببعض لا كما فهمه بعض المفسِّرين هو أَنَّ الاستغناء بالقرآن من دون حاجة إلى السُنَّة وتقدم الكلام فيها في القاعدة السابقة (صفة حُجيّة مراتب القرآن) وهكذا نفس الكلام في قاعدة تفسيريّة مهمة اخرى وهي قاعدة (من ضرب القرآن بعضه ببعض هلك) بمعنى أنْ تجعل معارضة واصطدام واصطكاك وتطرح بعض الآيات أو الجمل على حساب غيرها ، فالمفسِّر الذي يضرب بعض القرآن ببعضه معناه أنَّه أخفق في التفسير في الوصول إلى حقيقة مراد القرآن ولن يصل إلى شيء من تلك الحقيقة .

ولذا ربما أخطأ الكثير ممن فَسَّرَ القرآن بالقرآن مجرَّداً عن السُنَّة وهو وإنْ كان منهجاً قوياً وسديداً في حدِّ نفسه ـ كما تقدم ـ ولكنَّ المفسِّر إذا لم يراع فيه ضوابط وموازين معيَّنة فإنَّه سوف يتبدل من تفسير القرآن بالقرآن إلى ضرب القرآن بالقرآن ، مما يؤدي إلى طرح القرآن وتعطيله بالقرآن والعياذ بالله .

وقد تقدم في قاعدة صفة حُجيّة مراتب القرآن في تقرير هذا المبنى الذي نريد استكشافه من بيانات اهل البيت في فسَّر معنى النسخ وأَنَّ بعضهم كالسِّيد العلامة الطباطبائي وغيره من مفسِّري الفريقين فسّر معنى النسخ بالباطل وأَنَّ هذا القول له لوازم باطلة كثيرة وتوالي فاسدة .

منها : عدم امكان تخصيص عموم الكتاب بالسُنَّة حتى القطعية فضلاً عن

عدم امكان التخصيص المخصص الظني ، مستدلاً بأنَّ القرآن لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وهذه مسألة مذكورة في جملة من العلوم الدينية وهناك جملة من المفسِّرين يستدلون على عدم التداخل بين الحجتين حُجيّة السُنَّة وحُجيّة القرآن ـ وأنَّ حُجيّة القرآن مستقلة تمام الاستقلال وحسبنا هذه الحجّة مستدلين على ذلك بالآية المباركة ﴿**لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ**﴾[1] .

بتقريب : إِنَّ القرآن لا يأتيه الباطل لا من بين يديه ولا من خلفه أمّا من الداخل فيمكن أنْ ينسخ ويبطل بعض القرآن ببعضه الآخر .

وجوابه : **أولاً** : سيأتي في مبحث النسخ إذا كان تفسير النسخ بمعنى ابطال القرآن بعضه ببعض فهو غير متعقل ، بمعنى لا يأتيه الباطل مطلقاً لا من بين يديه ولا من خلفه ولا من الداخل و لا من الخارج لأنَّ من ضرب بعضه ببعض فقد هلك .

ثانياً : كذلك سياتي في مبحث النسخ أنَّه لا يمكن تفسير النسخ بمعنى الابطال لا نسخ القرآن بالقرآن ولا نسخ القرآن بالسُنَّة لأنَّ القرآن لا يمكن ابطاله أصلاً بخلاف تفسير بعضهم للنسخ وأنَّه تخصيص وليس ابطال وسيأتي بحثه مستقلاً في القاعدة اللاحقة ـ قاعدة النسخ في القرآن ـ .

إِنَّ قاعدة القرآن لا يضرب بعضه بعضاً قاعدة اخرى مستقلة لها ضوابطها وسياتي البحث عنها مستقلاً إنْ شاء الله تعالى . إلاَّ إنَّنا نذكر معجلاً شيئاً منها ولو على نحو الاجمال .

---

(١) فصلت/ ٢٤.

(معنى قاعدة القرآن لا يضرب بعضه بعضا)

هناك منهجان تفسيريان احدهما يقف على طرف نقيض الاخر ، وهما :

أولاً ـ منهج تفسير القرآن بالقرآن ، ومنهج ضرب القرآن بالقرآن ـ والعياذ بالله ـ ويجب على الباحث اللبيب أنْ لا يخلط بينهما فإنَّ معنى ضرب القرآن بالقرآن هو تقرير منافاة وتضاد بين معاني الآيات .

وثانياً : القيام بتحوير ظهور الآيات بأنَّ تأتي قرينة منفصلة يقلب ظهور كلام منفصل آخر ، بدعوى توهم المنافاة ولعلاج المنافاة المتوهمة وأَنَّ هذا التحوير من مقرّرات الحوار العرفي والنظام الأدبي واللغوي ، وأَنَّ القران لم يتخط هذا المنهاج هذا بالنسبة لكلام البشر .

جوابه : إِنَّ القرآن الكريم يتميز بخصوصية وهي أَنَّه ليس بكلام بشر حتى يضرب بعضه بعضاً ، بل هو كلام دائماً منسجماً ومتلائماً بعضه مع البعض الآخر تمام الانسجام والملائمة رغم ترائي وجود منافاة في الظاهر والوهلة الاولى .

وهنا يأتي دور براعة ومهارة المفسِّر في بيان وجه الموافقة والملائمة وعدم التعارض بين الآيات .

فمثلاً الآية المباركة ﴿**الْوَلَايَةُ للهَّ الْحَقّ**﴾[1] فإنَّها حصرت الولاية بالله تعالى فقط وفقط بينما في آية ﴿**إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا**﴾[2] ، ذكرت أَنَّ الأولياء ثلاثة بعضهم في طول البعض الآخر .

---

(١) الكهف/ ٤٤.

(٢) المائدة/ ٥٥.

و لا تضارب بين ظاهر معنى الأيتين ، ولا الزام في ابقاء معنى الآية الاولى على حالها .

وهكذا قوله تعالى ﴿وَإِنْ تُبْدُوا ما فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحاسِبْكُمْ بِهِ اللهُ﴾[1] ، بينما في آية أخرى ﴿فَلَوْ لا إِذْ جاءَهُمْ بَأْسُنا تَضَرَّعُوا﴾[2] . فيها تولي وعدم محاسبة إذا تاب الانسان حتى قبل المعاينة ، وقوله تعالى ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنا قالُوا آمَنَّا بِاللهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنا بِما كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ * فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنا سُنَّتَ اللهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبادِهِ وَخَسِرَ هُنالِكَ الكافِرُونَ﴾[3] .

فإنَّ أصحاب منهج ضرب القرآن بعضه ببعض يتوهمون وجود تضارب بين ظاهر الآيتين والحال أنَّه لا تضارب بينهما على منهج أمومة الولاية على المحكمات فالآية الأولى مثلاً مطلقة ولكن لا وجه آخر يتلائم مع الآية الثانية وهنا يظهر دور المفسِّر الفطن أنْ يكتشف وجه الملائمة بينهما من دون إنَّ يتصرف في ظهور كُلِّ آية آية ، وهذا ما يدعو له منهج أمومة الولاية على المحكمات ، وأَنَّ هناك اكتشاف نظام الآيات والسور ، بل اكتشاف نظام القرآن كمجموع وحينئذ تكون قاعدة الجمع مهما امكن أولى من الطرح هي الحاكمة والمحكمة في المقام .

فائدة : إِنَّ المراد من الأولى في هذه القاعدة الجمع مهما أمكن أولى من الطرح هو أَنَّ الجمع أولى من الطرح تعييناً .

نظير ما يقال في الفقه : إِنَّ الفقيه كل الفقيه هو الذي لا يفرِّط بأي ظهور من الظهورات لا من باب تكديس سطحي ساذج حشوي للمعلومات بل إِنَّ

---

(١) البقرة / ٢٨٤.

(٢) الانعام/ ٤٣.

(٣) غافر/ ٨٤ ـ ٨٥.

عدم التفريط مبتن على عمق فقهي ثاقب بالالتفات إلى هذه الظهورات هل لها نسبة نظام واحد ومنظومة واحدة أو لا ؟

كذلك في علم التفسير فإنَّ المفسِّر كل المفسِّر هو الذي يعتني بكلِّ ظهور من الظهورات ولا يسقط أيَّ ظهور من ظهورات القرآن ، ويعتني بها ولو من باب توليد الاحتمال وسواء كان هذا الاحتمال احتمالاً لغوّياً أو بلاغياً او نحوياً أو غير ذلك ، بل ولا يعطِّل ولا يبطل ولا يضرب أي ظهور مع ظهور آخر .

وعلى أي حال كما ذكرنا ليس كلامنا في صدد بيان قاعدة من ضرب القرآن بالقرآن فقد هلك بقدر ما نريد أنْ نلفت اليه أنظار الأخوة الباحثين من أهمية وحدة نسبة النظم في رفع ودفع هذه الأقوال المتوهمة والتي سياتي بحثها إنْ شاء الله تعالى .

فكما مرّ من منع قاعدة ضرب القرآن بالقرآن وإِنَّ حلحة التضارب بإبقاء كُلِّ شيء على حاله وظاهره الذي قد يتبادر منه إلى اوهام البعض ما ظاهره التناقض والتدافع ، ولا يمكن حلّ عُقد هذه المشكلة الا باكتشاف منظومة تحيط بهذه المتخالفات وتربط بينها وما ذكر في دفع قاعدة من ضرب القرآن بعضه ببعض فقد هلك هو المذكور في ضابطة وحدة الآية والسورة ، وكذلك ما يذكر في قاعدة أَنَّ القرآن ذو مراتب في الحُجيّة ولكنّه ذو نظام واحد وشكل وهيئة واحدة . فهذه هي الجهة المشتركة بين هذه البحوث الثلاثة .

(تلخيص الجهة المشتركة بين القواعد الثلاث)

هناك جهة مشتركة بين المباحث والقواعد الثلاث قاعدة القرآن يفسِّر

بعضه بعضاً وقاعدة القرآن يضرب بعضه بعضاً وقاعدة ان القرآن ذو مراتب في الحُجيّة ولكنَّه ذو نظام واحد .

وحاصل الجهة المشتركة بينها هو أنَّه من الخطأ أَنْ ينظر المفسِّر أو الباحث إلى أَنَّ القرآن ذو بعد ومحور وشكل واحد على مستوى الآية أو السورة ، وإنَّما يلاحظ القرآن كمجموع فيه تفاصيل وتفصيل لكل شيء بعدة أبعاد ومن جهات شتّى نظير قولهم : فصلت الثوب أي جزأته وفككته ليكون لباساً واحداً ذو شكل واحد ، وإلاَّ إذا نظرنا إلى اجزاء الثوب وجدناها مختلفة تمام الاختلاف إلاَّ أَنَّها في نسبة نظم تشكل شكلاً ورسماً واحداً رغم ان ظاهرها مختلف .

وبالتالي فإنَّه من الضروري جدّاً الالتفات إلى أَنَّ وحدة الآية والسورة فضلاً عن وحدة القرآن ليست وحدة بالسياق ، بل إِنَّ ضرورة السياقات والأبعاد المختلفة أنْ تبقى على ماهي عليه ولا تهدم ولا تبطل ، فإنَّ أبطلت فمعناه إنَّ المفسَّر قد أخفق في الوصول في التفسير إلى حقائق الآية أو السورة .

الفرق بين وحدة السياق في الآية او السورة وبين وحدة تركيب الجملة أو الجمل

إِنَّ وحدة السياق أعم من وحدة التركيب فإنَّها تشتمل على وحدة التركيب وغيرها فوحدة السياق وإنْ كانت موضوعاتها متعددة أو أسباب نزولها متعددة ولكّنها في سياق واحد ولذا تسمَّى وحدة سياق .

بخلاف ما اذا كانت السياقات مختلفة فهذه ليست وحدة سياق ولكّنها وحدة اغراض ووحدة اهداف .

وتقدم أَنَّ وحدة الأغراض والأهداف أهم من وحدة السياق ، فإنَّه حتى

مع اختلاف السياقات والمسافات يمكن وحدة الغرض .

وأمّا تركيب الجمل : فإنَّ من الواضح أَنَّ وحدة التركيب بحث تتكفله كُلُّ علوم اللغة بل وكل علوم الآداب اللغويّة الاثني عشرة أو الأكثر من علم النحو وعلم الصرف وعلم اللغة ، وعلم فقه اللغة ، وعلم الاشتقاق وعلم العروض وعلم البلاغة بما فيه علم البيان والمعاني والبديع وغيرها .

ولا يظن أَنَّ بحث وحدة التركيب يتكفله علم واحد كعلم النحو أو الصرف أو الاشتقاق أو غيرها ، فإن مثل علمِ الصرف يتكفل التركيب الحاصل بين المادة والهيئة للكلمة او الجملة أي يلاحظ بنية الكلمة ، وعلم النحو يتكفل بملاحظة آخر الكلمة ووضعها الاعرابي ، والاشتقاق يتكفل ملاحظة جذر الكلمة ، والبلاغة تتكفل بتركيب نمط معين من هندسة تركيب المعاني ، وعلم البيان يتكفل التركيب الهندسي بين المعاني والألفاظ ، أو بين المعاني والمعاني وعلم البديع يعتني بهندسة تركيب الألفاظ فيما بين بعضها البعض .

إذن تركيبة الجملة الواحدة باختلاف تراكيبها المؤلفة من فعل وفاعل ومفعول ، أو مبتدأ وخبر ، أو مسند ومسند إليهَّ سواء كان الرباط التركيبي فيها تام أي جملة تامة أو جملة ناقصة ، وكل كلمة تضاف إلى كلمة فإنَّها تؤثِّر في اضافة معنى طاري على كلمة أخرى وهذا هو معنى الإعراب الذي يعني معنى زائداً على أصل معنى المفردة اللغوية بسبب انضمامها وانصهارها في تركيب جملة واحدة .

إذن علم النحو يؤثِّر في تركيب الجملة من جانب ، وعلم الصرف الذي يؤثِّر في جانب آخر ومن جهة اخرى وإنْ كان الأخير يعتني ببنية الكملة لا

المادة ، كذلك علم مفردات اللغة ودوره المؤثر في بيان معاني المادّة والحروف المقطعة والمؤلَّفة منها الكلمة مثل (ضرب) كالضاد والراء والباء ومن زاوية أخرى يتكَّفَل علم البلاغة بأقسامه الثلاثة بيان ومعاني وبديع ببيان المعاني الخفية الشفّافة الذائبة في تركيب الجملة ما لا تتكفله العلوم الأخرى .

وهكذا تأثير علم الاشتقاق وبيان طيات الطبقات المنطوية فيه ، وإنْ كان الكثير يخلط بين علم الاشتقاق وعلم الصرف فإنَّ احدهما غير الآخر ، فإنَّ طبيعة علم الاشتقاق وبأقسامه غير طبيعة علم الصرف الذي يعتني ببنية الكلمة .

كذلك هناك علم فقه اللغة أو نحت اللغة الذي أيضاً بدوره يكتشف معاني مطوية ، والتي قد تصل علوم اللغة الآن إلى اثني عشر أو ثلاثة عشر علم وإنَّ كل علم متخصص في اكتشاف معنى مطوي في الكلام غير ما يتكفله العلم الآخر .

والغرض من ذكر أقسام علوم اللغة والأدب لأجل الوصول إلى معنى وحدة التركيب وأنَّ التركيب ليس تركيباً نحوياً فقط وانما تركيب علوم أدبية مع بعضها البعض مثل تركيب صرفي أو تركيب مفردات أو تركيب اشتقاق أو تركيب نحت اللغة أو فقه اللغة ، جملة واحدة تشترك في تركيبها جملة من العلوم ، وهذا التركيب بين المادة والهيئة صار وحدة تركيب وهذه المفردات دقيقة جداً وتعتبر من اوليات علوم اللغة والادب وهي بنفس الوقت ليست بصعبة لا أنَّها منقول عنها وقد أكد أهل البيت في بياناتهم على مراعاة الأسس لهذه العلوم وهي وإنْ كانت مبلورة إلاَّ أنَّها مغفول عنها في الاستعمال .

[تنبيه] أعلم أَنَّ من أعظم اللغات هي اللغة العربية ولغة الوحي بإقرار نفس علماء الأدب واللغة ولذا لاتزال الكثير من قواعد علوم اللغة العربية من نحوها وصرفها وبلاغتها واشتقاقاتها وغيره لم يكتشف مضافاً إلى نشوء الكثير من العلوم في اللغة العربية كعلم اللغة النفسي وفلسفة اللغة وفلسفة اللسان والعلم الصوتي في النبرة وغير ذلك من العلوم اللغوية والتي لم ينته اكتشافها لحد الآن وآخذه في الانكشاف شيئاً فشيء ، حتّى في جانب علم أصول الفقه قسم مباحث الألفاظ لازال البحث فيها مستمراً ، وإِنَّ دور علم أصول الفقه هو إِنَّ يكتشف المعاني الخفيّة والمطويّة في الألفاظ والتي لم يكتشفها علماء اللغة في علومهم المختلفة ولذا أضطر الأصولي أنْ يبحثها في مباحث الألفاظ وبالتالي فإِنَّ هذه المعاني تتركب مع المعاني السابقة ودالٌّ ينضم مع الدوال الأخرى في تشكيل هيئة الجملة او الفقرة .

هذا مضافاً إِنَّه لو لاحظنا بيانات اهل البيت في علم التفسير من أَنَّ التركيبات المتعددة السابقة يمكن تصويرها في العلاقة بين جملة وجملة أو بين ثلاث جمل أو اربع أو خمس أو عشر أو أكثر بل حتى في بعض الكتب القديمة أَنَّ جملة واحدة بمقدار الصفحة بالطباعة الحجرية القديمة ، وغير ذلك فكيف يوجد الرباط بين هذه الكلمات التي ألفت جملة أو جملتين أو أكثر ويمكن صهرها في مفردة واحدة كل هذا في طبقات التركيب والجمل ، أمّا أَنَّ البشر ليس بقدرتهم فذاك بحث آخر ، إِنَّ قدرة البشر محدودة في استثمار اللغة بخلاف قدرة الله وما أودعه الله تعالى من قدرة في حججه وخلفائه واوليائه ، فأَنَّها ليست قدرة محدودة لأَنَّها بأقدار الله ، وإِنَّ هذه الجمل المتكثرة تندك في جملة واحدة أشبه ما

تكون بالشكل الشجري الذي هو من أعظم الأشكال منظوماً وإذا تصاعدنا في التشجير سنصل إلى أَنَّ الكلام سواء بشري أو كلام الهي يمكن ضغطه إلى أنْ يصل إلى كلمة واحدة أو إلى سورة واحدة تكون أُمّا للقرآن إلاَّ أَنَّ الكلام فيمن يستطع الاهتداء إلى ظل هذه الشجرة ؟ لا يصل اليها إلاَّ الله تعالى وحججه ، فإنَّه يستطيعون الوصول إلى صهر هذه القوالب والوصول إلى تراكيب يعجز البشر من الوصول أو الاتيان بمثلها وهذا هو أحد بيانات أعجاز القرآن اللغوية بأنَّ يصهر هذه التراكيب والقوالب وهذا بيان رياضي لغويّ أدبي لكيفية اعجاز القرآن لغة يعني أَنَّ تفسير اللغة غير متناهي وليس بإمكان البشر الاحاطة بها ولاستثمار ما فيها من امكانيات وطاقات .

ولذلك ليس من الجزاف أنْ يقول الامام الباقرعليه السلام ـ وحاشاه ـ (لو شئت لاستخرجت الدين كلِّه من كلمة الصمد فإنَّ هذه الدعوى لا يهتدي اليها لا علماء عصر الامام الباقرعليه السلام ولا بعده ولا عصرنا الحاضر ولا غيرهم على أنَّ يكبسوا الدين والشريعة كلها في لفظة واحدة وهي لفظة الصمد في سورة التوحيد في القرآن الكريم وهذا بحدِّ ذاته برهان عن العلوم اللغوية وأَنَّ هناك مناسبات واقعية في الجمل تندك وينطوي بعضها بالبعض إلى أنْ تصل إلى مفردة واحدة ، وهذا الكلام من الامام الباقر معجزة علمية في علوم اللغة يكشف عن حقيقة في علوم اللغة لم يكتشفها من قبله ولا من بعده أحدٌ من النحاة وعلماء النحو لا الخليل بن احمد الفراهيدي وسيبويه والكسائي والفراء ولا غيرهم الى يومنا هذا .

وهذا البيان من أئمة أهل البيت يعطينا معنى وحدة السورة والآية وذلك

باستكشاف مناسبات وعلاقات خفيّة باطنة بين المعاني يصعب وصول عادي البشر اليها والباري تعالى لم يخبر جزافاً بأنَّ السورة هي واحدة مع أنَّ موضوعاتها متعددة وهناك أسماء وأسباب نزول متعدة في السورة الواحدة وفيها تركيبات نحوية بسيطة وتركيبات بلاغية مختلفة وغير ذلك ، ولذا فإنَّه لا توجد وحدة تركيب في السورة الواحدة ولا وحدة سياق و لا وحدة أسباب نزول ، ولذا من الصعب على البشر اكتشاف الوحدة في السورة واين السور في السورة ، وإنَّ السور هو الشيء المحيط بشيء متعدد فمن يستطيع أَنْ يكتشف السور الواحد الموَّحد لمجموع آيات السورة الواحدة أو وحدة القرآن التي هي عبارة عن وحدة مجموع السور والذي هو عبارة على وحدة مجموع آيات كُلِّ السور .

ولا يقدر على ذلك إلاَّ المعصوم ، وتعجز قدرة عادي البشر عن اكتشاف ذلك وعليه فإنَّ علم اللغة هو أحد المعاجز الالهية التي لم تكتشف بعد كُلِّ علومها وحقائقها .

وخلاصة ما تقدم :

أوّلاً : إِنَّ وحدة الآية أو وحدة السورة ليست من قسم وحدة التركيب المعهود .

ثانياً : مضافاً لما مر من نفي حصر الوحدة بين الجمل بالتركيب الاعرابي النحوي ، وأَنَّه ليس الرابط الوحيد بين تراكيب الجمل ليس هو الإعراب فقط ، وأمّا أقسام الوحدة المعنوية بين التراكيب من غير ناحية الإعراب فمغفول عنها .

ثالثاً : إِنَّ البعض قد يتوَّهم أَنَّ الظهور العرفي هو الظهور الوحيد لا غير ،

وأَنَّ سائر الظهورات الاخرى ماهي إلاَّ ظهورات وبدايات سطحية لظهور الكلام سواء في القرآن الكريم أو الأحاديث النبويّة أو الروايات الواردة أو غيرها .

يدفعه : إِنَّ البشريّة قطعت أشواطاً متقدمة في كيفيّة استشفاف الملفات المختلفة من كلام المتكلم سواء كانت الملفات الامنية منها أو السياسية أو الثقافية أو التربويّة أو الاقتصاديّة أو الماليّة أو غيرها فإنَّ في الكلام بحر موّاج من العلوم ومعاني الكلمات .

رابعاً : ومما تقدّم يعلم إِنَّ وحدة التركيب لا تنحصر بوحدة التركيب النحوي وإنْ كان التركيب النحوي كما تقدم هو تركيب ليس بالسهل وإنَّما هو تركيب اخطبوطي وليس ساذجاً بسيطاً فإنَّه تركيب يبدأ من معاني الحروف إلى المفردات ثم الفقرات ثم الجمل إلى أنْ يُتمّ تفعيل قواعد النحو بشكل لامتناهي وإنَّه ليس بقدرة البشر اكمال قواعد علوم اللغة الى مالا نهاية ، وإنَّما قدرة البشر محدَّدة في اعمال واستثمار قواعد علوم اللغة ، بينما قواعد علم النحو وعلوم اللغة في نفسها لامتناهية من جهة قابلية التطبيق .

والباب غالباً مفتوح على الدوام أمام البشر للاستكشاف والاستظهار وإنْ كانت قدرة البشر بأعمالها كمتكلم أو سامع أو غيره محدودة فواقع الأمر غير محدود وأمّا قدرة البشر فمحدودة و لاتتقزم الحقيقة بعجز البشر ومحدوديته .

ومن ثَم فإنَّ من خواص وصفات سيد الأنبياء وأهل بيته أنَّهم أمراء البيان والبلاغة والفصاحة ، بينما المعلوم في عادي البشر علاوة على محدودية قدرتهم فإنَّه يخطؤون تارة ويصيبون أخرى في ضمن دائرة قدرتهم .

فإنَّ طبيعة العلوم سيّما علوم اللغة فإنّها عبارة عن معادلات ومن الواضح أَنَّ مسائل العلوم ومعادلاته تخطيء وتصيب ويتوَّهم من يظن محدوديّة تلك المعاملات بما هو مدوّن ومقرّر في كتب ذلك العلم لأنَّ طبيعة العلوم تتوالد مترامية إلى مالا نهاية من الآفاق ، ولا يستطيع أحد من عادي البشر أنْ يستثمرها ويعملها بما لها من آفاق مترامية ، ولا يتسنى ذلك وليس بمقدور أحد إلاّ من اتاه الله عَزَّ وجَلَّ القدرة اللدنية .

(الاعجاز البلاغي والنحوي واللغوي في القرآن)

إِنَّ نفس الاعجاز البلاغي والنحوي واللغوي في القرآن هو برهان وتفسير لمعنى الاعجاز في القرآن علماً أَنَّ الكلام واللغة واللسان طبيعة تحكمها معادلات علمية من علوم اللغة واللسان غير متناهية حتّى في المتكلم العادي البشري ، ومن ثَمَّ كان البيان منَّة اعجازية عظيمة مَنَّ الله عَزَّ وجَلَّ بها على الانسان كما يشير اليه قوله تعالى (علمه البيان) فضلاً عن الكلام الالهي المعجز كالتوراة والانجيل والقرآن .

فإنَّه لابُدَّ وأنْ يكون له ـ اعجاز القرآن ـ حقيقة تفوق قدرة البشر كواقعية في هذا الكلام وليس باستطاعة احد من البشر أنْ ينكر حَدَّ الاعجاز في هذه الكتب السماوية إلاَّ أَنَّه ومن المؤسف أَنَّ جملة من الحداثويين وبعض أصحاب الثقافات الجديدة لم يلتفتوا ولم يتفطنوا إلى مثل هذه الأمور ، وينكرون وجود كلام معجز وبلاغة معجزة ، وما ذاك إلاَّ جهل بنفس علوم اللغات وعلوم اللسان و الألسنيات ، فإنَّ طبيعة هذه العلوم في نفسها غير متناهية كما يصفها القرآن بذلك **﴿قُلْ لَوْ كانَ الْبَحْرُ مِداداً لِكَلِماتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ**

كَلِماتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنا بِمِثْلِهِ مَدَداً﴾[١] وقوله **﴿وَلَوْ أَنَّ ما فِي الأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَالبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ ما نَفِدَتْ كَلِماتُ اللهِ﴾**[٢] .

وعليه فإنَّ طبيعة العلوم لو فسّرنا الكلمة والكلام فإنَّ هذا الباب هو الآخر لا يخلو عن اعجاز قرآني علماً أَنَّ الاعجاز القرآني ليس نوعاً واحداً وإنَّما هو انواع كثيرة لضرورة معاينة هذا الاعجاز وتذوقه عياناً وتصوّره واستشعاره تصوراً ، وهو بنيان عجزت البشرية إلى يومنا هذا على أنْ يأتوا بمثله .

والخلاصة من كل ما تقدم أنَّ وحدة التركيب التي نبحث عنها هل هي المدار في وحدة الآية أو وحدة السورة أو لا ؟ فلو بنينا على أَنَّ المدار في وحدة الآية والسورة هو وحدة التركيب ، فليس المراد منه الدرجة السطحية من التركيب ، بل لتركيب لا في جهة واحدة ، بل في جهات متعددة نظير ما يذكر في علم النحو من تعريف للجملة : وهو ما يحسن السكوت عليه فقط .

فهو وإنْ كان تعبيراً ابتدائياً ساذجاً بسيطاً ، وإلاَّ فهناك تراكيب في الكلام عند كل سكنات الكلام بينها أنواع متعددة من الروابط والترابط والمتحصل من كل هذا : أنَّ وحدة التركيب ذات اتجاهات متعددة

منها : تركيب بلحاظ وحدة تركيب الجملة

ومنها : تركيب الجمل بعضها مع بعض .

ومنها : تركيب الفقرات بعضها مع البعض .

ومنها : تركيب الجملة من جمل بسيطة ، بل تركيب الجملة البسيطة من

---

(١) الكهف/ ١٠٩.

(٢) لقمان/ ٢٧.

مفردات كُلِّ مفردة بمثابة جمل بسيطة تتشكّل بأشكال مختلفة وكثيرة ، وبتراكيب غير متناهية تشكِّل وحدة بتوسط قواعد علوم مختلفة لتراكيب معاني متعددة وغير متناهية تشكل وحدة من علوم بتوسط قواعد علوم مختلفة .

[بيان نكتة لطيفة]

إِنَّ كثيراً من المفسِّرين حتى من الخاصة إذا رأوا في بيانات اهل البيت في تفسير القرآن تفكيك للجملة الواحدة فإنّهم يبنون على أَنّ هذا خلاف الظهور وأَنَّه تأويل تعبدي ، أو هذا التأويل ليس يطابق ظاهر التعبير من جهات شتى مع إِنَّه حجة ، ولكّنه تأويل وليس خاضعاً لموازين الظهور ، وحقيقة الحال ليست كذلك فإنَّه في بيانات أهل البيت في بعض الأحيان تفكك الجملة الواحدة في التفسير ، فإنَّ الامام عليه السلام يبين أَنَّ صدر الجملة من الآية في جانب الخير ، وفي ذيلها في جانب الشر ، ووسطها بأمر ثالث ، أو العكس .

وكثير من المفسِّرين يذهبون إلى أَنَّ هذا التفسير من الامام عليه السلام تأويلي ، وإلاَّ لو حملناه على أَنَّه بيان للظاهر لكان تقرير ممجوج .

وتبيان حقيقة الحال :

أوّلاً : ما هو المقصود من كلمة الظاهر ، وبحسب أي علم من علوم اللغة وبلحاظ كم قاعدة من قواعد اللغة تمت مراعاتها ، ليقال إِنَّ هذا خلاف الظاهر أو مطابق للظاهر ، فإنَّ علم النحو مثلاً فيه المئات بل الالاف من المسائل كذلك علم البلاغة وعلم النحت وعلم الاشتقاق وعلم فقه اللغة وعلم مفردات اللغة ، وأنَّ هذه القواعد من هذا العلم تتشابك مع بعضها البعض في العلم

الواحد ، وبين علم آخر ، وبالتالي كم احتمال يصبح لدينا وكم صورة وكم فرع .

ثمَّ وإِنَّ هذه القواعد أسست في هذه العلوم هل اكتشفت وأُسسّت وقُنِنَّتْ لأجل أنْ تكون معطلَّة ومجمَّدَة ، أو مفَعلَّة ، أو لا أقل ليفَعَّل بعضها ويجَمَّد الآخر ، وإنْ كان الحري أنْ تفعّل كلُّها .

إلاَّ إِنَّ الكلام يقع في عجر الجُل من تفصيل كل القواعد ورعايتها .

ثانياً : إِنَّ القرآن الكريم يخبر عن جميع الأمور الغيبيّة ﴿وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾[١] ، التي بداياتها ورأس الخيط فيها هو الكلمة والكلام والصوت ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾[٢] .

ثالثاً : كما أَنَّ اكتشاف سرائر الطرف الآخر وملفاته وطيّاته من لحن القول كما يشير اليه قوله تعالى ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ يكون رأس الخيط فيه عبر ظاهر الكلام ، وعليه فإنَّ ضابطة مطابقة الظهور ومخالفته مبحث مهم في حُجيّة الظهور في تفسير القرآن .

والمفروض أَنَّ جميع علوم اللغة وجميع قواعدها هي قواعد تؤسِّس وتبني الظهور ، إلاَّ أَنَّ هذه القواعد ليست كلُّها واضحة وجلية وأَنَّ في الكثير منها وجود علاقة وتناسب واكتشاف فيما بينها ، فالعلاقة والروابط والتأثيرات فيما بين بعضها البعض خارجه عن قدرة البشر وكلُّها ممّا لها دخل وتأثير في بناء ظهور الكلام ، ومن ثَمَّ اعتبر الباري تعالى البيان أمر معجز ومنّة عظيمة وهبها الله تعالى للبشر كما يشير اليه قوله تعالى ﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ والانسان يرتِّب عليه ـ البيان ـ

---

(١) النمل/ ٧٥

(٢) محمد: ٣٠

الآثار في جميع عباداته ومعاملاته وعلاقاته الاجتماعية ويرتِّب عليه الآثار .

والمعصوم عليه السلام له قدرة عالية على تحليل الكلام الصادر من انسان عادي ومن خلاله وظاهره يستطيع أنْ يكتشف فيه ماضيه ومستقبله من خلال ظاهر كلامه وعليه فتعليم الباري تعالى الانسان البيان هو أمر معجز يختلف استثمار البشر بحسب اختلاف طبقاته وقدراته ، والتفكيك بين محدودية قدرة الانسان ومعجزة العطية الالهية وهو البيان لها نظائر متعددة في أفعال الله مع محدودية قدرة الانسان والمخلوق ، فمثلاً خلقة الانسان معجزة مع إنَّ قدرة الانسان محدودة ، وفعل الله في الانسان غير محدود ، فكذلك فإنَّ قدرة الانسان على استثمار البيان محدودة لكن نفس البيان كفعل وعطية من الله هو معجزة من جهة نسبتها إلى الله عَزَّ وجَلَّ .

خلاصة ما تقدم

لو رجعنا إلى وحدة الآية أو السورة في وحدة التركيب فماذا يقصد من التركيب ؟ وبأيّ درجة منه هل يقصد من هذه الوحدة بحسب قدرة ادراك الانسان أم بحسب واقع نظام تبيان واقع نظام الكلام ، أو يرجع فيه إلى أنَّ المدار وحدة التركيب مدارها وحدة الأغراض ووحدة الأهداف ، وبنيانها ليس نفس بناء وحدة السياق وعليه فيكون هناك ترابط ، وبالتالي يكون هناك نوع من ترابط بين مراتب ظواهر الجمل ومقاطع الكلام وترابط الفقرات ، بل وتنوع ترابط كلمات الجملة الواحدة .

والظهور مرتبة من مراتب الحُجيّة التي ليس بقدرة الجميع قراءتها إلاَّ المطهّرون المعصومون وهي على مراتب ولكن لا يعني ذلك الحصر في السطح

النازل منها وبذلك تتضح لنا مراتب الحجية ، ومراتب من بحث وحدة الآية والسورة وهذه مفاتيح المباحث معقدة في بحوث متعددة في قواعد التفسير وهي محل جدال وسجال وتجاذبات كثيرة في مناهج التفسير .

وبعبارة أخرى قد مر بنا مراراً أَنَّ وحدة النظام والمنظومة تختلف عن وحدة الموضوع فضلاً عن وحدة السياق فإنَّ الوحدة القائمة بين حلقات النظام تحكمها وحدة الهدف ووحدة الغرض لا وحدة الموضوع ، فالموضوعات مختلفة والأبواب متنوِّعة .

القاعدة الثالثة عشرة

النسخ في القرآن

النسخ لغة : النون والسين والحاء أصل واحد إلاَّ أَنَّه مختلف في قياسه ، قال قوم : قياسه رفع شيء واثبات غيره مكانه ، وقال آخرون : قياسه تحويل شيء الى شيء .

والنسخ : أمر كان يعمل به من قبل ، ثم ينسخ بحادث غيره كالآية ينزل فيها امرٌ ثمَّ تنسخ بآية أخرى ، وكلَّ شيء خلف شيء فقد انتسخه ، ومنه نسخ الكتاب(١) ، ونسخ الشيء ينسخه نسخاً وانتسخه واستنسخه اكتتبه عن معارضة .

والنسخ : ابطال الشيء واقامة آخر مقامه ، وفي التنزيل **﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾** والآية الأولى ناسخة ، والثانية منسوخة والأصل نسخة ، والمكتوب عنه نسخة لأَنَّه قام مقامه ، والكاتب ناسخ ومنتسخ ، والاستنساخ كتب كتاباً من كتاب .

وفي التنزيل **﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾** أي نستنسخ ما تكتبه الحفظة فيثبت عند الله .

ونسخ الشيء بالشيء ينسخه وانتسخه أي ازاله به واداله ، والشيء ينسخ الشيء نسخاً أي يزيله ويكون مكانه ، والأشياء تناسخ تداول فيكون بعضها مكان بعض كالدُوَل والمُلك[٢] .

---

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس مادة (نسخ) ج٥ ص٤٢٤ .

(٢) لسان العرب لابن منظور ج٥ ص٣٨٩٩ مادة نسخ

والنسخ : اكتتابك كتاباً عن كتاب وحرفاً بحرف فإنَّ الفراء أبو سعيد مسخه الله قرداً ، أو نسخه قرداً بمعنى واحد[١] .

قال الشيخ أبو علي : نسخ الآية ازالتها بأبدال أخرى مكانها و أنساخها الأمر بنسخها ونسؤها تأخيرها واذهابها لا إلى بدل ، وانساؤها إلى أنَّ يذهب بحفظها عن القلوب ، والمعنى إِنَّ كل آية تذهب بها على ما توجبها الحكمة و تقتضيه المصلحة من ازالة لفظها وحكمها معاً ، أو من ازالة احدهما إلى بدل أو الى بدل ﴿**نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا**﴾ للعباد : أي بآية العمل بها أو حوز للثواب أو مثلها في ذلك[٢] والنسخ الازالة ومنه الحديث (شهر رمضان نسخ كل صوم) أي ازاله يقال : نسخت الشمس الظل أي ازالته ، ونسخ الآية بالآية ازالة حكمها بها فالأولى منسوخة والثانية ناسخة .

والنسح بالمصطلح الشرعي : ازالة ما كان ثابتاً من الحكم بنص شرعي ويكون في اللفظ وفي الحكم وفي أحدهما سواء فعل كما هو في أكثر الاحكام أو لم يفعل وهو في القرآن والحديث النبوي اجماعي من أهل الاسلام ، وهناك عدة آيات ادّعي أَنَّها ناسخة مثل آية القبلة ﴿**وَما جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْها إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلى عَقِبَيْهِ**﴾[٣] .

فإِنَّها ناسخة لقوله تعالى ﴿**وَللهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَما تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ إِنَّ اللهَ واسِعٌ عَلِيمٌ**﴾[٤] ، فالآية منسوخة .

---

(١) معجم تهذيب اللغة للازهري مادة نسخ.

(٢) مجمع البيان للطبرسي ج١ ص١٧٩ ـ ١٨٢ .

(٣) البقرة ، ١٤٣ .

(٤) البقرة، ١١٥ .

وآية الصدقة والعِدَّة والقبلة والثبات تشهد بذلك .

وقد ذكر اعلام مفسِّرو الأماميّة وغيرهم جملة من الآيات القرآنية التي أُدّعي النسخ فيها منهم السيد الخوئي[١] .

١ ـ قوله تعالى ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الكِتابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُمُ الحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[٢] .

فعن ابن عباس وقتادة والسدّي أَنَّها منسوخة بأية السيف واختاره أبو جعفر النحاس ، وآية السيف هو قوله تعالى ﴿قاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلا بِاليَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ ما حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتابَ حَتَّى يُعْطُوا الجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صاغِرُونَ﴾[٣] .

٢ ـ ﴿وَلِلّهِ المَشْرِقُ وَالمَغْرِبُ فَأَيْنَما تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ إِنَّ اللهَ واسِعٌ عَلِيمٌ﴾[٤] . فقد نسب الى جماعة منهم ابن عباس ، وأبو العالية والحسن ، وعطاء ، وعكرمة ، وقتادة ، والسدي وزيد بن أسلم ، إِنَّ الآية منسوخة بقوله تعالى ﴿وَحَيْثُ ما كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾[٥] ، كذلك ذكر القرطبي[٦] وذكروا في وجه النسخ إِنَّ النبيﷺ وجميع المسلمين كانوا مخيرين في الصلاة إلى

---

(١) كتاب البيان في تفسير القران للسيد الخوئي ٢٨٦ ـ ٣٨٠.

(٢) البقرة ، ١٠٩.

(٣) التوبة، ٢٩.

(٤) البقرة، ١١٥.

(٥) البقرة، ١٥٠.

(٦) تفسير القرطبي، ج٢، ٧٤.

أيِّ جهة شاؤوا وإنْ كان رسول الله صلى الله عليه وآله قد اختار من الجهات جهة بيت المقدس ، فنسخ ذلك بالأمر بالتوجه إلى خصوص بيت الله الحرام[١] .

٣ ـ ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصاصُ فِي الْقَتْلى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنْثى بِالأُنْثى﴾[٢] .

فقد ادّعي أَنَّها منسوخة بقوله تعالى ﴿وَكَتَبْنا عَلَيْهِمْ فِيها أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالعَيْنَ بِالعَيْنِ وَالأَنْفَ بِالأَنْفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ﴾[٣] .

إلى غير ذلك من الآيات التي ادعي وقوع النسخ فيها ، وذكر السِّيد الخوئي (٣٦) ست وثلاثون آية ادعي النسخ فيها ومن أراد المزيد والوقوف على التفاصيل فليراجع كتاب البيان في تفسير القرآن للسِّيد الخوئي ٢٨٦ ـ ٣٨٠ .

وقد قيل بنسخ التلاوة لا الحكم ، وقد ردَّه جُلُّ علماء الأمامية لأَنَّه من جهة خبر الاحاد وهو لا يثبت نسخ التلاوة .

نعم ذهب أكثر علماء أهل السُنَّة إلى أنَّ بعض القرآن قد نسخت تلاوته ، وحملوا على ذلك ما ورد في الروايات أَنَّه كان قرآناً على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وذكر السِّيد الخوئي جملة من الروايات ليتبين إِنَّ الالتزام بصحة هذه الروايات التزام بوقوع التحريف في القرآن .

١ ـ روى ابن عباس أَنَّ عمر قال فيما قال وهو على المنبر (إِنَّ الله بعث محمداً بالحق وانزل عليه الكتاب فكان مما انزل الله آية الرجم فقرأناها وعقلناها ،

---

(١) البيان في تفسير القرآن للسيد الخوئي ص٢٨٩.

(٢) البقرة، ١٧٨.

(٣) المائدة / ٤٥.

و وعياناها ، فلذا رجم رسول الله ﷺ ورجمنا بعده ، فأخشى إِنَّ طال بالناس زمان إِنَّ يقول قائل : والله ما نجد آية الرجم في كتاب الله ، فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله ، والرجم في كتاب الله حق على من زنى إذا أحصن من الرجال . . . ثم إنَّا كنا نقرأ فيما نقرأ من كتاب الله : إِنَّ لا ترغبوا عن آبائكم فإنَّه كفر بكم إنْ ترغبوا عن آبائكم أو (إنَّ كفراً بكم أَنْ ترغبوا عن ابائكم)[1] .

٢ ـ اخرج الطبراني بسند موَّثق عن عمر بن الخطاب مرفوعاً (القرآن الف الف وسبعة وعشرون الف حرف)[2] ، بينما القرآن الذي بأيدينا لا يبلغ ثلث هذا المقدار وعليه فقد سقط من القرآن اكثر من ثلثيه .

٣ ـ روى ابن عباس عن عمر أَنَّه قال : (إِنَّ الله عَزَّ وجَلَّ بعث محمداً بالحق وأنزل معه الكتاب فكان مما انزل اليه آية الرجم فرجم رسول الله ﷺ ورجمنا بعده ، ثم قال : كنا نقرأ ولا ترغبوا عن آبائكم فانه كفر بكم ، أو (إِنَّ كفراً بكم أَنْ ترغبوا عن آبائكم)[3] .

٤ ـ روى نافع أَنَّ ابن عمر قال : (ليقولن أحدكم قد اخذت القرآن كله وما يدريه ما كله ؟ قد ذهب منه قرآن كثير ، ولكن ليقل قد أخذت منه ما ظهر)[4] .

٥ ـ روى عروة بن الزبير عن عائشة قالت : (كانت سورة الاحزاب تقرأ

---

(١) صحيح البخاري كتاب الحدود ح٦٣٢٧ و٦٣٢٨ ، وصحيح مسلم: كتاب الحدود، ح٣٢٠١، وسنن الترمذي كتاب الحدود ح١٣٥٢ .

(٢) الاتقان: ١/ ١٢.

(٣) سنن الترمذي، كتاب الحدود، ح١٣٥٢، ومسند احمد: مسند العشرة المبشرين بالجنة ح٣١٣.

(٤) الاتقان: ٢/ ٤٠ ـ ٤١.

في زمن النبيﷺ مئتي آية فلما كتب عثمان المصاحف لم نقدر منها إلاَّ ما هو الآن)[١] .

٦ـ وروت حميدة بنت أبي يونس قالت : (قرأ عليّ أبي ـ وهو ابن ثمانين سنة ـ في مصحف عائشة : إِنَّ الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما وعلى الذين يصلون الصفوف الأول ، قالت : قبل أَنْ يغيِّر عثمان المصاحف)[٢] .

٧ـ وروى زرٌّ قال : قال أُبَي بن كعب يازرّ (كأيّن تقرأ سورة الأحزاب قلت ثلاث وسبعين آية قال : إنْ كانت لتضاهي سورة البقرة أو هي اطول من سورة البقرة)[٣] .

٨ ـ وروى عمرة عن عائشة أنَّها قالت : (كان فيما انزل من القرآن عشر رضعات معلومات يحرّمن ثم نسخن بـ : خمس معلومات فتوفي رسول اللهﷺ وهن فيما يقرأ من القرآن)[٤] .

إلى غير ذلك مما لا يهمنا استقصاؤه[٥] .

وغير خفي إنَّ القول ينسخ التلاوة هو بعينه القول بالتحريف والاسقاط وبيان ذلك[٦] : إنَّ نسخ التلاوة هذا إمّا إنْ يكون من رسول اللهﷺ وإمّا إنْ يكون

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

(٣) منتخب كنز العمال بهامش مسند احمد: ٢/ ٤٣.

(٤) صحيح مسلم: ٤/ ١٦٧ كتاب الرضاع ح٢٦٣٤.

(٥) الاتقان: ١/ ١٢٢ ـ ٢١٣.

(٦) البيان، السيد الخوئي، ص٢٠٥.

ممن تصدى للزعامة من بعده، فإنَّ أراد القائلون بالنسخ وقوعه من رسول الله ﷺ فهذا أمر يحتاج الى الاثبات.

وقد اتفق العلماء اجمع على عدم جواز نسخ الكتاب بخبر الواحد، وقد صرح بذلك جماعة في كتب الأصول وغيرها[١] بل قطع الشاطي أكثر أصحابه، واكثر اهل الظاهر بامتناع نسخ الكتاب بالسُنَّة المتواترة، واليه ذهب احمد بن حنبل في احدى الروايتين عنه، بل إنَّ جماعة ممن قال بإمكان نسخ الكتاب بالسُنَّة المتواترة منع وقوعه[٢]. وعلى ذلك فكيف تصح نسبة النسخ إلى النبي ﷺ بأخبار هؤلاء الرواة؟ مع أَنَّ نسبة النسخ إلى النبي ﷺ تنافي جملة من الروايات التي تضمنت أَنَّ الاسقاط قد وقع بعده، وإِنَّ أرادوا أَنَّ النسخ قد وقع من الذين تصدوا للزعامة بعد النبي ﷺ فهو عين القول بالتحريف هو مذهب أكثر علماء أهل السُنَّة، لأنَّهم يقولون بجواز نسخ التلاوة.

سواء أنسخ الحكم أمْ لم ينسخ بل تردّد الأصوليون منهم في جواز تلاوة الجنب ما نسخت تلاوته، وفي جواز أنْ يمسّه المحدث، واختار بعضهم عدم الجواز.

نعم ذهبت طائفة من المعتزلة إلى عدم جواز نسخ التلاوة[٣].

ومن العجيب أَنَّ جماعة من علماء أهل السُنَّة انكروا القول بالتحريف إلى أحد علمائهم حتّى أَنَّ الالوسي في نسبة القول بالتحريف إلى الحشوية وقال (إنَّ احداً من علماء أهل السُنَّة لم يذهب الى ذلك).

---

(١) الموافقات لأبي اسحاق الشاطبي: ٣/ ١٠٦ طبعة المطبعة الرحمانية بمصر.
(٢) الاحكام في أصول الاحكام للآمدي: ٣/ ٢١٧.
(٣) المصدر السابق: ٣/ ٢٠١ ـ ٢٠٣.

وأعجب من ذلك أنَّه ذكر أَنَّ قول الطبرسي بعدم التحريف نشأ من ظهور فساد قول أصحابه بالتحريف فالتجأ إلى انكاره[١] .

مع أَنَّك عرفت أَنَّ القول بعدم التحريف هو المشهور بل المتسالم عليه بين علماء الشيعة ومحققيهم حتّى أَنَّ الطبرسي قد نقل كلام السِّيد المرتضى بطوله واستدلاله على بطلان القول بالتحريف بأتمِّ بيان وأقوى حُجّة[٢] .

والحقُّ بعد هذا كلّه إِنَّ التحريف بالمعنى الذي وقع النزاع فيه غير واقع في القرآن أصلاً لدلالة الآيات القرآنية كقوله تعالى ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾[٣] ، فإِنَّ في هذه الآية دلالة على حفظ القرآن من التحريف وأَنَّ الايدي الجائرة لن تتمكن من التلاعب فيه ، والقائلون بالتحريف قد أوّلوا هذه الآية الشريفة ، وذكروا لها وجوهاً[٤] .

[أقسام النسخ]

هناك تقسيمان معروفان للنسخ المعهود و المنسبق إلى الذهن وهما :

القسم الأول : نسخ الأحكام اي نسخ المعنى ، وذلك بأنْ يشرع حكم ما في الفروع أو في الآداب أو الأخلاق لمدة معينة ثم ينسخ ويعبر عن النسخ في الأحكام بالنسخ في المعنى ، وهذا القسم ممكن وموجود وواقع في القرآن على اختلاف الآراء والأقوال فيه .

القسم الثاني : نسخ التلاوة وهو نسخ لتلاوة ألفاظ السورة أو الآية في

---

(١) روح المعاني: ١/ ٢٤.
(٢) مجمع البيان: ١/ ١٥ المقدمة.
(٣) الحجر/ ٩.
(٤) البيان للسيد الخوئي ص٢٠٧.

القرآن ، سواء نسخ المعنى أم لم ينسخ ، والحكم فيها ثابت ثم يأتي الأمر بنسخها وبمحوها من المصحف باللسان للمسلمين وقد رده جل علماء الأمامية وقوعاً أو امكاناً .

أما القسم الأول وهو نسخ في المعنى والأحكام ففيه جهتان :

الجهة الأولى :

إِنَّ دائرة هذا النوع من النسخ محدودة في الأحكام التفصيلية في الشريعة إلى الاحكام التي هي من الدين ، فإنَّ النسخ في المعنى لا يشمل العقائد وتفاصيلها أو المعارف وأصول الدين ، بل حتّى أركان الفروع ليس فيها نسخ لا في الشريعة الواحدة ، ولا في الشرائع المتعاقبة ، لأنَّ أركان الفروع من الدين اصول المحرمات كالفواحش والفجور من الخمر والزنا والربا والظلم والعدوان والقتل وغيرها فانه ثابت من الدين وليس من الشريعة كي يمكن نسخه والوجه في عدم النسخ في هذه الأمور والذي يعبر عنه في البحوث العصرية بالجانب الديني الثابت ، أو بدائرة الثابت ، أو الثوابت الدينية ، لا الجانب المتغير في الدين ، والثابت لا يشمله النسخ ، وإنَّما يشمل النسخ ما كان متغيراً وهكذا المعارف والعقائد فإنَّ النسخ لا يشملها ، لأنَّها عبارة عن معلومات عن حقائق تكوينية ليست على الأرض وإنَّما هي معلومات تكوينية عمَّا وراء المادة وعمَّا وراء الحِسّ ، ولا يقع مثل هذا على الفساد والاضمحلال وإنَّما هي عوالم موجودة ومستمرة وهي أوسع من عالم دار الدنيا والأرض وبالتالي فإنَّ هذه المعلومات عنها إمّا صحيحة أو لا فإنَّ كانت صحيحة فهذه المعلومات أبدية كالموجودات السرمدية عنها إمّا صحيحة أو لا ، فاذا كانت صحيحة فهذه المعلومات أبدية كالموجودات السرمدية ، لاعن موجودات تندثر أو تندرس ، ولذا لا يتصوّر النسخ في العقائد

من أول الأمر ، لأنَّ العقائد من أول الأمر هي إمّا صحيحة أو غير صحيحة ولذا ليس في الدين من نسخ أو تعدد أو تبدل ؛ لأنَّ الدين عبارة عن مجموع منظومة العقائد والمعارف ، أو أركان الفروع ، وإنَّ أركان الفروع من الدين وليس من الشريعة ومن زعم أنَّ في الدين نسخ فهو زعم باطل ، والدين لا يتطرق اليه النسخ ومن ثم يكذِّب القرآن الكريم دعوى النصارى أو اليهود أو المجوس أو الصائبة أو غيرهم من تبديل دين الله الذي هو دين واحد عند كلِّ الأنبياء إلى مثل ديانة الصابئة أو المجوسيّة أو المسيحيّة أو اليهوديّة أو الوثنيّة فإنَّه حتّى الوثنيين كانوا أتباع دين الأنبياء ، ولكن هناك مَنْ وثّنهم وحرّفهم عن دين الأنبياء ، فإنَّ الدين واحد وليس متعدّد فإنَّ المولود يولد عن الفطرة وإنَّما أبواه يهّودانه أو ينصِّرانه أو يمجّسانه أو يصِّبئانه أو يوثِّنانه .

نعم إنَّما يقع النسخ في الشريعة ﴿**لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا**﴾[1]

بتقريب : إنَّ عنوان الشريعة يغاير عنوان الدين ، فإنَّ الشريعة من توابع الدين ، وهي ـ الشريعة ـ عبارة عن تفاصيل الفروع أو تفاصيل الأحكام الفرعيّة ، مثل اجزاء وموانع وشرائط الصلاة والصوم والزكاة والحج لا أصل الصلاة وهكذا شرائط وأجزاء الحج والزكاة فإنَّ هذه من تفاصيل أحكام الفروع لا أسسها لأنَّ أسسها من الدين .

وهكذا يقع النسخ في الطريقة ﴿**لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا**﴾[2]

---

(١) المائدة ، ٤٨.

(٢) الجن ، ١٦.

بتقريب : إنَّ الشريعة والطريقة والمنهاج عناوين قرآنية يمكن فيها التغيير والنسخ بخلاف الدين ، فلا يقع فيه النسخ بل لا يشمله ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الْإِسْلَامُ﴾(١) ، ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئًا﴾(٢) ، والدين واحد ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا﴾(٣) .

علماً أَنَّ منظومة العقائد التي نؤمن بها الآن من ولاية الله وولاية الرسول صلى الله عليه وآله وولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام والأئمة هي ليست فقط في بعثة سيد الأنبياء في العلوم الدينية يجهلون ـ وللأسف ـ حقائق كبيرة بالدين ، ويخلطون بين الدين والشريعة والحال أَنَّ تلك الأمور والمحاور هي من الرأي بالمعنى العام شامل للشريعة ولكن الدين بالمعنى الخاص الذي يقابل ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الْإِسْلَامُ﴾ هي من الدين الثابت في العوالم فضلاً عن الخلود والاستمرار إلى نهاية عمر الدنيا فهي من الدين بالمعنى العام .

مقابل ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾

ولا نسخ في الدين كما أشار إلى برهانه قوله تعالى ﴿فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾(٤) .

بتقريب : إنَّ خلقة الله عَزَّ وجَلَّ ليست مقصورة لعالم الثقلين بل تتعدى إلى كل المخلوقات وهذه الشاكلة من الخلقة هي دين الله وفطرة الله ، إذ الدين عبارة عن علاقة بين الخالق والمخلوق في أي عالم من عوالم المخلوقات ، والمخلوق

---

(١) ال عمران ، ١٩ .

(٢) ال عمران ، ٨٥.

(٣) ال عمران ، ٦٧ .

(٤) الروم ، ٣٠.

سواء كان من ملك أو انس او جن أو حيوان ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾[(١)] .

والخلاصة : إِنَّ الدين لا يتطرق اليه تبديل ولا نسخ وهو أوسع من عالم الدنيا وليس الدين مقصور على عالم الدنيا ، وإنَّما يتعدى إلى العوالم الأخر ـ كما مرّ ـ وبالتالي فإنَّ الدين بمثابة الخيمة والمظلّة الواسعة ، خلاف الشريعة فإنَّ بيئتها أرضية ولذا يتصور النسخ في الشرائع .

وعليه فلا نسخ في العقائد والمعارف لأنَّ العقائد يعبر عنها رؤية كونية وفي بعض الاصطلاحات في العلوم الحديثة إِنَّ الرؤيا الكونية والكون واحد ليس فيه تبدل ، ولا يوجد اختلاف بين بعثات الانبياء في العقائد ولا نسخ فيها ولا تبديل غاية الأمر ، أَنَّ كُلَّ نبيّ يؤتى بحسب درجته من العقائد .

(كل نبي يؤتى بحسب درجته من العقائد)

نعم هناك شيء آخر وهو ان جملة من الأنبياء يؤتى من علوم العقائد بحسب درجته بخلاف اولي العزم ، وبخلاف سيد الأنبياء صلى الله عليه وآله فإنَّ المعارف التي أتى بها سيد الأنبياء صلى الله عليه وآله لم يأت بها الانبياء من قبله في سعة الدائرة والعمق ، وإلاَّ فإنَّ اهل العقائد واحد .

نعم لا يُفَرِّق القرآن بين الأنبياء ﴿لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾[(٢)] .

أمّا بلحاظ التفاصيل والغور في السعة فهناك فرق في تفضيل الرسل

---

(١) الاسراء ، ٤٤.

(٢) البقرة، ٢٨٥.

بعضهم على بعض ، وقوله تعالى ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾[(١)] .

مغايرة النسخ مع درجات التأويل والبطون في الدين)

وخلاصة ما تقدم إِنَّ الدين ليس فيه نسخ ، وإِنَّما هناك عمقٌ وغور وتوسع فيه كما يشير إلى ذلك سيد الانبياء صلى الله عليه وآله « **إِنَّ الدين متين فأوغل فيه برفق** » .

بتقريب : إِنَّ الدين ليس على طبقة واحدة وإِنَّما على طبقات وبطون وهناك فرقٌ بين كون الدين ذو طبقات وأعماق وتوسع وبين طروا النسخ والتغيير والتبدل فيه فإِنَّ الدين ليس فيه نسخ ، فالذي جاء به سيد الأنبياء صلى الله عليه وآله غير ما جاء به قبله من الانبياء والمرسلين ، ونقصد بالغيرية ليس بمعنى الاختلاف ، وإِنَّما بمعنى العمق والتوسع ، فالدين الذي جاء به سيد الانبياء أوسع وأعمق غوراً مما جاء به الأنبياء والمرسلين السابقين .

ولذلك فإِنَّ أحد اوصاف رسول الله صلى الله عليه وآله (الفاحص في توحيد الله) وشبيه من هذا الوصف ثابت لسيد الأوصياء علي بن أبي طالب عليه السلام ولذا وَرَدَ في روايات أهل البيت عليهم السلام إِنَّه بظهور الامام الثاني عشر عجل الله تعالى فرجه الشريف ، بل وبالرجعة سيقف الناس على أمور من الدين مالم يعرفوها سابقاً ، وهذا أحد تفاسير أَنَّ الامام الحجة المنتظر عليه السلام يأتي بدين جديد .

إذن ليس في الدين نسخ وإِنَّما هناك توسع وعمق ، فإِنَّ القرآن الذي بين الدفتين منضبط .

نعم هناك عمق وأعماق وبطون وتأويل ، وتأويل التأويل ، فمن جهة هو

---

(١) البقرة، ٢٥٣.

ثابت ومن جهة هناك توسع وفرق بين التوسع والتغيير ، والنسبية بمعنى التوسع غير النسبية السفسطية التي هي بمعنى التغيير والتشكيك الاحتمالي في الادراك .

ومثل هذا الامر من الثبات للمبادئ والتعمُّق في تفاصيل بقية العلوم الأخرى مثلاً علم الرياضيات فإنَّه لازال في توَّسع ولكن ليس بمتغير فهناك ثوابت في أصل بنى علم الرياضيات من المعادلات التسع وغيرها فهذه المعادلات التسع ثابتة لم ولن تتغير .

نعم هناك توسعة للحدود والغور في الأعماق إلاَّ أَنَّ هذه التوسعة لا تنسف وتذر الثوابت .

وعليه فلا زالت مسيرة العلوم في تكامل ، نعم نسبية من درجات حقيقة غير متناهية أي من درجات حقيقة إلى ما هو اوسع في درجاتها فإنَّ هذه حيوية ونشاط وعمدة النشاط والحيويّة عند البشر .

أمّا تصوير الحقيقة النسبية بمعنى التغير في أصل الثوابت لتعدد العلوم فهذه جهالات ، ولم يقبلها حتى نفس أصحاب العلوم التجريبية .

نعم هناك مساحات معينة في العلم قد يطرأ عليها الخطأ والتخطئة وليس كل العلم برمته ينسف ويعود جهلاً ، فإنَّ نفس أصحاب المسيرة العلمية سواء في علم الفيزياء أو الرياضيات أو الكيمياء أو الفضاء أو غيرها من أي علم من العلوم لم يقبلوا بهذا التغيير فإنَّ في كل علم من العلوم هناك ثوابت وهناك نسبيّة في الحقيقة بمعنى التوَّسع فإنَّ المقصود من التغيير في المجال بمعنى التوّسع والتعمُّق ، ولكن لا يعني التغير الذي يريده السفسطيون سواء الجدد منهم بالنسبة للحداثويات في قراءة النص الديني ، أو القدماء منهم ، بل حتّى ما

ينسبون إلى العلم أي العلمانيّة فهي التوّسع في العلوم والمسيرة العلمية فإنَّ مثل هذا لا مانع منه ، بخلاف ما إذا أرادوا التغيير ونسف وإنكار لكل الأسس العلميّة وجحودها والتشكيك بها ومثل هذا مسير جهل وجهالات ، وليس مسيراً علمياً ، فإنَّ نتيجة نسخ ثوابت كُلِّ العلوم بذريعة تعدّد القراءات أو بذريعة التعددية والتطور ، وأَنَّ التطوّر هو أَنْ تنسف الحقائق فهذه طامّة كبرى وغير مقبولة ، بل عاد الشخص جاهلياً .

على العكس فإنَّ التطوُّر معناه الانتقال من طور إلى طور واكتساب كمال بعد كمال وليس معنى التطوّر أَنْ تفقد كمالاً لأجل كمال او تفقد كمالاً لأجل عدم أو حرمان فإنَّ مثل هذا ليس تطوراً وإنَّما هو بور وبوار .

وعليه فلابُدَّ من الالتفات إلى كيفية استغلال بعض العناوين بشكل زائف فهم يرفعون شعار التطوّر لكن على حساب نسف الثوابت وما هذا إلاَّ بوار والبوار شيء آخر أي ضد التطوّر أي الهدم لا البناء .

وعليه إذا لم يكن في الدين نسخاً وبالتالي فإنَّ كل حقائق العلوم فيها توّسع .

نعم قد تكون بعض المسائل الهامشية تلصق بذلك العلم كما في العلوم الدينيّة وهي ليست من الدين فلم يتبين خطأها وهذا بحث آخر .

أمّا التوّسع بمعنى تغيير الكُلّ ونسف لثوابت ذلك العلم فهذا منطق سفطسي لا يحب الحقيقة بل هو جحود ونكور .

فالدين ليس فيه نسخ ، وأَنَّ الدين عند الله ثابت وإنَّما موضوع النسخ في تفاصيل الشريعة والقوانين العملية ، وكذلك يشمل النسخ أركان الفروع لأنَّها

من الدين وليست من الشريعة .

ومن علائم ومعالم الفرق الضالة والشيطانيَّة رفع شعار نسخ الدين إذ عمدة هداف إبليس تغيير دين الله علماً أَنَّ الدين لا تبدل فيه لا بلحاظ أصول الواجبات ولا بلحاظ أصول المحرمات ولا بلحاظ كل منظومة العقائد .

[عِدّة الشهور والدين]

ورد ذكر الشهور في القرآن في قوله **﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللهِ اثْنا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتابِ اللهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّماواتِ وَالأَرْضَ مِنْها أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ﴾**[1] ، وقرن بين الشهور والدين فما هي العلاقة بينهما ؟

ومن الواضح أَنَّه ليس المراد من الشهور الابراج ، وإِنَّما المراد أَنَّ قوام خلقة السموات والأرض هي بمنظومة الامام الغائب الثاني عشر في عصرنا الحاضر ، ومن أهم أهداف الفرق الشيطانيَّة أبعاد مركز توجه الناس عن الامام وخليفة الله في أرضه .

إذن الثوابت والأسس التي لا تبدل فيها هي أسس الدين ، وهو ثابت وخالد بخلود عوالم المخلوقات .

ومن خلال هذا كُلِّه أتضح أَنَّ هذه القاعدة من أمهات القواعد في علوم القرآن و ثوابته التي تدور عليها بقية الامور إلاّ أَنَّ التمسك بمتشابهة وتجعله حاكماً على آية محكمة أو من أمهات المحكمات وهذا تبّني منهم لمنهج لا يمُتُّ إلى الدين والعلم بصلة .

وأكّد امير المؤمنين عليه السلام في الخطبة القاصعة ـ ١٩٢ ـ «**الحمد لله الذي لبس**

---

(١) التوبة/ ٣٦.

العزَّ والكبرياء أَنَّ حكمه في اهل السماء واهل الارض لواحد وما بين الله وبين أحد من خلقه هوادة في أيادة حمىً حرمه على العالمين» .

بتقريب : إِنَّ دين الله وحكمه معناه أَنَّ الدين واحد لأهل دينه ، فالدين لا يتقزم بسعة الأرض والسماء والدنيا أو بسعة أجيال البشر ، إِنَّ الدين عبارة عن نظام ومعادلات يهيمن وينظم معادلة كلِّ مخلوق في الأرض والسماء وفي الجنة وفي جهنم وما فوق الجنة في العرش وفي الكرسي وفي كلِّ العوالم الاخرى ، فإِنَّ دين الله واحد ونظام واحد ذو معادلات وبرنامج نظام معادلي يهيمن ويمتاز ويفوق كلَّ الأنظمة .

وعيله فلا معنى أَنَّ نسفف الحديث عن الدين وأَنَّه الخالد في الأرض ، أو ليس بخالد فإِنَّه لامعنى لذلك ومما يشير إلى ثبات الدين في العوالم فضلاً عن عالم الدين والحياة الأرضية قوله تعالى **﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ الله اثْنا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتابِ الله يَوْمَ خَلَقَ السَّماواتِ وَالأَرْضَ مِنْها أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذلِكَ الَدِّينُ القَيِّمُ﴾**[١] .

والمنبِّة الاجمالي على مفاد الآية أثارة هذا التساؤل وبيان وجه الربط بين ربط عدَّة الشهور بالدين وبخلق السموات إذ لو كان المراد منها البروج الاثني عشر لكانت خاصة بكوكب الأرض لا السموات ولو كان الدين مختصاً بكوكب الأرض لما كان له صلة بخلق السموات .

[الخلط الذي وقعت فيه بعض المدارس الاسلامية]

إِنَّ بعض مفسِّري المدارس الاسلامية وقعوا في خلط بادعائهم ارتكاب النسخ في الآيات القرآنية في موارد الآيات التي تتعرَّض للعقائد ، وهذا أمر

---

(١) التوبة/ ٣٦.

عجيب لأنَّ الآيات القرآنية التي تتعرَّض للعقائد والمعارف ليست من مساحة الشريعة في القران وإنَّما هي من مساحة الدين كما بيّن ذلك الامام الصادق عليه السلام برهانيّاً في الآيات التي تتعرَّض للعقيدة وأنَّه لا تبديل لكلام وكلمات الله تعالى وأَنَّ هذا من مساحة الدين ولكن نقول وللأسف يريد الطرف الآخر إنَّ يخمدوا نور الامامة وصوت امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام فيما ادّعاه هذا القائل بأنَّ النسخ لم يكن إلاّ لأجل أَنَّ تلك الآيات كان لها ارتباط بأمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام أو بأهل البيت وتغافلوا عن عدم امكانية نسخ الدين، وأنَّه كيف تنسخ العقيدة والعقيدة من الدين، وعليه فهذا منهم تبني لمنهج لا يمت إلى الدين والعلم بصلة. وليس في أسس أحكام الفروع لأنَّها من مساحة الدين وليس من مساحة الشريعة فإنَّ الذين فقط أفعال القلب والروح والسرِّ وباطن ذات الانسان وإنَّما يشمل الدين حتّى اركان الفروع أي يشمل حتّى أركان الافعال سواء كانت أفعال بدن الانسان الدنيوي أو البرزخي أو الاخروي أو غير ذلك.

إنَّ طبقات الانسان المختلفة أركان البرنامج الالهي والتي هي من أركان الفروع أيضاً وبالتالي هي من الدين، والدين مستمر وهذه الأركان تبقى مع الانسان وعليه فلا يتصوَّر فيها النسخ.

[الدين واحدٌ مقرر في كل العوالم الدنيا والبرزخ والآخرة]

إنَّ الدين واحد مقرّر في كل من عالم الدنيا والبرزخ والاخرة والعوالم الاخرى هي وحدة واحدة في كلِّ العوالم بخلاف الشريعة فإنَّ موردها وبيئتها عالم الدنيا، إمّا الدين فمساحته بسعة مساحة عوالم الخلقة، وبما أَنَّ عوالم الخلقة

ليست محدودة بل وسيعة كذلك الدين ليس له محدوديّة وأنّه وسيع ﴿**وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**﴾ فإنَّ الدين ليس مختصاً بأهل الأرض ، بل يَعُمُّ اهل السموات والأرض وعالم الأرواح وعوالم أخرى كثيرة ، فإنَّ سعة الدين هي سعة من نوع آخر .

إِنَّ ذوي الاتجاهات العلمانيّة والحداثويّة وغيرهم ، بل حتّى الكتاب في الوسط التخصصي خلطوا بين المساحة التي يمتاز بها الدين عن الشريعة وعن المنهاج وعن الطريقة ، علماً أَنَّ النبي الخاتمﷺ بيّن ذلك بل في بعثة كُلِّ الانبياء من آدمعليه السلام إلى الخاتمﷺ بيّنوا ذلك ، ولذا فإنَّ القران يُبيِّن لنا أَنَّ الانبياء السابقين على الخاتم لا يقولوا في الشهادة الثانية (اشهدوا أَنَّ آدم ، أو نوح ، أو ابراهيم ، او موسى ، أو عيسى رسول الله) وإنَّما يقولوا (أشهد أَنَّ محمداً رسول الله) وكذلك الشهادة الثالثة (أشهد ان علياً ولي الله) ثم يقولوا الشهادة الرابعة (أشهد ان آدم او نوح أو ابراهيم أو موسى أو عيسى رسول الله) وعليه فإنَّ هذا الترتيب القرآني ﴿**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ**﴾ أي ولاية امير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام بعد ولاية الله ورسولهﷺ وهذه ليست فقط في بعثة سيد الأنبياء أو في القرآن ، بل موجودة في كل بعثات الأنبياء وفي كل الكتب السماوية ، وأَنَّ درجة الولاية لله تعالى أوّلاً ، ثم للرسولﷺ ثم لعلي أمير المؤمنين ثم لآدم ثم نوح ، ثم لا براهيم ، ثم موسى ثم عيسى .

وعليه فإنَّ الترتيب العقائدي في دائرة سيد الأنبياءﷺ هو بنفس نظام الترتيب في دائرة بعثة الانبياء السابقين ولا يختلف عنه ولذا لا نسخ في العقائد بل

ولا في أصلها ولا في ترتيبها ، ولا في مراتبها ونظامها ومنظومتّها ؛ لأنَّ العقائد حقة وصادقة وحقائق واقعيّة ، وإذا كانت كذلك فلا معنى لأنْ يكّذب نبي نبياً آخر كما في ورد في زيارة سيد الأنبياء بأنَّه صلى الله عليه وآله جاء بالحق من عند الله ومصدقاً للمرسلين ، وأَنَّ المرسلين يُصَدِّق بعضهم بعضاً في أصل الدين والمعارف الحقة ، وان الرسالة والبعثة من الله عَزَّ وجَلَّ ، وأمّا بالنسبة إلى الأحكام العملية الفرعية فقد يخالف نبي نبياً ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ وهذا لا ينافي التصديق في العقائد ، وعلى المفسِّر الفطن أنْ لا يخلط بين ما يتعرَّض للدين وبين ما يتعرَّض للشريعة فإنَّ لكلٍّ مساحته الخاصة به .

فالدين واحد لا يتغير وثابت وبعث به جميع الانبياء والمرسلين ـ صلوات الله عليهم اجمعين ، لذلك فإنَّ بعض فرق الصوفية وقعت بانحراف حاصله : أَنَّ الشخص المرتاض وصاحب الرياضات الروحيّة إذا وصل إلى درجة معيّنة عندهم وحسب اعتقادهم فإنَّه تسقط عنه جملة من العبادات أمثال الصلاة والصوم والحج وغيرها ، بل هذا مدّعى حتّى بعض الفرق الضالة المنحرفة التي تدعي السفارة أو النيابة ، أو الاتصال بالناحية المقدسة وما شابه ذلك ـ والعياذ بالله ـ فإنّهم ادعياءٌ في ادعاءاتهم وتقمصاتهم وتلبيساتهم على السذَّج والبسطاء و خداعهم بأنَّ الامام الحجة صاحب العصر والزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف يأتي بدين جديد ليس فيه وجوب الصلاة ولا وجوب الصوم ولا الزكاة ولا الحج ولا غيرها وفيه استباحة للمحرمات ، والحال أَنَّ أصول المحرمات أو الواجبات هي من أركان فروع الدين ، وليس من الشريعة وإِنَّ مثل هذه الامور لا تتغير أصلاً حتى سيد الأنبياء صلى الله عليه وآله لم يتغّير عن الانبياء السابقين كما ورد في بعض زياراته صلى الله عليه وآله [ومُصدِّقاً

لما قبله] فإنَّ الدين هو في كُلِّ مراحل وعوالم رجعة الائمة فضلاً عن ظهور الامام الحجة عليه السلام فالرجعة من ضروريات العقائد وبالتالي هي من الدين ولا يمكن إِنَّ تتزلزل أو تتغير ، نعم يمكن أنْ يتخيل وينطوي وينطلي تزلزلها على من لم يفقه الدين .

ولذا فإنَّ المفسِّر إذا ادّعى النسخ في التفاصيل فإنَّ هذا أمر آخر بخلاف ما إذا ادّعى النسخ في أصل أحكام الفروع ، أو في العقيدة وادّعاء ذلك سببه الجهل بالمغايرة بين الدين الواحد والشرائع المتعدّدة لأنَّ النسخ ليس موطنه ولا مورد الدين ، وإنَّما مورده أحكام الفروع ، وهذا ميزان وضابط مهم وحسّاس في يوميات النسخ للآيات القرآنية .

الجهة الثانية : [الأقوال في حقيقة النسخ]

[ماهي حقيقة النسخ في تفاصيل الأحكام الشرعية الفرعية لا أسس الأحكام الفرعية التي هي ثابتة وبمثابة الأركان]

هناك عدة أقوال وتفاسير في حقيقة النسخ في أحكام الفروع نذكر المهم منها :

[النسخ تخصيص زماني للمنسوخ]

القول الأول : إِنَّ حقيقة النسخ في الاحكام الشرعية الفرعية التفصيليّة الذيلية مجرّد تخصيص أزماني وأَنَّ الناسخ مخصِّص زماني للمنسوخ يرجع إلى العام والخاص مقابل التخصيص الافرادي الذي هو تخصيص للعموم .

فإنَّ الأفراد قد تكون في عرض وجودي للطبيعة كمصاديق ، وقد يكون هناك تعاقب زماني بين الأفراد في قطعة زمانيّة متلاحقة ، فيعبّر عن كل قطعة

زمانيّة فرد، فإنَّ الكثرة المصداقيّة للطبيعة الواحدة قد تكون في عرض واحد وهو تكثر الطبيعة والعنوان في الأفراد المعهودة، وقد تكون الكثرة متطاولة بنحو تعاقبي ويعبَّر عنها الكثرة الزمانيّة.

وعليه فإنَّ التخصيص تارة كون في الأفراد العرضيّة وهو التخصيص واخرى في الكثرة الزمانيّة ويسمى بالنسخ، ومن هذا يعرف أَنَّ النسخ والتخصيص من باب واحد وهو التخصص بالمعنى العام، إلاَّ أنَّ احدهما تخصيص للأفراد العرضيّة والآخر تخصيص للأفراد الطوليّة.

وبالتالي فإنَّ هذا التخصيص يكشف عن عدم ارادة جديّة من الأوّل في منطقة الخاص فيتوَّهم السامع أو المخاطب أَنَّ العام عام بدائرته الوسيعة وذلك لعدم احاطته بكل القوانين الشرعيّة قبل وصول المخصِّص له، ولكن بعد مجيئ الدليل المخصِّص آنذاك يلتفت المخاطب إلى أَنَّ العام من أوَّل الامر ليس بمراد جدّاً بدائرته الوسيعة، وإنَّما المراد فقط بحدود ماعدا المخصِّص وعليه فإنَّ النسخ عبارة عن كشف ما التبست حقيقته على السامع.

ومثال المخصِّص الافرادي قوله **﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرافِقِ﴾**[1].

بتقريب: إِنَّ العموم هو أَنَّ الوضوء في الصلاة، ثم يأتي مخصِّصٌ لهذا العموم مثل قوله تعالى**﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾**[2]، فإنَّها مخصِّصة للعموم في صدر الآية من أَنَّ الوضوء شرط في صحة الصلاة عامة سواء للقادر

---

(١) المائدة، ٦.

(٢) المائدة، ٦.

أو العاجز أو غيره، ثم جاء الدليل القرآني الآخر وهو مخصِّص فاخرج العاجز من افراد ذلك العام وهو (ان لم تجدوا ماءاً في الخارج فتيمموا صعيداً طيباً) وهذا ما يعبر عنه بالتخصيص الافرادي باعتبار أَنَّ افراد العموم أمّا قادر أو عاجز أو غير ذلك وجاء المخصِّص وأخرج بعض الأفراد من دائرة العام.

وعليه فإنَّ التخصيص الازماني الذي هو نسخ وتخصيص افرادي في عرض زمني واحد وهذا التخصيص يخرج بعض أفراد الطبيعة.

وأمّا التخصيص بلحاظ الازمان فهو تخصيص زماني ولا يسمى تخصيصاً افرادياً وإنْ كان قد يسمى الاخراج للأفراد الزمانيّة بالمخصِّص الافرادي أي يمكن أنْ تتصوَّر قطعات الزمان أفراد.

فأنْ كان المراد التقييد والتضييق بلحاظ أفردا الطبيعة وجودً في عرض أزماني واحد فهذا يسمى تخصيص افرادي وهو التخصيص الاصطلاحي ومن أسس ضوابط التفسير.

وقد أشار أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في رواية البحار الطويلة عن الامام الصادق عليه السلام المعروفة برواية النعماني[1] ولقد سأل امير المؤمنين صلوات الله عليه شيعته عن مثل هذا فقال إِنَّ الله تبارك وتعالى أنزل القرآن على سبعة أقسام وفي القرآن ناسخ ومنسوخ ومحكم ومتشابه وخاص وعام، ومقدَّم ومؤخَّر وعزائم ورخص، وحلال وحرام، وفراض وأحكام، ومنه ما لفظه خاص ومنه ما لفظه عام محتمل العموم . . . ومنه آيات نصفها منسوخ ونصفها متروك على حاله، . . ثم سألوه عن المتشابه من القرآن . . إلخ[2].

---

(١) وقد أشرنا الى ذلك في بداية قاعدة الحكم والمتشابه.

(٢) بحار الانوار ج٩، ص٤ ـ ٩٨.

وإنْ كان هناك نسخ أي تخصيص ازماني فيخرج هذا الدليل الناسخ الكاشف أَنَّ هذا العموم ليس له عموم افرادي أزماني، وهذا الدليل الناسخ يكشف لك أَنَّه من أوّل الامر أَنَّ الشارع لا يريد هذه القطعات الزمانيّة اللاحقة كما في نسخ الآية المباركة ﴿**وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا**﴾[1] ، وأَنَّ حكمهما الحبس في المنزل وامساكهما فهذا عموم ثم جاءت الآية الناسخة ﴿**الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ**﴾[2] .

فحقيقة النسخ هو تخصيص أزماني وهي عين حقيقة المخصِّص، ويكون دور المخصِّص دور الكاشف عن ضيق الجعل والتشريع من أوّل الامر، كذلك دور الناسخ الزماني هو دور الكاشف، وأَنَّ الدليل الناسخ عمله أَنَّه نسخ صورة، وأمّا لُبّاً فان فهو مخصِّص كاشف لأنَّ النسخ في اللغة هو رفع الشيء بعد وجوده، أمّا هذا القول الذي ذكرناه فهو يبين أصل معنى النسخ ومراد الشارع بالأصل هو بلحاظ الأمر الجدي ولم يكن جعل الشارع عاماً، وإنَّما هو عام وصورة، فعموم العام ليس حقيقة كما في المخصِّص الافرادي فإنَّه ليس برافع حقيقي وإنَّما رافع اثباتي في الصورة كأنَّما يرفع دليل العموم وإلاَّ فهو في اللب يكشف من أوّل الأمر أَنَّه ليس هناك ارادة جدّية بسعة العموم، فإنَّ الإرادة الجدّية ضيقة من أوّل الامر ولذا يعبّرون عن المخصِّص الافرادي بأَنَّه كاشف وليس برافع فالدليل الناسخ على القول الأوّل أيضاً رافع صورة ولبّاً كاشف عن الضيق والتخصيص.

---

(١) النساء/ ١٦.

(٢) النور/ ٢.

وخلاصة القول الأوّل في النسخ: إنَّ الناسخ كاشف عن أَنَّ المراد في العموم هو هذه القطعة الزمانيّة ـ من أوّل الامر ـ وما وراء هذا الحدَّ الزماني ليس بمراد والمخصِّص كاشف عن ضيق الدائرة ولعل البعض يتوهم أَنَّ العام له تمام سعة عموم العام والحال ليس كذلك، ويكون مجيء الخاص أو المقيِّد الكاشف ومنبِّه عن ضيق العموم أو الاطلاق وفرق التخصيص عن النسخ إِنَّ التخصيص يكون بلحاظ افراد في الطبيعة، وأمّا النسخ فهو تخصيص في أفراد عموم الزمان سواء في الجانب الطولي او العرضي للأفراد، وإنْ كان يتوهم أَنَّه مراد فالنسخ هو صورة نسخ ورفع لما هو موجود ولكن حقيقته ـ النسخ ـ هي كشف وانكشاف ويكشف عن أنَّ التشريع ضيّق من أول الأمر ومحدود زماناً.

وربما يفسَّر نسخ الآية على القول الأوّل لا النسخ الاصطلاحي اي تنسخ الآيات والحجج الناطقة الالهيّة، أو التكوينيّة مثلاً، أو ليس النسخ في الآيات القرآنية، وإنْ كان عموم الآية شاملاً حتّى للآيات المتلوة والمهم أنْ يفسَّر النسخ بأَنَّه مجرد كشف أي صورة نسخ، وإلاَّ فهو في الواقع ليس نسخاً.

القول الثاني: إِنَّ النسخ ثبوتياً لا اثباتياً بمعنى رفع المقتضي لنفس الحكم المنسوخ فالرفع بسبب مجيء ملاك ثبوتي للناسخ، أي أَنَّ الجعل في الأصل والبدء عام، وبإرادة جديّة، ولكن بسب طروا أحوال معيَّنة حصل تبدل في المصلحة والمفسدة في الملاك.

فالنسخ هو رفع لمقتضي موجود فإنَّ عموم المقتضي موجود لولا وجود الرافع، فإنَّ الحكم المنسوخ فيه مقتضٍ رغم أَنَّه منسوخ، إلاَّ أَنَّ هذا المقتضي الموجود في الحكم المنسوخ فيه مقتضٍ لولا وجود الرافع أي لتقرر وجود المقتضي

في العين الخارجية وقريب أو شبيه منه الاستشهاد بالآية المباركة ﴿**فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هادُوا حَرَّمْنا عَلَيْهِمْ طَيِّباتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللهِ كَثِيراً**﴾[١].

بتقريب: إنَّ أصل تشريع الحليّة موجود وله مقتضٍ في الطيبات ولكن بسبب ظلمهم اوجدوا مانعاً في المصلحة والمفسدة، وبالتالي هناك رفع حقيقي مثل الرفع التكوينيّ، ونظير النسخ التكوينيّ، أو النسخ الثبوتيّ، وفي التكوين هناك تبدل ورفع وليس فقط في عالم الدلالة والاثبات والانكشاف وطريق الاستكشاف فإنَّ نفس الواقع التكوينيّ يحصل فيه تبدُّل شبيه قوله تعالى ﴿**إِنَّ اللهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ**﴾[٢]. أو مضمون بعض الروايات في تفسير العياشي عن الباقر عليه السلام إنَّ الله قضى قضاءاً حتماً لا ينعم على عبده نعمة فيسلبها إيّاه قبل أنْ يحدث العبد ذنباً يستوجب بذلك الذنب سلب تلك النعمة، وذلك قول الله إنَّ الله لا يغيِّر ما بقوم حتّى يغيِّر ما بأنفسهم[٣].

وفي المعاني عن السجاد عليه السلام الذنوب التي تغيِّر النعم البغي على الناس والزوال عن العادة في الخير واصطناع المعروف وكفران النعم وترك الشكر، ثمَّ تلا الآية ﴿**وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ**﴾ من يلي أمرهم فيدفع عنهم السوء[٤].

وبالتالي يكون النسخ التكوينيّ من قبيل النسخ التشريعي، فإنَّ تغيُّر التشريع بسبب سوء أعمالهم وذنوبهم فشدد الله عليهم، على عكس ذلك مالو

---

(١) النساء، ١٦٠.

(٢) الرعد، ١١.

(٣) تفسير الصافي للفيض الكاشاني، ج٣، ص٤٣.

(٤) المصدر السابق، ص٤٣ ـ ٤٤.

أطاعوا أو نصحوا لله تعالى فيخفّف الله عنهم في التشريع وينسخ كثيراً من الالزاميات وبالتالي فإنَّ النسخ على القول الثاني يرفع ويزيل أصل وجود الحكم ، والانشاء موجود ومُفَعَّل ، ولكن بعد طروا الطاري يرتفع التشريع الانشائي فضلاً على الحكم الفعلي .

خلاصة القول الثاني : إِنَّ النسخ عبارة عن رفع المقتضي ولو بمانع مانع وليس بكاشف ولا بمخصِّص ، وإنَّما أقرب ما يكون الناسخ من قبيل العنوان الثانوي وإنْ لم يكن المثال دقيقاً ـ فإنَّ العنوان الثانوي في بحوث علم أصول الفقه يختلف عن التخصيص ، فإنَّ التخصيص كاشف عن ضيق الارادة من أوّل الأمر ، بخلاف العنوان الثانوي فهو من قبيل طروا المزاحم وأَنَّ المصلحة تطرأ عليها مفسدة أو المفسدة تطرأ عليها مصلحة تنسخها تكويناً .

فالنسخ هو نسخ صورة ورفع لما هو موجود ومقتض للبقاء لولا طروا المانع ، وبعد طروا المانع ترتفع حقيقة المقتضي ، وبالتالي فهو نسخ ثبوتي واثباتيّ أو قل النسخ في القول الثاني من قبيل قاعدة المقتضي والرافع اي الاقتضاء موجود لولا الرافع والناسخ فإنَّ المقتضي للمنسوخ موجود إلاَّ أَنَّ الناسخ رافع لمقتضي المنسوخ فيكون النسخ على القول أو النظريّة الثانية هو رفع اقتضاء ، والمراد من النسخ في اصطلاح علوم التفسير : رفع الشيء في الواقع ، فإنَّ الجعل والتقنين كان شاملاً وله سعة وعمومية لكل القطعات والمراحل الزمانية إلاَّ أَنَّه لطروا مانع رفع هذا على القول الثاني .

وإمّا على القول الأوّل المتقدم فإنَّ النسخ عبار ة عن التخصيص على المسلك المعروف في التخصيص من أَنَّ العام لاوجود لمقتضيه في مورد الخاص

وإنَّما يكشف الخاص عن انحسار المقتضي للعام بمعنى أنَّه ضيّق بذاته ومن أصله وأساسه .

وعلى هذا ففي النسخ قولان أو نظريتان في تعريف حقيقة النسخ مختلفان .

القول الثالث[1] : إنَّ النسخ في الاحكام عبارة عن بقاء الملاك ـ المصلحة والمفسدة ـ أي الجهة التكوينيّة في الحكم المنسوخ على حالها أي اجتماع مقتضيات ، فإنَّ الناسخ ذو مقتضي مهيمن وأقوى مُجَمِّد للمقتضي في المنسوخ مع وجود المقتضي في المنسوخ ولم يرتفع ، وكذلك بقاء الحكم المنسوخ على حاله لكنّه مُجُمَّد وغير مفُعَّل ـ اوقف تفعيله ـ وإنَّ دور الناسخ دور التجميد أي أَنَّ الحكم المنسوخ ليس فقط متقرر مقتضيه لولا الرافع كما هو في النظريّة الثانية ، فإنَّ المقتضي في النظريّة الثانية متقرّر بنحو لولائي وتقديري أي لولا الرافع ـ وهو الناسخ ـ لتقرّر المقتضي بينما في النظريّة الثالثة المقتضي للحكم المنسوخ له مصلحة وهذه المصلحة متقرّرة وموجودة غير مرفوعة وبعبارة فإنَّ المقتضي على النظريّة الثالثة متقرّر تحقيقاً وموجود وعلى النظريّة الأولى لاوجود للمصلحة أصلاً في مورد النسخ الذي هو مورد التخصيص وهذه الاختلافات بين النظريات أو الأقوال الثلاث لها آثار كثيرة .

اختلاف القول الثالث عن القولين السابقين : إنَّ القول الثالث ليس من قبيل القول الأوّل فإنَّ النسخ في الاول كاشف عن ضيق المصلحة والمفسدة والجعل ، وليس من قبيل الثاني فإنَّ الثاني : المصلحة تطرأ عليها المفسدة أو المفسدة تطرأ عليها المصلحة فتنسخها تكويناً أي ليس رفعاً لموجود حقيقي ـ كما

---

(١) وهذه النظريّة في النسخ تبناها جملة من الأعلام منهم السِّيد الخوئي(قدس) وإنْ لم يصرح بها، ولم يبلورها في كتابه البيان في تفسير القرآن بشكل مرّكز و إنَّما هي في مرتكز كلامه(قدس).

تقدم ـ وإنّما النسخ على القول الثالث عبارة عن تجميد لما هو موجود مع عدم ارتفاعه إلاّ أنّه مجمّد ينقطع تفعيله ولا ينقطع وجوده ، وبالتالي فإنّ التشريع الانشائي باق على حاله لكنّه لا يجد طريقه إلى التفعيل إلاّ في حالات استثنائية .

والسّيد الخوئي‌ﷺ وإنْ لم يبلور هذه النظريّة في بحثه التفسيري المسمّى بـ (البيان في تفسير القرآن) وربّما تبّناها قبله بعض المفسّرين من الخاصة أو بعض فقهائنا ، وإنّما كان ﷺ في صدد نفي وقوع النسخ في القرآن الكريم إلاّ نادراً فهناك العشرات من الموارد التي أدّعى المفسّرون فيها النسخ فكان هدف وغاية السّيد الخوئي هو نفي وقوع النسخ وأنّ هذه الموارد المدعاة ليست نسخاً وإنّما هي من موارد التجميد ، وعليه فإنّ التجميد نظريّة اخرى في النسخ .

وبعبارة أوضح إنّ السّيد الخوئي ينكر وقوع النسخ على بعض المعنى الأوّل ، أو المعنى الثاني ويقرُّبه على بعض المعنى الأوّل والثالث ، وإنْ لم يبلور معنى النسخ على القول والمعنى الثالث .

فالنسخ على المعنى الثالث ليس أزالة تشريع وإنّما التشريع باق على حاله ، وعلى ما هو عليه الحكم التشريعي ومن دون تغيير كما في آية ﴿**فاحبسوهما**﴾ فإنّ الحكم باق على حاله .

وهكذا بقاء الحكم التشريعي على حاله من دون تغيير في قوله تعالى ﴿**يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً**﴾[١] ، فإنَّ الآية الناسخة لا هي ﴿أَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا﴾[٢] فإنّها ليست رافعة لنفس حكم

---

(١) المجادلة / ١٢.

(٢) المجادلة / ١٣.

الصدقة ، فإنَّ رجحان دفع الصدقة باق على حاله غاية ماهناك ترتفع فعليّة أو عزيمة الحكم ، أمّا اصل المصلحة واصل المقدرة أو الملاك أو الموجب التكوينيّ للحكم المنسوخ أو الآية المنسوخة فباق على حاله ، نظير ما تمرُّ به الأجيال في مراحل المدارس الابتدائية ثُمَّ المتوسطة ثُمَّ مرحلة الاعدادية ثُمَّ الدراسة الجامعية ثُمَّ مراكز المختبرات والدراسات والفحوص ثم ما بعدها من مراحل فالذين أنْهوا الدراسة الابتدائيّة وطورها مثلاً فهؤلاء يحتاجون إلى مرحلة أعلى وهي المتوسطة ، وفي نفس الوقت لا تعني مرحلة الابتدائيّة بالنسبة الى الذين طووها سراب ولامعنى لها وخالية من أي مصلحة وعن أي مقتضى وعن الواقعيّة والحقيقة ، وإنَّما لها معلومات وحقيقة وصدق وموضوع ولكن بالنسبة إلى البشرية التي تكاملت وتخطَّت مرحلة التعليم الابتدائي على أيدي الأنبياء السابقين من آدم عليه السلام ونوح عليه السلام وابراهيم عليه السلام وموسى عليه السلام وعيسى عليه السلام .

وإِنَّ كل مرحلة نبي لاحق تحتاج إلى أَنْ تستقي معلومات وتعليم من مستوى أعلى سابق لا أَنَّ المعلومات التي حصلت عليها البشرية والتربية على يد الأنبياء السابقين خائطة بل كلُّها صحيحة ، وتلك المعلومات أو المهارات أو البرامج حتّى العملية مقيدة وضروريّة جدّاً لمواكبة تطور ونضوج العلوم البشرية المختلفة ، إلاَّ أَنَّ البشرية الآن تحتاج إلى برامج أكثر لياقة وقدرة وانسجاماً مع التكامل الذي وصلت اليه البشرية .

إذن هناك فرق بين أنْ نعبِّر بالناسخ من برامج أو شريعة الأنبياء بأَنَّه مزيل ورافع للمصلحة والمقتضيات في التشريعات السابقة وبين أنْ نقول أَنَّ الناسخ مجمَّد ومعلق ، علماً أَنَّ البشرية دائماً هي محتاجة إلى الاكثر نفعاً وتكاملاً لأنَّها في طور نمو وتكامل مستمر وبشكل اكبر .

[أحد أسباب تأخُّر ظهور الامام المهدي]

ومن باب الكلام يجر الكلام ـ وإنْ كان بحثنا في مبحث النسخ ـ نذكر ما يتعلق وله صلة بالعقيدة المهدويّة ، وأَنَّ أحد أسباب تأخر ظهور الامام عجل الله فرجه هو بسبب عدم تأهل البشرية ووصولهم إلى سطح ومستوى علمّي وتربويّ على كافة الاتجاهات يؤهّلهم فيه لتلّقي التعليم والتربية المهدويّة المباشرة ، كان البروفسور الألماني بلوخن ربوكا ـ رئيس قسم الاقتصاد في جامعة ملبورن الاسترالية حالياً ـ يقول في أحد أبحاثه ومتابعاته حول العقيدة المهدويّة وشخصيّة الامام المهدي المنتظر عجل الله فرجه وله انجذاب شديد حول شخصيّة الامام عجل الله فرجه يقول بلوخن روبكا ما مضمونه (إِنَّ الامام المهدي عجل الله فرجه الذي تتطلَّع وتطمح اليه نخب البشر العلميّة لا يأتي لا لقاء محاضراته العلميّة للبشر ، إلاَّ بعد أنْ يتصاعد تأهل البشر إلى مرحلة تأهل تناسب القابلية والكفاءة في التلَّقي عن الامام هذا هو معنى أَنَّ الامام المنتظر عجل الله فرجه يأتي بدين جديد فإنَّ هذا المعنى يحتاج إلى فهم الدين بصورة أعمق وعليه فإنَّه على وفق هذه النظريّة يكون معنى النسخ (تطور في القابلية للتكامل والانتفاع والاسترفاد من الدين بمستوى اعلى هذا هو معنى النسخ في الشرائع ، الذي هو عبارة عن نوع من التقدَّم في مسيرة البشر في الاستفادة والترويض للنفس والذات الانسانية على برنامج أعمق في الدين كما في حديث سِّيد الانبياء صلى الله عليه وآله في وصيتّه لأمير المؤمنين عليه السلام « **إِن هذا الدين ميتن فأوغل فيه برفق** »[1]

بتقريب : إِنَّ الوغول والغوص والنزول إلى الأعماق يحتاج إلى رفق وهداوة وتدريج ، ونحن نؤمن بأنَّ مدرسة الدين فيها أعماق ، وأَنَّ العمق الذي كانت البشريّة عليه قبل أربعة عشر قرناً في الدين غير العمق الذي هو نصيب

---

(١) بحار الانوار للمجلسي، ج٦٨، ص٢١٨.

ابناء القرن الخامس عشر الهجري ، ولا يعني هذا تبدُّل الدين وإنَّما يعني هذا أَنَّ الدين له أعماق اكثر فأكثر فإنَّ الدين كما له تنزيل كذلك له تأويل والتأويل لا ينقطع ، فإنَّ الدين له مراتب وطبقات ، ولذا فإنَّ تطور عمق الأبحاث والاستنباطات لدى فقهاء واتباع مدرسة اهل البيت عند المتأخرين والمعاصرين هي أعمق بكثير من قبل عشرة قرون ، وهذا شيء طبيعي في نضوج العلوم عند العقل البشري ، ولا يعني هذا اختلاف وتبدّل الحقائق ، وإنَّما يعني ازدياد قدرة البشر على فهم الحقائق ، ولذا ينبغي أنْ لا يحصل خلط بين ازدياد قدرة البشر على فهم الحقائق وبين تبدّل الشريعة واختلاف الحقائق ، نعم ليس في الشريعة بعد خاتم الانبياء نسخ ، وإنَّما بعد خاتم الانبياءﷺ تأويل يقوم به كل امام من عترة النبيﷺ فإنَّ الحقيقة التي جاء بها سيد الأنبياءﷺ وسيعة جداً ولا تنسخ كبقية شرائع الانبياء السابقين ، فإنَّ الحقيقة التي جاء بها رسول اللهﷺ لا يمكن للبشر في زمانهﷺ أنْ يتلَّقاها ويتحَّملها إلاَّ ثُلَّة قليلة وهي من اهل بيت النبيﷺ ﴿**إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا**﴾ [1] وأَنَّ بقيَّة البشر يتسلَّمون ويتلَّقون هذه الحقيقة اللامتناهية والوسيعة بالتدريج والتخفيف والتشفيف والتلطيف شيئاً فشيء وعليه فإنَّ الدين الذي بعث به النبيﷺ وسيع وشمولي ، إلاَّ إنَّ هذا الامر اختلط على الكثير من الحداثيون .

ومن خلال هذا تبيّن أَنَّ المرحلة الابتدائيّة هي الأساس في المرحلة الاعلى غاية ما هناك يكون لهؤلاء الذين تجاوزوا المرحلة الادوَّن نضوج وفكري حتّى يتهيّؤا للمرحلة الاعلى لأنَّ المرحلة الاعلى تحتاج إلى اعداد اكبر واكفأ أمّا الذين تجاوزوا المرحلة الابتدائيّة وتكاملوا فإنَّ مصلحة ومنفعة المرحلة الابتدائيّة النسبة

---

(١) المزمل/ ٥.

إلى هؤلاء كالمجمّدة وليست بالمفعلة وليست لها تأثير وإنَّما التأثير لمصلحة أخرى اعلى كالمرحلة المتوسطة والمرحلة الثانويّة فكأنَّما المرحلة الاعلى هي ناسخة للمرحلة الادنى كالابتدائيّة فإنَّ المرحلة المفَعَّلة الآنْ هي الناسخ وأمّا المنسوخ فمجَمَّد.

نعم لو حصل في البين عائق عن هذه المصلحة المفعَّلة في الناسخ والانتفاع بها لسبب واخر لجمدت فعليّة الناسخ وتعود الفعليّة إلى المنسوخ كما في بعض الحالات التي تطرأ على الانسان ويفقد بها ذاكرته ـ اجارنا الله ـ نتيجة صدمة او حادث أو ما شاكل ذلك، فيحاوّل حينئذٍ اعادة دراسة المرحلة الابتدائيّة أو المتوسطة أو الثانويّة أو غيرها بمعنى أنَّه يعيد دراسة المراحل السابقة والتي هي الآنْ مجمَّدة ولا فائدة فيها ويريد الآنْ اعادة تفعيلها.

ومن خلال ما تقدَّم على ضوء النظريّة أو القول الثالث المنسوخ ليس مرفوعاً وإنَّما مجمّد ويفعَّل إذا واجه الناسخ عائقاً ومانعاً وأَنَّ النسخ عبارة عن تطور في تكامل البشر في الاسترفاد من الدين، أو من الشرائع المختلفة وليس معنى المنسوخ هو انتهاء مدَّة امده ومصلحته، وإنَّما المصلحة باقية على ماهي عليه وأَنَّ للبشر القابلية على التكامل بمصلحة أكبر، وهذا غير ما يتوّهمه العلمانيون و الحداثويون الجدد الذين يتشَّبثون بظاهرة النسخ في الشرائع وأَنَّ الشرائع كُلَّها نسخت خلال فترة خمسة الالاف قرناً، وأمّا شريعة الخاتم ﷺ فقد مضى عليها أربعة عشر قرناً فهل يعقل أنَّها لم تنسخ ؟

وهكذا نظير مراحل القرون التي مرَّت على البشريّة أشبه بالمراحل الدراسيّة فمثلاً شريعة ادم ونوح وابراهيم وموسى وعيسى إلى أنْ وصلت إلى

شريعة الخاتمﷺ وهي الخاتمة للشرائع السابقة وهو الخاتم لما سبق والفاتح لما استقبل ، ولا يعني نسخ الشرائع السابقة وأنَّها الآنْ ليست ذات مصلحة ، بل هي ذات مصلحة لنفسها لا كما يُتَوَّهم العلمانيون أو الغربيون وانَّه أنْكشف خطؤها فنسخت ـ لا سامح الله ـ وإنَّما غاية الأمر مصلحتها ليست ذات تأثير لمن طواها .

حاجة البشريّة إلى اعادة بعض ادوار الشرائع السابقة

إِنَّ المراحل السابقة التي طوتها البشريّة فيها مصلحة ، لكنَّها الآنْ مجمَّدة وليست فعليّة فقد تكون هناك حالات استثنائية بحيث تتوقف مصلحة المراحل اللاحقة على المراحل السابقة شبيه الانسان الذي تصيبه آفة النسيان ، أو تخلّف في مجال معين فيحتاج إلى إِنَّ يمرّ على المراحل السابقة وتعاد عليه .

كذلك ورد في الروايات ما مضمونه ومعناه : أَنَّ الامام الحجة عجل الله فرجه يمارس على البشريّة دور بعض الشرائع السابقة وأَنَّه عجل الله فرجه يقضي بقضاء ادم ونوح وابراهيم وداود وموسى وعيسى إلى أنْ ينتهي بحكمه عجل الله فرجه إلى قضاء سّيد الانبياء وبالتالي فإنَّ البشريّة تحتاج في بعض مفاصلها إلى اعادة تفعيل بعض ادوار الشرائع السابقة وعليه فإنَّ الشرائع المنسوخة بالنسبة الى كُلِّ حكم في الشريعة الواحدة لا يعني نسخها ورفعها من رأس تشريعاً وإنَّما يبقى الحكم كتشريع نظري انشائي على حاله ، لكنه مجمَّد لوجود تشريع نظري اكفأ ومناسباً للمرحلة البشريّة وللدور البشري ، فالناسخ معناه وجود مرحلة أكثر تطوراً وطوراً فلزاماً وعزيمة أنْ يأخذ به الناسخ ولا يرخص بتركه والاخذ بالمنسوخ .

أحد ثمرات النسخ على القول الثالث

إِنَّ المنسوخ بعد نسخه حسب القول الثالث لا يعني أَنَّه يتبيَّن أَنَّه فاقد للمصلحة من رأس وأَنَّه يسلب عنه التشريع بالمرة ، وهذا معنى آخر مهم جدّاً للنسخ وله ثمرات كثيرة ، واحدها إِنَّ هذا يعني اذا حصل للناسخ عائق أو مانع عن التفعيل في أيّ حال من الأحوال فإنّه سوف تصل النوبة إلى المنسوخ ، فمثلاً تأكيد النبيﷺ على النكاح وانَّه من أكمل سنن النبيﷺ ، ولكن لا سامح الله إذا طرأ واعترض على الانسان عارض وطارئ إمّا لعدم الامكانيّة الماديّة أو لظرف صحي أو لظروف أخرى قاهرة ومنع من كُلِّ أنواع النكاح والزواج فحينئذٍ لأيِّ شيء تصل النوبة ؟ هناك روايات وفيها توصية من النبيﷺ على الانسان في مثل هكذا ظروف خاصة أنْ يكون حصوراً بأنْ يقوم ببرنامج معيّن يقيه أصل الاثارة والابتعاد عنها فإنَّ معنى الحصور هو إِنَّ يوئد اثارة الحاجة لقول النبيﷺ «**من يستطع منكم الباء فليصم فإنَّه له وجاء** »

بتقريب : إِنَّ الوجاء هو شبيه بالأخصاء بمعنى أَنَّ أصل الاثارة تجمِّدها الحصورية ولا يعيش حالة تعطش وحاجة واثارة وغيرها من الموارد الكثيرة في الأحكام المنسوخة .

إذن على وفق نظرية الحكم الناسخ فإنّه ليس بتخصيص بمعنى رفع لأصل التشريع والانشاء وإنَّما معنى التجمَّيد هو أنْ يبقى الحكم المنسوخ في مرحلة التنظير الانشائي ولا يتفعَّل إلاَّ في موارد استثنائية .

فإنَّ معنى النسخ المتقدم عند قدماء علماء الأمامية يطابق معنى التخصيص ، وان التخصيص عندهم ـ القدماء ـ ليس بالمعنى المعهود عندنا والآنْ في الإعصار

المتأخرة للتخصيص فإنَّ التخصيص عند المتأخرين عبارة عن أَنَّ المخصِّص كاشف عن أَنَّ العام من أوّل الأمر ضيِّق وليس شامل لكُلِّ أفراد العموم وهذا ما تقدم في القول الأوّل من أَنَّ النسخ هو تخصيص ازماني وأَنَّ التخصيص الازماني شبيه بالتخصيص الافرادي، ومعنى التخصيص الافرادي هو الانحسار والضيق من الأصل شبيه تعبيرهم (ضيّق فم الركية) أو (ضيّق فم البئر) لا أَنَّه يحفر البئر واسعاً ثُمَّ يضيَّق، وإِنَّما من أوَّل الأمر يحفر فم البئر ضيِّقاً إذن العام المخصِّص عند المتأخرين هو من أوّل الأمر ضيّق أي أنْكشف لنا بالتخصيص أَنَّه ضِّيق من أوَّل الامر، أما التخصيص عند القدماء فليس بمعنى انكشاف ضيِّق العام سواء بالتخصيص الافراديّ أو الازمانيّ في النسخ كما هو عند المتأخرين وإِنَّما التخصيص عند القدماء عبارة عن نفس النظريّة أو القول الثالث للنسخ وأَنَّ الخاص لا يقشع ويزيل أصل العام تشريعاً أو ملاكاً أو مصلحة وإِنَّما الخاص يجمِّد و يعاوق عموم العام، وهذا المبنى ربَّما يكون غريباً على الكثير من المعاصرين لأنَّ المتأخرين لم يذكرونه ولا ببنت شفه ولا ينوِّهون عنه، لكنَّه كمبنى هو موجود عند القدماء وهو مبنى متين، من أَنَّ التخصيص عبارة عن التزاحم في مقام التنظير والانشاء والحكم الانشائي وأَنَّ كلا المتزاحِمَين موجود وأَنَّ احدهما أقوى من الاخر وهو الخاص وأَنَّ العام موجود ولكنَّه مغلوب عليه في منطقة الخاص وامره ـ العام ـ مجمَّد وهذا ما يتبناه ويميل اليه في حقيقة التخصيص أو التقييد شيخنا الاستاد مُحَّمد السند دامت فيوضاته وأَنَّ هذا المعنى للتخصيص الافرادي ـ المتقدِّم ـ فضلاً عن التخصيص الازماني الذي هو النسخ فيه آثار وثمار وأسرار فقهيّة كثيرة .

[الآثار المترتبة على النظريّة أو القول الثالث]

هناك آثار وثمرات كبيرة ومهمة على النظريّة الثالثة في جملة من العلوم منها علم الفقه وعلم الآداب والسنن والشريعة ولا يمكن الحصول على هذه الثمرات والآثار لا على النظريّة الأولى ولا الثانيّة ، وأَنَّ كلاً من النظريتين أو القولين السابقين يرجعان إلى النظريّة الثالثة نذكر جملة منها :

الأثر الاول : تفعيل الحكم المنسوخ في موارد وتجميد الناسخ أو أَنَّ نفس الناسخ قد يعاوق ، أو يمانع بمانع معين ، فإذا مونع الناسخ فُعّل المنسوخ المجمَّد ثانية ـ كما مرّ ـ وحينئذٍ تكون مثلاً شرائع الانبياء السابقين للمراحل التي يمر بها الانسان رغم أَنَّها منسوخة إلاَّ أَنَّها قد تفعَّل في بعض الاحكام لو افترض وجود ما يعيق أحد الاحكام الناسخة في هذه الشريعة عن التفصيل .

ومما يؤيد هذا سؤال السائل للإمام الصادقعليه السلام في رواية : عن حكم الصلاة في مساجد اليهود والنصارى التي هي البيع والكنائس فأجاب الامامعليه السلام مثلاً أَنَّه لا مانع من ذلك أنْ يصلي المؤمن المسلم فيها لأَنَّه مكان طالما ذكر الله فيه ، وهذا فيه اشارة إلى أَنَّ الاحكام المنسوخة رغم أَنَّها منسوخة لكن المقتضي موجود .

وهكذا في مثل ما ورد « **النكاح سنتي فمن رغب عن سنتي فليس مني** » .

بتقريب : إِنَّ الحصوريّة ليست من شريعة سيد الأنبياءصلى الله عليه وآله ولكن لو فرض أَنَّ الانسان أعيق عن الزواج لسبب وآخر فحينئذٍ يكون الصوم موجوداً (من لم يستطع منكم الباه ـ والباه تعبير كنائي عن النكاح ـ فليصم فإنَّ الصوم له وجاء)

مع أَنَّ الحصوريّة منهي عنها أي منسوخة، ولكن إذا جُمِّد النكاح تفعَّل الحصوريّة.

وهكذا مثلاً في حديث النبيﷺ مضمونه [نسخت السياحة التي في شريعة النبي عيسىعليه السلام إلى السياحة في شريعة سِّيد الأنبياءﷺ وسياحة أمتي الجهاد في سبيل الله، ومن بعضها عمارة المساجد] بمعنى أَنَّ هذا المسلم المؤمن المتعبِّد ينتقل من مسجد إلى آخر يسيح في المساجد أي يعمِّرها وعمارة المراقد والعتبات المشرفة أيضاً سياحة وروايات الصوم سياحة وكأَنَّما الصوم رياضة نفسانيّة في ميادين قوى النفس وطلاق نسبيّ للدنيا.

فالسياحة التي كانت على زمن عيسىعليه السلام بأَنْ لا يكون عنده مسكن ولا مأوى له نسخت في شريعة الخاتمﷺ بالآية المباركة ﴿**وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ**﴾[1].

إذن السياحة عبادة غير عبادة الصلاة والصوم والحج والزكاة وعليه فإِنَّ السياحة في شريعة عيسىعليه السلام نسخت بسياحة أخرى.

والخلاصة من كلِّ ما تقدَّم: أَنَّ النسخ على النظرية الاولى دائماً هو صوري بمعنى أَنَّ المخاطبين، أو المكلفين يتوَّهمون أَنَّ هناك عموم للمنسوخ ثم نسخ ذلك العموم، ولكنَّه توهم ذلك العموم على مستوى الصورة فإِنَّ التخصيص منبِّه على ان المنسوخ لا شمولية له لموارد الناسخ المخصِّص وهذا أشبه إلى حدِّ ما بموارد التخصيص والمعروف على مسلك المتأخرين عند مجيء المخصِّص الافرادي في موارد التخصيص العادي منبِّه على أَنَّ الدليل العام أو المطلق لا يراد

---

(١) التوبة/ ٢٤.

منه العموم بتمام السعة بإرادة جدّية من أوّل الأمر ، وإنّما اريد في دائرة ضِّيقة منحسرة غير شاملة لموارد الخاص ، وإذا كان هذا هو المراد من معنى التخصيص ، فلا عموم في العام من أوّل الامر وأَنَّ حقيقة النسخ هي نسخ صوري لأَنَّه من قبيل العام المخصِّص ، والعام المخصَّص كما ذكروا لا يراد به العموم من الأصل ، لا أَنَّه أريد به العموم ثم مع مجيء الخاص يرتفع العام ، بخلاف مسلك القدماء من علماء الأماميّة ـ وهو مسلك السديد ـ[1] من ان التخصيص ليس كاشفاً عن كون العام منحسر ودائرته ضيّقه من أوّل الأمر عن شمول موارد الخاص ، وإنَّما العام ذو ملاك يشمل أفراد طبيعته أينما تواجدت ، فمثلاً إذا قيل أكرم العلماء إلاَّ الفسَّاق معناه : أَنَّ العلم في نفسه يقتضي الاكرام والاحترام وهذا عام حتى في الفاسق ، ثم جاء المخصِّص واستثنى الفسَّاق منهم ، وأَنَّ الفسق مانع ، لا أَنَّ الفسق كاشف عن أَنَّ ذلك العلم في الفاسق لا يحترم في حدِّ نفسه ، إنَّما الفسق كدليل خاص وحيثيّة ممانعة وليست كاشفة عن عدم القيمة للعلم في الفاسق ، والعلم أينما وجد وبأي حصة ومقدار فهو محترم وله قيمة غاية الأمر في الفاسق زوحمت قيمة العلم بقيمة ممانعة فالطبيعة العامّة هي هي ولم ولن تتخلَّف عن ذاتيّاتها وتكوينيّاتها وتداعياتها واستثناء الفسَّاق من الأكْرام لا لأجل عدم تواجد مصلحة وملاك وطبيعة في المورد الخاص ، والمفروض أَنَّ العلم هو تمام الموضوع في غير موارد الفسَّاق لا شيء اخر وراءه غاية الامر ابتلي العلم في الفاسق بصفة مضادّة ومزاحمة وممانعة إذن على مبنى قدماء الأماميّة أَنَّ التخصيص أو التقييد ليس بكاشف عن قصور العموم وعدم تواجد ملاكه وتواجد مصلحة التقييد والتخصيص وإنَّما التقييد والتخصيص

---

(١) عند شيخنا الاستاذ: محمد السند دام عزه وتبَّناه في المباحث الاصولية.

ممانَع ومُزَاحَم .

كذلك الكلام في الناسخ والمنسوخ فإنَّ الناسخ كاشف من الأصل أَنَّ المنسوخ لم يشرَّع ويقنن في اللوح المحفوظ بنحو يشمل الحقبة الزمنية للناسخ صورة في ظاهر الخطاب الشرعي .

فإنَّ الجيل الاول من المسلمين في الصدر الأوّل للإسلام توَّهموا أَنَّ الحكم عام مثلاً في السنة الخامسة أو الثالثة ثم نسخ قبل الهجرة ومعنى النسخ هنا أي أَنَّ الشارع لم يرد عمومية الحكم من أوَّل الأمر .

وعلى النظريّة الاولى النسخ صوري وليس حقيقي بخلاف النظريّة الثانية المقتضي موجود ثم رفع ، وعلى الثالثة المقتضي موجود ولم يرتفع لكن غلب عليه مقتضٍ أقوى .

والخلاصة من كل هذا أَنَّ النسخ على النظريّة الأولى يرجع إلى النظريّة الثالثة وأمّا رجوع النظريّة الثانيّة ـ المقتضي والرافع ـ الى الثالثة فإنَّه على النظريّة الثانيّة إذا فسرنا النسخ بالمقتضي والرافع وأَنَّه لولا الرافع في موارد الانحسار فإنَّ المقتضي موجود وهذا المعنى يتقارب ويقارب النظريّة الثالثة لأَنَّه أحد ثمرات تفسير النسخ على النظريّة الثالثة أَنَّه في موارد تجميد الناسخ فإنَّ المنسوخ يُفَعَّل مَرَّة اخرى ، وهذه نفس النتيجة في النظريّة الثالثة وأمّا المنسوخ فإنَّه لم يفقد الرجحان في نفسه وإِنْ زوحم برعاية من هو أهم منه كذلك هنا في المقتضي والرافع أي الطبيعة في نفسها تقتضي أو يمكن أَنْ تحجب الطبيعة عن الاقتضاء .

وبهذا البيان تقترب النظريّة الثانيّة من الثالثة في النسخ ، وهذا نوع من دعم النظريّة الثالثة .

الأثر الثاني : إِنَّ معنى النسخ على النظريّة الثالثة هو أن العلاقة بين شرائع الاسلام ليست علاقة تصادم ، فإنَّ المنطق الأموي القرشي الجاهلي وغيرهم يريدون أنْ يفرقوا بين الله ورسوله عكس المنطق القرآني الذي يقول ﴿**لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ**﴾ سواء الرسل الذين بعثوا باليهوديّة او النصرانيّة أو الصابئيّة أو غير ذلك وعليه فإنَّ كل شيء يمُّت إلى نبي الله موسى او عيسى عليهما السلام أو غيرهما إذا نسب اليها بصدق فهو غير مذموم ومن قال بغير ذلك فهو من تحريفات بني امية الذين حرّفوا بديهيات القرآن ، والتي جعلوها الآنْ بشكل مقلوب كما هي راسخة في أذهان كثير من المسلمين وللأسف حتى وصل الأمر ببعضهم نتيجة تشبع فكره بالفكر الأموي والقرشي الجاهلي إِنَّه إذا أردت أنْ تذكر له الأصل لكان هناك استغراباً و استيحاشاً منه لدى المسلمين وبالتالي فإنَّ تحريف معاني القرآن أخطر من تحريف ألفاظ القرآن ، وعليه فإنَّ اشاعة ثقافة أَنَّ كل ما يمُّت إلى شريعة النبي موسى أو عيسى فهو مذموم ومنبوذ ! ! حتى إذا نسبته اليه بصدق وحق وليس محرَّفاً وباطلاً ولذا فإنَّ تعامل التطرُّف السلفي أو القاعدة أو ما يسمَّى اليوم بالدواعش مع أهل الكتاب يختلف عن تعامل اتباع مدرسة اهل البيت مع أهل الكتاب ، وليس هذا وليد صدفة وإنَّما له جذور ومناشيء وهو إِنَّ قريشاً الجاهلية وبني امية ما كانوا يعترفون بمسيرة الانبياء السابقين على سِّيد الأنبياء الخاتم صلى الله عليه وآله بالمرَّة ، ولذلك هم يحاربون ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله للأنبياء السابقين ، وهذا كلُّه نوع من المسخ لمعنى النسخ بينما على النظريّة الثالثة من معنى النسخ فإنَّه يوجد هناك ترابط وتناسب وتآزر بين الناسخ والمنسوخ لا تصادم بينهما ، إلَّا أَنَّه وللأسف حصلت نوع من الدواعي الفكرية

المتطرِّفة ضد مسيرة الأنبياء ولذا فإنَّ مبحث النسخ في الشرائع من المباحث المهمة والخطيرة جدّاً .

والمتحصّل من معنى نسخ الاحكام على النظريّة الثالثة هو إنَّ النسخ تجميد وليس رفع وازالة للمنسوخ من رأس ، وليس معنى النسخ ارتفاع المصلحة أو الملاك الموجود في الحكم المنسوخ ـ كما مر ـ وإنَّما النسخ بمعنى تجميد المنسوخ لأجل مجيء مصلحة أهّم لزوميّة ولازمة الرعاية .

[النسخ كشف خطأ]

القول الرابع : إنَّ النسخ عبارة عن كشف الخطأ هكذا يتوَّهم العلمانيون الذين لم يفهموا حقيقة النسخ ، بل بعضهم يخطأ ويفسِّر النسخ بكشف الخطأ نظير المجتهد في علم الفقه أو التفسير أو العلوم الاخرى يخطأ الواقع ويصيبه ، وهذا التفسير علماني لمفهوم النسخ ، وإنْ كان تبناه قبلهم بعض الأشاعرة والشّذاذ من أصحاب الأفكار المنحرفة .

الفرق بين النظريّة أو القول الثالث والرابع : إنَّ النسخ على القول الثالث ليس انتهاء أمد ومصلحة الحكم ـ كما مرّ ـ وإنَّما النسخ على الثالث من أنَّ الانسان لديه القابليّة لأنْ يأخذ أهم وأعظم من تلك المصلحة السابقة ، لا أنَّه تنسخ تعاليم الانبياء السابقين بل تزداد طوراً بعد طور ، وأنَّ النسخ عبارة عن صعود وترقي إلى الدرجات العالية معتمدة على الدرجات السابقة ، لا أنَّه تهدم الدرجات والبناء السابق ، لأنَّه إنْ هدّم الأصول والأسس السابقة سقط البناء لأنَّك زدت عليها .

وهذا اشتباه حصل للحداثويين والعلمانيين في تفسير معنى النسخ إلى حدٍّ

ما يشبه اشتباه بعض فرق الصوفيّة، بل واشتباه بعض العرفاء الذين توّهموا أَنَّ الانسان إذا عبد الله تعالى ووصل إلى درجة اليقين، وتمسكوا بظاهر الآية ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾(١)، فيمكنه ترك العبادة وهذا توهم فإنَّ اليقين حاصل من العبادة فكيف تترك العبادة؟ فإنَّه إذا تركت العبادة ذهب اليقين نظير السقف المعتمد في بنيانه وقيامه على الأعمدة والجدران فإذا وصل البناء إلى السقف كيف تهدم الاسطوانات والاعمدة والركائز التي يستند السقف عليها أفهل يقول بمثل هذا عاقل؟! فإنَّ طبيعة بعض بل كثير من الغايات والنهايات متوقفة على المقدمات والطريق اليها حدوثاً وبقاءاً.

وهكذا نظير من تجاوز مرحلة دراسية معينة مثل الابتدائية إلى المتوسطة إلى الثانويّة، فهل يعقل أَنَّه يهدِّم، أو يفرّط بما تعلَّمه في المراحل السابقة من عمليات ومعادلات رياضيّة ونظريّة اللوغارتم وغيرها، فإنَّ الدراسة النظريّة العالية المتقدمة متوقفة على تعلُّم المراحل السابقة، إلاَّ أَنَّه ينسفها ويذرها في اليَّم ذرواً، هكذا هي نتيجة ما ينتهي اليه بعض الحداثويين والعلمانيين.

إذن النظريّة الرابعة في النسخ تعطي رؤية عميقة حول بعثة بعض الانبياء وكيفية تدارجها، ولذلك يتوَّهم أتباع بعض الديانات السماوية كاليهود والنصارى وغيرهم أَنَّه إذا دعوناهم إلى إتّباع رسالة سّيد الأنبياء الخاتم صلى الله عليه وآله فإنَّهم يفهمون من ذلك أَنَّنا نجحد نبوة عيسى عليه السلام وموسى عليه السلام وما هذا الا مجرد توَّهم، ولم يعرفوا أَنَّ من تمام الايمان برسالة الخاتم صلى الله عليه وآله هو الايمان برسالة نبوة الانبياء السابقين.

---

(١) الحجر، ٩٩.

[العلاقة بين شرائع الأنبياء ليست علاقة تصادم]

مضافاً لما تقدم فإنَّ القران الكريم يتعامل مع أهل الكتاب أتباع الديانات السماويّة الاخرى كاليهود والنصارى وغيرهم اتباع التوراة والانجيل، على أساس أنَّهم اتباع كتاب سماوي بغض النظر عن اتباع التوراة والانجيل الصحيحة او المحرَّفة، فإنَّ القرآن يوليهم عناية خاصّة متميِّزة ومختلفة عن بقيَّة اهل الملل والنحل الاخرى.

والوجه في ذلك: بناءاً على تفسير النسخ على النظريّة الرابعة يتضح الامر بجلاء وأَنَّ ما كان لدى أتباع التوراة والانجيل بمقدار ما يكون إتّباعهم صادق فهو مرحلة متطوِّرة ومتقدِّمة على اتباع صحف ابراهيم او آدم او شيث أو نوح أو غيرهم، فإنَّ تناسخ الشرائع عبارة عن تعاقب في مراحل التكامل، وأَنَّ تلك المراحل والشرائع السابقة هي كمال ولكنَّها ليست بكمال نهائي، ولذا كلما تكاملت الشرائع أكثر فأكثر اقتربت من الكمال الأكمل وهو شريعة خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله اكثر فأكثر.

فإنَّ من يتبِّع موسى وعيسى عليهما السلام غير من يتبِّع ابراهيم عليه السلام فقط لأنَّ مَنْ يتبِّع موسى وعيسى عليهما السلام مفروغ عنه تلقائياً عند اتباع ادم ونوح وابراهيم وسياتي في قاعدة التوراة والانجيل وحي أمْ تحريف دلائل وبراهين على بقاء الوحي في نسخ هذه الكتب التي بأيدي اليهود والنصارى وهو القسم المحكم منها رغم وقوع التحريف في المتشابه منها.

[العهدين التوراة والانجيل بين الاسقاط المطلق أو التفصيل]

إِنَّ التناسخ في الشرائع عبارة عن تصاعد في درجات الكمال في الشريعة مع

المحافظة على رتبة كل مرتبة بما لها من كمال مقرّر في مرتبتها ولذلك لا يستغرب من اقرار القرآن لأهل الانّجيل بإنجيلهم بما يشتمل عليه من المحكمات ولأهل التوراة بتوراتهم بما يشتمل عليه من المحكمات كما في قوله تعالى **﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْراةَ فِيها هُدىً وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتابِ اللهِ وَكانُوا عَلَيْهِ شُهَداءَ فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلا تَشْتَرُوا بِآياتِي ثَمَناً قَلِيلاً وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِما أَنْزَلَ اللهُ فَأُولئِكَ هُمُ الكافِرُونَ﴾**[١] .

بتقريب : إِنَّ القرآن الكريم يحتج على اهل الانجيل بما في الانجيل وعلى اهل التوراة بما في التوراة وأَنَّهم لماذا لا يحكِّمون حكم الله في التوراة والانجيل أي من المحكم الذي لم يطله التحريف علماً بأَنَّ هذه الآيات الشريفة في سورة المائدة وهي من أواخر السور القرآنية نزولاً تشير إلى قضيتين أو حادثتين وقعتا في بني اسرائيل من يهود المدينة وهما :

القضية الأولى : إنَّه وقعت فاحشة زنى بين رجل محصن مع امرأة محصنة وكلاهما من بني اسرائيل وكان حكم الزاني المحصن إذا زنى بمحصنة في التوراة هو الرجم لهما ـ للزاني والزانية ـ وحاول وجهاء ورؤساء وعلماء بني اسرائيل في المدينة الالتفاف على هذا الحكم الإلهيّ بالذهاب إلى النبي الخاتم صلى الله عليه وآله واتَّفقوا فيما بينهم أَنَّ النبي الخاتم صلى الله عليه وآله إذا حكم بحكم غير الرجم أخذوا به ، وإِنْ حكم بالرجم ردّوه ، وحينها نزلت الآية **﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾**[٢] .

---

(١) المائدة/ ٤٤.

(٢) المائدة، ٤٧.

والقرآن الكريم في هذه الحادثة التي ذكرها في سورة المائدة احتّج بحكم الله في التوراة والانجيل الذي هو من المحكم الذي لا تناله يد التحريف .

وسياتي مزيد توضيح في القاعدة اللاحقة وهي الرابعة عشرة (التوراة والانجيل والزبور وحي أم تحريف) .

نعم قريش التي كانت في الجاهلية لم تكن تذعن بنبَّوة عيسى ولا موسى عليهما السلام وعلى نفس النهج الجاهلي كانوا بني أمية ، واستّمروا بمحاربتهم الله ورسوله صلى الله عليه وآله حتّى اواخر الهجرة ، وأَنَّ كُلَّ ما في التوراة والانجيل فهو مذموم ومحرّف ، وهذا بالحقيقة منهج جاهلي اموي قرشي مرفوض كيف والقرآن يحتَّج بإحكام موجودة في التوراة والانجيل كما مَرَّ في سورة المائدة في باب الرجم ، وإنْ كان لفظ الرجم لم يأت في القرآن ، وإنَّما يلوح في التوراة وما جاء في سورة المائدة/ ٤٤ هو تقرير للرجم الموجود في التوراة وعليه فيكون هذا التلويح هو بقوَّة التصريح .

ولذا كان أئمة المذاهب الاسلامية الاربعة أبو حنيفة ومالك والشافعي والحنبلي ـ يسألون من أئمة اهل البيت الباقر والصادق والكاظم الرضا أين الدليل في القرآن على الرجم في التوراة والانجيل ؟ فبيّن الامام الصادق عليه السلام وغيره من الأئمة ذلك الحكم واين موضعه في القرآن إلاَّ أَنَّهم ـ أئمة المذاهب الأربعة ـ اختلسوا هذا الحكم ونسبوه الى أنفسهم ولم يسندوه إلى الامام الصادق عليه السلام أو غيره من المعصومين من أئمة اهل البيت وكأنَّهم هم اكتشفوه وغيره الكثير من الموارد التي كان أئمة اهل البيت يعلِّمون أئمة المذاهب الاسلامية وغيرهم مستندات الاحكام الصحيحة في القرآن تكرُّماً ورحمة منهم

إلاَّ أَنَّ الغير يتركون الاعتراف بالجميل الذي أسداه الأئمة اليهم ويسندون ذلك فقط الى القرآن ، ولم يعرف أئمة المذاهب الاسلامية موضعه في القرآن كالرجم وغيره .

القضية الثانية : وهكذا في قضية أخرى عندما سئل الامام الصادقعليه السلام من قبل بعضهم : أين الدليل على أَنَّ حكم المساحقة هو القتل سواء كانت المرأة محصنة أو غير محصنة ؟ فبيّن الامام الصادقعليه السلام موضعه في القران ولكن بنحو التلويح في قضية أصحاب الرس حيث أنزل الله عليهم العذاب واصطلمهم به وبالقتل .

وهكذا من تتبَّع فكر ومنهج المذاهب الاربعة كالكاتب احمد امين الذي ادى به حقده إلى انكار ضرورة الرجعة في كتابه فجر الاسلام وأَنَّ عقيدة الرجعة معتقد وعقيدة راسخة عند اليهود وليست عقيدة اسلامية كلُّ ذلك بسبب أَنَّ الشيعة الامامية يعتقدون بالرجعة ويؤمنون بها ، ولذا تصدى له بعض علمائنا الأبرار كالشيخ محمد حسين كاشف الغطاءرحمه الله وأَنَّ الأمر لو كان كما يدعيه الكاتب اللا أمين من انكار الرجعة وأَنَّه عقيدة يهوديّة ، إذن فلننبذ التوحيد لأَنَّ التوحيد أيضاً يقول به اليهود فأيُّ منطق هذا ؟ !

وعليه فالغرض من تأكيد القرآن على الرجوع لما قنَّن وشرِّع في التوراة والانجيل أو الأمم السابقة ، هو لأجل بيان أنَّ معنى النسخ ليس رفع واقتضاء ولا انحسار في المقتضي إنَّما هو تجميد .

ولذا ورد في بدايات بعض **زيارات امير المؤمنين**عليه السلام «**أشهد أَنَّ لا اله إلاَّ الله وأشهد أَنَّ محمداً رسول الله جاء بالحق وصَدَّق المرسلين**» أي تصديق بناء مبني

على بناء سابق لا أَنَّ التصديق اللاحق ينسف ما بناه سابقاً .

ولذا فإنَّ اليهود والنصارى توَّهموا بالبقاء والاقتصار على نبوة انبياءهم فقط كالنبي موسى وعيسىعليهما السلام بل لابُدَّ أَنْ يترقوا إلى كمال أعلى ومراحل متقدِّمة وهو الايمان برسالة ونبوة الخاتم سيد الانبياءصلى الله عليه وآله ، فإنَّ التعاليم التي تعلموها من نبي الله موسى وعيسىعليهما السلام هي صادقة ولكن لابُدَّ من اضافة تعاليم أعظم إلاَّ وهي تعاليم أحكام رسالة الخاتمصلى الله عليه وآله وإلاَّ فالإيمان يبقى ناقصا حتى بالنبي موسى والمسيح عيسىعليهما السلام لأنَّ الايمان بجميع انبياء الله تعالى على نحو الكلي المجموعي .

كذلك من يعتقد بنبَّوة سِّيد الأنبياءصلى الله عليه وآله ولا يعتقد بوصاية أمير المؤمنين علي بن ابي طالبعليه السلام بعده ، فهو كمن أنكر نفس نبوَّة الخاتمصلى الله عليه وآله لأنَّ طور وتكامل نبوَّة خاتم الأنبياء بـ ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ**﴾ كذلك الايمان بالأئمة الاثني عشر على نحو الكلي المجموعي ، ولذا فإنَّ من آمن ببعض الأئمة دون بعض كمن أَنَكرهم جميعاً ، نظير التدرُّج بالدراسة الاكاديمية فإنَّ الانتقال والتطور إلى مرحلة أعلى وأكمل متوَّقف على إنْهاء الأدنى وإذا لم تواصل فيذهب كل ما تعلّمته هباءً منثوراً ، لأنَّ الغرض من الدراسة هو لأجل التوَّصل إلى المدارج العالية كما قال أمير المؤمنينعليه السلام في وصف حال ـ بعض مَنْ أنْكر الامامة أَنَّهم (تمَّسكوا بالشجرة) وهو سِّيد الأنبياءصلى الله عليه وآله (وضَّيعوا الثمرة) وهو التمسك بعترة النبي الطاهر ، فإنَّ الثمرة هي الاعتقاد بإمامة الأئمة بعد رسول اللهصلى الله عليه وآله وامير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام فالغرض من الايمان بالمسيرة السابقة هو لأجل إنَّ لاتقف المسيرة عند السابقة .

إذن للنظريّة الثالثة في النسخ رؤية ونظرة عميقة للدين ولتعاقب الشرائع بعضها تلو بعض والمهم هو الاعتماد على ما سبق لا نسفه وهدمه ، وإلاَّ إذا نسف وهدم ما سبق كيف يعبر إلى ما هو أعلى منه .

مبحث البداء

[النسخ التكويني في القضاء والقدر]

من البحوث التفسيرية القرآنية العقائدية والتي لها صلة بمبحث النسخ هو بحث النسخ التكويني في القضاء والقدر، وإنْ كان هذا المبحث ليس مبحثاً مرتبطاً بألفاظ ومعاني القرآن الكريم، بل هو مبحث مرتبط بمعارف القرآن.

ومعنى النسخ التكويني في القضاء والقدر هو عبارة أخرى عن عقيدة البداء حيث وردت كلمة النسخ في القرآن الكريم بمعنى النسخ التكويني في عالم القضاء والقدر ﴿**مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا**﴾[1].

بتقريب: إنَّ كلمة النسخ الواردة في الآية المباركة فُسِّرت بمعنى النسخ التكويني وبالتالي فإنَّ معنى النسخ التكويني أي تبديل القضاء وارد في القرآن الكريم. وعليه فإنَّ عقيدة البداء عند مدرسة أهل البيت عبارة عن النسخ التكويني ﴿**يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ**﴾[2].

بتقريب: إنَّ هذا المحو والاثبات هو نفس البداء وليس شيء آخر وراءه.

---

(١) البقرة/ ١٠٦.

(٢) الرعد/ ٣٩.

تطبيق الأقوال أو النظريات الأربعة المتقدمة في النسخ ـ نسخ الأحكام أي النسخ التشريعي ـ على النسخ التكويني أي القضاء والقدر ـ البداء ـ لأجل الصلة الوطيدة بينهما)

(النسخ بمعنى الكشف عن الحقيقة والبداء بمعنى الاظهار)

القول الأول : إِنَّ النسخ التشريعي بمعنى التخصيص الذي هو الكشف عن الحقيقة وعن ضيق وعدم اتساع دائرة العموم ازماناً في مرحلة لم تكن منكشفة من قبل ، كانحسار وقصور أصل من الأصل أي لم يشرَّع في عموم الأزمان ، والدليل الناسخ كاشف عن إِنَّ الجعل الشرعي من الأصل ليس بعادم كما في الدليل الخاص ، فإِنَّ التخصيص يكشف عن ضيق الدائرة من الأوّل وانحسارها وإِنَّ كان بعضهم توَّهم خلاف ذلك ، ومن خلال هذا أتّضح أَنَّ النسخ التشريعي ، أو النسخ التكويني هو ابداء واظهار وكشف الحقيقة التي لم تكن منكشفة وهذا هو أحد معاني البداء في مدرسة أهل البيت الذي هو اظهار الله تعالى وابدائه لأنبيائه ورسله وأوصيائه ما لم يكن قد ظهر لهم من قضاء الله عَزَّ وجَلَّ وقدره .

علماً أَنَّ مثل هذا البداء الذي تعتقد به مدرسة أهل البيت تحار به حتّى الملائكة المقرّبين من جبرئيل وميكائيل واسرافيل ، لأنَّ الله تعالى يبدي ما كان خفيّاً كما ذكر في الآية المباركة **﴿أَ لَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّماواتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ ما تُبْدُونَ وَما كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾**[١] ، **﴿قالُوا سُبْحانَكَ لا عِلْمَ لَنا إِلاَّ ما عَلَّمْتَنا إِنَّكَ أَنْتَ العَلِيمُ الحَكِيمُ﴾**[٢] .

---

(١) البقرة، ٣٣.

(٢) البقرة، ٣٢.

وورد في روايات أهل البيت ما مضمونه (ما عبد الله بشيء مثل البداء)[١] . وهكذا ورد عن هشام بن سالم عن أبي عبد الله عليه السلام « **ما عُظِّم الله بمثل البداء** » .

بتقريب : إِنَّ النبي صلى الله عليه وآله إذا آمن بان التدبير الالهيّ منفتح على مساحات وخيارات لا تنتهي فهذا يدل على عظمة الباري تعالى لذا جاء الرَّد الالهيّ على اليهود الذين حسروا قدرة إِنْفاق الله عَزَّ وجَلَّ ووصفوا يد الله بالمغلولة **﴿وَقالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِما قالُوا بَلْ يَداهُ مَبْسُوطَتانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشاءُ﴾**[٢] .

بتقريب : إِنَّ الله تعالى ليس بجسم ، ومعنى قدرة التصرف عند الله بمعنى أَنَّ عالم الخلقة مقهور لقدرة القاهرة ، لا أَنَّ قدرة الخالق مقهورة لضيق المخلوق ، ولذا فإِنَّ الروايات أكدت على إِنَّ أعظم عبادة يعبد بها الله هي عقيدة البداء ، لأَنَّ من أعظم أَنْواع الصدق الصادق في الاعتقاد أنْ تؤمن بأَنَّ قدرة الله في التصرف والتبديل عظيمة أي يمحو الله ما يشاء ويثبت بمشيئة عظيمة ، فإِنَّ أوّل شيء يأخذه الله سبحانه على الانبياء والمرسلين هو التسليم لله بالبداء .

بتقريب : إِنَّ الملفات التي عند الله عَزَّ وجَلَّ والخيارات والقدرة هي قدرة تصرف لا تنتهي عند حدٍّ هذا هو معنى أَنَّ قدرة الله يفعل ما يشاء ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون وأَنَّ أحد معاني **﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾** هو إِنَّ أفعال الله سبحانه لاتحَدُّ ولا يهيمن عليها بقاعدة معينة ، فليس ذاك الشيء الذي يسأل عنه

---

(١) الكافي، ج١، ص١٤٦ باب البداء.

(٢) المادة، ٦٤.

هو الذي يحدُّ فعل الله وإنْ كانت هناك تفاسير كثيرة لهذه الآية لا يسأل عما يفعل لا إنَّها وللأسف خاطئة لأنَّها تفسِّر أَنَّ فعل الله له منشأ محدود .

ومن خلال هذا يتضح أَنَّ أحد المعاني الحقيقية لمعنى مطابقة النسخ التكويني للنسخ التشريعي أَنَّ النسخ بمعنى الاظهار والكشف والابداء ، وبالتالي يكون معنى البداء مساوياً لمعنى النسخ التكويني وأَنَّ أحد معاني النسخ التكويني أَنَّه يساوي النسخ التشريعي بمعنى الاظهار أي الكشف وحينئذ يكون احد معاني البداء هو الابداء والاظهار وليس هذا المعنى هو كل معاني البداء .

والنسخ التكويني بالأخيريطابق النسخ التشريعي .

القول الثاني : النسخ التشريعي هو بمعنى وجود المقتضي بجعل العموم ، إلاَّ أَنَّ ذلك المقتضي رفع وأزيل ولولا الرفع لكان باقياً ، فإنَّ المقتضي والحقيقة الواقعيّة موجودة لولا الرفع ، فالشخص المطيع لله مثلاً يحرق حسناته بالمعاصي ، أو العاصي يزيل سيئاته بالحسنات ، وهنا تأتي القاعدة القرآنية المعرفية (الحسنات يذهبن السيئات) و (يبدل الله سيئاتهم حسنات)

بتقريب : إِنَّ السيئات موجودة إلاَّ أَنَّها أبدلت وازيلت وارتفعت بالحسنات بفضل من الله ومِنَّة بعباده .

وعليه فإنَّ هذا أيضاً نوع من النسخ التكويني لكن بمعنى التبديل والرفع والازالة ، وهو أيضاً أحد معاني يمحو الله ما يشاء ويثبت بمعنى الرفع والتبديل لا بمعنى الكشف .

القول الثالث : النسخ بمعنى استمرار وجود المقتضي ولكنه مجمَّد إلاَّ أَنَّه غير مرتفع وإنَّما النسخ هو تجميد لما هو موجود الذي يطابق المغفرة ، فإنَّ غفّار

الذنوب هو مقام ودرجة ، ومبدل السيئات حسنات درجة أخرى ، فإنَّ الذنوب موجودة ولكنها مستورة سترها الله وأَنَّ الستر هو معنى الغفران ، وليس معنى الازالة ، ولذا فإنَّ لفظة العفو والصفح والمغفرة وردت في القرآن الكريم وهي على درجات ، وأَنَّ العفو هو من أقل المراتب ، ثم المرتبة الاعلى الصفح ، ثم مرتبة المغفرة وغفران الذنوب وإذا حصل معنى المغفرة حصل ضمان بعدم غضب الرَبِّ تعالى على ذلك العبد المرتكب للذنب المعين ولا يعاقبه عليه بخلاف العفو والصفح فإنَّهما قد يكونان مؤقتين كما أشارت الى ذلك بعض فقرات دعاء **أبو حمزة الثمالي عن الامام زين العابدين**عليه السلام « **وألبسني من نظرك ثوباً يغطي عليّ التبعات وتغفرها لي ولا أطالب بها إِنَّك ذو مَنٍّ قديم وصفحٍ عظيم وتجاوُّز كريم** »[1] .

ثم إِنَّ الغفران على درجات وكلّها تعبِّر عن حقائق ومباحث تكوينيّة سواء في عالم الدنيا ، أو عالم الآخرة أو عالم البرزخ ، بل هناك مرتبة أعلى وهي مرتبة مبدِّل السيئات حسنات ومرتبة الحسنات يذهبن السيئات .

فالتوبة على درجات او اصلاح العبد لنفسه على درجات فإنَّ بعض درجات اصلاح العبد نفسه تصل إلى درجة العفو وبعضها إلى درجة الصفح ثم وثالثة إلى درجة مبدِّل السيئات حسنات وهكذا .

[تصور الأقوال الثلاثة في النسخ التكويني في عالم ألواح القضاء والقدر]

إِنَّ الأقوال الثلاثة المتقدمة في النسخ التكويني يمكن تصورها في عالم

---

(١) دعاء ابو حمزة الثمالي للإمام زين العابدين عليه السلام .

ألواح القضاء والقدر ، ومعنى ألواح : أي مراتب ، فإنَّ للقضاء القدر مراتب ، وللمحو يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب كذلك له مراتب ، وإِنَّ المحو هنا بمعنى المحو التكويني الذي يعبر عنه بالنسخ التكويني أي البداء ولذا يمكن تصوير النسخ التكويني في عالم القضاء والقدر وعالم المحو .

[أقسام البداء والمحو والاثبات]

القسم الأوّل : تخيُّل وجود قضاء وقدر ، شبيه التخصيص الذي تبيَّن عدم وجوده لهم من الأصل .

القسم الثاني : إِنَّ القضاء والقدر ثابت في الواح عالم القضاء والقدر والابرام .

القسم الثالث : إِنَّ المقتضي الذي أنبي به عن القضاء والقدر موجود إلاَّ أَنَّه حصل نسخ تكويني بنحو الازالة ، وأزيل ذلك المقتضي .

القسم الرابع : المقتضي موجود ـ نفس الثالث ـ إلاَّ أَنَّه زوحم بمقتضي أكبر مجمَّد وهنا يوجد محو إلاَّ أَنَّ المحو والنسخ ليس بمعنى الازالة حتى يكون معنى يمحو الله ما يشاء على الأقسام الثلاثة الاخيرة ، أَنَّ المحو هنا بمعنى انكشاف خطأ ما توهموه أو ظنوه .

القسم الخامس : المقتضي للنسخ والمحو موجود ، إلاَّ أَنَّ الباري أزال هذا المقتضي مثل : طول عمر زيد أو نقصان عمر خالد ، أو انتصار معيَّن أو هزيمة معيَّنة أو غير ذلك فإِنَّ المقتضي لها كان موجوداً ولكِنَّ الله تعالى محا وأزال هذا المقتضى للتقدير ، أي اثبات مقتضي آخر اكثر تأثيراً من السابق بحيث اللاحق أزال السابق .

القسم السادس : نسخ بمعنى محو الأثر ، لا أنَّه محا اصل الاقتضاء .

والخلاصة : إِنَّ الأقسام الثلاثة الاولى في المحو الاثبات في النسخ التكويني موجودة وبينها القرآن فيم واضع متعددة في موازاة الأقسام الثلاثة للنسخ التشريعي للأحكام وله آثاره الكثيرة وأقسامه وأحكامه .

[العموم لا يعطيك تمام الحقيقة]

فائدة : إذا جاء العموم أولاً ، ثم جاء المخصص بالمعنى الأوّل للنسخ ثانيّاً (وهو أَنَّ حقيقة النسخ في الأحكام الشرعية الفرعيّة التفصيليّة هو مجرد تخصيص أزماني يرجع إلى العام والخاص ، مقابل التخصيص الافرادي الذي هو تخصيص للعموم فإنَّ العموم في مثل هذه الحالة لا يكون كاذباً ولاخاطئاً ، ولكن العموم بما هو عموم لا يعطيك الحقيقة وإنّما يخبّئها وهذا من الموارد التي تنزلق فيها الاقدام ويجب على الباحث الفطن أنْ لا ينزلق مع العموم بمفرده ، وإِنَّ الفقيه كل الفقيه من لا يندفع للتمسك بالعموم بمفرده ؛ لأنَّ الحقيقة لا تقتنص إلاَّ بملاحظة المجموع لا بملاحظة بُعد واحد ، ولذا فإنَّ العموم من أوّل الأمر لم يؤسس على أنْ يلحظ ويؤخذ بمفرده وعليه فإنَّ العموم بهذا اللحاظ لا يكون كاذباً فإنَّ هناك موارد فيها مخصّصات دائماً وإلاَّ يجب أَنْ نكذِّب جميع مقنني القوانين الوضعية وهذا مما لا يقول به أحد ، ولذا فإنَّ الاخبارات التعليقيّة التي يخبر بها الأئمة نظير ما ورد في بعض الروايات كقول **أمير المؤمنين**عليه السلام « **لولا آية في كتاب الله لأخبرت كلَّ منكم بما سيؤول له** » وعليه فكيف يخبر بهكذا اخبارات ليست بتيّة ومعلقة ؟ فإنَّ مثل هكذا اخبارات تعليقيّة وغير بتيّة وحيثيّة أي من هذه الحيثيّة ولا ينفي غيرها ـ لا تكون كاذبة .

[باب النسخ في اخبار الله تعالى لأنبيائه]

وهكذا اخبار إنباء الله تعالى لأنبيائه، لا تكون كاذبة وهي اخبارات تعليقيّة فمثلاً اخباره تعالى للنبي يونس عليه السلام بوقوع العذاب في قومه بعد ثلاثة أيام، ولم يقع لأنَّهم تابوا وتضرعوا إلى الله فقبل الله توبتهم ﴿كَشَفْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ﴾[1]، فكيف لم يقع إنْباء الله، وهو إنْباء صادق؟ أَنَّه يحمل على احد الانماط الثلاثة السابقة ومن هذا يعرف إِنَّ هناك باب آخر يحاذي النسخ التشريعي غير باب النسخ التكويني ألاَّ وهو باب الاخبار وهو أيضاً على ثلاثة أقسام.

(أقسام باب الأخبار)

إِنَّ الأخبار على أقسام كباب النسخ وهي:

القسم الأوّل: إخبار من قبيل العام والخاص والذي هو الأساس من قسم الأخبار التعليقي الكشف، أي كُلٌّ من الكشف والمكشوف معلَّق الوقوع فقد يصيب الواقع وقد لا يصيبه، بأنْ يأتي الخاص بعد مرور فترة زمنية على صدور العام ويكشف الخاص عن عدم شمول العام لهذه المساحة من الخاص ولا يعني هذا كذب العام قبل ورود الخاص أو العثور عليه فإنَّ العام صادق لأنَّه مؤسَّسٌ من أوّل فترة صدوره هو من قبيل القسم الأوّل إلاَّ أَنَّه ينبغي الالتفات كما نبَّهنا عليه سابقاً إلى أَنَّه من غير الصحيح الاعتماد على النظرة الفردية والجزئية، وإنَّما يجب النظر الى المجموع حتّى تكون النتيجة سديدة وموفقة كالعموم الوارد في الآية ﴿مَن كَفَرَ بِاللهَّ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾[2]،

---

(١) الزخرف/ ٥٠.

(٢) النحل/ ١٠٦.

ونتيجة المخصِّص المنفصل تكون كنتيجة المخصِّص المتَّصل كما هو في الآية وأَنَّ المخصِّص فيها متِّصل .

القسم الثاني : إخبار اقتضائيّ أي المقتضي موجود وسيكون له أثر إلاَّ أَنَّ الأثر مُعَلَّق على عدم وجود مقتضي مزاحم أكبر منه أشد تأثيراً من الأوّل وبعبارة فإنَّ المقتضي الذي اخبرك به عن المستقبل مودود ومقدّر القضاء ولكنّه أتى قضاء وقدر ورفع القضاء والقدر الأوّل وإنْ كان هو موجوداً .

القسم الثالث : إخبار بتيّ أي إِنَّ المقتضي للقضاء والقدر موجود لا يزول وإِنَّما يجمِّد ، إلاَّ أَنَّه يأتي قضاء وقدر أهَّم من الأوّل ولم يرفع الأوّل الثاني وإنَّما يجمِّده وهذا الأخبار البتي صحيح وصادق لأَنَّه من الأساس والأصل أسّس على عدم الأخبار بما هو فعلي بتاً وإِنَّما اخبار بنحو المقتضي وهذا المقتضي يجمّد لحكمة كما في احاديث النبيﷺ وروايات أهل البيت في خصوص ذكر عشرات أو مئات علائم آخر الزمان ، و علائم ظهور الامام المهديعجل الله فرجه فإنَّ قسماً من هذه العلامات هي من قبيل القسم الأوّل وقسم منها من قبيل القسم الثاني وثالث من قبيل الثالث .

فمن العلامات البتيّة مثلاً لظهور الامام الحجةعجل الله فرجه ذكرت الروايات الواردة عن أئمة أهل البيت خمس علامات قطعيّة وحتميّة خروج السفياني ضد الامام المهديعجل الله فرجه من بلاد الشام ، وصيحة في السماء ، وخسف في البيداء ـ بيداء المدينة المنورة ـ بجيش السفياني ، وظهور الحسني ، وظهور اليماني ، فهذه العلامات وإِنَّ كانت حتميّة إلاَّ أَنَّه يقع فيها البداء الأعظم ، فإنَّ المقتضي في هذه العلامة البتيّة والحتميّة من قبيل القسم الثالث موجود ولا يرتفع ولكن قد يزاحم

بمقتضي أهّم منه ويفشل آنذاك مشروع السفياني إذا قام المؤمنون بواجبهم حسب ما جاء في روايات اهل البيت .

وهكذا نظير ما ورد في الصدقة وأنَّه إذا نويت يدفع الله عنك البلاء المقدر المبرم فإذا لم تف بما نويت من الصدقة ، فإنَّه يفعّل ذلك البلاء فإنَّ نيَّة الصدقة والتي هي مقتضى أهم تجمَّد الاقتضاء الأوّل أي القضاء بالشرِّ أو البلاء لا أَنَّه يرتفع وقد يكون دور دفع بعض الصدقات بأنَّ تجمّد ولا ترفع ، مما تحتاج إلى دفع صدقة أخرى .

وهكذا مثل الأعمال الصالحة الحسنات والاستغفار تزيل السيئات ﴿فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾[1] ، فإنَّ بعض الاعمال فيها مقتضى ، أي لا تكشف السيئات فقط في دار الدنيا فتحتاج إلى عمل أكبر حتّى لا تكشف ولا تفتضح يوم القيامة ، فإنَّه قد تُفَعَّل بعض السيئات في الاخرة .

وفي الأمالي : **عن الباقر** عليه السلام **أَنَّه سئل عن قول الله عَزَّ وجَلَّ ﴿فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ فقال يؤتى بالمؤمن المذنب يوم القيامة حتّى يوقف بموقف الحساب فيكون الله تعالى هو الذي يتولى حسابه لا يطلع على حسابه أحداً من الناس فيعرفه ذنوبه حتّى إذا أقرّ بسيئاته قال الله للكتبة : بدِّلوها حسنات وأظهروها للناس فيقول الناس حينئذٍ ما كان لهذا العبد سيئة واحدة ، ثم يأمر الله به إلى الجنة فهذا تأويل الآية وهي في المذنبين من شيعتنا خاصة**[2] .

وفي العيون عنه عليه السلام **قال : «قال رسول الله** صلى الله عليه وآله **إذا كان يوم القيامة تجلى الله**

---

(١) الفرقان ، ٧٠.

(٢) تفسير الصافي للكاشاني/ ٤/ ١٩ ـ ٢٠.

عَزَّ وجَلَّ لعبده المؤمن فيقفه على ذنوبه ذنباً ذنباً ثم يغفر له لا يطلع الله على ذلك ملكاً مقرباً ولا نبيّاً مرسلاً ويستر عليه ما يكره إِنَّ يقف عليه احد ثم يقول لسيئاته كوني حسنات»[١] .

القمي : «**عنه عليه السلام قال إذا كان يوم القيامة أوقف الله عَزَّ وجَلَّ المؤمن بين يديه وعرض عليه عمله فينظر في صحيفته فأوّل ما يرى سيئاته فيتغير لذلك لونه وترتعد فرائصه ، ثم تعرض عليه حسناته فتفرح لذلك نفسه فيقول الله عَزَّ وجَلَّ بدِّلوا سيئاته حسنات واظهروها للناس فيبدِّل الله لهم فيقول الناس أمّا كان لهؤلاء سيئة واحدة وهو قوله تعالى ﴿يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾**»[٢] .

وهكذا الحال فيما إذا صار النسخ التكويني والنسخ التشريعي من قبيل القسم الثالث ـ أي المقتضي مجمّد ـ فإنَّ تعامل الحسنة مع السيّئة أو بالعكس فإنَّ السيّئة تارة من القسم الأوّل تكشف إنَّه لا يغرَّنَّكم طول صلاته وركوعه وسجوده وكثرة صيامه ، وأخرى السيّئة تزيل الحسنة من القسم الثاني والازالة بمعنى مجرد الحركة وثالثة السيّئة تجمِّد الحسنة .

وتبيِّن روايات أهل البيت تصوير القرآن لنا مقالة قريش ووصفها وأَنَّهم يدّعون في عبادتهم على دين ابراهيم عليه السلام كما في حج قريش ، ويدّعون أَنَّ النبيّ الخاتم صلى الله عليه وآله بهذا الدين الجديد الذي جاء به صلى الله عليه وآله قد أخرجهم عن ملَة ابراهيم عليه السلام حتّى أَنَّ قريشاً قالت (إِنَّ محمداً صبأ فتية قريش) ومعنى (صائبة وصبى) أي الذي لا يتمسك بكُلِّ الدين برمته بل ببعضه أي علماني ، وأَنَّ النبيَّ صلى الله عليه وآله جعل فتية قريش علمانيّون بمصطلح الحداثويين اليوم ـ فلماذا يصف القرآن حج قريش

(١) المصدر السابق، ص٢٠.

(٢) المصدر السابق.

وعبادتهم بالنجس ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هذا﴾[١] ، علماً أَنَّ حجَّهم على شاكلة حجِّ ابراهيمعليه السلام بأنْ كان عندهم احرام ووقوف بعرفات والمزدلفة وغير ذلك ، فالقرآن يكشف لنا أَنَّ حجِّ قريش ليس سيئة تزيل الحسنة وإنَّما اشراكهم بالله وعدم قبولهم بنبوَّة الخاتمصلى الله عليه وآله أي عدم قبولهم الشهادة الثانية يكشف عن عدم وجود حسنة عندهم ، لا أَنَّهم عندهم حسنة وازالتها السيّئة أو جُمِّدت ، وإنَّما وصفهم القرآن مبالغاً في نجاستهم وأَنَّ كُلَّ أعمالهم وعقائدهم عبارة عن كتلة نجاسة وان بعض السيِّئات تكشف عن عدم وجود صورة حسنة أصلاً ، وعليه فمَنْ لم يكن لديه ولاية الله ورسوله والعترة الطاهرة من أهل البيت فإنَّ القرآن يكشف عن عدم وجود حسنة عند أمثال هؤلاء اصلاً لا أَنَّه عنده حسنة ثم أزيلت كما ذكر القرآن ذلك في قصة آدم وابليس .

هذا تمام الكلام بالنسبة إلى القسم الأوّل من أقسام النسخ وهو نسخ الاحكام أي نسخ في المعنى .

القسم الثاني : نسخ التلاوة : وهو نسخ لتلاوة الفاظ السورة او الآية في القرآن فضلاً عن نسخ معناها والحكم فيها ثابت ثم يأتي الامر بنسخها ويمحوها من المصحف باللسان للمسلمين .

ومشهور تسالم علماء الأمامية ينفون نسخ التلاوة بل بعضهم[٢] ، إدّعى الاجماع عليه إلاَّ القليل من علماء الأمامية قالوا بجوازه ، ولم يقولوا بوقوعه خلافاً لكثير من علماء العامّة الذين قالوا بجوازه ووقوعه مقابل قلَّة منهم ـ العامة

---

(١) التوبة/ ٢٨.

(٢) البيان للسِّيد الخوئي.

ـ وافقوا علماء الأمامية وأنْكروا إمكانه ووقوعه ، وبالتالي فالأمر بين مدرسة أهل البيت والطرف الآخر على طرف نقيض .

وعمدة استدلال مشهور علماء الأمامية أَنَّ نسخ التلاوة بهذا النمط هو نوع من التحريف في القرآن .

فالصورة المطروحة لنسخ التلاوة من قبل العامة متناقضة فإنَّه لازال عالقاً في أذهان بعض المسلمين من أَنَّ هناك اية في القران يذكرها الخليفة الثاني أو عائشة أو غيرهما وهي آية رجم الشيخ والشيخة ، ولكنَّها نسخت نسخ تلاوة إلاَّ أَنَّ الامر المستغرب أَنَّه كيف نسخت نسخ تلاوة على ما يدعونه ولايزال يحفظها الاخرون ، فهذا نحو من التناقض الذي وقعوا فيه .

[معنى نسخ الاحكام ونسخ التلاوة]

وفرق نسخ الاحكام عن نسخ التلاوة : أَنَّه تقدَّم معنى نسخ الاحكام وهو نسخ معنى الحكم في الآية أو السورة ، وأمّا اللفظ الدال على الحكم فيها فهو باق على حاله من التلاوة ولم ترفع تلاوتها ، ويكون النسخ في المعنى فقط ، وتقدَّم أَنَّه لا يوجد نسخ في المعارف بالمعنى الاصطلاحي .

نعم هناك نوع من النسخ في المعارف بالمعنى الأوّل من معاني النسخ وذلك بأنَّ نسخ المعنى المجمل في المعارف بمعنى مفصَّل ويكشف عن حقيقته فقد يكون المعنى المجمل فيه شيء من القصور أو النقصان فينسخ هذا المعنى المجمل بالمَفَصَّل وسياتي بيانه أو بيان الفرق بين دور مرتبة خاتم الانبياء ﷺ والانبياء السابقين حيث ورد في **بعض زياراته** ﷺ **«الخاتم لما سبق والفاتح لما استقبل والمهيمن على ذلك كُلِّه»** .

ومعنى نسخ التلاوة أَنَّ النسخ ليس في المعنى وإِنَّما النسخ في الألفاظ والتلاوة فالمنسوخ هو قراءة وتلاوة الفاظ الآية المباركة وهذا مؤشر على صِحَّة النظريّة الثالثة في نسخ الأحكام فإنَّ الحكم إذا نسخ معناه حسب النظريّة الاولى والثانيّة فما فائدة تلاوة حكم لاوجود له أصلاً إلاَّ من باب السرد التاريخي للتشريع أو بيان معجزة النبيﷺ أو لعترته صلوات الله عليهم هذا على النظريّة الاولى والثانيّة .

أمّا على النظريّة الثالثة فإنَّ لنسخ احكام التلاوة فائدة في الآية المنسوخة حكمها لأنَّ نسخ الحكم ليس رفعه من أصل وانَّما هو تجميد قد يُفَعَّل ويكون مستند التفعيل لازال متلوّاً ومقروءاً .

وعلى هذا فلعدم نسخ التلاوة مغزى يتفق مع النظريّة الثالثة في نسخ الاحكام ولا يتوَّهم هذا في نسخ الآيات القرآنيّة بعضها لبعض وإِنَّما هذا في صدد بيان الفرق بين نسخ الاحكام ونسخ التلاوة .

[القرآن الكريم يثني على الكتب السماوية الاخرى]

لم يفتأ القرآن الكريم يمجِّد ويمدح الكتب السماويّة السابقة وتلاوتها بلحاظ المقاطع غير المحرفة من صحف آدم وصحف ابراهيم وصحف موسى والتوراة والانجيل والزبور وغيرها فإنَّ نسخ شرائع الأنبياء لم يستلزم نسخ تلاوة الكتب السماويّة السابقة بل لازال القرآن الكريم يدعو أهل الانجيل بأنْ يعملوا بالإنجيل ويحكموا بما انزل الله فيه وكذا التوراة وسائر الكتب السماويّة الأخرى .

ولذا فإنَّ معتقد مدرسة اهل البيت أَنَّ الامام الثاني عشر الحجة بن الحسن عجل الله تعالى فرجه الشريف هو خازن لكل الكتب السماويّة السابقة ، ومعنى خزنها أي لم تنسخ

تلاوتها ، ولذلك عندنا في جملة من الروايات الواردة عن أئمة اهل البيت أَنَّهم يقرؤون مقاطع من الانجيل والتوراة والزبور وغيرها من الكتب السماويّة النازلة على الانبياء السابقين الصحيحة والأصلية وتعظيمهم ايّاها ، ولذا كان احد الاوصاف العظيمة لأئمة أهل البيت أَنَّهم حرسة الكتب السماوية النازلة وورثتها ولا أحد من البشر يستطيع أنْ يدّعي عنده التوراة الاصليّة أو الانجيل الأصلي أو غيرها وليس هذا من باب الصدفة ، وإنَّما هو من باب الاعجاز وإِنَّ مقاليد السماء تُنَزَّل بيدهم .

إذن مسألة عدم نسخ التلاوة في الكتب السماويّة السابقة مطلب مهم للغاية إلاّ أَنَّه مغفول عنه عند المفسِّرين والباحثين إلاّ أئمة اهل البيت .

[بناء التوحيد وثناء التمجيد على يدي سِّيد الانبياء' ومن بعده امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام]

نوع آخرمن النسخ لا بمعنى الازالة

تقدَّم أَنَّ المعارف والعقائد الحقة لا نسخ فيها ولا تخطئة ، ولكن يقع فيها نوع آخر من النسخ غير الأنواع الثلاثة المتقدمة ، وهو نسخ بمعنى ازالة الاجمال والابهام والايهام ، فمثلاً من أحد أهم اوصاف سِّيد الانبياء صلى الله عليه وآله التي تفرّد بها عن سائر الانبياء والمرسلين هو الغوص في التوحيد أي الكشف عن اركان التوحيد بمدى اكثر مما كشفه الانبياء السابقين فإنَّ بيانات الانبياء السابقين عليه زماناً حول التوحيد كانت بيانات ومعارف ومعلومات مجملة حسبما وصلت اليها علوم الانبياء السابقين أمّا عن سِّيد الانبياء صلى الله عليه وآله فقد تفتقت المعارف اكثر فأكثر ، وهذا نوع آخر من النسخ لا بمعنى الازالة ورفع وتفنيد لما سبق ، وإنَّما نسخ بمعنى كشف وازالة ابهام وايهام وذلك بأنَّ يقال : إِنَّ معارف التوحيد التي أتى

بها سِّيد الانبياءﷺ نسخت معارف التوحيد التي أتى الانبياء من قبل فإنَّ النسخ هنا بمعنى رفع الايهام والابهام فإنَّ المجمل دائماً كما فيه ابهام كذلك فيه أيهام .

فهناك عدة أوصاف وردت في الزيارة على اختلاف تعابيرها تثبت هذا المعنى ، فقد نقل ابن المشهدي في كتابه المزار **في احد زيارات النبيﷺ «السلام عليك يا مُثبِّت التوحيد بالشرح والتجريد ومقرِّر التمجيد بالبيان والتأكيد»**(١) .

لطيفة عقلية برهانية

إنِّ الفقرات الانفة الذكر الواردة في زياراتهﷺ فيها اشارة إلى لطيفة عقليّة برهانية كالمعجزة العقليّة حيث إنَّه قابلعليه السلام بين التوحيد والتمجيد ، كما أَنَّه جعل حقيقة التوحيد ترجع إلى التنزيه والتسبيح اذ هو معنى التجريد ، بينما التمجيد الذي هو معنى التحميد فإنَّهعليه السلام في هذه الفقرات بيّن أَنَّ قوامه التمجيد ـ بالبيان والاظهار لكمالات المحمود .

والحاصل إِنَّ حقيقة التوحيد ترجع إلى التنزيه والتسبيح بينما حقيقة التمجيد ترجع إلى التحميد وهو نمط معرفي مغاير للتسبيح فالتسبيح والتوحيد لنفي التشبيه بينما التحميد لنفي التعطيل .

وورد في الزيارة الجامعة في حق الائمة « إنَّصار توحيده وأركان تمجيده . . إِنَّ تصلي على مُحَّمد الخالص من صفوتك والفاحص عن معرفتك والغائص المأمون عن مكنون سريرتك » (٢) .

وغيرها من الزيارات الواردة والتي أوكل فيها النبيﷺ إلى امير المؤمنين

---

(١) المزار الكبير لابن المشهدي ص٩٧ والبحار ج٩٧ ص٣٤٧ عن المزار.

(٢) ملحقات مفاتيح الجنان عن مصباح الزائر للسيد ابن طاووس.

علي بن أبي طالب عليه السلام أمر بناء التوحيد وثناء التمجيد لضيق فترة حياة الدعوة للنبي صلى الله عليه وآله وغيرها الكثير من الامور المجملة التي أوكلها النبي صلى الله عليه وآله من بعده الى خليفته ووصيّه بالحق علي بن ابي طالب عليه السلام والتي تحتاج إلى تبيان اكثر ورفع للإبهام والايهام بسبب إنَّ ضيق فترة حياة الدعوى للنبي صلى الله عليه وآله وعدم كفاية الوقت لأنْ يفتِّقها ويفصِّلها ويبيِّنها وما هو الغرض من الاتيان بهذه الأحكام المفصلة و المبيَّنة لا المجملة في كثير من المسائل كمسألة الجبر والتفويض وهي أصل عظيم في التوحيد، وكمسألة العدل الالهيّ التي لم يعرفها المسلمون إلاَّ على يدي أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام والائمة المعصومون من ولده علماً أَنَّ هذا الأصل التوحيدي له أثره في العلاقة الايمانية بين العبد وربه فإذا كان العبد يظن بربه الظلم فسيتمرَّد على ربّه كما تَمَرَّد ابليس على خالقه وعليه فإنَّ مثل عقيدة لا جبر ولا تفويض وإنَّما امرٌ بين أمرين سوف تتحَكَّم في أصل الرؤية التوحيدية للعبد اتجاه رَبِّه .

علماً أَنَّ المدارس الاسلاميّة الأخرى في هذا الركن العظيم من أركان التوحيد هي متطفِّلة وعالة على مدرسة أهل البيت ولأجل هذا فإنَّ المشهور بين علماء الاماميّة هو أَنَّ أئمة أهل البيت هم الذين بنوا أركاناً في التوحيد لم تكن لدى المسلمين من قبل، ويعتبر هذا أحد المعاجز البرهانيّة العلميّة العظيمة على امامة أهل البيت .

وهذا الكلام حول الأصل العقائدي الثاني بعد التوحيد وهو العدل على مدرسة أهل البيت وله تسلسل آخر في المدارس الاسلاميّة الأخرى، ويعتبر العدل ركن من الأركان المعرفيّة التوحيديّة بالله، وهو ـ مبحث العدل ـ متقارب مع مبحث لا جبر ولا تفويض أمر بين أمرين .

وكذلك مبحث نفي التجسيم عن الله تعالى الذي كان بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وآله بل ومن بعض زوجاته التي كانت تظنُّ بأنَّ الله عَزَّ وجَلَّ جسم، تذكرها روايات الفريقين، ومن المعلوم والواضح لدى جميع المسلمين ـ إلاَّ من أراد إنَّ يغطي أشعة الشمس بغربال ـ إنَّ النبي صلى الله عليه وآله ورّث علومه وأسراره إلى وصيه وخليفته أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام وفاطمة والحسن والحسين والأئمة التسعة المعصومين من اهل البيت هم الذين نشروا من بعد رسول الله صلى الله عليه وآله مثل هكذا معارف عظيمة لم يكن بوسع اناء أحد أَنْ يتحمَّلها إلاَّ النبيُّ صلى الله عليه وآله وعترته من بعده، فانَّهم قاموا بتربية البشريّة والمسلمين على ذلك، فإنَّه حتّى المسيحيّة واليهوديّة المحرّفة والمليئة بالتجسيم والتي تقول به ـ بالتجسيم ـ شيئاً فشيئاً إلاَّ أَنَّه وببركة آثار مدرسة أهل البيت لم يجرأ أحدٌ على طرح مثل هكذا بحوث بل حتّى البوذيين والوثنيين أخذوا بالتراجع عمَّا طرحوه سابقاً مما كانوا به من الشبهات الباطلة والمنحرفة من التجسيم وغيره كُلُّ ذلك ببركة اشعاع امواج أنوار المعارف من علي وفاطمة والحسن والحسين والأئمة المعصومين بعد رسول الله صلى الله عليه وآله الذي هو مركز النور، بل حتّى المسلمون من سائر المدارس الاسلاميّة الاخرى انتبهوا إلى ضحالة وركاكة وفساد ما كانوا يروجون له من عقائد باطلة، وبدأ الوعي البشري ـ ولله الحمد ـ بالوصول إلى وعي ناهض، ببركة انوار المعارف التي بثها وعلّمها أئمة أهل البيت للمسلمين وغيرهم، مما ذكره العلامة الطبرسي في كتابه القيِّم الاحتجاج وغيره.

والخلاصة من كل ما تقدَّم أَنَّ أركان التوحيد التي تعرّف عليها المسلمون وغيرهم عن طريق أئمة أهل البيت إلاَّ أَنَّه لا يعني هذا بحسب منطق مدرسة الوحي مدرسة أهل البيت أَنَّ الأنبياء والرسل والأوصياء السابقين على

الخاتمﷺ لم يقوموا بدورهم الذي رسمه الله اليهم ونسب الخيانة اليهم كما فعلت واعتقدت به اتباع الديانة اليهوديّة والمسيحيّة المحرّفة ، بل وحتّى المدارس الاسلاميّة الأخرى غير مدرسة أهل البيت التي بنت تلك المدارس الاسلاميّة على عدم قيام الانبياء والرسل بالدور الذي كُلِّفوا به ونسبهم الخيانة إلى الأنبياء والمرسلين السابقين وغير ذلك .

وعليه فاذا أتُّهِم الانبياء والرسل بالخيانة فعلى من ستقع المسؤولية ومن يتحَّملها من عموم البشر اتجاه ربِّهم وخالقهم ؟

وآنذاك ستضيع المسؤوليّة وسيكون الامر بالتالي فوضى وسيزول الدين الذي هو المداينة وتحَّمل المسؤوليّة ، وبالتالي لا تبقى مداينة ولا محاسبة في الدين إذا خَوَّنا أوَّل مسؤول في الدين وهم الأنبياء والمرسلين صلوات الله عليهم أجمعين .

[أئمة أهل البيت هم الذين شيّدوا وأكدّوا على عصمة وأمانة الأنبياء أكثرمن أتباعهم]

تميزّت مدرسة أهل البيت عن باقي المدارس الاسلاميّة ، بل ومن بين المداس والأديان السماويّة غير الاسلام كاليهوديّة والمسيحيّة وغيرها ، بأنَّها شيدت وأكدَّت على ضرورة عصمة الأنبياء وامانتهم اكثر من غيرهم ، والثناء والتبجيل والتقديس لأنبياء الله أكثر من أتباع تلك الديانات كل ذلك لأجل المحافظة على وحدة الدين والهدف المشترك بين جميع الأديان السماويّة .

فإنَّ بعض اتباع النبي عيسىعليه السلام قد يسندون اليهعليه السلام شرب الخمر والعياذ بالله وهكذا أتباع النبي موسىعليه السلام وغيره فإنَّ اتباعهم قد ينسبون إلى أنبياء بني

اسرائيل ـ والعياذ بالله ـ بعض الأمور التي تقدح بعصمتهم وعدالتهم وغير ذلك ، بخلاف التقديس الذي تكنُّه مدرسة أهل البيت اليهم ، بل حتّى إِنَّ بعض المدارس الاسلاميّة لا تنزِّه سِّيد الأنبياءﷺ وبالتالي فإنَّ هذا سيؤثر على طاعة وانقياد الأمم والبشريّة للأنبياء فإذا كان الأنبياء فيهم خلل والعياذ بالله فكيف تتبعهم وتنقاد اليهم البشرية ، وبالتالي سينقطع الحبل الرابط بين الخالق تعالى وخلقه ، ولذا شدَّدت مدرسة أهل البيت على مسألة تنزيه الأنبياء وعصمتهم ، فإنَّ عصمة الانبياء ركن ركين في الدين ، ولولا نور أئمة اهل البيت والتأكيد والتشديد عليه لضاع و أندرس هذا الركن الركين .

ومع كل هذا التأكيد والتشديد من قبل مدرسة أهل البيت على مسألة أمانة ونزاهة انبياء الله يحاوِّل البعض الضرب على هذا الوتر الحساس والخطير وأَنَّ الأنبياء عندهم خيانة وتقصير لكي لا تتبع البشريّة رسالات السماء .

لذا تَمَسَّك اهل البيت بمثل هذا المفصل الرئيسي من مفاصل الهدايّة البشريّة ، ألاَّ وهو مفصل نور الوحي الالهيّ ، وهذا هو احد البراهين العلميّة والتاريخيّة العظيمة على امامة أئمة اهل البيت .

[نسخ بمعنى رفع الابهام والمتشابه والزيغ]

هناك جملة من المسائل المتقدِّمة كمسألة الجبر والتفويض ، والتجسيم ، والعدل الالهيّ ، وعصمة الانبياء وغير ذلك ، كانت مجملة عند الأنبياء السابقين أي بيَّنوها بشكل مجمل ، فلعل البعض توَّهم وفهم خطأ أنَّه من تفصيل وبيان وتأكيد وتشديد أئمة اهل البيت لأجل رفع وازالة الاجمال والابهام الموجود في تلك المسائل عند الأنبياء السابقين توَّهم البعض أَنَّ هذه البيانات من مدرسة أهل

البيت ناسخة ورافعة لأحكام الانبياء السابقين متغافلين أَنَّ هناك نوع آخر من النسخ بمعنى رفع الاجمال والابهام ولأجل إِنَّ تكون المسألة واضحة وجليّة وهذا لا ضير فيه .

اذن الدين والمعارف والعقائد الحقه هي واحدة عند جميع الأديان السماوية وجميع الأنبياء والمرسلين فانهم يصدِّق بعضهم بعضاً ولا تكذيب ولا تخطئة فيها ، بل كلُّها صادقة نعم هناك هيمنة امتاز بها النبيﷺ وعترته اهل بيته على من تقدَّمهم من الأنبياء ، ولذا كان وصف القرآن الكريم للنبي الاكرم الخاتمﷺ بأَنَّه مهيمناً على السابقين ، وليست الهيمنة تخطئة وتكذيب للسابقين كما قد فهمها البعض واخذ ببث ونشر تكذيب الأنبياء حتّى يمنع البشريّة من إتِّباعهم .

وإنَّما كانت تلك الهيمنة للنبيﷺ على الأنبياء السابقين لها معنى آخر غير الفهم السقيم والسلبي ، وهو تبيين وتوضيح وازالة الابهام ، فإنَّ هذا هو المقصود من معنى النسخ في المعارف .

ألفات نظر : مما ينبغي الالتفات اليه أَنَّه ليس كلُّ ازالة ابهام وأيهام واجمال هي هيمنة وتصديق لما سبق وعدم تخطئة ، فإنَّ كثيراً من محاولات ازالة الابهام والاجمال الصادر من غير الأئمة المعصومين من عترة النبيﷺ والراسخين في العلم فإنَّها تؤدي إلى الضلال و الزيغ واتّباع المتشابه ، بدليل أَنَّ القرآن الكريم نصَّ على ذلك في الآية السابعة من سورة آل عمران ﴿**هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الكِتابَ مِنْهُ آياتٌ مُحْكَماتٌ هُنَّ أُمُّ الكِتابِ وَأُخَرُ مُتَشابِهاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ ما تَشابَهَ مِنْهُ ابْتِغاءَ الفِتْنَةِ وَابْتِغاءَ تَأْوِيلِهِ وَما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنا وَما يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُولُوا**

الالبابِ﴾ على أَنَّ اتّباع الآيات القرآنية المتشابهة من دون الرجوع إلى المحكم من الكتاب والسُنَّة والمعلم الالهيّ أي أئمة أهل البيت يؤدي إلى الضلال والوقوع بالهلكة والزيغ .

ولذا لو اتبعت البشريّة كلَّ الانبياء السابقين ولم تتّبع سِّيد الانبياءصلى الله عليه وآله لكانت البشريّة في زيغ ، لأنَّ ذلك كاتباع المتشابه ، فإنَّ محكم الانبياء هو رسول الله الخاتمصلى الله عليه وآله وإنْ كان سائر الانبياء والرسل هم أنبياء الله ورسله وكتبهم كتب الله عَزَّ وجَلَّ ، إلاَّ أنَّ أتّباع هذا لوحده من دون اتّباع المحكم والأقوى ألاَّ وهو خاتم الانبياءصلى الله عليه وآله وعترته من بعده يكون زيغاً ، ولذا فإنَّ من يتبع نبي الله موسى أو عيسى أو غيرهما من انبياء الله لوحده من دون أَنْ يتّبع سِّيد الانبياءصلى الله عليه وآله وعترته اهل بيته المعلِّمون الالهيون فسوف يقع في الزيغ بل و يزيغ وإنْ كان متبِّعاً لموسى وعيسىعليهما السلام بل جبرئيل عليه السلام إذن لابُدَّ من اتباع من يهدي إلى الرشاد وينجي من الزيغ وهو خاتم الأنبياءصلى الله عليه وآله وعترته الطاهرة حتّى تكون في مأمن ، فإنَّ أتّباع ولاية رسول الله الخاتمصلى الله عليه وآله والتي هي بعد ولاية الله تعالى هي محكم المحكمات ثم ولاية علي وفاطمة والحسن والحسين والائمة المعصومون .

الذين وصفهم القرآن في عدة مواضع في القرآن الكريم **﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾**[1] ، **﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾**[2] ، **﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾**[3] .

---

(١) آل عمران – ٧.

(٢) الواقعة – ٧٩.

(٣) الأحزاب – ٣٣.

تلخَّص مما تقدم : أَنَّ النسخ الاصطلاحي ليس هو فقط نسخ الاحكام أي النسخ التشريعي في الاحكام الفرعيّة العمليّة ، بل يمكن أنْ تدرج معه النسخ بمعنى رفع الابهام والايهام وتفصيل المجملات في المعارف ، أو العقائد ، أو في الدين .

القاعدة الرابعة عشرة

حفظ الذكر لكل وحي

توطئة

جهات ثمان

أمور ثلاث ينبغي الإلتفات إليها

وهي قاعدة في عموم الذكر لمطلق الوحي في ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[1] بتقريب : إِنَّ الذكر هو الوحي سواء كان قرآناً أو توراة أو انجيلاً أو تراث الحديث سواء الحديث القدسي او النبوي أو الولويّ .

وفيها نقاط :

النقطة الأولى : قد ورد اطلاق الذكر على التوراة في القرآن الكريم في قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ آتَيْنا مُوسى وَهارُونَ الفُرْقانَ وَضِياءً وَذِكْراً لِلْمُتَّقِينَ﴾[2] .

النقطة الثانية : وقد وقع اطلاق الذكر في القرآن الكريم كذلك على مطلق الوحي ، كما في قوله تعالى ﴿وَإِنْ كانُوا لَيَقُولُونَ * لَوْ أَنَّ عِنْدَنا ذِكْراً مِنَ الأَوَّلِينَ * لَكُنَّا عِبادَ اللهِ الْمُخْلَصِينَ﴾[3] .

وقوله تعالى ﴿وَالنَّاشِراتِ نَشْراً * فَالفارِقاتِ فَرْقاً * فَالْمُلْقِياتِ ذِكْراً * عُذْراً أَوْ نُذْراً﴾[4] ، وقوله تعالى ﴿فَالتَّالِياتِ ذِكْراً﴾[5] .

النقطة الثالثة : إِنَّه ورد في كتاب تأويل الآيات الظاهرة عن العترة الطاهرة في تفسير قوله تعالى ﴿فَالتَّالِياتِ ذِكْراً﴾ قال علي بن ابراهيم رحمه الله هي الملائكة تلقي

---

(١) الحجر/ ٩.

(٢) الانبياء/ ٤٨.

(٣) الصافات/ ١٦٧ ـ ١٦٩.

(٤) المرسلات/ ٤ ـ ٦.

(٥) الصافات/ ٣.

الذكر على الرسول والامام عليهما السلام[(١)] .

ومفاد هذا التفسير شمول الذكر لمطلق الوحي سواء كان كلامٌ سماويّاً أو حديثاً قدسيّاً أو حديثاً نبويّاً أو حديثاً معصوميّاً ولويّاً .

النقطة الرابعة : إنَّ هذه القاعدة برهان لبقاء وحيانية التوراة والانجيل ، والزبور ، وأَنَّ الوحي فيها مصون عن التحريف .

وفي قوله تعالى ﴿**وَالْمُرْسَلاتِ عُرْفاً**﴾[(٢)] ، كما في مجمع البيان للطبرسي عن ابي حمزة الثمالي عن اصحاب علي عنه : إِنَّ الملائكة أرسلت بالمعروف من أمر الله ونهيه ﴿**الْعَاصِفَاتِ عَصْفًا**﴾ يعني الرياح الشديدات الهبوب ، ﴿**وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا**﴾ الملائكة تنسر الكتب عن الله ، (فالفارقات فرقاً هي آيات القران تفرق بين الحق والباطل والهدى والضلال ﴿**فَالْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا**﴾ الملائكة تلقي الذكر إلى الانبياء وتَلقّنه الانبياء الى الأمم .

النقطة الخامسة : قوله تعالى ﴿**وَلَقَدْ كَتَبْنا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُها عِبادِيَ الصَّالِحُونَ**﴾[(٣)] ، وفي تفسير القمي في تفسير قوله تعالى ﴿**وَلَقَدْ كَتَبْنا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ**﴾ قال : الكتب كلُّها ذكرٌ .

وها هنا جهات :

الجهة الأوّلى : بيان معنى الذكر في القاعدة

ما تقدم في النقطة الخامسة الآنفة الذكر في تفسير معنى الذكر ، مضافاً لما

---

(١) تأويلات الآيات القاهرة للسيد علي الاسترابادي ص٧٢٩.

(٢) المرسلات/ ١.

(٣) الانبياء / ١٠٥.

ورد في صحيح عبد الله بن سنان عن ابي عبد الله عليه السلام أنَّه سأل عن قول الله تعالى ﴿**وَلَقَدْ كَتَبْنا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ**﴾ ما الذكر وما الزبور ؟ **قال الذكر عند الله والزبور الذي نزل على داود ، وكلُّ كتاب نزل فهو عند العالم**[١] .

ورواه أيضاً في الكافي إلاَّ أَنَّ في ذيله «**وكلُّ كتاب نزل فهو عند أهل العلم ونحن هم**»[٢] .

قال الشيخ المفيد في تصحيح اعتقادات الأمامية : اللوح كتاب الله تعالى كتب فيه ما يكون إلى يوم القيامة وهو قوله تعالى يوضحه ﴿**وَلَقَدْ كَتَبْنا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُها عِبادِيَ الصَّالِحُونَ**﴾[٣] ، فاللوح هو الذكر والقلم هو الشيء الذي احدث الله به الكتاب في اللوح ، وجعل اللوح اصلاً ليعرف الملائكة منه ما يكون من غيب أو وحي فإذا أراد الله تعالى إِنَّ يطلع الملائكة على غيب له أو يرسلهم إلى الانبياء بذلك أمرهم بالاطلاع في اللوح فحفظوا منه ما يؤدونه إلى من ارسلوا اليه وعرفوا منه ما يعملون وقد جاءت بذلك آثار عن النبي صلى الله عليه وآله وعن الأئمة[٤] .

وقوله تعالى ﴿**وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَما يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ فَيَقُولُ أَ أَنْتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبادِي هؤُلاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ * قالُوا سُبْحانَكَ ما كانَ يَنْبَغِي لَنا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِياءَ وَلكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَآباءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكانُوا قَوْماً بُوراً**﴾[٥] .

---

(١) بصائر الدرجات للصفار ج١ ص١٣٦ باب ما عند الائمة عليهم السلام من كتب الاولين.

(٢) الكافي ج١ ص٢٢٢ باب ان الأئمة ورثوا علم النبي صلى الله عليه وآله وجميع الانبياء والأوصياء الذين من قبل.

(٣) الانبياء/ ١٠٥.

(٤) تصحيح اعتقادات الامامية للشيخ المفيد ص٧٤ فصل في اللوح والقلم.

(٥) الفرقان/ ١٧ ـ ١٨.

ومن الواضح أَنَّ الآية هنا قد استعمل الذكر فيها في مطلق الوحي الالهي .

وكذا قوله تعالى ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلى يَدَيْهِ يَقُولُ يا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً * يا وَيْلَتى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاناً خَلِيلاً * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جاءَنِي وَكانَ الشَّيْطانُ لِلإِنْسانِ خَذُولاً﴾[١] .

بتقريب : إِنَّ الآية المباركة كذلك استعملت الذكر في مطلق الوحي الالهيّ وإنَّ كان قد ورد أَنَّ الآية قد نزلت في فلان وفلان ولا ينافي عموم المعنى .

وقوله تعالى ﴿وَإِنْ كانُوا لَيَقُولُونَ * لَوْ أَنَّ عِنْدَنا ذِكْراً مِنَ الأَوَّلِينَ * لَكُنَّا عِبادَ اللهِ الْمُخْلَصِينَ﴾[٢] .

وقوله تعالى ﴿أَ وَعَجِبْتُمْ أَنْ جاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً فَاذْكُرُوا آلاءَ اللهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٣] .

فأطلق في الآية الكريمة على الوحي النازل على النبي هود عليه السلام بالذكر .

وقوله تعالى ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ * ما يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلاَّ اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾[٤] .

وقوله تعالى ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هاتُوا بُرْهانَكُمْ هذا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾[٥] .

---

(١) الفرقان ٢٧ ـ ٢٩.

(٢) الصافات ١٦٧ ـ ١٦٩.

(٣) الاعراف/ ٦٩.

(٤) الانبياء / ١ ـ ٢.

(٥) الانبياء/ ٢٤.

ومن الواضح أَنَّ في هذه الآية المباركة قد اطلق الذكر على مطلق الكتب السماويّة ومطلق الوحي الالهيّ النازل على بقيَّة الأنبياء .

كما إِنَّه في مواضع كثيرة من القرآن الكريم أطلق الذكر على القرآن الكريم مع تنوين التنكير من دون (ال) التعريف الظاهر بوضوح إِنَّ عنوان الذكر جنس للوحي يوصف به القران الكريم كأحد الأنواع والأقسام ، كقوله تعالى **﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْر لِلْعَالَمِينَ﴾**[١] ، وقوله تعالى **﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾**[٢] . وقوله تعالى **﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْر لِلْعَالَمِينَ﴾**[٣] ، وقول تعالى **﴿وَما عَلَّمْناهُ الشِّعْرَ وَما يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾**[٤] .

وقوله تعالى **﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ * وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْئَلُونَ﴾**[٥] .

وقوله تعالى **﴿وَهذا ذِكْرٌ مُبارَكٌ أَنْزَلْناهُ أَ فَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ﴾**[٦] .

فيستحصل من كلّ الآيات والروايات الانفة الذكر إِنَّ الذكر كجنس يراد به جميع الكتب السماويّة وجميع ما أوحي إلى الانبياء وإنْ لم يكن كتاباً سماويّاً كالأحاديث القدسيّة ، بل يشمل مطلق ما اوحي إلى الانبياء ومنه الحديث النبوي حيث وصف في القران بالوحي **﴿إِنْ هُوَ إِلّا وَحْيٌ يُوحَى﴾**[٧] ، و **﴿قُلْ إِنَّما أَنَا**

---

(١) التكوير/ ٢٧.
(٢) القلم/ ١٥٢.
(٣) ص / ١.
(٤) يس/ ٦٩.
(٥) الزخرف/ ٤٣ ـ ٤٤.
(٦) الانبياء/ ٤٩.
(٧) النجم / ٤.

بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحى إِلَيَّ أَنَّما إِلٰهُكُمْ إِلٰهٌ واحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ﴾[١] ، وعلى ضوء ذلك يتبيّن عموم الموضوع في قوله تعالى **﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ﴾**[٢] .

الجهة الثانية : معنى الحفظ

وفيها نقاط :

الأولى : إِنَّ نمط هذا الحفظ وحيانيٌ ، فالمحفوظ وهو الذكر وحيانيٌ والحفظ هو الآخر وحياني ، فالمراد من الحفظ الوحياني ليس هو اليقين الحسيّ وبآليات حسية كالتواتر بل بآليات ونظم الهية من قدرات الوحي .

الثاني : إِنَّ هذا الحفظ حيث كان وحيانياً فهو بدرجة اعجازيّة للوحي أي ليس بدرجة وقدرة متعارفة بشريّة .

الثالث : إِنَّ الحفظ بمعنى الحُجيّة والاعتبار بدرجة اليقين الاعجازيّ ، ولا يخفى أنّه مرَّ مراراً أَنَّ حُجيّة القرآن الكريم كوحي الهيّ ليست تستند إلى مجرد التواتر فإنَّ اليقين الحسيّ النابع من التواتر ليس بإمكانه التأدية إلى اليقين الوحياني الذي هو اعجازيّ فوق قدرة البشر .

الرابع : فهناك في البين حفظٌ وحافظٌ ومحفوظ ولابُدَّ من التفكيك بين الحيثيات الثلاث .

الخامس : إِنَّ المراد من الحافظ هو الآلية التي يتم بواسطتها الحفظ وليس المراد من الفاعل بمعنى المسِّبب الذي يفيض الوجود .

---

(١) فصلت/ ٦.

(٢) الحجر / ٩.

السادس : إِنَّ الحفظ كما هو عن التحريف فهو كذلك عن الاندراس وعن لاندثار وعن الزوال وعن الطمس .

الجهة الثالثة : المقدار والمدار في حفظ الذكر

قد يثار اعتراضٌ حاصله أَنَّه قد وقع التحريف في التوراة والانجيل والزبور والكتب السماويّة السابقة من قبل اتباعهم ، فكيف يقع ذلك مع ضمان الآية القرآنية الكريمة ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾ حفظ مطلق الذكر ؟

وكذلك نفس الاعتراض يثار بالنسبة للحديث النبويّ ما مضمونه (فقد كثرت عَلَيَّ الكذّابة) أي كثرت الكذابة على رسول الله صلى الله عليه وآله أو على الأئمة من أهل البيت في أحاديثهم فأين الحفظ ؟

الجواب : (المحكمات هي الحافظ للذكر)

أَوّلاً : إِنَّ حفظ المحكمات عن التحريف في كل كتاب سماوي هو حافظ وميزان حفظ ، والمتشابهات هي في ذاتها تؤول وترجع إلى المحكمات فمع بقاء المحكمات يكون متضمناً لبقاء المتشابهات .

(الحافظ لتراث الحديث محكمات الثقلين)

ثانياً : وهكذا الكلام في تراث الحديث النبويّ والولوي فإِنَّ بقاء المحكمات في الحديث يميِّز الحديث المكذوب من الحديث الصادق .

(محكمات الثقلين ومحكمات الكتب السماويّة الحافظ لسائر الكتب السماويّة)

ثالثاً : كما هو الحال في محكمات الكتب السماويّة المحرفة فإِنَّه بتوسط محكماتها يميز ما هو متشابه منها عما هو محرّف .

رابعاً : (فالمحكمات احد الآليات اللدنيّة الوحيانيّة كحفظ الوحي) .

(الانبياء والأوصياء حافظ ثان للذكر الالهي)

الجهة الرابعة

والآلية الاخرى هي وجود سلسلة المصطفين من الانبياء والائمة والاوصياء وهي الوراثة الاصطفائيّة وهي برهان اخر على عموم الذكر في آية الحفظ حيث استفاض وتواتر وصف ائمة اهل البيت بأَنَّهم ورثة جميع الانبياء والرسل، وقد وصفوا في جملة من الزيارات بأَنَّهم حرسة وحفظة الكتب السماويّة .

القرآن كتاب هداية ونوروبيان

إِنَّه ورد في وصف القرآن الكريم بأَنَّه بيان وهدى للناس كما في قوله تعالى﴿**هذا بَيانٌ لِلنَّاسِ وَهُدىً وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ**﴾(١) .

وقوله تعالى ﴿**وَنَزَّلْنا عَلَيْكَ الكِتابَ تِبْياناً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً وَبُشْرى لِلْمُسْلِمِينَ**﴾(٢) .

وقوله تعالى ﴿**شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ القُرْآنُ هُدىً لِلنَّاسِ وَبَيِّناتٍ مِنَ الْهُدى وَالفُرْقانِ**﴾(٣) .

وقوله تعالى ﴿**وَأَنْزَلْنا إِلَيْكُمْ نُوراً مُبِيناً**﴾(٤) .

إلى غير ذلك من الآيات التي تصف القرآن بأَنَّه كتاب هداية ونور وبيان .

---

(١) ال عمران/ ١٣٨.

(٢) النحل/ ٨٩.

(٣) البقرة/ ١٨٥.

(٤) النساء/ ١٧٤.

في حين أَنَّه قد وصف القرآن أيضاً بقوله تعالى ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الكِتابَ مِنْهُ آياتٌ مُحْكَماتٌ هُنَّ أُمُّ الكِتابِ وَأُخَرُ مُتَشابِهاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ ما تَشابَهَ مِنْهُ ابْتِغاءَ الفِتْنَةِ وَابْتِغاءَ تَأْوِيلِهِ وَما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنا وَما يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُولُوا الالبابِ﴾[١] .

فوصف قسم من القران بأَنَّه متشابه وبأَنَّ اتّباعه من دون المحكم يوجب الزيغ والفتنه ، وهذا لا يتدافع ولا يتنافى مع وصف كل القرآن بأَنَّه نور وهدى وبيان وذلك لأنَّ قوام أوصاف القرآن بما هو عمدة فيه وهو المحكم وهو الأم .

وأمّا غير المحكم فيتصف بالهدايّة والنور بشرط ارجاعه إلى المحكمات وهيمنة المحكمات عليه .

فالمحكمات بمثابة عمود الخيمة للقرآن ، وتفاصيل المتشابهات بمثابة الاطناب وبنفس هذا التقريب يجمع بين الوعد الالهيّ بحفظ الذكر في حين يقرِّر ويثبت القرآن وقوع التحريف في بعض تفاصيل التوراة والانجيل .

[أمور مهمة ينبغي الالتفات اليها]

الأمر الأوّل : وهو إِنَّه يمكن التمثيل لبيان هذه الموازنة بما لو كان كتاباً متواتراً في الحديث ، إِلاَّ أَنَّ لهذا الكتاب نسخاً تختلف بعض الفاظه بحسب تلك النسخ فإنَّ هذا الاختلاف في النسخ في الموارد اليسيرة والقليلة لا يزعزع تواتر متن الكتاب .

[الأصول الدستوريّة حافظ لمنظومة القوانين]

---

(١) ال عمران/ ٧.

الامر الثاني : لنأخذ مثالاً آخر وهو أَنَّ حفظ نظام ومنظومة القانون إِنَّما هو بالقوانين الدستوريّة لا القوانين البرلمانيّة أو الوزاريّة أو البلديّة ، بل التفاصيل في القوانين وطبقاتها لا يعوَّل عليها في الحفظ .

[البديهيات في كل علم هي الحافظ الاخطر لكلٍّ سعته]

الامر الثالث : وأمّا مثال البديهيّات والنظريّات ، باعتبار إِنَّ دور البديهيّات كمساحة في علم هي الميزان الاكبر في كُلِّ نظريّة مستجدة تكتشف في ذلك العلم ، والمعيار في كُلِّ فرضيّة تشق طريقها لتتحوَّل إلى نظريّة في ذلك العلم ، كما أَنَّ البديهيّات هي المقياس لتحول نظريّات ذلك العلم إلى حقائق في ذلك ، كما أَنَّ البديهيّات هي السبب في تحوّل حقائق العلم إلى معادلات مبدَّهة جديدة .

فدور البديهيّات في حفظ نظام ومنظومة كُلِّ علم هو دور خطير جدّاً سواء من ناحيّة نوعية الحفظ أو مركزيتّه أو صفته وشموله لكلِّ دوائر التوَّسع اللامتناهيّة والممكنة لكلِّ علم .

فحفظ وحفاظ كُلِّ علم ببديهياته كرأس مال لا ينفذ وهذا رزق الهيّ ماله من نفاذ .

[درجات الأحكام ودرجات الحفظ]

الجهة الخامسة :

لا يخفى أَنَّ المحكمات على طبقات كما مرَّ في قاعدة المحكم والمتشابه وأَنَّ طبقاتها يهيمن بعضها على بعض وأَنَّ هذه الطبقيّة والاشتداد في الهيمنة تابع إلى تفاوت درجات الاحكام شدَّة واشتداداً ، وهذا التفاوت في الأحكام تابع لسعة المعنى فيما هو أشدّ وأعلى احكاماً ، فكما أَنَّ المحكمات طبقات فالأحكام درجات

متصاعدة، وفي الحقيقة إنَّ الأقلَّ احكاماً يعدُّ متشابهاً بالنسبة للأعلى أحكاماً، فالمقدار الذي يفتقده الأقلَّ والانزل احكاماً من الأحكام في درجات المحكم الأعلى يضعفه في الأحكام عمَّا فوقه ويرتفع ويزال هذا الضعف بتوَّسط الاحكام الذي في المحكم الاعلى.

ومن خلال هذا كُلَّه يتبيّن أَنَّ الأحكام على درجات.

وحقيقة الأحكام ـ كما مرَّ ـ أَنَّ المحكم مرجعٌ يؤوب اليه المتشابه لرفع التشابه والاجمال والابهام والحيرة التي في المتشابه، فمآل المتشابه إلى المحكم وتأويله بتوَّسط المحكم، فالمحكم أمّ حافظٌ للمتشابهات عن التشتت والشتات والتبعثر و التشظي.

وعلى ضوء كُلِّ ذلك فإنَّه لا محال تكون درجات الضعف متفاوتة شدّة وضعفاً وهي تابعة في شدّتها وضعفها أو اشتدادها وتفاوتها لدرجات الاحكام وهذا ما مرَّ بنا من أنَّ المحكمات سببٌ وحيانيّ لتحقق الحفظ.

[القرآن حافظ للكتب السماويّة]

الجهة السادسة:

ذكرنا في قاعدة الكتب السماويّة والتوراة والانجيل والزبور وحيٌ أمّ تحريف إِنَّ حفظ هذه الكتب السماويّة إنَّما هو ببقاء المحكمات مصونة عن التحريف، فمع وجود المحكمات يتمكن من معرفة ما هو وحياني عَمَّا هو محرّفٌ، فحفظ الكتب السماويّة عن التحريف يتم بطبقات المحكمات تارة، وبالأنبياء والأوصياء تارة أخرى.

وكما أَنَّ الكتاب السماوي الواحد فيه طبقات من المحكمات فكذلك

الكتب السماويّة بالإضافة إلى بعضها البعض تتفاوت بالأحكام والمحكمات فالقرآن بما فيه من محكمات مهيمن على سائر الكتب السماويّة كما في قوله تعالى **﴿وَأَنْزَلْنا إِلَيْكَ الكِتابَ بِالحَقِّ مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الكِتابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ﴾**(١) .

فالكتب السماويّة بالإضافة إلى تفاوت بعضها عن البعض الآخر بالإحكام والهيمنة شدَّة واشتداداً وكما يتمُّ حفظ الكتاب السماوي وعن التحريف بالمحكمات التي فيه فكذلك يتم حفظ الكتاب السماوِيّ بالكتاب المهيمن عليه .

ومن ثَمَّ تصح هذه القاعدة أَنَّ القرآن حافظ لجميع الكتب السماويّة من قبله ويميِّزها ككتب وحيانيّة عمَّا قد يدَّس فيها من التحريف .

[حفظ تراث الحديث عن التحريف]

الجهة السابعة : وبيانه في نقاط

أوّلاً : على ضوء ما تقدم يتبيّن أَنَّ قاعدة حفظ الذكر شاملة لتراث الحديث النبوي وحديث العترة الطاهرة لأنَّه من الوحي والقاعدة عامّة في كُلِّ انواع (أنماط الوحي) ولا تَخْتَصّ بالكتب السماويّة فضلاً عن اختصاصها بالقرآن الكريم .

ثانياً : قد اطلق القرآن الكريم الذكر على النبيّ صلى الله عليه وآله كما في قوله تعالى **﴿قَدْ أَنزَلَ اللهُ إِلَيْكُمْ ذِكْراً * رَسُولاً يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آياتِ اللهِ مُبَيِّناتٍ﴾**(٢) ، وكذلك قوله تعالى **﴿قُلْ ما أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَما أَنَا مِنَ المُتَكَلِّفِينَ * إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ**

---

(١) المائدة/ ٤٨.

(٢) الطلاق/ ١٠ ـ ١١.

لِلْعالَمِينَ﴾[١]، وقوله تعالى **﴿ما ضَلَّ صاحِبُكُمْ وَما غَوى * وَما يَنْطِقُ عَنِ الهَوى * إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحى﴾**[٢].

كما قد أورث الله تعالى الكتاب العزيز الذي فيه تبيان لكلّ شيء ولا يغادر كبيرة ولا صغيرة إلاّ احصاها اورثه عترة النبي صلى الله عليه وآله في قوله تعالى **﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾**[٣]، وقد أفصح القرآن عنهم بأنّ المطهّرين هم أهل البيت في آية التطهير، وكذلك في قوله تعالى **﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾**[٤].

ثالثاً: بل أطلق القرآن الذكر على علي بن أبي طالب عليه السلام كما في تفسير قوله تعالى **﴿هذا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِي﴾**[٥] يرويه محمد بن العباس بن ماهيار رحمه الله حدّثنا محمد بن همام عن محمد بن اسماعيل العلوي عن عيسى بن داود عن مولانا ابي الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام في قول الله عَزَّ وجَلَّ **﴿هذا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِي﴾** قال: « **ذكر من معي عليٌّ** عليه السلام **وذكر من قبلي** (**ذكر**) **الانبياء والأوصياء** ».

وفي تفسير القمي **﴿وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ﴾**[٦]، قال لما أخبرهم رسول الله صلى الله عليه وآله بفضل أمير المؤمنين عليه السلام قالوا: هو

---

(١) سورة ص / ٨٦ ـ ٨٧.

(٢) النجم/ ٢ ـ ٤.

(٣) الواقعة/ ٧٧ ـ ٧٩.

(٤) فاطر/ ٣١.

(٥) الانبياء/ ٢٤.

(٦) تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة للسيد علي الاسترابادي ص٣٢١. وكذلك في كنز الفوائد للكراجكي.

مجنون فقال الله سبحانه ﴿**وما هو**﴾ يعني امير المؤمنين بمجنون إنَّ هو ﴿**إلا ذكر للعالمين**﴾[١] .

وفي عيون أخبار الرضا للصدوق رحمه الله عن الهروي قال : « **سأل المأمون الرضا عليه السلام عن قول الله عَزَّ وجَلَّ ﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾[٢] ، فقال عليه السلام : إنَّ غطاء العين لا يمنع من الذكر والذكر لا يرى بالعين ولكن الله عَزَّ وجَلَّ شبَّه الكافرين بولاية علي بن أبي طالب عليه السلام بالعميان لأنَّهم كانوا يستثقلون قول النبي صلى الله عليه وآله ولا يستطيعون له سمعاً** »[٣] .

وفي كنز جامع الفوائد عن جابر الجعفي قال : « سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عَزَّ وجَلَّ ﴿ **وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا** ﴾ قال : من اعرض عن علي يسلكه العذاب الصعد وهو أشد العذاب »[٤] .

رابعاً : و لا يخفى أَنَّ حفظ تراث الحديث الوحياني عن التحريف وعن الاندراس والزوال ليس بعدم وقوع التحريف من رأس كما هو الحال في نسخ التوراة والانجيل والزبور التي بأيدي الناس ، فإنَّ حفظها عن التحريف إنَّما هو بمحكمات القرآن وبمحكمات تلك الكتب وبمحكمات بقيّة أنماط الوحي ، ومحكمات العقل ، وبالحافظ الوحياني من بقيَّة الأنبياء والمرسلين ، لا بعدم وقوع التحريف في التفاصيل المتشابهة فإنَّ تنقية وتمييز ما هو حق منها وحياني عمَّا هو

---

(١) القلم ٥١ وما بعدها.

(٢) بحار الانوار ج٣٥ ب٢٠ ص٣٩٤ ح١ باب انه نزل فيه صلوات الله عليه الذكر والنور والهدى والتقى في القرآن.

(٣) الكهف/ ١٠١.

(٤) بحار الانوار ج٣٥ ص٣٩٥ ب٢٠ ح٤.

محرّف بشري فإنَّما يتمُّ بالمحكمات إذ بالمحكمات يتمُّ رفع تشابه المتشابهات فكذلك الحال والشأن في تراث الحديث فإن قوام اعتباره بالمحكمات فيه وبمحكمات القرآن وبمحكمات بديهيّات العقل لا بمجرد صحّة كتب الحديث فضلاً عن صحّة الأسانيد.

خامساً: ومما تقدم يتبيّن أَنَّ حفظ تراث الحديث ليس بعدم وقوع الدَسِّ والوضع في الحديث، بل هو ببقاء بنى المحكمات في الحديث وبعرض الحديث على محكمات القران وضروريات الدين وبديهيّات العقل والفطرة، وبذلك يتمُّ حفظ تراث الحديث عن الضياع والزوال.

سادساً: قد قرر علماء أصول الفقه أَنَّ وجود العلم الاجمالي بالحديث الصادر عن النبيصلى الله عليه وآله والعترة في ضمن مجموع تراث الحديث هو بنفسه ملزمٌ للاحتياط بالعمل بكل التراث، وإنْ كان قد فرض في أطراف هذا العلم الاجمال وجود جملة من الحديث غير المعتبر أو الموضوع فبمجرد وجود أحاديث غير معتبرة وموضوعة لا يسقط الالزام بالأخذ بما هو معلوم صدوره اجمالاً، وهذا مما اتفق عليه علماء الأصول في مبحث الانسداد وهو متين.

إلاَّ إِنَّ هناك وجه آخر أمتن من هذا الذي ذكروه وحاصله: ما تقدم من إِنَّ تراث الحديث ينقح وتتمُّ التنقية فيه بالعرض على محكمات الحديث ومحكمات القرآن ومحكمات العقل والفطرة، إذ بذلك يزول اللُبس والالتباس عن المجموعتين فبمجرد الاختلاط بين النمطين من الحديث لا يستلزم العجز عن رفع هذا الابهام والالتباس مادام التمييز مقدور عليه بتوسط المحكمات. فالمحكمات هي صمّام الامان وهي أكبر مدار لاعتبار الحديث لا الاقتصار على الطريق والسند.

الجهة الثامنة : حفظ الذكر بين التحريف المصطلح لا التحريف بالمعنى الأعم ودرجات الحفظ

ومما يبيَّن ويوضح مداريِّة المحكمات في حفظ في تراث الحديث أو في الكتب السماويّة ما اتّفق عليه علماء المسلمين من الفريقين أَنَّ التحريف المجمع على بطلان وقوعه في القرآن لا يشمل تعدد القراءات بل هو في دائرة ما عداها فمن يبني على أَنَّ القراءة واحدة نزلت من الواحد الأحد، وأَنَّ القراءات هي نحو تحريف فلا ينقض ذلك صيانة وحفظ القرآن عن التحريف؛ وذلك لأَنَّ القراءات بمثابة هامش قرآنيّ وليست لها مساحة في عمق القراءات وبنيته المركزيّة والاساسيّة .

وهذا التقرير والتقريب لصيانة القرآن عن التحريف مع فرض وقوع التحريف بالمعنى الأعم في القراءات لا ينقض ولا يضرُّ بأساس صيانة وحفظ القران عن التحريف .

ويتبيَّن من ذلك أَنَّ الحفظ على درجات والعمدة فيه هو الأساس وما هو أمّ فيه وهن المحكمات، ومن ثَمَّ قال تعالى في وصف المحكمات **﴿هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾** أي أساس وعمدة الكتاب .

لاسّيما وأَنَّه لم يصف القرآن المتشابهات رغم كونها وحيانيّة بالعمدة والأساس، بل وصفها إذا انقطعت عن المحكمات رغم كونها وحيانيّه بكونها موجبة للفتنة والزيغ فالمحكمات تزيل الالتباس عمَّا هو وحيانيّ من سائر الآيات فضلاً عما هو ليس بوحيانيّ .

القاعدة الخامسة عشرة

التوراة والإنجيل والزبور وحي أم تحريف

مقدمة

نذكر تفصيلاً في اعتبار التوراة والانجيل والزبور الموجودة حالياً بين أيدي البشر وكذلك سنذكر الدلائل والبراهين على بقاء الوحي في نسخ هذه الكتب التي بمتناول أيدي اليهود والنصارى وهو القسم المحكم منها رغم وقوع التحريف في المتشابه .

أوّلاً : قد انتشرت بين فئات المسلمين أَنَّ التوراة والانجيل والزبور ساقطة عن الاعتبار من رأس نظراً لوقوع التحريف فيها وأَنَّها اسرائيليات محضة .

ثانياً : إِنَّ الملاحظ من القرآن الكريم وسُنَّة أهل البيت الاحتجاج بها في هذه الكتب الثلاثة من النسخ الموجودة بين أيديهم .

ثالثاً : رغم أَنَّ القرآن الكريم وأحاديث النبيﷺ وروايات أهل البيت المستفيضة تشير إلى وقوع التحريف في هذه الكتب .

رابعاً: بل الأكثر من كُلِّ إِنَّ الملاحظ في مواضع قرآنيّة متعدّدة الامر بالأخذ والحكم بما انزل في التوراة والانجيل .

خامساً: هذا كلُّه ينافي دعوى اسقاط النسخ الموجودة من التوراة والانجيل والزبور عن الاعتبار من رأس .

سادساً: كما أَنَّ اعتبار شريعة الاسلام أهل التوراة والانجيل والزبور بل

والمجوس أهل كتاب هو نمط من اعتبار النسخ الموجودة من هذه الكتب السماويّة رغم وجود التحريف فيها ، فهو وإنْ لم يكن اعتبار تام مطلق إلاَّ أَنَّه يشير إلى درجة من الاعتبار .

سابعاً : كما أَنَّ مقتضى العقل قاض بأنَّ انضمام التحريف والوضع البشري لما هو وحي لا يبرر ولا يعطي الذريعة بإسقاط واعتبار ما هو وحيٌ .

ثامناً : هناك منطق أموي وسقيفي جاهلي متفشي في فكر الأمة الاسلاميّة إلى يومنا هذا يدّعي نبذ التوراة والانجيل برمتيهما المتداولتان بالأيدي بذريعة التحريف والاسرائيليّات .

إلاَّ إِنَّ هذه الدعوى مردودة رغم اشتهارها في الفكر الاسلاميّ تحت عنوان وضع الاسرائيليّات والتحريف في التوراة والانجيل بأنَّ التحريف وإنْ وقع في العهدين القديم والجديد ـ للتوراة والانجيل ـ إلاَّ أَنَّ ذلك بالضرورة لا ينفي وجود الوحي في النسختين رغم التحريف .

نعم لا ننكر وقوع التحريف من قبل اليهود والنصارى في مساحة من دينهم إلاَّ أَنَّه ليس كل ما في التوراة والانجيل محرّف فإنَّه كلام الله عَزَّ وجَلَّ .

تاسعاً : إِنَّه قد أشار القرآن الكريم في سورة المائدة وغيرها الكثير من السور القرآنيّة الاخرى إلى الاحتجاج على أهل الكتاب بما في التوراة والانجيل والزبور الموجود بين أيديهم رغم أَنَّه قد أشار القران الكريم في مواضع متعدّدة من السور إلى وجود التحريف فيها ـ كما سيتضح ـ ولاريب إِنَّ هذا الاحتجاج هو احتجاج بما هو حق لا بما هو باطل مزيف محرف .

عاشراً : إِنَّه قد استفاضت الروايات بل تواترت باحتجاج النبيﷺ وكلُّ

امام من أئمة اهل البيت على اهل التوراة بتوراتهم واهل الانجيل بإنجيلهم واهل الزبور بزبورهم ، رغم بيان النبيﷺ والائمة لوقوع التحريف في تلك الكتب ولاريب أَنَّ الاحتجاج يتمُّ بما هو غير محرّف .

الحادي عشر : إِنَّه قد أمر في القرآن الكريم اهل التوراة بالحكم بما في التوراة واقامته كما في قوله تعالى ﴿**إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْراةَ فِيها هُدىً وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتابِ اللهِ وَكانُوا عَلَيْهِ شُهَداءَ فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلا تَشْتَرُوا بِآياتِي ثَمَناً قَلِيلاً وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِما أَنْزَلَ اللهُ فَأُولئِكَ هُمُ الكافِرُونَ**﴾[1] ، كما أمر اهل الانجيل بالحكم بما في الانجيل واقامته كما في قوله تعالى ﴿**وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنْجِيلِ بِما أَنْزَلَ اللهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِما أَنْزَلَ اللهُ فَأُولئِكَ هُمُ الفاسِقُونَ**﴾[2] ، بالنسخ الموجودة من التوراة والانجيل الموجودة بين أيدي اهل التوراة والانجيل والزبور .

ولاريب أَنَّ هذا الأمر إِنَّما هو بلحاظ بقاء قسم من الوحي في النسخ الموجودة بين الأيدي ، وإِنَّ هذا المقدار منها لم تنله ولم تطله يد التحريف .

الثاني عشر : قد احتج القران في مواضع متعدّدة من السور والآيات على اهل الكتاب من التوراة والانجيل بما في التوراة والانجيل من النسخ الموجودة .

الثالث عشر : إِنَّ جملة من علمائنا الابرار منهم المرحوم محمد جواد البلاغي في عدة من كتبه ككتاب الرحلة المدرسيّة وقبله السِّيد بحر العلوم قدس سره يحتّج بها على اهل الانجيل وسائر الكتب السماويّة بأَنّه فيه أي في هذا الانجيل الموجود المحرّف

---

(١) المائدة/ ٤٤.

(٢) المائدة/ ٤٧.

نبوَّة سِّيد الأنبياء صلى الله عليه وآله والائمة وتحريم الخمر والربا والفسوق والفجور وحتّى التبرّج ، فإنَّ ذكر النبي صلى الله عليه وآله والأئمة والصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام بصفات وكنايات هي أصلاً منطبقة عليهم ، كما هو مذكور في احتجاجات الامام الرضا عليه السلام وغيره من أئمة اهل البيت الاتية .

بل هناك الكثير من علماء النصارى أو اليهود دخلوا الاسلام واستبصروا واصبحوا من علماء الأمامية كشيخ الاسلام وغيره .

حتّى أَنَّهم كشفوا عن الكثير من الأمور الموجودة في التوراة والانجيل في العهدين المطبوع منهما بالملايين التي تدّل على نبوَّة سِّيد الأنبياء ووصاية سِّيد الأوصياء وموقع الصديقة فاطمة عليها السلام وشبليها الحسن والحسين والتسعة المعصومين والحجَّة المنتظر المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف ، كُلُّ هذه النصوص موجودة بصفات واشارات تعريضيّه لا هلوسيّه مثلاً ، في دعاء السمات عبارة (بربوات المقدسين في جبل فاران) وفاران لفظة عبريّة تفيد جبل أبي قبيس في مكة أو لفظه ايليا أو اليا بالعبرية وهي نفس معنى كلمة (علي) بالعربية وهكذا لفظة (ابراهيم) بالعربية فإنَّها تلفظ بالعبرية (ابراهام) والقرآن عرّب الصوت فصار ابراهيم وهكذا لفظه داود إِنَّه بالعبرية او الانكليزية مثلاً بلفظ ديفد ، وهذا علم معين وفيه متخصصون لا نريد الخوض فيه ، وهكذا تحريم الربا وسائر المحرمات قائم موجود في العهدين حتّى في النسخ الموجودة إلى الآنَّ .

وبعضهم اعترض على هذا الكلام وانَّه كيف تدّعون بوجود تنويه واشارات وتعريض بالصفات والكنايات في التوراة والانجيل والزبور وصحف ابراهيم على أهل البيت ؟

الجواب : لا تقول ذلك فقط مع انَّه الكثير من الأبحاث والدراسات قام بها علماء الأمامية حول ذلك بل ، وقبل علماء الأمامية نوّه ونبَّه أئمة اهل البيت كما هو مذكور في كتاب الاحتجاج للشيخ الطبرسي ، وقبله كتاب التوحيد وعيون اخبار الرضا للشيخ الصدوق وكتاب تصحيح اعتقادات الأمامية للشيخ المفيد وغيرها الكثير وإنَّ كان لم يصلنا ـ وللأسف ـ كلّ حواريّات واحتجاجات أئمة اهل البيت على أصحاب الكتب السماويّة كالتوراة والانجيل والزبور وصحف ابراهيم وغيرها فإنَّ بعض الباحثين المنصفين من الحاخامات وغيرهم قالوا بوجود كلمة احمد ، وشهيد ، والطف ، وابن عمِّه ، ووصيّه وصهره على ابنته وغيرها من التعبيرات الكنائيّة و التعريضيّة موجودة في التوراة والانجيل إلاَّ أَنَّ اليهود كما وصفهم القران ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾ يعني تفسيره وتأويله حتّى على مستوى النبرة الصوتيّة .

النبي صلى الله عليه وآله واهل بيته في الكتب السماويّة

ذكرنا سابقاً أَنَّ هناك عبارات موجودة في التوراة والانجيل والزبور وغيرها من الكتب السماويّة باللغة العبريّة أو غيرها بما يناسب لغة ذلك الزمان ، ولم نفهمها إلاَّ بواسطة علم الترجمة الذي يحافظ على روح المعنى مهما امكن مع اختلاف بتراكيب الألفاظ والنبرات الصوتيّة وكذلك بالاستعانة ببعض الباحثين المنصفين من اليهود والنصارى وإِنَّه ما المراد من هذه الالفاظ مثل (ايليا أو إليا) بالعبريّة فذكروا أَنَّها نفس معنى كلمة علي بالعربيّة أي نفس الصوت العلمي لكلمة علي . وهكذا مثلاً كلمة فردوس فإنَّها ليست كلمة عربيّة وهناك عدة كلمات في القران الكريم ليست بالعربيّة ولكنَّها معرَّبة عن السريانيّة أو العبريّة إلاَّ أَنَّ المعنى واحد صحيح لا يفهمها إلاَّ من كان يعرف اللغة السريانيّة أو العبريّة

فنظام ترجمة اللغات بعضها مع البعض الآخر ما هو إلاَّ اتحاد في المعنى، والاختلاف بحسب الفاظ وتراكيب تلك اللغة وتحوير النبرة الصوتيّة والنطق بالحرف يختلف من لغة إلى اخرى وهذه نكتة مهمّة تنفع في بحث الاديان والمذاهب.

وليس هذا الاختلاف على مستوى اللغات فحسب بل حتّى على مستوى اللغة الواحدة فمثلاً اللغة العربيّة هناك لغة عربيّة فصحى ولغة عربيّة دارجة محليّة شعبيّة وإنْ كان الصوت والتلفظ بالحرف يختلف شيئاً ما إلاَّ أنّهما ليسا اثنين وإنَّما واحد بالمعنى فمثلاً في تراجم الرجال تجد الفاظ وتعابير ظاهرها مختلف مثل حمادي أو حمدون أو حمداوي ومحمود لكنه في الحقيقة هو حميد، فهذا مألوف سواء في اللغة الواحدة أو لغات الصوت فإنَّه هو نفسه نفسه.

إنَّ القرآن الكريم يصرِّح بأنَّ النبيﷺ مصدِّق لما معكم في عدّة مواضع مثلاً قوله تعالى﴿**ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ**﴾[1]

بتقريب: إنَّ معنى (مصدِّقٌ) أي مطابق فإذا كانت المنظومة الاساسيّة للنبي الخاتمﷺ متطابقة مع الانبياء السابقين، فإنَّ هذا معناه ان أساسيّات بعثة سِّيد الانبياء موجودة عندهم ـ الانبياء السابقين ـ وقد انبئوا عنها.

وهذا يكشف عن وجود السقيفة تجاه النبي الخاتمﷺ واهل بيته بعد كلّ نبي من انبياء الله عَزَّ وجَلَّ، فهي ليست سقيفة واحدة وإنَّما هي سقيفة مستمرة ومتكرِّرة تجاه سِّيد الانبياء الخاتمﷺ تجاه اهل بيته إذا كان جزاء الدين هو موَّدة قربى نبيّ الله.

---

(١) ال عمران/ ٨١.

فلاحظ كيف يحرّفون الكلم عن مواضعه لأجل أَنَّ قربى النبيﷺ هم المقرَّبون وهذا امر عجيب . فالله عَزَّ وجَلَّ نص على تعظيم شأنّ قربى النبيﷺ وأسهم لهم سهماً فما هو دخلك أيُّها المخلوق وتدخلك في شؤون خالقك ؟ فمثلاً المخلوق البشري يعترض ويناقش خالقه في حق أثبته الله في كتابه فمثلاً فريضة الخمس الثابتة بضرورة المسلمين في القران ﴿**وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ للهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى**﴾[1] ، وكذلك في الفيء ﴿**فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ**﴾[2] ، فإنَّها بأجماع المسلمين نزلت في فاطمة بنت محمدﷺ ، فماذا تريدون ؟ فهل تريدون تحريف صوت القرآن ومعانيه ؟ يا سبحان الله بنصِّ القرآن ﴿**وَأُولُو الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ**﴾[3] ، فلو كنتم تريدون القرب فقرب الرسول هو قرب لله تعالى ، فماذا خرَّجتم أو فعلتم فهو بالتالي تحريف وتحوير لامحالة ، فلا تستطيعون ذلك ابداً فإنَّ المنظومة الاساسيّة والعمود الفقري التي ينبِّه عليها القران الكريم هي واحدة موَّحدة ومتكاملة ومتطابقة ما بين القران والكتب السماوي الاخرى كالتوراة والانجيل والزبور وصحف ابراهيم ألاّ وهي منظومة حصر الولاية بعد الله ورسوله باهل البيت وقربى النبي بنصِّ القران ﴿**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ**﴾[4] ، على حصر الولاية بقربى النبيﷺ وهذا البند الأساسيّ والعماديّ الذي ينبِّه عليه القران الكريم هو متطابق لما في التوراة والانجيل فهل من المعقول

---

(١) الانفال/ ٤١.

(٢) الروم/ ٣٨.

(٣) الاحزاب/ ٦.

(٤) المائدة/ ٥٥.

أَنَّ مثل هذا البند الاساسيّ غير موجود في التوراة والانجيل وغيرهما من الكتب السماويّة علماً أَنَّ الله تعالى أخذ من النبيين ميثاقهم ﴿**وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثاقَ النَّبِيِّينَ لَما آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِما مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قالَ أَ أَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلى ذلِكُمْ إِصْرِي قالُوا أَقْرَرْنا قالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ**﴾[١] ، فهل يعقل أَنَّ الله سبحانه يؤاخذ الانبياء بشيء لا يؤاخذ اممهم عليه ؟ وقوله تعالى ﴿**ثُمَّ جاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِما مَعَكُمْ**﴾[٢] مصدِّق بمعنى متطابق لما معكم من الميثاق﴿**لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ**﴾[٣] ، اي لتؤمنُنَّ بمحمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين والتسعة المعصومين فهذا هو منظومة الدين ﴿**وَلَتَنْصُرُنَّهُ**﴾ أي تكونون من أنصار دولته ومن قياداته حسب منظومة القران الكريم .

إذن هناك تطابق وهذا التطابق مكرر في كثير من الآيات القرآنيّة بين ما عند النبي الخاتمﷺ مع ما قبله من الانبياء والمرسلين .

وأَنَّ المنجي عند كلِّ الامم هو دولة النبي الخاتم واهل بيته فإِنَّ الانبياء السابقين على الخاتمﷺ كانوا يعدّون اممهم والبشريّة بدولة النجاة ويبشرونهم بدولة سِّيد الانبياء الخاتمﷺ واهل بيته ﴿**وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ**﴾[٤] ، اي يطلبون الفتح وظهور النصر كما هو عليه الآنْ من تطلُّع كلِّ الأمم إلى ظهور صاحب العصر والزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف دولة المنجي والمنقذ تلك الدولة التي كان الانبياء يوعدون بها أممهم .

---

(١) الاحزاب/ ٧.

(٢) ال عمران/ ٨١.

(٣) ال عمران/ ٨١.

(٤) البقرة/ ٨٩.

إذن كل الانبياء كانوا يعدون أممهم بدولة الفتح والظهور ويتطلعون ويطعمون بها ، ألاَّ وهي دولة سِّيد الانبياء وأهل بيته وهي آخر الزمان وآخر الدول وليس بعدها دولة ولا انقطاع لها ، وهذا ما ذكرته بعض بنود زيارة الامام العسكري عليه السلام وإنّنا نعيش الدولة الخفيّة أو الملكوتيّة في عالم الدنيا إلاَّ أنَّها خفيّة كما كان يعيش سِّيد الأنبياء صلى الله عليه وآله في مكّة قبل هجرته الدولة الخفيّة (أوطأته مشارق الأرض ومغاربها) .

فكل الكتب السماويّة التي نزلت على جميع أنبياء الله عَزَّ وجَلَّ من زمان آدم ونوح وادريس وغيرهم كلُّها متطابقة مع القرآن ، وتصديق الرسل بعضهم مع بعض يعني يتطابقون في المادّة التي أرسلوا بها إذ لو كانوا من غير الله عَزَّ وجَلَّ لاختلفوا ولم يتطابقوا أي لو كانت نزعات بشريّة فإنَّها لم تتطابق ، ولكنَّها متطابقة لأنَّ المُرْسِل لهم واحد وهو الله سبحانه وتعالى ولذا فإنَّ كُلَّ ما في منظومة القران من محاور اساسيّة كلُّها موجودة في الكتب السماويّة السابقة من التوراة والانجيل والزبور وصحف ابراهيم وغيرها وكلَّ انبياء الله تعالى ورسله امروا بإطاعة سِّيد الانبياء صلى الله عليه وآله في نصِّ القرآن الكريم ﴿**أَطِيعُوا اللهَّ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ**﴾[1] ، وليس المراد من الرَّسول هو جنس الرسول وإنَّما المراد به هو الخاتم صلى الله عليه وآله .

ولذا فإنَّ هذه الآية المباركة ﴿**أَطِيعُوا اللهَّ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ**﴾ تركز على اطاعة سِّيد الانبياء الخاتم صلى الله عليه وآله من قبل كلِّ الانبياء والمرسلين ولا يستفتحون بأنبيائهم كالنبي موسى وعيسى وداود وسليمان وغيرهم وإنَّما يستفتحون بالنبي الخاتم محمد صلى الله عليه وآله واهل بيته أي فتح الصلاح والسلم والصلح بين البشر ولا تتمّ

(١) المائدة/ ٩٢.

سعادة البشر وامنه ورقيه وتنميته إلاَّ بسِّيد الانبياء صلى الله عليه وآله بنصِّ القران والقران لا يفكِّك بين الكتب السماويّة ولا يفكِّك في التركيز على اطاعة النبي الخاتم صلى الله عليه وآله واهل بيته فإنَّ منظومة القران ومعادلاته مترابطة ومتشابكة وتشكِّل وحدة واحدة .

﴿وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُولئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَداءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولئِكَ رَفِيقاً﴾[1] ، هذا هو طاقم دولة محمد صلى الله عليه وآله .

ولتنقيح الحال مبسوطاً لتكوين قاعدة وميزانيّة في كيفية التعامل وضابطة الاعتبار لهذه النسخ الموجودة للكتب المنسوبة للسماء من التوراة والانجيل والزبور

أوّلاً : نستعرض طوائف الآيات والروايات

ثانياً : نستخلص الميزان والقاعدة في ذلك

أوّلاً : طوائف الآيات القرآنيّة حول كيفية التعامل مع نسخ الكتب السماويّة من التوراة والانجيل والزبور

التوراة والانجيل الموجودة بين أيدي الناس فيها حكم الله

الطائفة الأوّلى :

ما دلَّ على وجود الوحي وحكم الله في التوراة والانجيل والزبور في النسخ الموجودة بين أيدي الناس ، وأمر أهل التوراة والانجيل والزبور بالعمل بما جاء فيها .

---

(١) النساء/ ٦٩.

كقوله تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقامُوا التَّوْراةَ وَالإِنْجِيلَ وَما أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ ساءَ ما يَعْمَلُونَ﴾[1] .

وقوله تعالى ﴿يا أَهْلَ الكِتابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْراهِيمَ وَما أُنْزِلَتِ التَّوْراةُ وَالإِنْجِيلُ إِلاَّ مِنْ بَعْدِهِ أَ فَلا تَعْقِلُونَ﴾[2] .

وقوله تعالى ﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْراةُ فِيها حُكْمُ اللهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذلِكَ وَما أُولئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾[3] .

وهذه الآية المباركة صريحة في وجود حكم الله في التوراة في النسخ الموجودة بين الأيدي رغم وقوع التحريف بحسب آيات أخرى ، بل في هذه الآية المباركة إنّذار لأهل التوراة وتوبيخ لهم على ترك حكم الله الموجود في نسخ التوراة الفعليّة ، بل في الآية اشارة إلى أنَّ حكم الله في التوراة مما هو محكم ولم ينسخ مقدّماً على حكم خاتم النبيين صلى الله عليه وآله .

ومورد نزول الآية في القصة والحادثة المعروفة .

ثم إنَّ هذه الآية المباركة دُعِّم مفادها بالآية اللاحقة وهي ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْراةَ فِيها هُدىً وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتابِ اللهِ وَكانُوا عَلَيْهِ شُهَداءَ فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلا تَشْتَرُوا بِآياتِي ثَمَناً قَلِيلاً وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِما أَنْزَلَ اللهُ فَأُولئِكَ هُمُ

---

(١) المائدة/ ٦٦.

(٢) ال عمران/ ٦٥.

(٣) المائدة/ ٤٣.

الكافِرُونَ﴾[١] .

وفي هذه الآية تأكيد وحث لأهل التوراة على اقامة التوراة والعمل بما فيها من حكم الله ، وأَنَّ حكم الله فيها هدى ونور وأَنَّ ترك هذا الحكم كفر ، ولا ريب أَنَّ هذا اشارة إلى ما هو محكم في التوراة لم ينسخ ولم يحرّف هذا أوّلاً .

وثانياً : قوله تعالى ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنْجِيلِ بِما أَنْزَلَ اللهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِما أَنْزَلَ اللهُ فَأُولئِكَ هُمُ الفاسِقُونَ * وَأَنْزَلْنا إِلَيْكَ الكِتابَ بِالحَقِّ مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الكِتابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِما أَنْزَلَ اللهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْواءَهُمْ عَمَّا جاءَكَ مِنَ الحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهاجاً وَلَوْ شاءَ اللهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً واحِدَةً وَلكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي ما آتاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الخَيْراتِ إِلَى اللهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾[٢] .

وقوله تعالى ﴿وَقَفَّيْنا عَلى آثارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْراةِ وَآتَيْناهُ الإِنْجِيلَ فِيهِ هُدىً وَنُورٌ وَمُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْراةِ وَهُدىً وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾[٣] .

ثُمَّ عطف على هذه الآية المباركة قوله تعالى﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنْجِيلِ بِما أَنْزَلَ اللهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِما أَنْزَلَ اللهُ فَأُولئِكَ هُمُ الفاسِقُونَ﴾[٤] .

ووصف عيسى ابن مريم في القران الكريم بأَنَّه مصدّق للتوراة أي متطابق واشارة إلى المحكم الموجود في التوراة الذي لم ينسخ بالإنجيل .

---

(١) المائدة/ ٤٤.

(٢) المائدة/ ٤٧ ـ ٤٨.

(٣) المائدة/ ٤٦.

(٤) المائدة/ ٤٧.

ثالثاً: نعم الآية اللاحقة ﴿أَنْزَلْنا إِلَيْكَ الكِتابَ بِالحَقِّ مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الكِتابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِما أَنْزَلَ اللهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْواءَهُمْ عَمّا جاءَكَ مِنَ الحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهاجاً وَلَوْ شاءَ اللهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً واحِدَةً وَلكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي ما آتاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الخَيْراتِ إِلَى اللهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾[١]، وقوله تعالى ﴿وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِما أَنْزَلَ اللهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْواءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ ما أَنْزَلَ اللهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّما يُرِيدُ اللهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ لَفاسِقُونَ﴾[٢].

وهاتان الآيتان المباركتان (٤٨ ، ٤٩) من سورة المائدة أيضاً وصفتا القران بأنّه مصدّق للتوراة والانجيل ولجميع الكتب السماويّة التي قبله، والمراد من التصديق ـ كما مرَّ ـ بمعنى التطابق والقرآن في هاتين الآيتين المباركتين يشير إلى قاعدة مهمة وهي (أَنَّ ما تطابق من التوراة والانجيل والزبور مع ما في القرآن فهو من المحكم غير المنسوخ) ولاريب أَنَّ مثل هذا التطابق يشمل ما كان متطابقاً تطابقاً اجماليّاً وإِنْ لم يكن تطابقاً تفصيليّاً حرفيّاً.

وهذه قاعدة وضابطة وميزانيّة مهمة في استكشاف ما هو محكم في التوراة والانجيل والزبور وبقية الكتب السماويّة السابقة.

كما ويستفاد من هذه الآيات الكريمة أَنَّ موضعيّة القران مهيمن وركن عمودي وقطب رحى لكل الكتب السماويّة.

وبهذه القاعدة والضابطة يتبيّن وجه الجمع بين هذه الطائفة من الآيات

---

(١) المائدة/ ٤٨.

(٢) المائدة/ ٤٩.

وبين الطوائف الاخرى الاتية من الآيات القرآنيّة والروايات الناهية والمحذِّرة عن الاخذ بتحريفات اهل الكتاب وافتراءاتهم .

وكذلك الآيات التالية تدل على وجود الوحي وحكم الله في التوراة والانجيل والزبور في النسخ الموجودة بين أيدي الناس .

كقوله تعالى ﴿كُلُّ الطَّعامِ كانَ حِلاًّ لِبَنِي إِسْرائِيلَ إِلاَّ ما حَرَّمَ إِسْرائِيلُ عَلى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْراةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْراةِ فَاتْلُوها إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ﴾[١] .

وقوله تعالى ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْراةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهاهُمْ عَنِ المُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّباتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الخَبائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ﴾[٢] .

وقوله تعالى ﴿وَآمِنُوا بِما أَنْزَلْتُ مُصَدِّقاً لِما مَعَكُمْ وَلا تَكُونُوا أَوَّلَ كافِرٍ بِهِ وَلا تَشْتَرُوا بِآياتِي ثَمَناً قَلِيلاً وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ﴾[٣] .

وقوله تعالى ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الكِتابَ بِالحَقِّ مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْراةَ وَالإِنْجِيلَ * مِنْ قَبْلُ هُدىً لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الفُرْقانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآياتِ اللهِ لَهُمْ عَذابٌ شَدِيدٌ وَاللهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقامٍ﴾[٤] .

وقوله تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقامُوا التَّوْراةَ وَالإِنْجِيلَ وَما أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ

---

(١) ال عمران/ ٩٣.
(٢) الاعراف/ ١٥٧.
(٣) البقرة / ٤١.
(٤) ال عمران/ ٣ ـ ٤.

لأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ ساءَ ما يَعْمَلُونَ﴾[١] .

وقوله تعالى **﴿قُلْ يا أَهْلَ الكِتابِ لَسْتُمْ عَلى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْراةَ وَالإِنْجِيلَ وَما أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْياناً وَكُفْراً فَلا تَأْسَ عَلَى القَوْمِ الكافِرِينَ﴾**[٢] .

إِنَّ الملاحظ في القران الكريم أَنَّه يخص ذكر التوراة والانجيل ويكثر ذكرهما من بين الكتب السماويّة السابقة كلّها ، وإنْ كان قد ذكر القران صحف ابراهيم عليه السلام والزبور إلاّ إِنَّه ذكر أقل بكثير من ذكر التوراة والانجيل .

ولاريب أَنَّ هذا التركيز مع ما هو مذكور حوله ما في الآيات هو نحو اشارة قرآنيّة اجماليّة بهذين الكتابين السماويين بما لهم من نسخ حاليّة كما وينبِّه على هذا المفاد ما في هذه الطوائف من مضامين .

قوله تعالى **﴿وَإِذا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِما أَنْزَلَ اللهُ قالُوا نُؤْمِنُ بِما أُنْزِلَ عَلَيْنا وَيَكْفُرُونَ بِما وَراءَهُ وَهُوَ الحَقُّ مُصَدِّقاً لِما مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِياءَ اللهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾**[٣] .

بتقريب : إِنَّ الآية المباركة تشير إلى حدث مهم واعتراض من قبل القران على اليهود ويحتج عليهم أَنَّه بعدما كان القرآن مطابقاً لما في التوراة بنصِّ القرآن **﴿وَهُوَ الحَقُّ مُصَدِّقاً لِما مَعَهُمْ﴾** إِنَّكم أيُّها اليهود تؤمنون بما أنزل اليكم ، وهذا

---

(١) المائدة/ ٦٦.

(٢) المائدة/ ٦٨.

(٣) البقرة/ ٩١.

مطابق لما عندكم أي القران يحتّج على اليهود بما عندهم من محكمات انظر كيف تعرف وجود انحراف في الثقافة الاسلاميّة عن ثوابت القرآن الكريم ، والقران يحتّج على اليهود بالمطابقة وراء المطابقة ـ وهذا معناه إنَّ التحريفات مهما كانت في التوراة فإنَّها لن تطل محكماتها ـ التوراة ـ إلى يومنا هذا .

وإِنْ كثرت عند الكتّاب من الفريقين المثقفين مسألة أَنَّ القران يثبت تحريف التوراة إلاَّ أَنَّه بالتالي لم يذكر القران إِنَّ التوراة الموجودة الآنَّ اضرب بها عرض الجدار ، صحيح هناك تلاعب لكن ما استطاع ولن يستطيع أنْ يصل إلى التحريف والتلاعب بمحكمات التوراة .

والقران الكريم ففي عدّة مواضع يحتج على اليهود بالتوراة ﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا﴾[(١)] ، بل ويؤكّد ويشدِّد على من لم يحكم ويعمل بما انزل الله ويصفه بأوصاف ثلاثة في ثلاثة آيات متوالية من سورة المائدة بأَنَّه كافر وظالم وفاسق . ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾[(٢)] ، و﴿مَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾[(٣)] ، و ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[(٤)] .

علماً أَنَّ الموجود في التوراة مطابق لمحكمات القران الكريم ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾[(٥)] .

---

(١) ال عمران/ ٩٣.

(٢) المائدة/ ٤٤.

(٣) المائدة/ ٤٥.

(٤) المائدة/ ٤٧.

(٥) المائدة/ ٤٨.

فالقرآن مطابق لما في التوراة والانجيل والزبور وصحف ابراهيم وغيرها من الكتب السماويّة ومهيمن عليها ، ومن باب تقريب الفكرة أَنَّ القران بمنزلة القانون الدستوري في العقائد، وأمّا التوراة والانجيل فهي بمنزلة القانون البرلماني .

(قول النبي لبعض الصحابة أ متهوِّكون أنتم ؟)

ولذا فإنَّ النبيﷺ نهر جملة من الصحابة معروفة اسمائهم وواضحةٌ لمن لديه ادنى مراجعة لسيرة النبيﷺ وحياة الصحابة من الرجوع إلى التوراة والانجيل ويتركون القرآن فقال لهم النبي «**امتهوِّكون أنتم ؟**» .

ما معنى (التهوُّك) لغة ؟

ذكر ابن الاثير في النهاية : التهُّوك كالتهور : وهو الوقوع في الأمر بغير رويّة والمتهوِّك : الذي يقع في كلِّ أمر وقيل هو المتحِّير[1] .

واليك ماروته العامة والخاصَّة لحديث النبي الاكرمﷺ وماهي التوضيحات الخاصة به .

في شرح ابن ابي الحديد : فتهولوا (باللام) ففي النهاية فيه أنَّه .

قال لعمر في كلام : **أمتهوِّكون أنتم كما تهوَّكت اليهود والنصارى ؟ ! لقد جئت بها بيضاء نقيَّة التهوُّك كالتهوّر وهو الوقوع في الأمر بغير رويّة** ، والمتهوِّك الذي يقع في كُلِّ أمر وقيل : هو التحيرُّ ، وفي حديث آخر ، أَنَّ عمر اتاه ﷺ بصحيفة أخذها من بعض أهل الكتاب ، فغضب وقال : **أمتهوِّكون فيها يا ابن الخطاب ؟**

---

(١) النهاية لابن الاثير ج٥ ص٢٨٢، ولسان العرب ج١٠ ص٥٠٨، والصحاح ج٤، وتاج العروس ج٧ ص١٩٧.

قال ابن كثير في البداية والنهاية في باب بيان الاذن ج٢ ص١٣٣ في الرواية والتحدِّيث عن بني اسرائيل : قال الامام احمد : حدَّثنا شريح بن النعمان حدثنا هشيم ابن مجالد عن الشعبي عن جابر بن عبد الله ان عمر بن الخطاب أتى النبيﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب فقرأه على النبيﷺ قال : **فغضب** وقال : **أمتهوِّكون فيها يا ابن الخطاب والذي نفسي بيده لقد جئتكم به بيضاء نقيّة ، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بَحقّ فتكذِّبوا به أو بباطل فتصدِّقوا به ، والذي نفسي بيده لو أَنَّ موسى كان حيّاً ما وسعه إلاَّ أنْ يتِّبعني** (.تفرَّد به أحمد واسناده على شرط مسلم) أقول : له نظائر من أرادها فليراجع مظانِّها .

ذكر ما لم يوجد في كتاب الله عَزَّ وجَلَّ رويتم عن بشر المريسي عن أبي يوسف القاضي عن مجالد بن سعيد عن عامر الشعبي أَنَّ عمر بن الخطاب أتى النبيُّﷺ ومعه صحيفة قد كتب فيها التوراة بالعربيّة وقرأها على رسول اللهﷺ فغضب النبيّﷺ حتى عرف الغضب في وجهه فقال عمر : أعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله ثم صعدﷺ المنبر فخطب الناس فقال : **أيُّها الناس لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء فإنَّهم لن يهدوكم وقد أضلوا أنفسهم ، وعسى أنْ يحدِّثوكم بباطل فتصدِّقوهم ، أو بحق فتكذِّبوهم ، ولو كان موسى** عليه السلام **حاضراً بين أظهركم ما حل له إلاَّ أنْ يتَّبعني .**

وعنه قال : أخبرنا هبة الله بن محمد ، قال : أخبرنا الحسن بن علي ، قال : أخبرنا ابن حمدان ، قال : حدَّثنا عبد الله بن احمد ، قال : حدَّثني أبي ، قال : حدَّثَنا سريح بن النعمان ، قال : حدَّثنا هشيم ، قال : أخبرنا مجالد عن الشعبي عن جابر بن عبد الله أَنَّ عمر بن الخطاب أتى النبيّﷺ بكتاب أصابه من بعض اهل

الكتاب ، فقرأه على النبي ﷺ قال : فغضب وقال : **أمتهوِّكون فيها يا بن الخطاب ؟ والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقيّة لا تسألوهم عن شيءٍ فيخبروكم بحقٍّ فتكذِّبوا به أو بباطلٍ فتُصدِّقوا به والذي نفسي بيده لو إنَّ موسى كان حيّاً ما وَسِعَه إلاّ أنْ يَتَّبِعَني**[١] .

قال ابن الاثير : فيه : أنَّه قال لعمر في كلام : **أمتهوِّكون أنَّتم كما تهوَّكت اليهود والنصارى ؟ لقد جئت بها بيضاء نقيّة : التهوُّك كالتهوُّر وهو الوقوع في الأمر بغير رويّة** ، والمتهوِّك الذي يقع في كلِّ أمر وقيل : هو أَنَّ الخليفة كان يعجبه أهل الكتاب وثقافتهم وكتبهم ، ويراهم أرقى ثقافة وعلما وأنَّه كان شديد العلاقة بكعب الاحبار وسماعاً لأقواله وارائه يسأله عمَّا مضى ويأتي ، ويستفتيه ويشاوره حتّى أنَّه أخذ كتاباً منهم ، وجاء به إلى الرسول الاقدس ﷺ وقرأه عليه فغضب رسول الله ﷺ وقال : **أمتهوِّكون أنتم ؟**[٢]

في معاني الاخبار : واتى عمر رسول الله ﷺ فقال : إنَّا نسمع أحاديث من يهود تعجبنا فترى أنْ نكتب بعضها ؟ فقال : **أمتهوِّكون كما تهوَّكت اليهود والنصارى ؟ لقد جئتكم بها بيضاء نقيّة ولو كان موسى حيّاً ما وسعه إلاّ اتّباعي .**

---

(١) صفة الصفوة ج١/ ١٨٤، مسند احمد بن حنبل ج١/ ٣٨٧.

(٢) وهذه القضية رويت على انحاء والفاظ مختلفة. راجع البحار ٨: ٢٠٣ الطبعة الحجرية (وفي الطبعة الحدثة ج٣٠: ١٧٩) ومسند احمد ٣: ٣٨٧، والنهاية لابن الأثير، والفائق للزمخشري، ولسان العرب لابن منظور الافريقي، وتاج العروس والصحاح للجوهري، ومجمع البحرين للطريحي في مادة: هوك، وغريب الحديث لابي عبيدة ٤: ٤٨، وجامع بيان العلم ٢: ٥٢، وكنز العمال ١: ٧٩ ، ١٨٠، ومجمع الزوائد ١: ١٧٣، والايضاح للفضل بن شاذان ٣١٠ ، ٣١١، والمراسيل لأبي داود ٣٢١، وكتاب السنة لأبي عاصم: ٢٧، والضعفاء الكبير للعقيلي ١: ٢١، والفتح الرباني ١: ١٧٥ وبهامشه بلوغ الاماني، والشفاء للقاضي عياض وغيرها العشرات من المصادر.

قوله : (متهوِّكون) أي متحيِّرون يقول : متحيِّرون أنتم في الاسلام لا تعرفون دينكم حتّى تأخذوه من اليهود والنصارى ومعناه أَنَّه كره أخذ العلم من أهل الكتاب .

وأمّا قوله لقد جئتكم بها بيضاء نقيّة أَنَّه اراد المِلَّة الحنيفيّة ، فلذلك جاء التأنيث كقوله عَزَّ وجَلَّ (وذلك دين القيِّمة) .

وفي رواية اخرى : إِنَّه مرّ برجل وهو يقرأ كتاباً فقال للرجل : أتكتب لي من هذا الكتاب ؟ قال : نعم ، فاشترى أديماً فهناه ثم جاء اليه فنسخه له في ظهره وبطنه ثم أتى به إلى رسول الله صلى الله عليه وآله يقرأه عليه ، وجعل وجه رسول الله صلى الله عليه وآله يتلوَّن فضرب رجل من الأنصار بيده الكتاب قيل هو عبد الله بن ثابت ـ وقال : ثكلتك أمُّك يا ابن الخطاب ألا ترى وجه رسول الله صلى الله عليه وآله منذ اليوم وإنَّت تقرأ عليه هذا الكتاب .

وفي نص تاج العروس : قال له عمر : إنَّا نسمع احاديث من يهود تعجبنا أفترى أنْ نكتب بعضها فقال : **أمتهوِّكون أنتم كما تهوَّكت اليهود والنصارى ؟ لقد جئتكم بها بيضاء نقيّة ، ولو كان موسى حيّاً لما وسعه إلاَّ اتّباعي .**

عن الزهري : أَنَّ حفصة جاءت بكتاب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله من قصص يوسف في كتف فجعلت تقرؤه والنبي صلى الله عليه وآله يتلوَّن وجهه وقال رسول الله صلى الله عليه وآله **والذي نفسي بيده لو اتاكم يوسف فاتبعتموه وتركتموني لضللتم .**

وفي نصِّ الدارمي : عن يحيى بن جعدة قال : أتى النبي صلى الله عليه وآله بكتف فيه كتاب فقال : **كفى بقوم ضلالا أنْ يرغبوا عما جاء نبيهم إلى ما جاء نبي غير نبيهم أو كتاب غيرهم .**

وفي المطالب العالية عن عمر انطلقت إنّا فانتسخت كتابا من اهل الكتاب ثم جئت به في أديم فقال لي رسول الله صلى الله عليه وآله ما هذا في يدك يا عمر ؟ قال : قلت يا رسول الله كتاب نسخته لنزداد به علما إلى علمنا ، قال : فغضب رسول الله صلى الله عليه وآله حتّى احمرت عيناه ، ثم نودي بالصلاة جامعة فقالت الانصار : أغضبتم نبيكم ؟ السلاح السلاح فجاءوا حتّى احدقوا بمنبر رسول الله صلى الله عليه وآله فقال : **لقد أتيتكم بها بيضاء نقيّة ، فلا تتهوّكوا ولا يغرّنّكم المتهوِّكون .**

إِنَّ اختلاف الحديث في معناه والفاظه يفيد : أَنَّ القصة صدرت منه غير مرة كما لا يخفى على المتدبِّر .

معاني الاخبار محمد بن هارون الزنجاني ، عن علي بن عبد العزيز ، عن أبي عبد القاسم بن سلام رفعه الى النبي صلى الله عليه وآله قال : أتى عمر رسول الله صلى الله عليه وآله فقال : إنّا نسمع أحاديث من يهود تعجبنا ، فترى أنْ نكتب بعضها ؟ فقال : **أمتهوِّكون أنتم كما تهوَّكت اليهود والنصارى ؟ لقد جئتكم بها بيضاء نقيّة ، ولو كان موسى حيّاً ما وسعه إلاَّ اتّباعي .**

قوله : متهوِّكون أي متحيرِّون يقول : أمتحِّيرون أنتم في الاسلام لا تعرفون دينكم حتّى تأخذوه من اليهود والنصارى ؟ ومعناه أَنَّه كره أخذ العلم من أهل الكتاب ، وأمّا قوله : لقد جئتكم بها بيضاء نقيّة فإنَّه اراد الملّة الحنيفيّة فلذلك جاء التأنيث كقول الله عَزَّ وجَلَّ (وذلك دين القيِّمة) إنَّما هي الملة الحنيفيّة .

ومما روى عنه بالخلاف أَنَّه قال للرسول صلى الله عليه وآله يوماً : إنّا نسمع من اليهود أشياء نستحسنها منهم فنكتب ذلك منهم ؟ فغضب النبي صلى الله عليه وآله وقال : **أمتهوِّكون**

أنتم يا بن الخطاب لو كان موسى حيّاً لم يسعه إلاّ اتّباعي .

وفي الحديث : **أمتهوّكون أنتم كما تهوّكت اليهود والنصارى**[١] .

أقول : قال في النهاية مانصُّه : فيه قال لعمر في كلام (أمتهوِّكون أنتم كما تهوَّكت اليهودي والنصارى ؟ لقد جئت بها بيضاء نقيّة) التهوُّك ـ كالتهوُّر ـ وهو الوقوع في الامر بغير رويّة ، والمتهوِّك الذي يقع في كلِّ أمر وقيل : هو التحيُّر ولا يخفى وجه الشبه لهم باليهود والنصارى في التهوِّك[٢] .

تفسير علي بن ابراهيم قوله ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِم**﴾[٣] قال : نزلت في الثاني ، لأنَّه مرّ به رسول الله صلى الله عليه وآله وهو جالس عند رجل من اليهود يكتب خبر رسول الله صلى الله عليه وآله فانزل الله جلَّ ثناؤه ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ**﴾ فجاء الثاني إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله : « **رأيتك تكتب عن اليهود وقد نهى الله عن ذلك ، فقال : يا رسول الله كتبت عنه ما في التوراة من صفتك وأقبل يقرأ ذلك على رسول الله صلى الله عليه وآله وهو غضبان ، فقال له رجل من الانصار : ويلك أمّا ترى غضب النبي صلى الله عليه وآله عليك ؟ فقال : أعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله أنّي إنّما كتبت ذلك لما وجدت فيه من خبرك فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله : يا فلان لو أنَّ موسى بن عمران فيهم قائماً ثم أتيته رغبة عمّا جئت به لكنت كافراً بما جئت به** »[٤] .

دعوات الراوندي : «**قال أبو عبيدة في غريب الحديث في حديث النبيّ صلى الله عليه وآله**

---

(١) انظر الصحاح ٤/ ١٦١٧.

(٢) النهاية لابن الأثير ٥: ٢٨٢.

(٣) المجادلة/ ١٤.

(٤) بحار الانوار ج٩: ١٤٢ ص١٤٣ عن تفسير القمي ٢: ٣٥٧.

حين أتاه عمر فقال: إنّا نسمع احاديث من اليهود تعجبنا فترى أنْ نكتب بعضها؟ فقال رسول الله ﷺ: امتهوِّكون أنتم كما تهوَّكت اليهود والنصارى؟ لقد جئتكم بها بيضاء نقيّة ولو كان موسى حيّاً ما وسعه إلاَّ اتّباعي قال أبو عبيدة: امتحيرِّون أنتم في الاسلام ولا تعرفون دينكم حتّى تأخذوه من اليهود و النصارى؟ كأنَّه كره ذلك منه»(١).

قال السيوطي في تفسيره: أخرج ابن الضريس عن الحسن: أَنَّ عمر بن الخطاب قال: يا رسول الله إِنَّ اهل الكتاب يحدّثونا بأحاديث قد اخذت بقلوبنا وقد هممنا أنْ نكتبها فقال: **يا ابن الخطاب أمتهوِّكون أنتم كما تهوَّكت اليهود والنصارى أمَا والذي نفس محمَّد بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقيّة ولكنّني أعطيت جوامع الكلم.**

واخرج عبد الرزاق وابن سعد، وابن الضريس، والحاكم في الكنى والبيهقي في شعب الايمان عن ابن ثابت الانصاري قال: دخل عمر بن الخطاب على النبيّ ﷺ بكتاب فيه مواضع من التوراة فقال: هذه أصبتها مع رجل من اهل الكتاب أعرضها عليك فتغيَّر وجه رسول الله ﷺ تغيّراً شديداً لم أرَ مثله قط، فقال عبد الله بن الحرث لعمر: أمّا ترى وجه رسول الله ﷺ.

واخرج عبد الرزاق والبيهقي عن أبي قلابة: أَنَّ عمر بن الخطاب مرّ برجل يقرأ كتابا فاستمعه ساعة فاستحسنه، فقال للرجل: اكتب لي قال: نعم فاشترى اديما ثم جاء به فنسخ له في ظهره وبطنه، ثم أتى به النبيّ ﷺ فجعل يقرأ عليه وجعل وجه رسول الله يتلون فضرب رجل من الانصار بيده الكتاب

---

(١) بحار الانوار ٢: ٩٩ ح٥٤ عن دعوات الراوندي.

وقال : ثكلتك أمُّك يا بن الخطاب أمّا ترى وجه رسول الله منذ اليوم وانت تقرأ عليه هذا الكتاب ؟ فقال النبيّ صلى الله عليه وآله **إنَّما بعثت فاتحاً وخاتماً واعطيت جوامع الكلم وفواتحه فلا يهلكنَّكم المتهوِّكون .**

وروي نحوه عن الزُهري وأَنَّ حفصة قرأت الكتاب وذكر ذلك كلَّه في سبب نزول قوله تعالى **﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾**(١) .

وفيها وفيما قبلها وبعدها تبصرة لمن كان له قلب . وفسِّر التهوُّك في هذه الاخبار بالتحيُّر والتهوُّر .

[من كره النظر في كتب أهل الكتاب]

١ ـ هشام عن مجالد عن الشعبي عن جابر أَنَّ عمر بن الخطاب اتى النبي صلى الله عليه وآله بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب فقال : فغضب وقال **أمتهوِّكون فيها يا ابن الخطاب فو الذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقيّة لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذِّبوا به أو بباطل فتصدَّقوا به والذي نفسي بيده لو كان موسى حيّاً ما وسعه إلاَّ أنْ يتّبعني .**

٢ ـ ابن مهدي عن سفيان عن سعد عن ابراهيم عن عطاء بن يسار قال : كانت اليهود تجيء إلى المسلمين فيحدّثونهم فيستحسنون أو قال : يستحبون فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وآله فقال: **لا تصدِّقوهم ولا تكذِّبون وقولوا : آمَّنا بالله وما أُنْزِل الينا وما أُنزِل اليكم .**

٣ ـ حاتم بن وردان عن أيوب عن عكرمة قال : قال ابن عباس : تسألون

---

(١) ربيع الأبرار ٢ : ٥٥١، الاستيعاب المطبوع بهامش الاصابة ١ : ٥١٨.

أهل الكتاب عن كتبهم وعندكم كتاب الله اقرب الكتب عهدا بالله و تقرأونه محضا ولم يشب .

٤ـ أبو بكر قال حدَّثنا يعلى قال الأعمش عن عمارة عن عبد الرحمن بن يزيد قال : قال عبد الله : لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء فتكذِّبوا بحق أو تصدِّقوا بباطل ، فإنَّهم لن يهدوكم ويضلِّون أنْفسهم ، وليس احد منهم إلاَّ وفي قلبه تالية تدعوه إلى دينه كتالية المال[1] .

٥ ـ قال الاصمعي[2] : المتهوِّك الذي يقع في كلِّ أمر ، وأنشد الكسائي :

رآني أمر لا هذرة متهوِّكاً   ولا واهناً شراب ماء المظالم

وقيل التهوُّك و التهفك : الاضطراب في القول وإِنَّ يكون على غير استقامة .

٦ ـ (وروى أحمد في مسنده)[3] : عن عبد الله بن ثابت قال : جاء عمر بن الخطاب إلى النبيّ ﷺ فقال : يا رسول الله إني مررت بأخ لي من قريظة فكتب لي جوامع من التوراة إلاَّ أعرضها عليك ؟ ! قال فتغير وجه رسول الله ﷺ قال عبد الله : فقلت له ألا ترى ما بوجه رسول الله ﷺ ؟ فقال عمر : رضينا بالله ربّاً وبالإسلام دينا وبمحمد رسولا . قال فسِّري عن النبي ﷺ ثم قال : **والذي نفسي بيده لو أصبح فيكم موسى ثم اتبعتموه وتركتموني لضللتم .**

٧ ـ وفي الدر المنثور : ٤ / ٣ : (وأخرج أبو يعلي ، وابن المنذر ، وابن أبي

---

(١) كتاب المصنف لابن أبي شيبه ج٢٣ ص٢٢٨.

(٢) الفايق في غريب الحديث ٣: ٤١١.

(٣) مسند احمد ٣: ٤٦٩.

حاتم ونصر المقدسيّ في الحجة ، والضياء في المختارة ، عن خالد بن عرفطة قال : كنت جالسا عند عمر إذ أتاه رجل من عبد القيس فقال له عمر أنت فلان العبدي . . . فقال (عمر) : انطلقت إنَّا فانتسخت كتابا من أهل الكتاب ثم جئت به في أديم فقال لي رسول الله صلى الله عليه وآله : **ما هذا في يدك يا عمر** ؟ فقلت يا رسول الله كتاب نسخته لنزداد به علما إلى علمنا ! فغضب رسول الله صلى الله عليه وآله حتّى احمرت وجنتاه ! ! ثم نودي بالصلاة جامعة فقالت الأنصار : أغضب نبيكم ، السلاح ! فجاؤوا حتّى أحدقوا بمنبر رسول الله صلى الله عليه وآله فقال : **يا أيها الذين آمنوا إني قد أوتيت جوامع الكلم وخواتيمه ، واختصر لي اختصارا ، ولقد أتيتكم بها بيضاء نقيّة ، فلا تتهوّكوا ولا يغرنَّكم المتهوِّكون**) ! انتهى .

وهذا يُدلّ على أَنَّ عمر وجماعته كانوا متهوِّكين بالفعل ، لأنَّ النبي صلى الله عليه وآله نهى المسلمين عن التهوُّك ، وعن الاغترار بالمتهوِّكين وفي سنن أبي داود[١] عن الأقرع مؤذِّن عمر بن الخطاب ، قال بعثني عمر إلى الأسقف فدعوته فقال له عمر : وهل تجدني في الكتاب ؟ قال : نعم ، قال : كيف تجدني ؟ قال : أجدك قرنا ، فرفع عليه الدرة فقال : قرن مه ؟ فقال : قرن حديد أمين شديد ، قال : كيف تجد الذي يجيء من بعدي ؟ فقال : أجده خليفة صالحا غير أنه يؤثر قرابته ، قال عمر : يرحم الله عثمان ، ثلاثا . فقال : كيف تجد الذي بعده ؟ قال : أجده صدأ حديد ، فوضع عمر يده على رأسه فقال : يا دفراه يا دفراه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إنَّه خليفة صالح ولكنه يستخلف حين يستخلف والسيف مسلول والدم مهراق ! قال أبو داود : الدفر النتن .

---

(١) سنن ابي داود ٢ : ٤٠٣.

والخلاصة من كلِّ ما تقدَّم : أَنَّ النبيّ ﷺ لا يريد أنْ يقول المحكمات من التوراة ليست بحق وليست بحجّة ويهمِّشها وإنَّما يقول ما مضمونه والمفهوم من كلامه لا تجعلوا التوراة والانجيل هي القانون الدستوري والمهيمن على القران ، وإنَّما اجعلوا القانون الدستوري هو القران ومهيمن على ما في التوراة والانجيل ، وإنَّهما ـ التوراة والانجيل ـ شرح لما في القران وذيل وهامش وإنَّ كانت متطابقة .

ولا يفهم أَنَّ التوراة والانجيل ليست حجة كلاَّ وإلاَّ كيف وهي كتاب منزل من الله بل حتّى الموجود من نسخ التوراة والانجيل في أيدي اليهود والنصارى يحتج به القران إلاَّ أَنَّ القران لا يجعل التوراة والانجيل أمّا ومهيمناً وإنَّما القران هو الأم والمهيمن .

ومن المؤسف جدّاً ما في الثقافة الاسلاميّة والكتاب والاقلام الكثيرة تنعت أَنَّ كلَّ ما في الانجيل والتوراة والكتب السماويّة بأَنَّها كلها اسرائيليات ودسٌ وهذا ليس بالصحيح فالقران يقول ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾ ومعنى الذكر هو الوحي سواء كان قراناً أو توراة أو انجيلاً أو زبوراً أو احاديث نبوية أو احاديث معصومية ولويّة ، وهذا النصّ القرآني تكذيب لمن يريد أنْ يزعزع ويتلاعب وبنفس الوقت كل من يدعي إِنَّ ما في هذه الكتب هو اسرائيليات فهو يكذِّب قول الله عَزَّ وجَلَّ ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾ وهذا لا يختّص بالقران الكريم بل أي ذكر ينزله الله تعالى فإنَّه تعالى له حافظ من التلاعب والوضع والدس آمن منْ آمن بذلك ، ومن شاء جحد فليجحد إنَّما اثمه عليه .

ولذلك لازال أئمة اهل البيت يحتّجون على اهل التوراة بتوراتهم في

المصادر التي نقلت احتجاجاتهم على اتباع الديانات السماويّة من يهود ونصارى وغير ذلك ككتاب عيون اخبار الرضا والتوحيد للشيخ الصدوق والاحتجاج للطبرسي .

ويقول امير المؤمنين عليه السلام : «اما والله لو ثنيت لي الوسادة فجلست عليها لأفتيت اهل الانجيل بإنجيلهم واهل التوراة بتوراتهم حتّى ينطق التوراة والانجيل يقولا صدق علي ما كذب ، لقد أفتاكم بما أَنْزل الله عَزَّ وجَلَّ فينا ، وأفتيت اهل القران بقرآنهم حتّى ينطق القران فيقول : صدق علي ما كذب لقد أفتاكم بما أَنْزل الله فيّ ولولا اية من كتاب الله لآ خبرتكم بما يكون وما هو كائن إلى يوم القيامة وهي قوله تعالى ﴿يَمْحُو اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾»[1] .

وهناك روايات مستفيضة عن امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام في هذا الصدد ، وهذا هو نصّ سورة المائدة ولكنْ من يتدَبَّر القران غير اهل البيت فإنَّ سيرة اهل البيت يحتّجون على اتباع الديانات السماويّة بل والمذاهب الاسلاميّة الأخرى بما عندهم من أحاديث نبويّة لأنَّ أعداء الاسلام مهما حاولوا أنْ يحرّفوا السُنَّة النبويّة ويطمسوها فإنّهم لم ولن يفلحوا ابداً **﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾** لذلك ما فتيء ائمة اهل البيت يحتّجون على المذاهب الاسلاميّة الاخرى ـ العامّة ـ لحقهم ومقامِهم بالاحاديث التي يرويها العامّة وليس كلُّها ، بل الأقل يحتّجون ـ بالمحكمات ـ من الاحاديث النبويّة بلحاظ العامّة والمذاهب الاسلاميّة الاخرى ، وبالمحكمات من التوراة والانجيل بلحاظ اتباع التوراة والانجيل والكتب السماويّة الأخرى .

---

(١) ارشاد القلوب، و آمالي الصدوق ص١٨٧ ح٣ مجلس ٤٠، ومعاني الاخبار ص٢٣٠ عنهما ح١٤ .

فالقران الكريم نص في سورة آل عمران ﴿**فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ**﴾[(١)] ، على وجود جماعة مشربهم زيغي فتنوي هذا هو شأنّهم وبئس ما يشترى الانسان نفسه أنَّ يكون زيغياً و الفتنوي لا يرى لنفسه شأناً إلاَّ الزيغية الفتنويّة والقران الكريم يحذِّر من الأخذ من اتّباع المتشابه بل يأمر بالأخذ بالمحكمات .

ثم هل يلاحق الانسان ويروِّج للسراب ؟ ! فالحقيقة لا تطمس ومن الحيف إنْ يبتغي الانسان الفتنة بل عليه الأفضل أنْ يبتغي الحقيقة ، وابتغاء الحقيقة أفضل فإنّه يتطلب منك أنْ تأتي ببرهان وشواهد على إتّباع المحكم والحقيقة .

استنتاج

ومنْ خلال كلِّ هذا نستنتج معادلة ذات ركنين أساسيين :

الأوّل : إنَّ المحكمات هي الام وهي الصحيحة لأنَّها ذكر الهيّ يحفظه الله عَزَّ وجَلَّ سواء كان في القرآن أو التوراة أو الانجيل أو في الحديث النبوي .

الثاني : جعل المحكمات هي الأصل أي محكمات القرآن والعترة النبويّة هي الأصل ولا تجعل تراث الحديث عند العامّة أو الجمهور عند اتّباع الديانات السماويّة هو الحاكم فهذه هي المعادلة يريها لنا القران الكريم وسيرة اهل البيت ولذلك كان أجيال من علماء الأماميّة تبعاً لأئمتهم أنَّ ديدنهم أَنَّهم يحتجون على العامّة بما عندهم من حديث نبوي محكم ولم يحتّجوا بالمتشابه أو الاسرائيليات أو غيرها .

---

(١) ال عمران/ ٧.

فهذه هي الموازنة والميزان التي يعرض عليها غيرها فإنْ طابقها كان حُجَّة وإلاَّ فلا .

ولا يخفى على اولي الالباب أَنَّ الآية المباركة ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ أليس هذا وعد الهي ؟ نعم هو وعد الهي فأيّ ذكر نزل من السماء ضمن الله حفظه من التلاعب والتحريف وغيرهما ؟ الذكر المحكم فلا يضر بعد ذلك تحريف المحرّفين بالمتشابهات من علماء اليهود أو النصارى أو علماء المسلمين أو غيرهم بل يبقى المحكم هو الأساس في كل ما أُنَزل من ذكر الهي .

الأمر بإقامة التوراة والانجيل

الطائفة الثانية : ما تَضَمَّن الامر بإقامة التوراة والانجيل والعمل فيه

مضافاً لما تقدَّمه في الطائفة الأولى ومن تَضَمَّن الامر بإقامة التوراة والانجيل والوعيد عمن تخلف عن هذا الأمر اما الآيات :

١ ـ كقوله تعالى **﴿قلْ يا أَهْلَ الكِتابِ لَسْتُمْ عَلى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْراةَ وَالإنْجِيلَ وَما أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْياناً وَكُفْراً فَلا تَأْسَ عَلَى القَوْمِ الكافِرِينَ﴾**[1] .

٢ ـ وقوله تعالى **﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقامُوا التَّوْراةَ وَالإِنْجِيلَ وَما أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ ساءَ ما يَعْمَلُونَ﴾**[2] .

وأمّا الروايات الواردة عن أئمة أهل البيت فهي :

---

(١) المائدة/ ٦٨.

(٢) المائدة/ ٦٦.

أ) ما رواه مسعدة بن صدقة قال : «**قال أبو عبد الله عليه السلام إنَّ الله جعل ولايتنا أهل البيت قطب القرآن ، وقطب جميع الكتب عليها يستدير محكم القرآن وبها نوَّهت الكتب ويستبين الايمان ، وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وآله إنَّ يقتدى بالقرآن وآل محمد وذلك حيث قال في آخر خطبة خطبها : إنِّي تارك فيكم الثقلين : الثقل الأكبر والثقل الأصغر فأمّا الأكبر فكتاب ربي ، وأمّا الأصغر فعترتي أهل بيتي فأحفظوني فيها فلن تضلّوا ما تمسكتم بهما**»[١] .

ب) حدَّثنا العباس بن معروف عن حماد بن عيسى عن ربعي عن محمد بن مسلم **عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ﴾ قال : الولاية**[٢] .

ج) محمد بن اسماعيل عن الفضل بن شاذان عن حماد بن عيسى عن ربعي بن عبد الله **عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عَزَّ وجَلَّ ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ﴾ قال : الولاية**[٣] .

د) محمد بن الحسين عن صفوان بن يحيى واحمد بن محمد عن الحسين بن سعيد عن صفوان عن ابن مسكان عن حجر بن زايدة عن حمران **عن ابي جعفر عليه السلام في قوله تعالى ﴿قلْ يا أَهْلَ الكِتابِ لَسْتُمْ عَلى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْراةَ وَالإنْجِيلَ وَما أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْياناً وَكُفْراً﴾ قال : هي الولاية**[٤] .

---

(١) تفسير العياشي ج١ ص٧٨ ح٨.

(٢) النوادر وتفسير العياشي ج٢ ص٦١ ح ١٥٠.

(٣) الكافي ج١ باب١٦٥ فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية ص٤٨٠ ح٦.

(٤) بصائر الدرجات ج١ ص٧٤ باب ما خص الله الائمة من ال محمد ح٨.

هـ) احمد بن محمد عن الحسن بن علي النعمان عن محمد بن مروان عن الفضيل بن يسار عن أبي جعفرعليه السلام في قوله الله ﴿قلْ يا أَهْلَ الكِتابِ لَسْتُمْ عَلى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْراةَ وَالإِنْجِيلَ وَما أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾قال هي الولاية[١] .

و) عن حمران بن أعين عن أبي جعفرعليه السلام في قول الله ﴿قلْ يا أَهْلَ الكِتابِ لَسْتُمْ عَلى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْراةَ وَالإِنْجِيلَ وَما أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْياناً وَكُفْراً﴾ قال هو: ولاية أمير المؤمنينعليه السلام[٢] .

ح) عنه عن الحسين بن سعيد عن علي بن النعمان عن محمد بن مروان عن الفضيل بن يسار عن أبي جعفرعليه السلام في قول الله عَزّ وجَلَّ ﴿قلْ يا أَهْلَ الكِتابِ لَسْتُمْ عَلى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْراةَ وَالإِنْجِيلَ وَما أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْياناً وَكُفْراً﴾ قال : هي ولايتنا[٣] .

توضيح لمفاد الآيتين

نذكر بعض النقاط التوضيحيّة لمفاد الآيتين الكريمتين الواردتين في الروايات أعني قوله تعالى ﴿قلْ يا أَهْلَ الكِتابِ لَسْتُمْ عَلى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْراةَ وَالإِنْجِيلَ وَما أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ وقوله تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقامُوا التَّوْراةَ وَالإِنْجِيلَ وَما أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ .

---

(١) المصدر السابق ص٥١٥.

(٢) العياشي ج١ ص٣٣٤.

(٣) مختصر بصائر الدرجات للصفار ص٢٠٣.

النقطة الأولى: أمّا ما ورد في رواية مسعدة بن صدقة والتي كان مضمونها أساس المنهج التفسير المختار أمومة الولاية لمحكمات القرآن وتفسيره: حيث تقدّم أَنَّ هناك دلائل قرآنيّة كثيرة في الآيات والسور على أنَّ قطب القرآن هم أهل البيت وهذا ما نبَّه عليه قول الامام الصادق عليه السلام في رواية مسعدة، والتي مضمونها يشير إلى أصل قرآني متأصِّل في السور والآيات.

النقطة الثانية: قد أشير في قوله تعالى **﴿وَأَنْزَلْنا إِلَيْكَ الكِتابَ بِالحَقِّ مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الكِتابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ﴾**[1]، إلى إِنَّ القرآن مهيمن على كُلِّ الكتب السماويّة التي أنزلت فإذا كان قطب القرآن اهل البيت فكذلك يكون أهل البيت قطب في كُلِّ الكتب السماويّة الأخرى.

وهذا برهان من القرآن على مفاد الروايات الآتية الدالة على اقامة التوراة والانجيل إنَّما هو بإقامة أعظم ما امر فيهما وهو ولاية أهل البيت.

كما في رواية حمران بن أعين المتقدمة **عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله ﴿قُلْ يا أَهْلَ الكِتابِ لَسْتُمْ عَلى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْراةَ وَالإِنْجِيلَ وَما أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْياناً وَكُفْراً﴾ قال هو: ولاية أمير المؤمنين عليه السلام**.

ورواية الفضيل بن يسار عن أبي جعفر عليه السلام المتقدمة قال: **هي ولايتنا**.

وبتقريب آخر: إِنَّ الدين واحد بين الأنبياء لا يختلفون فيه وإِنَّ اختلفوا في الشرائع والمناهج وعمدة الدين هو العقائد، وقد تقرَّر في أصول العقيدة في الدين أَنَّ الولاية هي الأصل الثالث بعد التوحيد والنبوة، ولك أنْ تقول أَنَّ

---

(١) المائدة/ ٤٨.

ولاية اهل البيت هي بعد ولاية الله تعالى ، فهي الرتبة الثانية بعد ولاية الله عَزَّ وجَلَّ وعلى ضوء ذلك ففي جميع الكتب السماويّة وما بعث الأنبياء به من دين تكون الأصول الثلاثة في عقيدة الدين موَّحدة في الكتب النازلة عليهم ، فتكون ولاية أهل البيت من أسس المحكمات في كتب الأنبياء .

النقطة الثالثة : ومن ثَمَّ نرى كثرة احتجاج أهل البيت على علماء النصارى واليهود من أهل الكتاب بما في التوراة والانجيل والزبور من الاشارة في حق مقام أهل البيت في الدين .

الطائفة الثالثة

وفيها جهتان :

الجهة الأوّلى : (تذكير القرآن بما في التوراة والانجيل والزبور من محكمات)

ذكر القرآن ذلك في عدّة آيات وسور قرآنيّة :

١ـ قوله تعالى ﴿**إِنَّ اللهَ اشْتَرى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الله فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْراةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفى بِعَهْدِهِ مِنَ الله فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بايَعْتُمْ بِهِ وَذلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾ [١] .

٢ ـ وقوله تعالى ﴿**مُحَمَّدٌ رَسُولُ الله وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَماءُ بَيْنَهُمْ تَراهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ الله وَرِضْواناً سِيماهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْراةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ**

---

(١) التوبة/ ١١١.

فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوى عَلى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الكُفَّارَ وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾[١] .

٣ ـ وقوله تعالى ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الكِتابَ بِالحَقِّ مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْراةَ وَالإِنْجِيلَ﴾[٢] .

٤ ـ وقوله تعالى ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْراةَ فِيها هُدىً وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتابِ اللهِ وَكانُوا عَلَيْهِ شُهَداءَ فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلا تَشْتَرُوا بِآياتِي ثَمَناً قَلِيلاً وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِما أَنْزَلَ اللهُ فَأُولئِكَ هُمُ الكافِرُونَ﴾[٣] .

٥ ـ وقوله تعالى ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُها عِبادِيَ الصَّالِحُونَ﴾[٤]

٦ ـ وقوله تعالى ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْراةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهاهُمْ عَنِ المُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّباتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الخَبائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ﴾[٥] .

٧ ـ قوله تعالى ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الكِتابَ بِالحَقِّ مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ

---

(١) الفتح/ ٢٩.

(٢) ال عمران/ ٣.

(٣) المائدة/ ٤٤.

(٤) الانبياء/ ١٠٥.

(٥) الاعراف/ ١٥٧.

التَّوْراةَ وَالإِنْجِيلَ * مِنْ قَبْلُ هُدىً لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الفُرْقانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآياتِ اللهِ لَهُمْ عَذابٌ شَدِيدٌ وَاللهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقامٍ﴾[١] .

أمّا الروايات :

روى في الصحيح عن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام قال : «**سألته عن قول الله تبارك وتعالى ﴿الم * اللهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ * نَزَّلَ عَلَيْكَ الكِتابَ بِالحَقِّ مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْراةَ وَالإِنْجِيلَ * مِنْ قَبْلُ هُدىً لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الفُرْقانَ﴾ قال : الفرقان هو كلُّ أمر محكم ، والكتاب هو جملة القرآن الذي يصدِّقه من كان قبله من الأنبياء**»[٢] .

وظاهر مفاد الصحيحة : أَنَّ الفرقان هو المحكم من كلِّ كتاب سماوي ، فإنَّ تمييز إنَّزال واسناد لفظة الإنَّزال اليه ـ الفرقان ـ منحازاً عن انزال الكتب الثلاثة موجب لتمييزه وخصوصيته في مقابل العناوين الثلاثة ، وإنَّهم من الأهميّة بمكان ، وهذا تشاهده مع مفاد الصحيحة في ارادة المحكم منه .

بل هو ظاهر مفاد الآيتين الكريمتين من سورة آل عمران ٣ ، ٤ حيث عطف الفرقان على الكتب السماويّة الثلاثة ، ويشهد لذلك وصف التوراة بالفرقان قوله تعالى **﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾**[٣] .

وكذلك وصف القرآن الكريم بالفرقان في قوله تعالى **﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾**[٤] .

---

(١) آل عمران/ ٣ و٤.
(٢) تفسير القمي في بداية تفسير الآية والعياش في تفسيره.
(٣) البقرة/ ٥٣.
(٤) البقرة/ ١٨٥.

وقوله تعالى ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾(١) .

وقوله تعالى ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ﴾(٢) .

فائدة : (الفرقان هو المحكم من كُلِّ كتاب سماوي ، ما تقدَّم ذكره من الآيات تشهد لصحة مفاد صحيحة عبد الله بن سنان من أَنَّ الفرقان اسم لكلِّ ما هو محكم أُنْزِل في الكتب السماويّة ، وهذه قاعدة في مصطلح الفرقان في كتب الوحي السماوي) .

الجهة الثانية : [المحكم في كل الكتب السماويّة محفوظ عن التغيير والتبديل ومصون عن تحريف البشر]

وذلك لعموم قوله تعالى ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾(٣) .

الطائفة الرابعة :

الآيات القرآنية التي تصف القرآن بأنَّه مصدِّق ومطابق لما في التوراة والانجيل كما يلي :

١ ـ كقوله تعالى ﴿وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقاً لِمَا مَعَكُمْ وَلا تَكُونُوا أَوَّلَ كافِرٍ بِهِ وَلا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ﴾(٤) .

٢ ـ وقوله تعالى ﴿قُلْ مَنْ كانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللهِ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدىً وَبُشْرى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾(٥) .

---

(١) الفرقان/ ١.

(٢) الانبياء/ ٤٨.

(٣)الحجر / ٩.

(٤) البقرة/ ٤١.

(٥) البقرة/ ٩٧.

٣ـ وقوله تعالى ﴿وَإِذا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِما أَنْزَلَ اللهُ قالُوا نُؤْمِنُ بِما أُنْزِلَ عَلَيْنا وَيَكْفُرُونَ بِما وَراءَهُ وَهُوَ الحَقُّ مُصَدِّقاً لِما مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِياءَ اللهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[1] .

٤ـ وقوله تعالى ﴿وَلَمَّا جاءَهُمْ كِتابٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ مُصَدِّقٌ لِما مَعَهُمْ وَكانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جاءَهُمْ ما عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللهِ عَلَى الكافِرِينَ﴾[2] .

٥ـ وقوله تعالى ﴿وَلَمَّا جاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ مُصَدِّقٌ لِما مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتابَ كِتابَ اللهِ وَراءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾[3] .

٦ـ وقوله تعالى ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الكِتابَ بِالحَقِّ مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْراةَ وَالإِنْجِيلَ﴾[4] .

٧ـ قوله تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِما مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قالَ أَ أَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلى ذلِكُمْ إِصْرِي قالُوا أَقْرَرْنا قالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾[5] .

٨ـ وقوله تعالى ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الكِتابَ آمِنُوا بِما نَزَّلْنا مُصَدِّقاً لِما مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهاً فَنَرُدَّها عَلى أَدْبارِها أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَما لَعَنَّا أَصْحابَ السَّبْتِ وَكانَ أَمْرُ اللهِ مَفْعُولاً﴾[6] .

---

(١) البقرة/ ٩١.
(٢) البقرة / ٨٩.
(٣) البقرة / ١٠١.
(٤) ال عمران/ ٣.
(٥) ال عمران/ ٨١.
(٦) النساء / ٤٧.

٩ـ وقوله تعالى ﴿وَأَنْزَلْنا إِلَيْكَ الكِتابَ بِالحَقِّ مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الكِتابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِما أَنْزَلَ اللهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْواءَهُمْ عَمّا جاءَكَ مِنَ الحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهاجاً وَلَوْ شاءَ اللهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً واحِدَةً وَلكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي ما آتاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الخَيْراتِ إِلَى اللهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾[١] .

١٠ـ وقوله تعالى ﴿الَّذِي أَوْحَيْنا إِلَيْكَ مِنَ الكِتابِ هُوَ الحَقُّ مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللهَ بِعِبادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾[٢] .

١١ـ وقوله تعالى ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ كِتابُ مُوسى إِماماً وَرَحْمَةً وَهذا كِتابٌ مُصَدِّقٌ لِساناً عَرَبِيًّا لِيُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرى لِلْمُحْسِنِينَ﴾[٣] .

١٢ـ وقوله تعالى ﴿قالُوا يا قَوْمَنا إِنّا سَمِعْنا كِتاباً أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسى مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الحَقِّ وَإِلى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[٤] .

١٣ـ وقوله تعالى ﴿وَهذا كِتابٌ أَنْزَلْناهُ مُبارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ القُرى وَمَنْ حَوْلَها وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلى صَلاتِهِمْ يُحافِظُونَ﴾[٥] .

وها هنا نقاط :

النقطة الأوّلى : إنَّ هذا التأكيد من القران في مواضع متعددة على التطابق ما

---

(١) المائدة/ ٤٨.

(٢) فاطر/ ٣١.

(٣) الاحقاف/ ١٢.

(٤) الاحقاف/ ٣٠.

(٥) الانعام / ٩٢.

بين القرآن والكتابين ـ التوراة والانجيل ـ مقتضاه وجود المحكم في الكتابين الذي يؤخذ به تحت هيمنة القرآن .

النقطة الثانية : إنَّ مفاد جملة هذه الطائفة احتجاج القرآن على اهل الكتاب بكونه من عند الله ببرهان مطابقته للكتابين ، ومقتضى هذا الاحتجاج إنَّه يحتّج عليهم بالمطابقة لما في أيديهم من نسخ الكتابين ـ التوراة والانجيل ـ فهو احتجاج بما هو رهن من نسخ الكتابين في عصر نزول القرآن .

النقطة الثالثة : مقتضى بقاء هذا الاحتجاج إلى يوم القيامة على اهل الكتاب هو تلازم بقاء نسخ الكتابين بعيداً عن التحريف بمقدار المحكمات منهما .

الطائفة الخامسة : تأكيد القرآن على تطابق الكتب السماويّة فيما بينها

ذكر ذلك القرآن في عدَّة مواضع من الآيات والسور

١ـ كقوله تعالى ﴿**وَإِذْ قالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يا بَنِي إِسْرائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْراةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ**﴾[1] .

٢ـ وقوله تعالى ﴿**وَمُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْراةِ وَلأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ**﴾[2] .

٣ـ وقوله تعالى ﴿**وَقَفَّيْنا عَلى آثارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْراةِ وَآتَيْناهُ الإِنْجِيلَ فِيهِ هُدىً وَنُورٌ وَمُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْراةِ وَهُدىً**

---

(١) الصف/ ٦.

(٢) ال عمران/ ٥٠.

وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾[١] .

والتقريب : في هذه الطائفة كما تقدم في الطائفة الرابعة مضافاً إلى أنَّه في هذه الطائفة ـ أعني الخامسة ـ احتجاج من القرآن على اهل الكتاب بما في أحد الكتابين من التطابق مع الآخر ، ومقتضى هذا الاحتجاج والارشاد بقاء المحكم فيهما مصوناً عن التحريف إلى يوم القيامة .

فهو بمثابة ملحمة قرآنيّة على بقاء المحكمات في الكتابين مصونة عن التحريف .

الطائفة السادسة : احتجاج القرآن على اهل الكتاب بما في التوراة والانجيل

ذكر ذلك القرآن في مواضع متعددة

١ـ كقوله تعالى **﴿كُلُّ الطَّعامِ كانَ حِلاًّ لِبَني إِسْرائِيلَ إِلاَّ ما حَرَّمَ إِسْرائِيلُ عَلى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْراةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْراةِ فَاتْلُوها إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ﴾**[٢] .

٢ـ وقوله تعالى **﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْراةُ فِيها حُكْمُ اللهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذلِكَ وَما أُولئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ * إِنَّا أَنْزَلْنا التَّوْراةَ فِيها هُدىً وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبارُ بِما اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتابِ اللهِ وَكانُوا عَلَيْهِ شُهَداءَ فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلا تَشْتَرُوا بِآياتِي ثَمَناً قَلِيلاً وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِما أَنْزَلَ اللهُ فَأُولئِكَ هُمُ الكافِرُونَ﴾**[٣] .

---

(١) المائدة/ ٤٦.

(٢) ال عمران/ ٩٣.

(٣) المائدة/ ٤٣ و٤٤.

٣ـ وقوله تعالى ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْراةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهاهُمْ عَنِ المُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّباتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الخَبائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ﴾[١] .

٤ـ وقوله تعالى ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنْجِيلِ بِما أَنْزَلَ اللهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِما أَنْزَلَ اللهُ فَأُولئِكَ هُمُ الفاسِقُونَ﴾[٢] .

بتقريب : إِنَّ الاحتجاج لاسّيما في العقائد يقتضي من يقوم به تقريره لتلك الحجة بعد كون هذا الاحتجاج ليس من باب الجدل المحض ، بل من باب الجدل بالحكمة .

الطائفة السابعة : حفظ الذكر الالهي

كما نَصَّ على ذلك القرآن في قوله تعالى ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ﴾[٣] .

بتقريب : لصيانة القرآن عن التحريف قد اشتهر تقريبه بين المفسِّرين وهو تام ومتين ، إلّا أَنَّ العنوان في الآية الكريمة لم يخصص القرآن الكريم ، بل يعمُّ مطلق ما نُزِّل من الوحي الالهيّ سواء في الكتب السماويّة ، أو بقيّة أنْواع الوحي غاية الأمر أَنَّ للحفظ مراتب وعمومتها حفظ المحكمات لأَنَّها أُمُّ الكتاب ، وهذ

---

(١) الاعراف/ ١٥٧.

(٢) المائدة/ ٤٧.

(٣) الحجر/ ٩.

ما نجده إلى يومنا الراهن المعاصر من احتجاج علماء المؤمنين والمسلمين بما في نسخ التوراة الحاليّة والانجيل بما فيهما من البشارة بالنبيﷺ وأصحاب الكساء وأهل بيته وبما فيهما من أصول المحرَّمات وأصول الواجبات .

وذكرنا في قاعدة حفظ الذكر بالتحديد (النقطة الرابعة) إنَّ للحفظ مراتب حفظ ما هو عمدة في الكتب السماويّة من المحكمات لا ينافيه وقوع التحريف في التفاصيل .

الطائفة الثامنة : (ما دَلَّ على وقوع التحريف)

نصِّ على ذلك القرآن في عدّة مواضع من القرآن

١ـ قوله تعالى ﴿وَمِنَ الَّذِينَ هادُوا سَمّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَواضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هذا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا﴾[1] .

٢ـ وقوله تعالى ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لا يَعْلَمُونَ الكِتابَ إِلاَّ أَمانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ * فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الكِتابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هذا مِنْ عِنْدِ اللهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾[2] .

٣ـ وقوله تعالى ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقاً يَلْوُونَ السِنَتَهُمْ بِالكِتابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الكِتابِ وَما هُوَ مِنَ الكِتابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَما هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللهِ الكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[3] .

---

(١) المائدة/ ٤١.

(٢) البقرة / ٧٨ و٧٩.

(٣) ال عمران/ ٧٨.

٤ـ وقوله تعالى ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْياناً وَكُفْراً فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الكافِرِينَ﴾[١] .

٥ـ وقوله تعالى ﴿كُلُّ الطَّعامِ كانَ حِلاًّ لِبَنِي إِسْرائِيلَ إِلاَّ ما حَرَّمَ إِسْرائِيلُ عَلى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْراةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْراةِ فَاتْلُوها إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ﴾[٢] .

٦ـ وقوله تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَراءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَبِئْسَ ما يَشْتَرُونَ﴾[٣] .

الطائفة التاسعة : اليهود كُلِّفوا بحمل التوراة

قوله تعالى ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾[٤] .

فما هو حمل التوراة ؟ علماً أنَّ أصل الحامل والراعي لهذا الكتاب السماوي وهو التوراة هو المعصوم نبي الله موسى عليه السلام .

وأَمَّا معنى تحميل اليهود للتوراة تارة يكون ارتباط الانسان بالكتاب السماوي عن طريق الأصوات والنقوش والألفاظ من دون أَنْ يرتبط بروح الكتاب السماوي فهذا القسم معناه أَنَّه حُمِّل الكتاب السماوي كالتوراة ولم يحملها وهذا غير مراد ، وأخرى يكون ارتباط الانسان بالكتاب السماوي عن طريق الارتباط العلمي والحمل والوعاء العلميّ فهذا ارتباط بروح وبنور الكتاب السماوي وهو المقصود والمراد بالآية الكريمة .

---

(١) المائدة/ ٦٨.

(٢) ال عمران/ ٩٣.

(٣) ال عمران/ ١٨٧.

(٤) سورة الجمعة/ ٥.

أمّا القسم الأول وهو الارتباط بالكتاب عن طريق الألفاظ والحسّ كحمل الحمار للكتب والاسفار فإنَّ ارتباطه معها ارتباط حسيٍّ جسدي وليس ارتباطاً نوريّاً روحيّاً .

نظير الرواية أَنَّ الامام الصادق عليه السلام في حقِّ من ختم القران **«من ختم القرآن فكأَنَّما أدرجت النبوة بين جنبيه ولكنَّه لا يوحى اليه»**[١]

بتقريب : أَنَّ النبوة روح ولكنْ لا يوحى اليه ، فإنَّ الارتباط الحقيقيّ الذي يريده القرآن والنبي وأئمة اهل البيت هو الارتباط بين روح الانسان وحقائق روح الكتاب السماويّ ، وهكذا معنى العرش الذي تحمله الملائكة فليس المراد أَنَّ حملها له كحمل الدابة للثقل ، علماً أَنَّ الله سبحانه كلَّف المليارات من الملائكة لحمل العرش فأجهدهم حمله ، و ينوء كاهلهم عن حمله ـ أي يبتعد ـ وكان كلُّ ملك كما وصفهم أمير المؤمنين عليه السلام والأئمة زوَّده الله بقدرات عالية تهيمن واعظم من السموات والأرض هكذا عظمتهم إلاَّ أَنَّه كان ينوء كاهلهم عن حمل العرش .

وليس المراد من حمل الملائكة للعرش بالحمل الجسماني وإنَّما المراد من الحمل أي الوعاء والجنبة العلمية والروحية **﴿وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾**[٢]

بتقريب : أنْ تعيها أي تدركها وتكون و عاءاً أي مظروفاً كما قال أمير المؤمنين عليه السلام : **«كلُّ وعاء يضيق بما جعل فيه إلاَّ وعاء العلم فإنَّه يتّسع به»** [٣] فإنَّ

---

(١) وسائل الشيعة ج٦ ص١٨١ ب٨ من ابواب قراءة القران ح١.

(٢) الحاقة/ ١٢.

(٣) نهج البلاغة قصار الحكم حكمة ٢٠٢.

وعاء العلم كلَّما تزيده فإنَّ حجم الوعاء يزيد عكس وعاء غير العلم فإنَّه كلَّما تزيد فيه فهو يضيق .

إذن المراد من حملة العرش ليس كما توهمه الاشاعرة أو المجسِّمة بأنَّه جسم يحمل جسم ، وإنَّما المراد من الحمل الوعاء العملي والارتباط الروحي ﴿خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾[1] ﴿مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا﴾[2] أي يتعلّمونها ويعلِّمونها والكتاب هو في الأصل روح .

فإذا استطاعت روحك أنْ ترتبط بروح الكتاب فهذا معناه أنَّك حملت جزء من مليارات الأجزاء من الكتاب ، فإنَّه في بعض الروايات توجد أصناف لحملة القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وآله في حديث قال : «**من تعلَّم القرآن فلم يعمل به وآثر عليه حب الدنيا وزينتها استوجب سخط الله وكان في الدرجة مع اليهود والنصارى الذين ينبذون كتاب الله وراء ظهورهم ، ومن قرأ القرآن يريد سمعة والتماس الدنيا لقي الله يوم القيامة ووجهه عظم ليس عليه لحم وزج (زجه) القرآن في قفاه حتى يدخله النار ويهوى فيها مع من هوى ، ومن قرأ القرآن ولم يعمل به حشره الله يوم القيامة أعمى فيقول ﴿رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا﴾ قال : ﴿كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾ فيؤمر به إلى النار ، ومن قرأ القرآن ابتغاء وجه الله تفقهاً في الدين كان له من الثواب مثل جميع ما اعطي الملائكة والانبياء والمرسلون ومتى تعلَّم القرآن يريد به رياءاً وسمعة ليماري به السفهاء ويباهي به العلماء ويطلب به الدنيا بدَّد الله عظامه يوم**

---

(١) مريم/ ١٢.

(٢) سبأ / ٤٤.

القيامة ولم يكنْ في النار أشدُّ عذاباً منه . . . الحديث »[١] .

عن أبي عبد الله عليه السلام: «وقارئ قرأ القرآن فحفظ حروفه وضيع حدوده فذاك من اهل النار»[٢] .

إلى غير ذلك من الروايات الواردة عن أئمة الهدى وتبين أصناف حملة القرآن ، فمنهم من يحمل صوت القرآن ، ومنهم من يحمل معاني القران ومنهم من يحمل حقائق القرآن ومنهم من يحمل روح ودرجة من درجات أرواح القرآن وغير ذلك .

كذلك حملة العرش وحملة القرآن **﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾**[٣] .

فإنَّ الروح يمكن أن تتمرَّن وتتمرَّس وتروَّض لأجل حمل الانوار والأضواء الالهيّة فهذا تحذير وتنبيه أيُّها المسلمون أيُّها المؤمنون انتبهوا واستيقظوا وكونوا حملة لروح وحقائق وأنوار وأضواء ومعاني القران وتعيها أذن واعية ولتكن علاقتكم بالقرآن علاقة وارتباط وحمل علمي لا علاقة وارتباط مادي والفاظ وأصوات ونقوش وحسّ .

فإنَّ القران يريد من المسلمين والمؤمنين أنْ تكون علاقتهم بالقران علاقة روحيّة وعلميّة لأنّهم حينما ترتبط أنّفسهم بالقرآن ارتباط روحي تكون لهم صفات وأوصاف ذكرها أئمة اهل البيت يرتضيها القرآن الكريم **«ومن تعلَّم القرآن وتواضع في العلم وعلّم عباد الله وهو يريد ما عند الله لم يكن في الجَنَّة أعظم**

---

(١) وسائل الشيعة ج٦ ص١٨٣ ب٨ من ابواب قراءة القران ح٨.
(٢) المصدر السابق ح٥.
(٣) الجمعه/ ٥.

ثواباً منه ولا أعظم منزلة منه ولم يكن في الجنة منزلة ولا درجة رفيعة ولا نفيسة إلاّ وكان له فيها أوفر النصيب وأشرف المنازل» [١] ، فالحَمْل وعاء العلم والعلم محمول والحامل وعاء فإيهما اعظم الحامل أم المحمول ؟

في الحَمْل الجسماني الحامل أقوى من المحمول وأمّا بالحَمْل الروحي فالمحمول أعظم من الحامل .

إذن المراد من الحمل هو الارتباط و الانشداد والتكامل الروحيّ بروح اعظم واعلى واكبر في حمل القرآن الكريم وحمل العرش ، حملة التوراة أي حامل وحي الله تعالى .

فتبين أَنَّ باب الحمل في العلوم بلحاظ الأرواح يختلف عن الحَمْل الجسماني المعهود **﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾**[٢] ، أي يحمل العرش يوم القيامة ثمانية اربعة من الاولين على يمين العرش ليس المراد من اليمين بمعنى اليمين الجغرافي الماديّ وإنَّما المراد منه اليمين بمعنى العلو فمعنى يمين العرش يعني علو واعالي العرش ومعاقد العزِّ في العرش ، والمراد بيسار العرش يعني المراتب النازلة للعرش وهم خاتم الأنبياء محمّدﷺ وسِّيد الأوصياء علي بن أبي طالب وسِّيد شباب أهل الجنة ، وأربعة على يسار العرش وهم ابراهيم ونوح وموسى وعيسى واللبيب ينتبه إلى كلام النبيﷺ ويفهم من تفسير الآية المباركة هذا وجود شيء مخفي وليفهمه من يفهم .

---

(١) وسائل الشيعة ج٦ ب٨ من ابواب قراءة القران ص١٨٤ ح٨.

(٢) الحاقة/ ١٧.

المقصود من حمل العرش أي علم العرش .

وهذا بابا واسع أي باب حمل القرآن ، وعقل القرآن ، وعلم القرآن ، وهذا ما ذكره القرآن الكريم ﴿**يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ**﴾[١] ، فهذه درجة ﴿**مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ**﴾[٢] درجة ثانية ﴿**وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾[٣] درجة ثالثة عالية وفوقانية .

وهناك تساؤل : إنَّه كيف كان بعضهم يعلمون ولكن بعد ذلك حصل ما حصل نظير ما يشير اليه القران الكريم في بلعم بن باعورة ﴿**وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ**﴾[٤] .

الجواب : بتقريب : إنَّ هذا الايتاء من قسم الايتاء اللدني وليس من الضروري وليس اصطفاءاً فإنَّه ليس كل صفة لدنيّة هي اصطفاء ، وما عند بلعم بن باعورة هو من قسم الايتاء اللدني ولكن مع ذلك انسلخ منه ، فهو قد اوتي ملكوتاً وأنَّ لم يكن مصطفى إلاَّ أنَّه انسلخ من آياتنا فأخلد إلى الأرض ، علماً إنَّ بلعم بن باعورة عنده ارتباط روحيّ ملكوتيّ ولكن ليس اصطفاءاً وإنَّما شيء لدُّني فانسلخ منه ، فالأمر خطير فإنَّ الانسان قد يصل إلى درجات عاليّة في الملكوت يسمع ويعقل ويعلم أَنَّ له ارتباط روحي مع روح القرآن ومع كلِّ ذلك يتمرَّد ، فمن ذا الذي يضمن على نفسه الاستقامة ، فهو مرتبط روحاً بالملكوت ، إلاَّ أنَّ نفسه الامارة بالسوء تنازعه ولم تتركه ، بل تتصارع معه إلاَّ أنَّه وللأسف تغلبت عليه نفسه في نهاية المطاف عصمنا الله وايّاكم من الزلل والخطل وهيمنة

---

(١) البقرة/ ٧٥.

(٢) الآية السابقة.

(٣) الآية السابقة.

(٤) الاعراف/ ١٧٥.

النفس الامّارة بالسوء .

مصادر احتجاج أهل البيت على اهل الكتاب بما في التوراة والانجيل

تنبيه : إِنَّ من أهم المصادر الروائيّة الحافلة باحتجاجات أئمة اهل البيت على اهل الكتاب بما في التوراة والانجيل هي :-

أوّلاً : الاحتجاج للعلاّمة الطبرسي وقد حفل هذا المصدر الشريف بكثير من احتجاجات اهل البيت على اهل الكتاب بما في التوراة والانجيل بالنسخ الموجودة بين أيدي الناس .

ثانياً : عيون أخبار الرضا للشيخ الصدوق﴿ره﴾ وقد حفل باستعراض الندوات العلميّة التي أقامها النظام العباسي للاحتجاج بين الامام الرضا وبين أهل الملل والنحل ومنهم أهل الكتاب .

ثالثاً : جملة الكتب الحديثيّة الروائيّة حيث انتشر فيها موارد متعددة بل وكثيرة من احتجاج أئمة اهل البيت على اهل الكتاب بما في النسخ الموجودة منهما - التوراة والانجيل.

[وأما الروايات]

باب ذكر مجلس الرضا علي بن موسى﴿ع﴾ مع أهل الأديان وأصحاب المقالات مثل الجاثليق ورأس جالوت ورؤساء الصابئين والهربذ الاكبر وما كلَّم به عمران الصابي في التوحيد عند المأمون

١- حدّثنا أبو محمد جعفر بن علي بن أحمد الفقيه القمي ثم الايلاقي﴿رض﴾ قال : أخبرنا أبو محمد الحسن بن محمد بن علي بن صدقه القمي قال : حدثني أبو

عمرو محمّد بن عمر بن عبد العزيز الأنصاري الكجي قال: حدثني من سمع الحسن بن محمد النوفليّ ثم الهاشميّ يقول: «لما قدم علي بن موسى الرضاعليه السلام إلى المأمون أمر الفضل بن سهل أنْ يجمع له أصحاب المقالات مثل الجاثليق ورأس الجالوت ورؤساء الصابئين والهربذ الأكبر وأصحاب زردهشت وقسطاس الرومي والمتكلمين ليسمع كلامه وكلامهم فجمعهم الفضل بن سهل ثم اعلم المأمون باجتماعهم فقال: أدخلهم عليَّ ففعل فرحَّب بهم المأمون ثُمَّ قال لهم: إنّي إنّما جمعتكم لخير وأحببت إنَّ تناظروا ابن عميٍّ هذا المَدنيّ القادم عليّ فإذا كان بكره فاغدوا ولا يتخلَّف منكم أحد فقالوا: السمع والطاعة يا أمير المؤمنين نحن مبكرون انْ شاء الله قال الحسن بن محمد النوفليّ: فبينا نحن في حديث لنا عند أبي الحسن الرضاعليه السلام إذ دخل علينا ياسر الخادم وكان يتوَلّى أمر أبي الحسنعليه السلام فقال له: يا سّيدي إنَّ أمير المؤمنين يقرئك السلام ويقول: فداك أخوك إنّه أجتمع إلي أصحاب المقالات وأهل الأديان والمتكلمون من جميع الملل فرأيك في البكور علينا إنْ أحببت ىَلامهم إنْ كرهت كلامهم فلا تتجشم وإنْ أحببت أَنْ نصير إليك خفَّ ذلك علينا فقال أبو الحسنعليه السلام **أبلغه السلام وقل له: قد علمت ما أردت وإنّا صائر إليك بكرة انْ شاء الله** قال الحسن بن محمد النوفليّ: فلما مضى ياسر التفت إلينا ثم قال لي: **يا نوفليّ أنْت عراقيٌّ ورقَّة العراقيِّ غير غليظة فما عندك في جمع ابن عمِّك علينا؟ أهل الشرك وأصحاب المقالات**؟ فقلت: جعلت فداك يريد الامتحان ويحبُّ أنْ يعرف ما عندك؟ ولقد بنى على أساس غير وثيق البنيان وبئس والله ما بنى فقال لي: **وما بناؤه في هذا الباب**؟ قلت: إنَّ أصحاب الكلام والبدعة خلاف العلماء وذلك إنَّ

العالم لا ينكر غير المنكر وأصحاب المقالات والمتكلّمون وأهل الشرك أصحاب إنّكار ومباهتة إِنَّ احتججت عليهم أَنَّ الله واحد قالوا: صحّح و حدانيَّته وإنْ قلت: ان مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله قالوا: أثبت رسالته ثم يباهتون الرجل وهو يبطل عليهم بحجته ويغالطونه حتّى يترك قوله فاحذرهم جعلت فداك قال فتبسَّم عليه السلام ثُمَّ قال: **يا نوفليّ أتخاف أنْ يقطعوا عليَّ حجَّتي**؟ فقلت: لا والله ما خفت عليك قطُّ وانَّي لأرجو إِنَّ يظفرك الله بهم إنْ شاء الله تعالى فقال لي: **يا نوفليّ أتحب أنْ تعلم متى يندم المأمون**؟ قلت: نعم قال: **إذا سمع إحتجاجي علىٰ أهل التوراة بتوراتهم وعلى أهل الإنجيل بإنجيلهم وعلى أهل الزبور بزبورهم وعلى الصابئين بعبرانيتهم وعلى الهرابذه بفارسيتهم وعلى أهل الروم بروميَّتهم وعلى أصحاب المقالات بلغاتهم فإذا قطعت كل صنف ودحضت حُجَّته وترك مقالته ورجع إلى قولي علم المأمون إنَّ الموضع الذي هو سبيله ليس بمستحقّ له فعند ذلك تكون النّدامة ولا حول ولا قوه إلاَّ بالله العلي.**

والرضا عليه السلام جالس مع المأمون حتّى أمرهم بالجلوس فجلسوا فلم يزل المأمون مقبلا عليه يحدِّثه ساعة ثم التفت إلى الجاثليق فقال يا جاثليق هذا ابن عمِّي علي بن موسى بن جعفر وهو من ولد فاطمة بنت نبينا وابن علي بن طالب عليه السلام فأحب أنْ تكلمه وتحاجه وتنصفه فقال الجاثليق: يا أمير المؤمنين كيف أحاج رجلا يحتّج علّي بكتاب إنَّا منكره ونبي لا أومن به؟ فقال له الرضا عليه السلام: **يا نصراني فإنْ احتججت عليك بإنجيلك أتقرّ به**؟ قال: الجاثليق: وهل أقدر على دفع ما نطق الإنجيل؟! نعم والله أقرُّ به على رغم أنفي فقال له الرضا عليه السلام: **سل عمَّا بدا لك وافهم الجواب** فقال الجاثليق: ما تقول في نبوَّه عيسى وكتابه هل تنكر

منهما شيئا ؟ قال الرضاعليه السلام: **إنَّا مقر بنبوَّة عيسى وكتابه وما بشرَّ به أمته وأقرّ به الحواريون وكافر بنبوَّة كلِّ عيسى لم يقرُّ بنبوَّة محمّدصلى الله عليه وآله وبكتابه ولم يبشِّر به أمته** قال الجاثليق: أليس إنَّما تقطع الاحكام بشاهدي عدل؟ قال بلى قال: فأقم شاهدين من غير أهل ملتك على نبوَّة محمد ممن لا تنكره النصرانيّة وسلنا مثل ذلك من غير أهل ملتنا قال الرضاعليه السلام: **الآن جئت بالنصفة يا نصراني الا تقبل منّي العدل المقدَّم عند المسيح عيسى بن مريمعليه السلام ؟**

قال الجاثليق: ومن هذا العدل؟ سمه لي قال: **ما تقول يوحنا الديلمي ؟** قال: بخ بخ ذكرت أحب الناس إلى المسيح قال: **فأقسمت عليك هل نطق الإنجيل: إنَّ يوحنا قال: إنَّما المسيح اخبرني بدين محمد العربي وبشَّرني به أنَّه يكون من بعده فبشرت به الحواريين فآمنوا به** قال الجاثليق: قد ذكر ذلك يوحنا عن المسيح وبشرَّ بنبوَّة رجل وبأهل بيته ووصيِّه ولم يلخص مَتَّى يكون ذلك ولم تسم لنا القوم فنعرفهم قال الرضاعليه السلام: **فإنَّ جئناك بمن يقرأ الإنجيل فتلا عليك ذكر محمد وأهل بيته وأمتّه أتؤمن به ؟** قال: سديدا قال الرضاعليه السلام: **لقسطاس الرومي كيف حفظك للسفر الثالث الإنجيل** قال: ما احفظني له ثم التفت إلى رأس الجالوت فقال: **الست تقرأ الإنجيل ؟** قال: بلى لعمري قال: **فخذ على السفر فإنْ كان فيه ذكر محمّد وأهل بيته وأمّته سلام الله عليهم فاشهدوا لي وإنْ لم يكن فيه ذكره فلا تشهدوا لي ثمَّ قرأعليه السلام السفر الثالث حتّى بلغ ذكر النبيصلى الله عليه وآله وقف ثم قال: يا نصرانيّ إنِّي أسألك بحق المسيح وأُمّه أتعلم إنِّي عالم بالإنجيل ؟** قال: نعم ثم تلا علينا ذكر محمد وأهل بيته وأمتّه ثم قال: **ما تقول يا نصراني هذا قول عيسى بن مريمعليه السلام فإنْ كذبت بما ينطق به الإنجيل فقد كذبت موسى**

وعيسى عليهما السلام ومتّى أنكرت هذا الذكر وجب عليك القتل لأنّك تكون قد كفرت بربّك ونبيّك وبكتابك قال الجاثليق : لا أنكر ما قد بان لي في الإنجيل وإنّي لمقرّ به قال الرضا عليه السلام: اشهدوا على اقراره ثم قال : يا جاثليق سل عمّا بدا لك قال الجاثليق : اخبرني عن حواري عيسى بن مريم عليه السلام كم كان عدتهم ؟ وعن علماء الإنجيل كم كانوا ؟ قال الرضا عليه السلام: على الخبير سقطت أمّا الحواريون فكانوا اثنى عشر رجلا وكان اعلمهم وأفضلهم ألوقا وأمّا علماء النصارى فكانوا ثلاثة رجال يوحنا الأكبر باج ويوحنا بقرقيسيا ويوحنا الديلمي بزجان وعنده كان ذكر النبي صلى الله عليه وآله وذكر أهل بيته وأمّته وهو الذي بشر أمه عيسى وبني إسرائيل به ثم قال له : يا نصرانيّ والله إنّا لنؤمن بعيسى الذي آمن بمحمّد صلى الله عليه وآله وما ننقم على عيساكم شيئا إلاّ ضعفه وقله صيامه وصلاته قال الجاثليق : أفسدت وكل شيء ذكرته لك من هذا لا تقدر على دفعه لأنَّ التوراة والإنجيل والزبور والفرقان قد نطقت فإنَّ كان كلُّ من أحيى الموتى وابرء الأكمه والأبرص والمجانين يتخذ ربا من دون الله فاتخذ هؤلاء كلهم أربابا ما تقول يا نصراني ؟ فقال الجاثليق : القول قولك ولا إله إلا الله ثم التفت عليه السلام إلى رأس الجالوت فقال : يا يهودي اقبل علي أسئلك بالعشر الآيات التي أنزلت على موسى بن عمران عليه السلام هل تجد في التوراة مكتوبا نبأ محمد وأمته إذا جاءت الأمة الأخيرة اتباع راكب البعير يسبحون الرب جدّا جدّا تسبيحا جديدا في الكنائس الجدد فليفرغ بنو إسرائيل إليهم وإلى ملكهم لتطمئن قلوبهم فإنَّ بأيديهم سيوفا ينتقمون بها من الأمم الكافرة في أقطار الأرض أهكذا هو في التوراة مكتوب ؟ قال رأس الجالوت : نعم إنّا لنجده كذلك ثم قال للجاثليق : يا نصراني كيف علمك بكتاب

شعياعليه السلام ؟ قال : أعرفه حرفا حرفا قال الرضاعليه السلام لهما : أتعرفان هذا من كلامه يا قوم : إنِّي رأيت صورة راكب الحمار لابسا جلابيب النور ورأيت راكب البعير ضوءه مثل ضوء القمر فقالا : قد قال ذلك شعيا عليه السلام قال الرضاعليه السلام: يا نصراني هل تعرف في الإنجيل قول عيسىعليه السلام: إنِّي ذاهب إلى ربي وربكم والفار قليطا جاء هو الذي يشهد لي بالحق كما شهدت وهو الذي يفسر لكم كل شيء وهو الذي يبدي فضائح الأمم وهو الذي يكسر عمود الكفر. فقال الجاثليق : ما ذكرت شيئا مما في الإنجيل إلاَّ ونحن مقرون به فقال : أتجد هذا في الإنجيل ثابتا يا جاثليق ؟ قال : نعم قال : الرضاعليه السلام : يا جاثليق الا تخبرني عن الإنجيل الأوّل حين افتقدتموه عند من وجدتموه ومن وضع لكم هذا الإنجيل ؟ فقال له : ما افتقدنا الإنجيل إلاّ يوما واحدا حتّى وجدنا غضا طريا فأخرجه إلينا يوحنا ومتّى فقال له الرضاعليه السلام: ما أقل معرفتك بسر الإنجيل وعلمائه ؟ ! فإنَّ كان كما تزعم ! فلم اختلفتم في الإنجيل إنَّما وقع الاختلاف في هذا الإنجيل الذي في أيديكم اليوم فلو كان على العهد الأوّل لم تختلفوا فيه ولكني مفيدك علم ذلك اعلم أنَّه لما افتقد الإنجيل الأوّل اجتمعت النصارى إلى علمائهم فقالوا لهم : قتل عيسى بن مريمعليه السلام وافتقدنا الإنجيل وأنتم العلماء فما عندكم ؟ فقال لهم الوقا ومرقابوس إنَّ الإنجيل في صدورنا ونحن نخرجه إليكم سفرا سفرا في كلِّ أحد فلا تحزنوا عليه ولا تخلوا الكنائس فإنَّا سنتلوه عليكم في كلِّ أحد سفرا سفرا حتى نجمعه كلَّه فقعد الوقا ومرّ قابوس ويوحنا ومتّى ووضعوا لهم هذا الإنجيل بعد ما افتقدتم الإنجيل الأوّل وإنّما كان هؤلاء الأربعة تلاميذ التلاميذ الأولين أعلمت ذلك ؟ فقال الجاثليق : أمّا هذا فلم أعلمه وقد علمته الآن وقد بان لي من فضل

علمك بالإنجيل وسمعت أشياء مما علمته شهد قلبي إنَّها حق فاستزدت كثيرا من الفهم **فقال له الرضا**عليه السلام: **فكيف شهادة هؤلاء عندك** ؟ قال : جائزه هؤلاء علماء الإنجيل وكلما شهدوا به فهو حق **قال الرضا**عليه السلام **للمأمون ومن حضره من أهل بيته ومن غيرهم : اشهدوا عليه قالوا : قد شهدنا** ثم قال للجاثليق : بحق الابن وأمه هل تعلم إنَّ متّى **قال : إنَّ المسيح هو بن داود بن إبراهيم بن إسحاق بن يعقوب يهوذا بن حضرون وقال مر قابوس في نسبه عيسى بن مريم** إنَّه كلمة الله **أحلها في جسد الآدمي فصارت انسانا وقال الوقا : إنَّ عيسى بن مريم**عليه السلام **وأمه كانا انسانين من لحم ودم فدخل فيهما الروح القدس ثم إنَّك تقول من شهادة عيسى على نفسه حقا أقول لكم : يا معشر الحواريين أنَّه لا يصعد إلى السماء إلاَّ ما نزل منها إلاّ راكب البعير خاتم الأنبياء فإنَّه يصعد إلى السماء وينزل فما تقول في هذا القول** ؟ قال الجاثليق : هذا قول عيسى لا ننكره **قال الرضا**عليه السلام: **فما تقول في شهادة الوقا ومر قابوس ومتى على عيسى وما نسبوه إليه** ؟ قال الجاثليق : كذبوا على عيسى **فقال: الرضا**عليه السلام: **يا قوم أليس قد زكاهم وشهد إنَّهم علماء الإنجيل وقولهم حق** فقال الجاثليق : يا عالم المسلمين أحب إنَّ تعفيني من أمر هؤلاء **قال الرضا**عليه السلام: **فإنَّا قد فعلنا سل يا نصراني عمَّا بدا لك** قال الجاثليق : ليسألك غيري فلا وحق المسيح ما ظننت إنَّ في علماء المسلمين مثلك **فالتفت الرضا**عليه السلام **إلى رأس الجالوت فقال له : تسألني أو أسألك** ؟ قال : بل أسألك ولست اقبل منك حجه إلاَّ من التوراة أو من الإنجيل أو من زبور داود أو مما في صحف إبراهيم وموسى **فقال الرضا**عليه السلام: **لا تقبل منى حجه إلاّ بما تنطق به التوراة على لسان موسى بن عمران الإنجيل على لسان عيسى بن مريم والزبور**

على لسان داود فقال رأس الجالوت: من أين تثبت نبوَّة محمد قال الرضاعليه السلام: شهد بنبوَّته موسى بن عمران وعيسى بن مريم وداود خليفة الله عَزَّ وجَلَّ في الأرض فقال له: أثبت قول موسى بن عمران فقال الرضاعليه السلام: هل تعلم يا يهودي إِنَّ موسى أوصى بني إسرائيل فقال لهم: أَنَّه سيأتيكم نبي من اخوانكم فيه فصدقوا ومنه فاسمعوا فهل تعلم أن لبني إسرائيل اخوه غير ولد إسماعيل إِنَّ كنت تعرف قرابة إسرائيل من إسماعيل والنسب الذي بينهما من قبل إبراهيمعليه السلام فقال رأس الجالوت: هذا قول موسى لا ندفعه فقال له الرضاعليه السلام: هل جاءكم من اخوه بني إسرائيل نبي غير محمدصلى الله عليه وآله قال: لا قال الرضاعليه السلام: أوليس قد صح هذا عندكم؟ قال: نعم ولكني أحب إِنَّ تصححه لي من التوراة فقال له الرضاعليه السلام: هل تنكر إِنَّ التوراة تقول لكم: جاء النور من جبل طور سيناء وأضاء لنا من جبل ساعير واستعلن علينا من جبل فاران؟ قال رأس الجالوت: اعرف هذه الكلمات وما اعرف تفسيرها قال الرضاعليه السلام: إِنَّا أخبرك به أما قوله: جاء النور من جبل طور سيناء فذلك وحي الله تبارك وتعالى الذي أنزله على موسىعليه السلام على جبل طور سيناء وأمّا قوله: وأضاء لنا من جبل ساعير فهو الجبل الذي أوحى الله عَزَّ وجَلَّ إلى عيسى بن مريمعليه السلام وهو عليه وأمّا قوله: واستعلن علينا من جبل فاران فذلك جبل من جبال مكة بينه وبينها يوم وقال شعيا النبيعليه السلام فيما تقول أنت وأصحابك في التوراة رأيت راكبين أضاء لهما الأرض أحدهما على حمار والاخر على جمل فمن راكب الحمار ومن راكب الجمل؟ قال رأس الجالوت: لا أعرفهما فخبرني بهما قال: أمّا راكب الحمار فعيسىعليه السلام وأما راكب الجمل فمحمدصلى الله عليه وآله أتنكر هذا من التوراة قال: لا ما أنكره ثم

قال الرضا عليه السلام: هل تعرف حيقوق النبي ؟ قال : نعم إنّي به لعارف قال : فإنّه قال : وكتابكم ينطق به جاء الله بالبيان من جبل فاران وامتلأت السماوات من تسبيح أحمد وأمته يحمل خيله في البحر كما يحمل في البر يأتينا بكتاب جديد بعد خراب بيت المقدس يعني الكتاب الفرقان أتعرف هذا وتؤمن به ؟ قال رأس الجالوت قد قال : ذلك حيقوق عليه السلام ولا ننكر قوله قال الرضا عليه السلام: فقد قال داود في زبوره . وأنّت تقرأ : اللهم ابعث مقيم السُنَّة بعد الفترة فهل تعرف نبيا أقام السُنَّة بعد الفترة غير محمد صلى الله عليه وآله ؟ قال رأس الجالوت : هذا قول داود نعرفه ولا ننكر ولكن عنى بذلك عيسى وأيامه هي الفترة قال الرضا عليه السلام: جهلت إنَّ عيسى عليه السلام لم يخالف السُنَّة وكان موافقا لسُنَّة التوراة حتى رفعه الله إليه وفي الإنجيل مكتوب : إنَّ ابن البرة ذاهب والبار قليطا جاء من بعده وهو الذي يخفف الآصار ويفسِّر لكم كل شيء ويشهد لي كما شهدت له إنَّا جئتكم بالأمثال وهو يأتيكم بالتأويل أتؤمن بهذا في الإنجيل ؟ قال : نعم لا أنكره قال الرضا عليه السلام: يا رأس الجالوت فما يمنعك من الاقرار بعيسى ابن مريم وقد كان يحي الموتى ويبرأ الاكمه والأبرص ويخلق من الطين كهيئة الطير ثم ينفخ فيه فيكون طيراً بأذن الله قال رأس الجالوت : يقال أنّه فعل ذلك ولن نشهده قال له الرضا عليه السلام: أرأيت ما جاء به موسى من الآيات شاهدته ؟ أليس إنّما جاء في الاخبار به من ثقات أصحاب موسى أنّه فعل ذلك ؟ قال : بلى قال : فكذلك أتتكم الأخبار المتواترة بما فعل عيسى بن مريم عليه السلام فكيف صدقتم بموسى ولم تصدقوا بعيسى ؟ فلم يحر جوابا قال الرضا عليه السلام: وكذلك أمر محمد صلى الله عليه وآله وما جاء به وأمر كل نبي بعثه الله ومن آياته قال رأس الجالوت : لم يصح عندنا خبر عيسى ولا خبر محمد صلى الله عليه وآله ولا

يجوز لنا إِنَّ نقر لهما بما لا يصح **قال الرضاعليه السلام: فالشاهد الذي شهد لعيسى ولمحمدصلى الله عليه وآله شاهد زور فلم يحر جوابا ثم دعاعليه السلام بالهربذ الأكبر فقال له الرضاعليه السلام: اخبرني عن زردهشت الذي تزعم إنَّه نبي ما حجتك على نبوّته ؟** قال : إنَّه اتى بما لم يأتنا به أحد قبله ولم نشهده ولكن الاخبار من أسلافنا وردت علينا بأنَّه أحل لنا ما لم يحله غيره فاتبعناه **قال : أفليس إنَّما أتتكم الاخبار فاتبعتموه ؟** قال : بلى **قال : فكذلك سائر الأمم السالفة أتتهم الأخبار بما اتى به النبيون واتى به موسى وعيسى ومحمدصلى الله عليه وآله فما عذركم في ترك الاقرار لهم إذ كنتم إنَّما أقررتم بزردهشت من قبل الأخبار المتواترة بأنَّه جاء بما لم يجئ به غيره فانقطع الهربذ مكانه »** .

احمد بن ادريس ومحمد العطار معاً عن الاشعري عن ابن هاشم عن محمد بن حماد ، عن الحسن بن ابراهيم عن يونس عن هشام بن الحكم في خبر طويل قال : «جاء (بريهة) جاثليق النصارى فقال لأبي الحسنعليه السلام: جعلت فداك إنَّى لكم التوراة والانجيل وكتب الأنبياء ؟ **قال هي عندنا وراثة من عندهم نقرؤها كما قرؤوها ، ونقولها كما قالوها ، إنَّ الله لا يجعل حُجَّة في أرضه يسأل عن شيء ؟ فيقول لا أدري ، الخبر»** [1] .

حدّثنا محمد بن علي ماجيلويهرضي الله عنه قال حدثني محمد بن يحيى العطار عن محمد بن احمد عن الحسن بن موسى الخشاب عن اسماعيل بن مهران وعلي بن أسباط فيما أعلم عن بعض رجالهما قال : «**قال أبو عبد اللهعليه السلام : إِنَّ من العلماء من يحب أنَّ يخزن علمه ولا يؤخذ عنه فذاك في الدرك الأوّل من النار ومن العلماء من**

---

(١) الامامة والتبصرة ص١٣٩ .

يطلب احاديث اليهود والنصارى ليغزر به ويكثر به حديثه فذاك في الدرس الخامس من النار»[١] .

قال موسى بن جعفرعليه السلام : «يابريهة كيف علمك بكتابك قال : إنَّا به عالم ، قال : كيف ثقتك بتأويله ؟ قال : ما أوثقني بعلمي فيه ، فابتدأ موسىعليه السلام بقراءة الإنجيل ، فقال بريهة : والمسيح لقد كان يقرؤها هكذا وما قرء هذه القراءة إلاَّ المسيحعليه السلام ، ثم قال بريهة : إياك كنت أطلب منذ خمسين سنة أو مثلك قال فآمن وحسن ايمانه وامنت المرأة وحسن ايمانها قال فدخل هشام وبريهة والمرأة على أبي عبد اللهعليه السلام وحكى هشام الحكاية والكلام الذي جرى بين موسىعليه السلام وبريهة فقال أبو عبد اللهعليه السلام ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم فقال بريهة جعلت فداك إنَّى لكم التوراة والانجيل وكتب الانبياء قال هي عندنا وراثة من عندهم نقرؤها كما قرءوها ونقولها كما قالوها إنَّ الله لا يجعل حُجَّة في أرضه يسأل عن شيء فيقول لا أدري»[٢] .

« ثم إِنَّ الرضاعليه السلام التفت إلى الجاثليق فقال (هل دل الانجيل على نبوّة محمدصلى الله عليه وآله ؟ قال : لو دل الانجيل على ذلك لما جحدناه .

فقالعليه السلام: اخبرني بالسكتة التي لكم في السفر الثالث فقال الجاثليق : اسم من أسماء الله تعالى لا يجوز لنا إِنَّ نظهره قال الرضاعليه السلام: فإِنَّ قررتك إِنَّه اسم محمدصلى الله عليه وآله وذكره وأقر عيسى به وإِنَّه بَشَّرَ بني اسرائيل بمحمد ، أتقرُّ به ولا تنكره ؟ قال الجاثليق : إِنَّ فعلت أقررت به ، فإِنَّي لا أردُّ الانجيل ولا أجحده .

---

(١) الخصال ج٢ ٣٥٣.

(٢) التوحيد للصدوق ص٢٥٧ ب٣٧ ح٦٥.

قال الرضاعليه السلام**: فخذ علي السفر الثالث الذي فيه ذكر محمد وبشارة عيسى بمحمد**، قال الجاثليق هات .

فأقبل الرضا يتلو ذلك السفر من الانجيل حتى بلغ ذكر محمد، **فقال يا جاثليق من هذا النبي الموصوف** ؟ قال الجاثليق صفه .

قال : لا أصفه إلاَّ بما وصفه الله تعالى، هو صاحب الناقة والعصا الكساء النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والأغلال التي كانت عليهم يهدي إلى الطريق الأفضل والمنهاج الأعدل والصراط الأقوم .

سألتك بالله ياجاثليق : بحق عيسى روح الله وكلمته، هل تجدون هذه الصفة في الانجيل لهذا النبي ؟ فأطرق الجاثليق مليا وعلم إنَّه إنْ جَحَد الانجيل كفر فقال : نعم هذه الصفة في الانجيل، وقد ذكر عيسى في الانجيل هذا النبي ولم يصح عند النصارى إنَّه صاحبكم .

فقال الرضاعليه السلام**: أمّا إذا لم تكفر بجحود الانجيل و أقررت بما فيه من صفة محمد، فخذ عليِّ في السفر الثاني فإنِّي اوجدك ذكره وذكر وصيّه وذكر ابنته فاطمة، وذكر الحسن والحسين** . فلما سمع الجاثليق ورأس الجالوت ذلك علما إنَّ الرضاعليه السلام عالم بالتوراة والانجيل فقالا : والله قد أتى بما لا يمكننا رده ولا دفعه إلاّ بجحود التوراة والانجيل والزبور، وقد بَشَر به موسى وعيسى جميعا ولكن لم يتقرر عندنا بالصحة إنَّه محمد هذا، فأمّا اسمه فمحمَّد فلا يجوز لنا إنَّ نقر لك بنبوته، ونحن شاكون إنَّه محمدكم أو غيره .

فقال الرضاعليه السلام: احتججتم بالشك فهل بعث الله قبل أو بعد من ولد آدم إلى يومنا هذا نبيا اسمه محمَّد ؟ أو تجدونه في شيء من الكتب الذي أنزلها الله على جميع الانبياء غير محمَّد ؟ فأحجموا عن جوابه ، وقالوا : لا يجوز لنا إنَّ نقر لك بأنَّ محمّدا هو محمّد كم لأنَّا إنَّ أقررنا لك بمحمّد ووصيّه وابنته وابنيها على ما ذكرتم أدخلتمونا في الاسلام كرها .

فقال الرضاعليه السلام: أنت يا جاثليق آمن في ذمة الله وذمة رسوله إنَّه لا ينالك منا شيء تكره مما تخافه وتحذره ، قال : أمّا إذ قد آمنتني فإنَّ هذا النبيَ الذي اسمه محمّد وهذا الوصي الذي اسمه علي وهذه البنت التي اسمها فاطمة ، وهذان السبطان اللذان اسمهما الحسن والحسين في التوراة والانجيل والزبور .

قال الرضاعليه السلام: فهذا الذي ذكرته في التوراة والانجيل والزبور من اسم هذا النبي وهذا الوصي وهذه البنت وهذين السبطين ، صدق وعدل أمّ كذب وزور ؟ قال : بل صدق وعدل ، وما قال الله إلاَّ الحق .

فلما أخذ الرضاعليه السلام إقرار الجاثليق بذلك قال لرأس الجالوت : فاسمع الآن يا رأس الجالوت السفر الأوّل من زبور داود ، قال : هات بارك الله عليك وعلى من ولدك ، **فقرأ الرضاعليه السلام السفر الأوّل من الزبور حتّى انتهى إلى ذكر محمّد وعلي وفاطمة والحسن والحسين فقال : سألتك يا رأس الجالوت بحق الله هذا في زبور داود ؟ ولك مني الامان والذمة والعهد ما قد أعطيت الجاثليق** ، فقال رأس الجالوت : نعم هذا بعينه ألفيته في الزبور بأسمائهم **قال الرضاعليه السلام: فبحق العشر الآيات التي أنَّزلها الله على موسى بن عمران في التوراة هل تجد صفة محمّد وعلي وفاطمة والحسن والحسين في التوراة منسوبين إلى العدل والفضل ؟** قال : نعم ، ومن جحدها كان كافر بربه وأنبيائه .

فقال له الرضا عليه السلام: **فخذ الآن في سفر كذا من التوراة فبهت رأس الجالوت متعجباً من تلاوته وبيانه، وفصاحته ولسانه حتّى إذا بلغ ذكر محمّد** قال رأس الجالوت: نعم، هذا أحمد وأليا وفطيم وشبر وشبير وتفسيره بالعربية محمّد وعلي وفاطمة والحسن والحسين، **فتلا الرضا** عليه السلام **السِفر إلى تمامه**، فقال رأس الجالوت لما فرغ من تلاوته: والله يا ابن محمّد لولا الرئاسة التي حصلت لي على جميع اليهود لآمنت بأحمد واتبعت أمرك فو الله الذي أنَزل التوراة على موسى والزبور على داود ما رأيت أقرأ للتوراة والانجيل والزبور منك، ولا رأيت أحسن بياناً تفسيرا وفصاحة لهذه الكتب منك.

فلمّا كان من الغد عاد إلى مجلسه ذلك، فأتوه بجارية روميّة فكلمها بالروميّة والجاثليق يسمع، وكان فهما بالروميّة، **فقال الرضا** عليه السلام **بالروميّة يا أمة الله: أيما أحبُّ إليك محمّد أمّ عيسى؟** فقالت: كان فيما مضى عيسى أحبُّ إلي حين لم أكن أعرف محمّدا فأمّا بعد أنَّ عرفت محمّدا فمحمّد الآن أحبُّ إلي من عيسى ومن كلِّ نبي فقال لها الجاثليق: فإذا كنت دخلت في دين محمّد فتبغضين عيسى؟ قالت: معاذ الله بل احبُّ عيسى واؤمن به ولكن محمّدا أحبُّ إلي.

فقال الرضا عليه السلام **للجاثليق: فسَّر للجماعة ما تكلمت به الجارية وما قلت أنَت لها وما أجابتك به**، ففسَّر لهم الجاثليق ذلك كلّه[1].

فقال لهم الرضا عليه السلام: **إنَّي أريد إنَّ أجعل لكم حظا من نفسي كما جعلت لأهل البصرة، وإنَّ الله قد أعلمني كلَّ كتاب أنَزله.**

ثم أقبل على جاثليق، وكان معروفا بالجدل والعلم والإنجيل **فقال: يا**

---

(١) الثاقب في المناقب ص١٩٢، والجرائح والخرائج ج١ ص٣٤٢.

جاثليق ، هل تعرف لعيسى صحيفة فيها خمسة أسماء يعلّقها في عنقه ، إذا كان بالمغرب ، فأراد المشرق فتحها ، فأقسم على الله باسم واحد من الخمسة أنْ تنطوي له الأرض ، فيصير من المغرب إلى المشرق ومن المشرق إلى المغرب في لحظة ؟

فقال الجاثليق : لا علم لي بها وأمّا الأسماء الخمسة فقد كانت معه [بلا شك و] يسأل الله بها ، أو بواحد منها فيعطيه الله جميع ما يسأله . قال : الله أكبر إذ لم تنكر الأسماء ! فأمّا الصحيفة فلا يضر أقررت بها أو أنكرت اشهدوا على قوله ثم قال : يا معاشر الناس أليس أنصف الناس من حاج خصمه بملته وبكتابه وبنبيه وشريعته ؟ قالوا : نعم . قال الرضا عليه السلام: فاعلموا إِنَّه ليس بإمام بعد محمّد إلاَّ من قام بما قام به محمّد حين يفضى الامر إليه ، ولا تصلح الإمامة إلاَّ لمن حاج الأمم بالبراهين للإمامة . فقال رأس الجالوت : وما هذا الدليل على الامام ؟ قال : إِنَّ يكون عالما بالتوراة والإنجيل والزبور والقرآن الحكيم ، فيحاج أهل التوراة بتوراتهم ، وأهل الإنجيل بإنجيلهم ، وأهل القرآن بقرآنهم ، وإِنَّ يكون عالما بجميع اللغات حتّى لا يخفى عليه لسان واحد ، فيحاج كل قوم بلغتهم ثم يكون مع هذه الخصال تقيا نقيا من كلِّ دنس ، طاهر من كل عيب ، عادلا ، منصفا ، حكيما ، رؤوفا ، رحيما ، حليما ، غفورا ، عطوفا ، صدوقا ، بارا ، مشفقا ، أمينا ، مأمونا ، راتقا ، فاتقا . فقام إليه نصر بن مزاحم فقال : يا ابن رسول الله ما تقول في جعفر بن محمد»[1] .

٢ ـ حدّثنا العباس بن معروف عن حماد بن عيسى عن ربعي عن محمد بن مسلم عن «أبي جعفر عليه السلام في قول الله تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا

(١) الخرائج والجرائح، ج١ ص٣٥٠.

أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ﴾ قال الولاية»[(١)] .

محمد بن اسماعيل عن الفضل بن شاذان عن حمّاد بن عيسى عن ربعي بن عبد الله عن «**أبي جعفر**عليه السلام **في قول الله عزّ وجلّ ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ﴾ قال الولاية»**[(٢)] .

حدّثنا محمد بن الحسين عن صفوان بن يحيى واحمد بن محمد عن الحسين بن سعيد عن صفوان عن ابن مسكان عن حجر بن زايدة عن حمران «**عن أبي جعفر** عليه السلام **في قول الله تعالى ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ قال هي ولاية أمير المؤمنين**عليه السلام»[(٣)] .

حدّثنا احمد بن محمد عن الحسن بن علي النعمان عن محمد بن مروان عن الفضيل بن يسار «**عن أبي جعفر**عليه السلام **في قول الله ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ قال هي الولاية»**[(٤)] .

عن حمران بن أعين «**عن أبي جعفر**عليه السلام **في قول الله تعالى ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ قال هي ولاية أمير المؤمنين**عليه السلام»[(٥)] .

---

(١) بصائر الدرجات، ج١ ص٧٧، باب نوادر في الولاية صحيح محمد بن مسلم ورواه في تفسير العياشي ج١ ص٣٣٠ في ذيل الآية.

(٢) الكافي ج١ ص٤١٣.

(٣) بصائر الدرجات ج١ ص٧٤ باب ما خص الله الأئمة من ال محمد ح٨.

(٤) المصدر السابق ص٥١٥.

(٥) تفسير العياشي ج١ ص٣٣٤ ذيل الآية.

وعنه عن الحسين بن سعيد عن علي بن النعمان عن محمد بن مروان عن الفضيل بن يسار، «**عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ قال هي ولايتنا**»[1].

عن مسعدة بن صدقة قال: «**قال أبو عبد الله عليه السلام إنَّ الله جعل ولايتنا اهل البيت قطب القرآن، وقطب جميع الكتب عليها يستدير محكم القران وبها نوَّهَت الكتب ويستبين الايمان وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وآله إنَّ يقتدى بالقرآن وآل محمّد وذلك حيث قال في آخر خطبة خطبها: أنّي تارك فيكم الثقلين الثقل الأكبر والثقل الأصغر، فأمّا الأكبر فكتاب ربّي وأمّا الأصغر فعترتي أهل بيتي فاحفظوني فيهما فلن تضلُّوا ما تمسكتم بهما**»[2].

وفي كتاب فضل الشيعة عن أبيه عن سعد عن احمد بن محمد عن الحسن بن علي بن فضال عن محمد بن الفضل عن ابي حمزة قال سمعت «**أبا عبد الله عليه السلام يقول إذا قام المؤمن في الصلاة بعث الله الحور العين حتى يحدقن به فإذا انصرف ولم يسأل الله منهن شيئاً انصرفن متعجبات**».

ورواه ابن فهد في عدَّة الدّاعي عن ابي حمزة «**عن أبي جعفر عليه السلام مثله عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام قال سألته عن قول الله تبارك وتعالى ﴿الم * اللهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ * نَزَّلَ عَلَيْكَ الكِتابَ بِالحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْراةَ وَالإِنْجِيلَ * مِنْ قَبْلُ هُدىً لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الفُرْقانَ﴾ قال الفرقان هو كلُّ**

(١) بصائر الدرجات ص٢٠٣.

(٢) تفسير العياشي ج١ ص٥.

امر محكم والكتاب هو جملة القرآن الذي يصدِّقه من كان قبله من الأنبياء»[١] .

٣ ـ عدَّة من أصحابنا عن أحمد بن محمد البرقي رفعه، «قال سأل الجاثليق[٢] أمير المؤمنين عليه السلام فقال أخبرني عن الله عَزَّ وجَلَّ يحمل العرش أمّ العرش يحمله؟ فقال امير المؤمنين عليه السلام: **الله عَزَّ وجَلَّ حامل العرش والسماوات والأرض وما فيهما ومابينهما وذلك قول الله عَزَّ وجَلَّ ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَن تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾** قال: فاخبرني عن **قوله: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾** فكيف قال ذلك؟ وقلت إنَّه يحمل العرش والسموات والأرض؟ **فقال أمير المؤمنين عليه السلام إنَّ العرش خلقه الله تعالى من أنوار أربعة نور احمر، منه أحمرّت الحمرة، ونور اخضر منه أخضرّت الخضرة، ونور اصفرٌ منه اصفرّت الصفرة، ونور ابيض منه (أبيّض) البياض وهو العلم الذي حمّله الله الحملة وذلك نور من عظمته فبعظمته ونوره بصَّر قلوب المؤمنين، وبعظمته ونوره عاداه الجاهلون، وبعظمته ونوره ابتغى من في السموات والأرض من جميع خلائقه اليه الوسيلة، بالأعمال المختلفة والأديان المشتبهة، فكلُّ محمول يحمله الله بنور عظمته وقدرته لا يستطيع لنفسه ضرَّاً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً فكلُّ شيء محمول، والله تبارك وتعالى الممسك لهما إنْ تزولا والمحيط بهما من شيء وهو حياة كلُّ شيء ونور كلُّ شيء سبحانه وتعالى عمَّا يقولون علّواً كبيراً .**

قال له: فأخبرني عن الله عَزَّ وجَلَّ أين هو؟ **فقال امير المؤمنين عليه السلام هو**

---

(١) تفسير القمي بداية سورة آل عمران.

(٢) ورد في محيط المحيط للبستاني مادة جثل (الجثليق والجاثليق رئيس الأساقفة عند الكلدانيين يكون تحت يد بطريق انطاكية معرَب: كاثوليكوس باليونانية جمع جثالقة.

هاهنا وهاهنا وفوق وتحت ومحيط بنا ومعنا وهو قوله ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ فالكرسيّ محيط بالسموات والأرض وما بينهما وما تحت الثرى ، وإنَّ تجهر بالقول فإنَّه يعلم السرَّ وأخفى وذلك قوله تعالى ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ فالذين يحملون العرش هم العلماء الذين حَمَّلَهم الله علمه ، وليس يخرج عن هذه الأربعة شيء خلق خلق الله في ملكوته الذي أراه الله أصفياءه وأراه خليله عليه السلام فقال ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ وكيف يحمل حملة العرش الله وبحياته حييت قلوبهم وبنوره اهتدوا الى معرفته»[١] .

٤ ـ أبي رحمه الله قال : ـ حدّثنا أحمد بن ادريس ومحمد بن يحيى العطار عن محمد بن احمد عن ابراهيم بن هاشم عن محمد بن حماد ، عن الحسن بن ابراهيم ، عن يونس بن عبد الرحمن عن هشام بن الحكم عن جاثليق من جثالقة النصارى يقال له بريهة[٢] قد مكث جاثليق النصرانيّة[٣] سبعين سنة كان يطلب الاسلام ويطلب من يحتّج عليه . . . إلى قوله : قال تَمَنَّى أكثر أصحابه أنْ يكونوا مثله[٤] .

٥ ـ حدّثنا محمد بن ابراهيم بن اسحاق الفارسي ابو الحسين قال حدّثنا أبو

---

(١) اصول الكافي للكليني ج١ ب٤٢ العرش والكرسي ح١ ص١٧٩.

(٢) الجاثليق صاحب مرتبة من المراتب الدينية النصرانية، وبعدها مراتب اسماؤها: مطران، وأسقف، قسيس، شماس، وقيل الجاثليق مرتبة اسم صاحبها بطريق والكلمات سريانية.

(٣) جاثليق النصرانية بالنصب حال من فاعل مكث أي مكث بريهة سبعين سنة حال كونه صاحب هذه المرتبة في النصرانية.

(٤) التوحيد للشيخ الصدوق ص٢٦٤ طبع مؤسسة النشر الاسلامي ب٣٧ ح١ باب الرد على الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة وما من اله الا الله واحدٌ.

سعيد أحمد بن محمد النسوي ، قال : حدّثنا أبو نصر احمد بن محمد بن عبد الله الصفدي بمرو ، قال : حدّثنا يعقوب بن الحكم العسكري وأخوه معاذ بن يعقوب قالا : حدّثنا محمّد بن سنان الحنظلي ، قال حدّثنا عبد الله بن عاصم ، قال حدّثنا عبد الرحمن بن قيس ، عن أبي هاشم الرماني عن زاذان ، عن سلمان الفارسي رحمه الله في حديث طويل يذكر فيه قدوم الجاثليق المدينة مع مائة من النصارى بعد وفاة النبيّ صلى الله عليه وآله وسؤاله ابي بكر عن مسائل لم يجبه عنها ، ثمَّ أرشد إلى أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام فسأله عنها فأجابه ، فكان فيما سأله إنَّ قال له : أخبرني عن وجه الربِّ تبارك وتعالى ، **فدعا علي عليه السلام بنار وحطب فأضرمه ، فلما اشتعلت قال عليٌّ عليه السلام أين وجه هذه النار** ؟ قال النصراني هي وجه من جميع صدورها **قال عليٌّ عليه السلام هذه النار مدَبَّرة مصنوعة لا يعرف وجهها وخالقها لايشبهها ولله المشرق والمغرب فأينما توَّلَوا فَثَمَّ وجه الله ، لا يخفى على ربّنا خافيّة**[1] .

٦ ـ حدّثنا ابو الحسين محمد بن ابراهيم بن اسحاق الفارسي قال حدثنا احمد بن محمد ابو سعيد النسوي ، قال حدّثنا أبو نصر احمد بن محمّد بن عبد الله الصفدي . . . عن ابي هاشم الرُمانيّ عن زاذان ، عن سلمان الفارسيّ في حديث طويل يذكر فيه قدوم الجاثليق المدينة مع مائة من النصارى وما سأل عنه أبا بكر فلم يجبه ثم أرشد إلى أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام فسأله عن مسائل فأجاب عنها ، وكان فيما سأله ان قال له اخبرني عرفت الله بمحمد أم عرفت محمداً بالله عز وجل ؟ **فقال علي بن أبي طالب عليه السلام ما عرفت الله بمحمد ولكن**

---

(١) التوحيد للصدوق باب٢٨ نفي المكان والزمان والسكون والحركة والنزول والصعود والانتقال عن الله عز وجل ح١٦ ص١٧٧ .

عرفت محمداً بالله عَزَّ وجَلَّ حين خلقه وأحدث في الحدوث من طول وعرض، فعرفت أنّه مدَبَّر مصنوع باستدلال والهام منه وارادة كما ألهم الملائكة طاعته وعرَّفهم نفسه بلا شِبه ولا كيف[١].

٧ ـ حدّثنا ابو الحسين محمد بن ابراهيم بن اسحاق الفارسيّ، قال حدّثنا احمد بن محمد ابو سعيد النسوي عن سلمان الفارسيّ[٢] ثُمَّ أرشد إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فسأله عنها فأجابه وكأنَّ فيما سأله أَنْ قال له : ـ أخبرني عن الرَبِّ أين هو وأين كان ؟ **فقال عليٌّ ؟ لا يوصف الرَبِّ جل جلاله بمكان، هو كما كان وكان كما هو، لم يكن في مكان ولم يزل من مكان إلى مكان، ولا أحاط به مكان، بل كان لم يزل بلا حدٍّ ولا كيف**، قال صدقت، فأخبرني عن الرَبِّ أفي الدنيا هو أو في الآخرة ؟ **قال عليٌّ عليه السلام لم يزل ربُّنا قبل الدنيا ولايزال أبداً هو مدَبِّر الدنيا وعالم بالآخرة فأمّا أَنْ يحيط به الدنيا والآخرة فلا، ولكن يعلم ما في الدنيا والآخرة** قال صدقت يرحمك الله، ثمَّ قال أخبرني عن ربِّك أيَحمِل أو يُحمَل ؟ **فقال علي عليه السلام إن ربَّنا جل جلاله يَحمِل ولا يُحمَل**، قال النصراني فكيف ذاك ؟ ونحن نجد في الانجيل (ويحمل عرش رَبِّك فوقهم يومئذ ثمانية) **فقال علي عليه السلام إِنَّ الملائكة تحمل العرش وليس العرش كما تظن كهيئة السرير، ولكنه شيء محدود ومخلوق مدَبَّر، وربَّك عَزَّ وجَلَّ مالكه، لا إِنَّه عليه ككون الشيء عن الشيء، وأمر الملائكة بحمله، فهم يحملون العرش بما أقدرهم عليه**، قال النصراني : صدقت رحمك الله[٣].

---

(١) المصدر السابق ب٤١ انه عز وجل لايفرق الاية ح٤ ص٢٧٩.

(٢) نفس السند السابق وقدوم الجاثليق مع مائة من النصارى.

(٣) التوحيد للصدوق ب٤٨ معنى قول الله عز وجل (الرحمن على العرش استوى) ح٣ ص٣٠٨.

٨ ـ حدّثنا أبو محمد جعفر بن علي بن احمد الفقيه رضي الله عنه قال أخبرنا ابو محمد الحسن بن محمد بن علي بن صدقة القمي قال حدَّثني ابو عمرو محمد بن عمر بن عبد العزيز الأنصاري الكجي ، قال حدَّثني مَنْ سمع الحسن بن محمد النوفلي يقول : قدم سليمان المروزي متكلِّم خراسان على المأمون فأكرمه ووصله ثُمَّ قال له : إنَّ ابن عمِّي علي بن موسى قدم عَلَيّ من الحجاز وهو يحب الكلام وأصحابه ، فلا عليك أنْ تصير الينا يوم التروية لمناظرته ، فقال سليمان : يا أمير المؤمنين إنِّي أكره إنَّ أسال مثله في مجلسك في جماعة من بني هاشم فينتقص عند القوم إذا كلَّمني ولا يجوز الاستقصاء عليه

قال المأمون : إنَّما وجهت إليك لمعرفتي بقوَّتك وليس مرادي إلاَّ أنْ تقطعه عن حُجَّة واحدة فقط : فقال سليمان : حسبك يا أمير المؤمنين . اجمع بيني وبينه و خلِّني وإيّاه وألزم فوجه المأمون إلى الرضا عليه السلام فقال : إنَّه قدم علينا رجل من أهل مرو وهو واحد خراسان من أصحاب الكلام ، فإنْ خفَّ عليك إنَّ تتجشم المصير إلينا فعلت ، فنهض عليه السلام للوضوء وقال لنا : تقدّموني وعمران الصابئ معنا فصرنا إلى الباب فأخذ ياسر وخالد بيدي فأدخلاني على المأمون ، فلّما سلمت قال : أين أخي أبو الحسن أبقاه الله ، قلت : خلفته يلبس ثيابه وأمرنا أنْ نتقدَّم ، ثُمَّ قلت : يا أمير المؤمنين إنَّ عمران مولاك معي وهو بالباب ، فقال : من عمران ؟ قلت : الصابئ الذي أسلم على يديك قال : فليدخل فدخل فرحَّب به المأمون ، ثُمَّ قال له : يا عمران لم تمت حتّى صرت من بني هاشم ، قال : الحمد لله الذي شرَّفني بكم يا أمير المؤمنين ، فقال له المأمون : يا عمران هذا سليمان المروزي متكلِّم خراسان ، قال عمران : يا أمير المؤمنين إنَّه يزعم إنَّه

واحد خراسان في النظر وينكر البداء ، قال : فلم لا تناظره ؟ قال عمران : ذلك إليه ، **فدخل الرضا**عليه السلام **فقال : في أي شيء كنتم ؟** قال عمران : يا ابن رسول الله هذا سليمان المروزي ، فقال سليمان : أترضى بأبي الحسن وبقوله فيه؟ قال عمران : قد رضيت بقول أبي الحسن في البداء على أنْ يأتيني فيه بحجّة أحتّج بها على نظرائي من أهل النظر . قال المأمون : يا أبا الحسن ما تقول فيما تشاجرا فيه ؟ **قال : وما أنكرت من البداء يا سليمان ، والله عز وجل يقول : ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾[1] ويقول عَزَّ وجَلَّ : ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾[2] ويقول : ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[3] ويقول عَزَّ وجَلَّ : ﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾[4] ويقول : ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ﴾[5] ويقول عَزَّ وجَلَّ : ﴿وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾[6] ويقول عَزَّ وجَلَّ : ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾[7]** قال سليمان : هل رويت فيه شيئا عن آبائك ؟ قال : نعم ، رويت **عن أبي عبد الله**عليه السلام **أنَّه قال : «إنَّ لله عَزَّ وجَلَّ علمَين : علما مخزونا مكنونا لا يعلمه إلاَّ هو ، من ذلك يكون البداء ، وعلما علَّمه ملائكته ورسله ، فالعلماء من أهل بيت نبيه يعلمونه»** [8] قال سليمان : أحب أنْ تنزعه لي من كناب الله عَزَّ وجَلَّ ، قالعليه السلام : **قول الله عَزَّ**

---

(١) مريم/ ٦٧.
(٢) الروم/ ٢٧.
(٣) البقرة/ ١١٧ والانعام/ ١٠١.
(٤) فاطر/ ١.
(٥) السجدة/ ٧.
(٦) التوبة/ ١٠٦.
(٧) فاطر/ ١١.
(٨) البحار، فالعلماء من أهل بيت نبيك يعلمونه.

وجَلَّ لنبيهﷺ: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنتَ بِمَلُومٍ﴾[١] أراد هلاكهم ثُمَّ بدا لله فقال: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٢] قال سليمان: زدني جعلت فداك، قال الرضاعليه السلام: لقد أخبرني أبي عن آبائه أنَّ رسول اللهﷺ قال: إن الله عَزَّ وجَلَّ أوحى إلى نبي من أنبيائه: أنْ أخبر فلاناً الملك أنّي متوَّفيه إلى كذا وكذا، فأتاه ذلك النبي فأخبره، فدعا الله الملك وهو على سريره حتّى سقط من السرير، فقال: يا رب أجلْني حتّى يشبَّ طفلي وأقضي أمري، فأوحى الله عَزَّ وجَلَّ إلى ذلك النبي أنْ ائت فلاناً الملك فأعلمه إِنِّي قد أَنْسيت أي زدتُ في أجله وزدت في عمره خمس عشرة سنة، فقال ذلك النبي: يا رب إنَّك لتعلم إِنِّي لم أكذب قط، فأوحى الله عَزَّ وجَلَّ إليه: إنَّما أنت عبد مأمور فأبلغه ذلك، والله لا يسأل عمَّا يفعل ثُمَّ التفت إلى سليمان فقال: أحسبك ضاهيت اليهود في هذا الباب، قال: أعوذ بالله من ذلك، وما قالت اليهود؟ قال: قالت: (يد الله مغلولة) يعنون أنَّ الله قد فرغ من الأمر فليس يحدث شيئا، فقال الله عَزَّ وجَلَّ: ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا﴾[٣] ولقد سمعت قوما سألوا أبي موسى بن جعفرعليه السلام، عن البداء فقال: وما ينكر الناس من البداء وأنْ يقف الله قوما يُرَّجيهم لأمره؟ قال سليمان: ألآ تخبرني عن ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ في أي شيء أنزلت؟ قال الرضاعليه السلام: يا سليمان ليلة القدر يُقَدِّرُ الله عَزَّ وجَلَّ فيها ما يكون من السَنَّة إلى السَنَّة من حياة أو موت أو خير أو شرٍّ أو رزق، فما قدَّره من تلك الليلة فهو من المحتوم، قال سليمان: ألآن قد فهمت جعلت فداك فزدني، قالعليه السلام: يا سليمان إنَّ من الأمور

(١) الذاريات/ ٥٤.

(٢) الذاريات/ ٥٥.

(٣) المائدة/ ٦٤.

أمورا موقوفة عند الله تبارك وتعالى يُقَدِّم منها ما يشاء ويؤَخِّر ما يشاء ، يا سليمان إنَّ علياعليه السلام كان يقول : العلم علمان : فعلم علَّمه الله وملائكته ورسله ، فما علَّمه ملائكته ورسله فإنَّه يكون ولا يكذِّبُ نفسه ولا ملائكته ولا رسله ، وعلم عنده مخزون لم يطلع عليه أحدا من خلقه يُقَدِّم منه ما يشاء ويؤَخِّر منه ما يشاء ، ويمحو ما يشاء ويثبت ما يشاء ، قال سليمان للمأمون : يا أمير المؤمنين لا أنكر بعد يومي هذا لبداء ولا أُكذِّب به إنْ شاء الله .

فقال المأمون : يا سليمان سل أبا الحسن عمَّا بدا لك وعليك بحسن الاستماع والإنصاف ، قال سليمان : يا سيديّ أسألك ؟ **قال الرضاعليه السلام: سل عمَّا بدا لك** قال : ما تقول فيمن جعل الإرادة اسما وصفة مثل حي وسميع وبصير وقدير ؟ **قال الرضاعليه السلام: إنَّما قلتم حدثت الأشياء واختلفت لأنَّه شاء وأراد ، ولم تقولوا حدثت واختلفت لأنَّه سميع بصير ، فهذا دليل على أنَّها ليست بمثل سميع بصير ولا قدير** ، قال سليمان : فإنَّه لم يزل مريدا ، **قال : يا سليمان فإرادته غيره ؟** قال : نعم ، **قال : فقد أثبت معه شيئا غيره لم يزل** ، قال سليمان : ما أثبت ، **قال الرضاعليه السلام: أهي محدثة ؟** قال سليمان : لا ما هي محدثة ، فصاح به المأمون وقال : يا سليمان مثله يعايا أو يكابر ، عليك بالإنصاف أمّا ترى من حولك من أهل النظر ، ثم قال : كلِّمْه يا أبا الحسن فإنَّه متكلِّم خراسان ، فأعاد عليه المسألة **فقال : هي محدثة يا سليمان فإنَّ الشيء إذا لم يكن أزليّاً كان محدثا وإذا لم يكن محدثا كان أزليّاً** ، قال سليمان : إرادته منه كما أَنَّ سمعه منه وبصره منه وعلمه منه ، **قال الرضاعليه السلام: فإرادته نفسه ؟ !** قال : لا ، **قالعليه السلام: فليس المريد مثل السميع والبصير** ، قال سليمان : إنَّما أراد نفسه كما سمع نفسه وأبصر نفسه وعلم نفسه ،

قال الرضاعليه السلام: **ما معنى أراد نفسه أراد أنْ يكون شيئا أو أراد أنْ يكون حيّاً أو سميعا أو بصيرا أو قديرا ؟ !** قال : نعم ، **قال الرضا**عليه السلام: **أفبإرادته كان ذلك ؟ !** قال سليمان : لا ، **قال الرضا**عليه السلام: **فليس لقولك : أراد أنْ يكون حيّاً سميعا بصيرا معنى إذا لم يكن ذلك بإرادته** ، قال سليمان : بلى قد كان ذلك بإرادته ، فضحك المأمون ومن حوله وضحك الرضا عليه السلام ، ثُمَّ قال لهم : ارفقوا بمتكلم خراسان يا سليمان فقد حال عندكم عن حالة وتغيَّر عنها وهذا مما لا يوصف الله عَزَّ وجَلَّ به ، فانقطع .

ثُمَّ **قال الرضا**عليه السلام: **يا سليمان أسألك مسألة** ، قال : سل جعلت فداك **قال : أخبرني عنك وعن أصحابك تكلمون الناس بما يفقهون ويعرفون أو بما لا يفقهون ولا يعرفون ؟ !** قال : بل بما يفقهون ويعرفون **قال الرضا**عليه السلام: **فالذي يعلم الناس أَنَّ المريد غير الإرادة وأَنَّ المريد قبل الإرادة وأَنَّ الفاعل قبل المفعول وهذا يبطل قولكم : إِنَّ الإرادة والمريد شيء واحد** ، قال : جعلت فداك ليس ذاك منه على ما يعرف الناس ولا على ما يفقهون ، **قال**عليه السلام: **فأراكم ادّعيتم علم ذلك بلا معرفة ، وقلتم : الإرادة كالسمع والبصر إذا كان ذلك عندكم على ما لا يعرف ولا يعقل** ، فلم يحر جوابا .

ثم **قال الرضا**عليه السلام: **يا سليمان هل يعلم الله عَزَّ وجَلَّ جميع ما في الجنة والنار ؟ !** قال سليمان : نعم ، **قال : أفيكون ما علم الله عَزَّ وجَلَّ أَنَّه يكون من ذلك ؟ !** قال : نعم ، **قال : فإذا كان حتّى لا يبقى منه شيء إلاَّ كان أيزيدهم أو يطويه عنهم ؟ !** قال سليمان : بل يزيدهم ، **قال : فأراه في قولك : قد زادهم ما لم يكن في علمه أَنَّه يكون** قال : جعلت فداك والمزيد لا غاية له **قال**عليه السلام : **فليس**

يحيط علمه عندكم بما يكون فيهما إذا لم يعرف غاية ذلك ، وإذا لم يحط علمه بما يكون فيهما لم يعلم ما يكون فيهما قبل أنْ يكون ، تعالى الله عن ذلك علّوا كبيرا ، قال سليمان : إنَّما قلت : لا يعلمه لأنَّه لا غاية لهذا لأنَّ الله عَزَّ وجَلَّ وصفهما بالخلود وكرهنا أن نجعل لهما انقطاعا ، **قال الرضا**عليه السلام**: ليس علمه بذلك بموجب لانقطاعه عنهم لأنَّه قد يعلم ذلك ثُمَّ يزيدهم ثُمَّ لا يقطعه عنهم ، وكذلك قال الله عَزَ وجَلَّ في كتابه﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ وقال عَزَّ وجَلَّ لأهل الجنة : ﴿عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ وقال عَزَّ وجَلَّ : ﴿وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ لا مَقْطُوعَةٍ وَلا مَمْنُوعَةٍ﴾ فهو عَزَّ وجَلَّ يعلم ذلك ولا يقطع عنهم الزيادة ، أرأيت ما أكل أهل الجنة وما شربوا أليس يخلف مكانه ؟ !** قال بلى ، **قال : أفيكون يقطع ذلك عنهم وقد أخلف مكانه ؟ !** قال سليمان : لا ، **قال : فكذلك كل ما يكون فيها إذا أخلف مكانه فليس بمقطوع عنهم ،** قال سليمان بل يقطعه عنهم فلا يزيدهم **قال الرضا**عليه السلام**: إذا يبيد ما فيهما ، وهذا يا سليمان إبطال الخلود وخلاف الكتاب لأنَّ الله عَزَّ وجَلَّ يقول : ﴿لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ ويقول عَزَّ وجَلَّ : ﴿عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ ويقول عَزَّ وجَلَّ : ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ ويقول عَزَّ وجَلَّ : ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ ويقول عَزَّ وجَلَّ : ﴿وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾** فلم يحر جوابا .

ثُمَّ قال الرضاعليه السلام**: يا سليمان ألاَ تخبرني عن الإرادة فعل هي أم غير فعل ؟** قال : بل هي فعل ، **قال : فهي محدثة لأنَّ الفعل كُلَّه محدث ،** قال : ليست بفعل ، **قال : فمعه غيره لم يزل ،** قال سليمان : الإرادة هي الانشاء ، **قال : يا سليمان هذا الذي ادّعيتموه على ضرار وأصحابه من قولهم : إنَّ كُلَّ ما خلق الله عَزَّ وجَلَّ في**

سماء أو أرض أو بحر أو بر من كلب أو خنزير أو قرد أو إنسان أو دابّة إرادة الله عَزَّ وجَلَّ وإِنَّ إرادة الله عَزَّ وجَلَّ تحيي وتموت وتذهب وتأكل وتشرب وتنكح وتلد وتظلم وتفعل الفواحش وتكفر ، وتشرك ، فتبراء منها وتعاديها وهذا حدُّها قال سليمان : إنّها كالسمع والبصر والعلم ، **قال الرضا**عليه السلام**: قد رجعت إلى هذا ثانيّة ، فأخبرني عن السمع والبصر والعلم أمصنوع ؟** قال سليمان : لا ، **قال الرضا**عليه السلام**: فكيف نفيتموه فمرَّة قلتم لم يرد ومرَّة قلتم أراد ، وليست بمفعول له ؟ !** قال سليمان : إنّما ذلك كقولنا مرَّة علم ومرَّة لم يعلم **قال الرضا**عليه السلام**: ليس ذلك سواء لأنَّ نفي المعلوم ليس بنفي العلم ، ونفي المراد نفي الإرادة أنْ تكون ، لأنَّ الشيء إذا لم يكن إرادة وقد يكون العلم ثابتا وإنْ لم يكن المعلوم ، بمنزلة البصر فقد يكون الإنسان بصيرا وإنْ لم يكن المبصر ، ويكون العلم ثابتا وإنْ لم يكن المعلوم .** قال سليمان : إنّها مصنوعة ، **قال**عليه السلام**: فهي محدثة ليست كالسمع والبصر لأنَّ السمع والبصر ليسا بمصنوعين وهذه مصنوعة ،** قال سليمان : إنّها صفة من صفاته لم تزل ، **قال : فينبغي أنْ يكون الإنسان لم يزل لأنَّ صفته لم تزل ،** قال سليمان : لا لأنّه لم يفعلها ، **قال الرضا**عليه السلام**: يا خراساني ما أكثر غلطك ، أفليس بإرادته وقوله تكون الأشياء ؟ !** قال سليمان : لا ، **قال : فإذا لم يكن بإرادته ولا مشيّته ولا أمره ولا المباشرة فكيف يكون ذلك ؟ ! تعالى الله عن ذلك ، فلم** يحر جوابا . ثم **قال الرضا**عليه السلام**: ألآ تخبرني عن قول الله عَزَّ وجَلَّ : ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا﴾ يعني بذلك أنّه يحدث إرادة ؟ !** قال له : نعم ، **قال : فإذا أحدث إرادة كان قولك إنَّ الإرادة هي هو أم شيء منه باطلا لأنّه لا يكون أن يحدث نفسه ولا يتغيَّر عن حاله ، تعالى الله عن ذلك ،** قال سليمان :

إنَّه لم يكن عني بذلك أنَّه يحدث إرادة ، **قال : فما عني به ؟** قال : عني فعل الشيء **قال الرضا**عليه السلام**: ويلك كم تردد هذه المسألة ، وقد أخبرتك أنَّ الإرادة محدثة لأنَّ فعل الشيء محدث** ، قال : فليس لها معنى ، **قال الرضا**عليه السلام**: قد وصف نفسه عندكم حتّى وصفها بالإرادة بما لا معنى له ، فإذا لم يكن لها معنى قديم ولا حديث بطل قولكم : إنَّ الله لم يزل مريدا** . قال سليمان : إنَّما عنيت أنَّها فعل من الله لم يزل ، **قال : ألا تعلم أنَّ ما لم يزل لا يكون مفعولا وحديثا وقديما في حالة واحدة ؟** فلم يحر جوابا .

قال الرضاعليه السلام**: لا بأس ، أتمم مسألتك** ، قال سليمان : قلت : إنَّ الإرادة صفة من صفاته ، **قال الرضا**عليه السلام**: كم تردد عليَّ أنَّها صفة من صفاته ، وصفته محدثة أو لم تزل ؟ !** قال سليمان : محدثة ، **قال الرضا**عليه السلام**: الله أكبر فالإرادة محدثة وإنْ كانت صفة من صفاته لم تزل** ، فلم يرد شيئا . **قال الرضا**عليه السلام**: إنَّ ما لم يزل لا يكون مفعولا** ، قال سليمان : ليس الأشياء إرادة ولم يرد شيئا . **قال الرضا**عليه السلام**: وسوست يا سليمان فقد فعل وخلق ما لم يرد خلقه ولا فعله ، وهذه صفة مَنْ لا يدري ما فعل ، تعالى الله عن ذلك** . قال سليمان : يا سيديّ قد أخبرتك أنَّها كالسمع والبصر والعلم ، قال المأمون : ويلك يا سليمان كم هذا الغلط والتردد اقطع هذا وخذ في غيره إذ لست تقوى على هذا الرد ، **قال الرضا**عليه السلام**: دعه يا أمير المؤمنين ، لا تقطع عليه مسألته فيجعلها حُجّة** ، تكلَّم يا سليمان ، قال : قد أخبرتك أنَّها كالسمع والبصر والعلم ، **قال الرضا**عليه السلام**: لا بأس ، أخبرني عن معنى هذه أمعنى واحد أم معان مختلفة ؟ !** قال سليمان : بل معنى واحد ، **قال الرضا**عليه السلام**: فمعنى الإرادات كلها معنى واحد ؟** قال سليمان : نعم ،

قال الرضا عليه السلام: فإنْ كان معناها معنى واحدا كانت إرادة القيام وإرادة العقود وإرادة الحياة وإرادة الموت إذا كانت إرادته واحدة لم يتقدّم بعضها بعضا ولم يخالف بعضها بعضا، وكان شيئا واحدا قال سليمان: إنَّ معناها مختلف، **قال عليه السلام: فأخبرني عن المريد أهو الإرادة أو غيرها؟!** قال سليمان: بل هو الإرادة، **قال الرضا عليه السلام فالمريد عندكم يختلف إنْ كان هو الإرادة؟** قال: يا سيدي ليس الإرادة المريد، **قال عليه السلام: فالإرادة محدثة، وإلاَّ فمعه غيره. افهم وزد في مسألتك.** قال سليمان: فإنَّها اسم من أسمائه، **قال الرضا عليه السلام: هل سَمَّى نفسه بذلك؟** قال سليمان: لا، لم يُسَّم نفسه بذلك، **قال الرضا عليه السلام: فليس لك أنْ تسّميه بما لم يُسَّم به نفسه**، قال: قد وصف نفسه بأَنَّه مريد، **قال الرضا عليه السلام: ليس صفته نفسه أَنَّه مريد إخبار عن أَنَّه إرادة ولا إخبارا عن أنَّ الإرادة اسم مِنْ أسمائه**، قال: سليمان: لأنَّ إرادته علمه، **قال الرضا عليه السلام: يا جاهل فإذا علم الشيء فقد أراده؟** قال سليمان: أجل، **قال عليه السلام: فإذا لم يرده لم يعلمه**، قال سليمان: أجل، **قال عليه السلام: من أين قلت ذاك، وما الدليل على أنَّ إرادته علمه. وقد يعلم ما لا يريده أبدا، وذلك قوله عَزَّ وجَلَّ: ﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ فهو يعلم كيف يذهب به وهو لا يذهب به أبدا**، قال سليمان: لأَنَّه قد فرغ من الأمر فليس يزيد فيه شيئا **قال الرضا عليه السلام: هذا قول اليهود، فكيف قال عَزَّ وجَلَّ: ادعوني أستجب لكم** قال سليمان: إنَّما عني بذلك أَنَّه قادر عليه، **قال عليه السلام: أفيعد ما لا يفي به؟! فكيف قال عَزَّ وجَلَّ: ﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾ وقال عَزَّ وجَلَّ: ﴿يَمْحُو اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ وقد فرغ من الأمر**، فلم يحر جوابا.

قال الرضا عليه السلام: **يا سليمان هل يعلم أنَّ إنسانا يكون ولا يريد أنْ يخلق إنسانا أبدا، وأنَّ إنسانا يموت اليوم ولا يريد أنْ يموت اليوم؟** قال سليمان: نعم قال الرضا عليه السلام: **فيعلم أنَّه يكون ما يريد أنْ يكون أو يعلم أنَّه يكون ما لا يريد أنْ يكون؟!** قال: يعلم أنَّهما يكونان جميعا، قال الرضا عليه السلام: **إذن يعلم أنَّ إنسانا حيٌّ ميِّت، قائم قاعد، أعمى بصير في حال واحدة، وهذا هو المحال،** قال: جعلت فداك فإنَّه يعلم أنَّه يكون أحدهما دون الآخر، قال عليه السلام: **لا بأس، فإيُّهما يكون، الذي أراد أنْ يكون أو الذي لم يرد أنْ يكون،** قال سليمان: الذي أراد أنْ يكون، فضحك الرضا عليه السلام والمأمون وأصحاب المقالات. قال الرضا عليه السلام: **غلطت وتركت قولك: إنْه يعلم أنَّ إنسانا يموت اليوم وهو لا يريد أنْ يموت اليوم وأنَّه يخلق خلقا وهو لا يريد أنْ يخلقهم، فإذا لم يجز العلم عندكم بما لم يرد أنْ يكون فإنَّما يعلم أنْ يكون ما أراد أنْ يكون** قال سليمان: فإنَّما قولي: إنَّ الإرادة ليست هو ولا غيره، قال الرضا عليه السلام: **يا جاهل إذا قلت: ليست هو فقد جعلتها غيره، وإذا قلت: ليست هي غيره فقد جعلتها هو،** قال سليمان: فهو يعلم كيف يصنع الشيء؟ قال عليه السلام: **نعم،** قال سليمان: فإنَّ ذلك إثبات للشيء قال الرضا عليه السلام: **أحلت لأنَّ الرجل قد يحسن البناء وإنَّ لم يبن ويحسن الخياطة وإنّ لم يخط ويحسن صنعة الشيء وإنّ لم يصنعه أبدا ثُمَّ قال له: يا سليمان هل يعلم أنَّه واحد لا شيء معه؟!** قال: نعم، **قال: أفيكون ذلك إثباتا للشئ؟!** قال سليمان: ليس يعلم أنَّه واحد لا شيء معه. قال الرضا عليه السلام: **أفتعلم أنَّت ذلك؟!** قال: نعم، **قال: فأنت يا سليمان أعلم منه إذا،** قال سليمان: المسألة محال، **قال: محال عندك أنَّه واحد لا شيء معه وأنَّه سميع بصير حكيم عليم قادر؟!** قال:

نعم ، قال عليه السلام: فكيف أخبر الله عَزَّ وجَلَّ أنَّه واحد حيٌّ سميع بصير عليم خبير وهو لا يعلم ذلك ؟ ! وهذا رد ما قال وتكذيبه ، تعالى الله عن ذلك ، ثم قال الرضا عليه السلام: فكيف يريد صنع ما لا يدري صنعه ولا ما هو ؟ ! وإذا كان الصانع لا يدري كيف يصنع الشيء قبل أنْ يصنعه فإنَّما هو متحيِّر ، تعالى الله عن ذلك . قال سليمان : فإنَّ الإرادة القدرة ، **قال الرضا عليه السلام: وهو عَزَّ وجَلَّ يقدر على ما لا يريده أبدا ، ولابُدَّ من ذلك لأنَّه قال تبارك وتعالى : ﴿وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ فلو كانت الإرادة هي القدرة كان قد أراد أنْ يذهب به لقدرته ،** فانقطع سليمان ، قال المأمون عند ذلك : يا سليمان هذا أعلم هاشمي . ثم تَفَرَّق القوم .

٩ ـ حدّثنا احمد بن زياد بن جعفر الهمداني والحسين بن ابراهيم بن احمد بن هاشم المكتب وعلي بن عبد الله الورَّاق ـ رضي الله عنهم ـ قالوا : حدّثنا علي بن ابراهيم بن هاشم عن أبيه عن صفوان بن يحيى صاحب السابري قال : سألني ابو قُرَّة صاحب الجاثليق انْ أوصله إلى الرضا عليه السلام فاستأذنته في ذلك **فقال عليه السلام أدخله عليّ فَلَمَّا دخل عليه قبَّل بساطه** ، وقال : هكذا علينا في ديننا ان نفعل بإشراف أهل زماننا ثمَّ قال : أصلحك الله ما تقول في فرقة ادّعت دعوى فشهدت لهم فرقة أخرى معدلون ؟ قال : الدّعوى لهم ، قال : فادّعت فرقة أخرى دعوى فلم يجدوا شهوداً من غيرهم قال : لا شيء لهم قال : فإنّا نحن ادّعينا أنَّ عيسى روح الله وكلمته ألقاها فوافقنا على ذلك المسلمون وادّعى المسلمون أَنَّ محمّداً نبيٌّ فلم نتابعهم عليه وما اجمعنا عليه خير مما افترقنا فيه **فقال له الرضا عليه السلام: ما أسمك ؟** قال : يوحنا **قال : يا يوحنا إنَّا آمنا بعيسى بن مريم عليه السلام روح الله وكلمته الذي كان**

يؤمن بمحمّد صلى الله عليه وآله ويُبَشِّر به ويُقِرُّ على نفسه أَنَّه عبد مربوب فاذا كان عيسى الذي هو عندك روح الله وكلمته ليس هو الذي آمن بمحمّد صلى الله عليه وآله وبَشَّر به ولا هو الذي أَقَرَّ الله عَزَّ وجَلَّ بالعبوديّة والربوبيّة فنحن منه براء فأين اجتمعنا ؟ ! فقام وقال لصفوان بن يحيى قم فما كان أغنانا عن هذا المجلس[1] .

١٠ـ حدّثنا ابو محمد جعفر بن علي بن احمد الفقيه القمي ثم الايلاقي رضي الله عنه قال : أخبرنا ابو محمد الحسن بن محمد بن علي بن صدقة القمي قال : حدّثنا ابو عمرو محمد بن عمر بن عبد العزيز الانصاري الكجي قال : حدّثني من سمع الحسن بن محمد النوفلي ثُمَّ الهاشمي يقول : لَمَّا قدم علي بن موسى الرضا عليه السلام على المأمون أمر الفضل بن سهل أنْ يجمع له أصحاب المقالات مثل الجاثليق ورأس الجالوت ورؤساء الصابئين والهربذ الاكبر وأصحاب زرادشت وفسطاس الروميّ والمتكلِّمين ليسمع كلامه وكلامهم فجمعهم الفضل بن سهل ثُمَّ أعلم المأمون **قال الرضا عليه السلام ياجاثليق ألا تخبرني عن الانجيل الأوّل حين افتقدموته عند مَنْ وجدتموه ومَنْ وضع لكم هذا الانجيل ؟** فقال : ما افتقدنا الانجيل إلاَّ يوماً واحداً حتّى وجدناه غَضّاً طريّاً فأخرجه الينا يوحنا ومَتَّى **فقال له الرضا : ما أقل معرفتك بسنن الانجيل وعلمائه ؟ !** . . . إلى قوله ووصله المأمون بعشرة الاف درهم واعطاه الفضل مالاً وحمله و ولاه الرضا عليه السلام صدقات بلخ فأصاب الرغائب[2] .

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام للشيخ الصدوق ب٥٦ جواب الرضا عليه السلام عن سؤال ابي قرة صاحب الجاثليق ص٤٣٨ .

(٢) التوحيد للصدوق ب١٢ ص١٢٤ ذكر مجلس الرضا عليه السلام مع اهل الاديان وأصحاب المقالات في التوحيد عند المأمون.

١١ـ روي عن الحسن بن محمد النوفلي أَنَّه قال: لما قدم علي بن موسى الرضاعليه السلام على المأمون أمر الفضل بن سهل أنْ يجمع له أصحاب المقالات مثل الجاثليق ورأس الجالوت، ورؤساء الصابئين، والهربذ الأكبر... ثم التفت إلى الجاثليق فقال: ياجاثليق! هذا ابن عمِّي علي بن موسى بن جعفر وهو من ولد فاطمة بنت نبيناصلى الله عليه وآله وابن علي ابن ابي طالبعليه السلام فأحِبُّ أنْ تكلِّمه وتحاجَّه وتنصفه.

فقال الجاثليق يا أمير المؤمنين كيف أحاج رجلاً يحاج عَلَيَّ بكتاب أَنَّا منكره وبنبي لا أؤمن به؟ **فقال الرضاعليه السلام: يا نصرانيّ فإنْ احتججت عليك بإنجيلك أتُقِرُّ به؟**

قال الجاثليق: وهل أقدر على دفع ما نطق به الانجيل، نعم والله أقرُّ به على رغم أنفي.

فقال له الرضاعليه السلام سل عمّا بدا لك واسمع الجواب فقال الجاثليق: ما تقول في نبوَّة عيسى وكتابه هل تنكر منهما شيئا؟ **قال الرضا: أَنَّا مُقرُّ بنبوَّة عيسى وكتابه وما بَشَّرَ به أمَتَّه وأقرَّت به الحواريون وكافر بنبوَّة كُلِّ عيسى لم يقرّ بنبوَّة محمّدصلى الله عليه وآله وبكتابه ولم يُبَشِّر به أمتّه** قال الجاثليق: أليس إنَّما نقطع الاحكام بشاهدي عدل؟ **قالعليه السلام: بلى** قال: فأقم شاهدين من غير أهل ملّتِك على نبوَّه محمدصلى الله عليه وآله ممَن لا تنكره النصرانيّة وسلنا مثل ذلك من غير أهل ملَّتنا **قال الرضاعليه السلام: الان جئت بالنصفة يا نصراني إلاَّ تقبل منّي العدل المقدَّم عند المسيح عيسى بن مريم**عليه السلام؟ قال الجاثليق: ومن هذا العدل؟ سَمِّه لي **قال: ما تقول يوحنا الديلمي؟** قال: بخ بخ ذكرت أحَبَّ الناس إلى المسيح **قال:**

فأقسمت عليك هل نطق الإنجيل : أَنَّ يوحنا قال : إنَّما المسيح اخبرني بدين محمّد العربي وبشَّرَني به أَنَّه يكون من بعده فبشرت به الحواريين فأمنوا به قال الجاثليق : قد ذكر ذلك يوحنا عن المسيح وبَشَّرَ بنبوَّة رجل وبأهل بيته ووصيِّه ولم يلخص متَّى يكون ذلك ؟ ولم تُسَّم لنا القوم فنعرفهم قال الرضاعليه السلام: فإنْ جئناك بمن يقرأ الإنجيل فتلا عليك ذكر محمّد وأهل بيته وأمته أتؤمن به ؟ قال: سديدا قال الرضاعليه السلام: لنسطاس الروميّ كيف حفظك للسفر الثالث الإنجيل قال : ما احفظني له ثم التفت إلى رأس الجالوت فقال : الست تقرأ الإنجيل ؟ قال : بلى لعمري قال : فخذ على السفر فإنْ كان فيه ذكر محمّد وأهل بيته وأمتّه فاشهدوا لي وإن لم يكن فيه ذكره فلا تشهدوا لي ثُمَّ قرءعليه السلام السفر الثالث حتّى بلغ ذكر النبيّصلى الله عليه وآله وقف ثُمَّ قال : يا نصراني إنَّي أسألك بحقَّ المسيح وأمِّه أتعلم إنَّي عالم بالإنجيل ؟ قال : نعم ثم تلا علينا ذكر محمّد وأهل بيته وأمتَّه ثُمَّ قال : ما تقول يا نصراني هذا قول عيسى بن مريمعليه السلام فإنْ كذبت بما ينطق به الإنجيل فقد كذبت موسى وعيسىعليهما السلام ومتّى أنْكرت هذا الذكر وجب عليك القتل لأنَّك تكون قد كفرت بربِّك ونبيِّك وبكتابك قال الجاثليق : لا أنْكر ما قد بان لي في الإنجيل وإِنَّي لمقرُّ به قال الرضاعليه السلام: على الخبير سقطت أمّا الحواريون فكانوا اثنى عشر رجلا وكان اعلمهم وأفضلهم ألوقا وأمّا علماء النصارى فكانوا ثلاثة رجال يوحنا الأكبر باج ويوحنا بقرقيسيا ويوحنا الديلمي برجاز وعنده كان ذكر النبيّصلى الله عليه وآله وذكر أهل بيته وأمته وهو الذي بشر أمة عيسى وبني إسرائيل به ثُمَّ قال له : يا نصرانيّ والله إنّا لنؤمن بعيسى الذي آمن بمحمدصلى الله عليه وآله وما ننقم على عيساكم شيئا ضعفه وقله صيامه وصلاته قال الجاثليق : أفسدت والله علمك

وضعفت امرك وما كنت ظننت إلاّ إنّك اعلم أهل الاسلام **قال الرضا**عليه السلام: **وكيف ذاك؟** قال الجاثليق: من قولك: إنّ عيسى كان ضعيفا قليل الصيام قليل الصلاة وما أفطر عيسى يوما قط ولا نام بليل قط وما زال صائم الدهر وقائم الليل **قال الرضا**عليه السلام: **فلمن كان يصوم ويصلي؟!** قال فخرس الجاثليق وانقطع **قال الرضا**عليه السلام: **يا نصراني أسئلك عن مسألة** قال: سل فإنّ كان عندي علمها أجبتك **قال الرضا**عليه السلام: **ما أنْكرت إنّ عيسى**عليه السلام **كان يحيى الموتى بإذن الله عَزَّ وجَلَّ** قال الجاثليق: أنْكرت ذلك من أجل أنَّ مَنْ أحيى الموتى وابرء الأكمه والأبرص فهو رب مستحق لأنّ يعبد **قال الرضا**عليه السلام: **فإنَّ اليسع قد صنع مثل صنع عيسى**عليه السلام **مشى على الماء وأحيى الموتى وابرء الأكمه والأبرص فلم تتخذه أمته ربا ولم يعبده أحد من دون الله عَزَّ وجَلَّ ولقد صنع حزقيل النبي**عليه السلام **مثل ما صنع عيسى بن مريم فأحيا خمسه وثلاثين الف رجل من بعد موتهم بستين سنه ثم التفت إلى رأس الجالوت فقال له: يا رأس الجالوت أتجد هؤلاء في شباب بني إسرائيل في التوراة اختارهم بخت نصر من سبى بني إسرائيل حين غزا بيت المقدس ثم انصرف بهم إلى بابل فأرسله الله عز وجل إليهم فأحياهم هذا في التوراة لا يدفعه إلا كافر منكم** قال رأس الجالوت: قد سمعنا به وعرفناه **قال: صدقت ثم قال: يا يهودي خذ على هذا السفر من التوراة فتلا**عليه السلام **علينا من التوراة آيات فاقبل اليهودي يترجج لقرائته ويتعجب! ثم اقبل النصراني فقال: يا نصراني أفهؤلاء كانوا قبل عيسى أمّ عيسى كان قبلهم؟** قال: بل كانوا قبله فقال الرضا**عليه السلام: **لقد اجتمعت قريش على رسول الله**صلى الله عليه وآله **فسألوه: أنَّ يحيي لهم موتاهم فوجه معهم علي بن أبي طالب**عليه السلام **فقال له:**

اذهب إلى الجبانة فناد بأسماء هؤلاء الرهط الذين يسئلون عنهم بأعلى صوتك : يا فلان و يا فلان و يا فلان يقول لكم محمد رسول الله صلى الله عليه وآله: قوموا بإذن الله عَزَّ وجَلَّ فقاموا ينفضون التراب عن رؤوسهم فأقبلت قريش يسألهم عن أمورهم ثم أخبروهم إنَّ محمّدا بعث نبيا فقالوا : وددنا إنَّا أدركناه فنؤمن به ولقد أبرء الأكمه والأبرص والمجانين وكلمه البهايم والطير والجن والشياطين ولم نتخذه ربا من دون الله عَزَّ وجَلَّ ولم ننكر لاحد من هؤلاء فضلهم فمتّى اتخذتم عيسى ربا جاز لكم أنْ تتخذوا اليسع وحزقيل ربا ؟ ! لأنَّهما قد صنعا مثل ما صنع عيسى بن مريم عليه السلام من احياء الموتى وغيره وإنَّ قوما من بني إسرائيل خرجوا من بلادهم من الطاعون وهم ألوف حذر الموت فأماتهم الله في ساعة واحده فعمد أهل تلك القرية فحظروا عليهم حظيرة فلم يزالوا فيها حتّى نخرت عظامهم وصاروا رميما فمر بهم نبي من أنبياء بني إسرائيل فتعجب منهم ومن كثره العظام الباليه فأوحى الله عَزَّ وجَلَّ إليه : أتحب إنْ أحييهم لك فتنذرهم ؟ قال : نعم يا رب فأوحى الله عَزَّ وجَلَّ إليه : إنَّ ناداهم فقال : أيتها العظام الباليه قومي بإذن الله عَزَّ وجَلَّ فقاموا احياء أجمعون ينفضون التراب عن رؤوسهم ثم إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام حين أخذ الطير فقطعهن قطعا ثم وضع على كل جبل منهن جزء ثم ناداهن فأقبلن سعيا إليه ثم موسى بن عمران عليه السلام وأصحابه السبعون الذين اختارهم صاروا معه إلى الجبل فقالوا له : إنَّك قد رأيت الله سبحانه : فأرناه رايته فقال : لهم إنِّي لم أره فقالوا : لن نؤمن حتى نرى الله جهره فأخذتهم الصاعقة فاحترقوا عن آخرهم وبقى موسى وحيدا فقال : يا رب اخترت سبعين رجلا من بني إسرائيل فجئت بهم وارجع وحدي فكيف يصدقني قومي بما أخبرهم به ؟ ! فلو شئت

أهلكتهم من قبل وإياي أتهلكنا بما فعل السفهاء منا ؟ فأحياهم الله عَزَّ وجَلَّ من بعد موتهم وكلِّ شيء ذكرته لك من هذا لا تقدر على دفعه لأنَّ التوراة والإنجيل والزبور والفرقان قد نطقت فإنَّ كان كلّ من أحيى الموتى وابرء الأكمه والأبرص والمجانين يتخذ ربا من دون الله فاتخذ هؤلاء كلِّهم أربابا ما تقول يا نصراني ؟ ! .
فقال الجاثليق : القول قولك ولا إله إلاَّ الله ثم التفت إلى رأس الجالوت **فقال : يا يهودي اقبل على أسئلك بالعشر الآيات التي أنزلت على موسى بن عمران**عليه السلام **هل تجد في التوراة مكتوبا بنبأ محمّد**صلى الله عليه وآله **وأمته إذا جاءت الأمة الأخيرة اتباع راكب البعير يسبحون الرب جدّا جدّا تسبيحا جديدا في الكنائس الجدد فليفرغ بنو إسرائيل إليهم وإلى ملكهم لتطمئن قلوبهم فإنَّ بأيديهم سيوفا ينتقمون بها من الأمم الكافرة في أقطار الأرض أهكذا هو في التوراة مكتوب ؟** قال رأس الجالوت : نعم إنَّا لنجده كذلك **ثم قال للجاثليق : يا نصراني كيف علمك بكتاب شعيا**عليه السلام ؟ قال : أعرفه حرفا حرفا **قال لهما : أتعرفان هذا من كلامه يا قوم : إنِّي رأيت صورة راكب الحمار لابساً جلابيب النور ورأيت راكب البعير ضوء مثل ضوء القمر** فقالا : قد قال ذلك شعياعليه السلام **قال الرضا**عليه السلام**: يا نصراني هل تعرف في الإنجيل قول عيسى**عليه السلام**: إنِّي ذاهب إلى ربّكم وربي والبار قليطا جاء هو الذي يشهد لي بالحق كما شهدت وهو الذي يفسِّر لكم كلَّ شيء وهو الذي يبدأ فضائح الأمم وهو الذي يكسر عمود الكفر .**

فقال الجاثليق : ما ذكرت شيئا من الإنجيل إلاَّ ونحن مقرون به **فقال : أتجد هذا الإنجيل ثابتا يا جاثليق ؟** قال : نعم **قال الرضا**عليه السلام**: يا جاثليق إلآ تخبرني عن الإنجيل الأوّل حين افتقدتموه عند من وجدتموه ومن وضع لكم هذا**

الإنجيل ؟ فقال له : ما افتقدنا الإنجيل إلاَّ يوما واحدا حتّى وجدناه غضا طريّاً فأخرجه إلينا يوحنا ومتّى **فقال له الرضا**عليه السلام**: ما أقل معرفتك بسنن الإنجيل وعلمائه ؟ ! فإنَّ كان هذا كما تزعم ! فلم اختلفتم في الإنجيل وإنَّما وقع الاختلاف في هذا الإنجيل الذي في أياديكم اليوم فلو كان على العهد الأوّل لم تختلفوا فيه ولكني مفيدك علم ذلك اعلم أنَّه لما افتقد الإنجيل الأوّل اجتمعت النصارى إلى علمائهم فقالوا لهم : قتل عيسى بن مريم**عليه السلام **وافتقدنا الإنجيل وأنتم العلماء فما عندكم ؟ فقال لهم الوقا ومر قابوس إِنَّ الإنجيل في صدورنا ونحن نخرجه إليكم سفرا سفرا في كلِّ أحد فلا تحزنوا عليه ولا تخلوا الكنائس فإنّا سنتلوه عليكم في كل أحد سفرا سفرا حتى نجمعه كله .**

فقال الرضاعليه السلام**: إنَّ الوقا ومر قابوس ويوحنا ومتّى وضعوا لكم هذا الإنجيل بعد ما افتقدتم الإنجيل الأوّل وإنَّما كان هؤلاء الأربعة تلاميذ تلاميذ الأولين أعلمت ذلك** ؟ فقال الجاثليق : أمّا هذا فلم أعلمه وقد علمته الآن وبان لي من فضل علمك بالإنجيل وسمعت أشياء مما علمته شهد قلبي أنَّها حق فاستزدت كثيرا من الفهم **فقال له الرضا**عليه السلام**: فكيف شهادة هؤلاء عندك ؟** قال : جائزه هؤلاء علماء الإنجيل وكلما شهدوا به فهو حق **قال الرضا**عليه السلام **للمأمون ومن حضره من أهل بيته ومن غيره : اشهدوا عليه** قالوا : قد شهدنا ثم **قال**عليه السلام**: للجاثليق : بحق الابن وأمه هل تعلم أنَّ متّى قال : إنَّ المسيح هو بن داود بن إبراهيم بن إسحاق بن يعقوب يهوذا بن خضرون فقال مر قابوس في نسبه عيسى مريم**عليه السلام**: أنَّه كلمه الله أحلها في جسد الآدمي فصارت انسانا وقال الوقا : إِنَّ عيسى بن مريم**عليه السلام **وأمه كانا انسانين من لحم ودم فدخل فيها الروح القدس**

ثم أَنَّك تقول من شهادة عيسى على نفسه حقا أقول لكم : يا معشر الحواريين أَنَّه لا يصعد إلى السماء إلاَّ من نزل منها إلاّ راكب البعير خاتم الأنبياء فإنَّه يصعد إلى السماء وينزل فما تقول في هذا القول ؟ قال الجاثليق : هذا قول عيسى لا ننكره **قال الرضا** عليه السلام**: فما تقول في شهادة الوقا ومر قابوس ومتّى على عيسى وما نسبوه إليه ؟** قال الجاثليق : كذبوا على عيسى **فقال الرضا** عليه السلام**: يا قوم أليس قد زكاهم وشهد إنَّهم علماء الإنجيل وقولهم حق** فقال الجاثليق : يا عالم المسلمين أحبُّ أنْ تعفيني من أمر هؤلاء **قال الرضا** عليه السلام**: فإنَّا قد فعلنا سل يا نصراني عمَّا بدا لك** قال الجاثليق : ليسألك غيري فلا وحق المسيح ما ظننت إنَّ في علماء المسلمين مثلك **فالتفت الرضا** عليه السلام **إلى رأس الجالوت فقال له : تسألني أو أسألك ؟** فقال : بل أسألك ولست اقبل منك حُجّه إلاَّ من التوراة أو من الإنجيل أو من زبور داود أو بما في صحف إبراهيم وموسى **قال الرضا** عليه السلام**: لا تقبل منى حُجّه إلاَّ بما تنطق به التوراة على لسان موسى بن عمران والإنجيل على لسان عيسى بن مريم والزبور على لسان داود** فقال رأس الجالوت : من أين تثبت نبوَّة محمّد صلى الله عليه وآله ؟ **قال الرضا** عليه السلام**: شهد بنبوَّته موسى بن عمران وعيسى بن مريم وداود خليفه الله عَزَّ وجَلَّ في الأرض** فقال له : ثبت قول موسى بن عمران **فقال له الرضا** عليه السلام**: هل تعلم يا يهودي إنَّ موسى أوصى بني إسرائيل فقال لهم : إنَّه سيأتيكم نبي من اخوانكم فيه فصدقوا ومنه فاسمعوا فهل تعلم أنَّ لبني إسرائيل اخوه غير ولد إسماعيل إنْ كنت تعرف قرابه إسرائيل من إسماعيل والسبب الذي بينهما من قبل إبراهيم** عليه السلام فقال رأس الجالوت : هذا قول موسى لا ندفعه **فقال له الرضا** عليه السلام**: هل جاءكم من اخوه بني إسرائيل نبي غير محمّد** صلى الله عليه وآله قال : لا

قال الرضاعليه السلام**: أوليس قد صح هذا عندكم؟** قال: نعم ولكني أحبُّ أنْ تصححه إلى من التوراة **فقال له الرضا**عليه السلام**: هل تنكر إنْ التوراة تقول لكم: جاء النور من قبل طور سيناء وأضاء لنا من جبل ساعير واستعلن علينا من جبل فاران؟** قال رأس الجالوت: اعرف هذه الكلمات وما اعرف تفسِّيرها **قال الرضا**عليه السلام**: أنَّا أخبرك به أمّا قوله: جاء النور من قبل طور سيناء فذلك وحى الله تبارك وتعالى الذي أنزله علي**عليه السلام **على جبل طور سيناء وأمّا قوله: وأضاء لنا من جبل ساعير فهو الجبل الذي أوحى الله عَزَّ وجَلَّ إلى عيسى بن مريم**عليه السلام **وهو عليه وأمّا قوله: واستعلن علينا جبل فاران فذلك جبل من جبال مكة بينه وبينها يوم وقال شعياء النبي**عليه السلام **فيما تقول أنَّت وأصحابك في التوراة رأيت راكبين أضاء لهم الأرض أحدهما على حمار والاخر على جمل فمن راكب الحمار ومن راكب الجمل؟** قال رأس الجالوت: لا أعرفهما فخبرني بهما **قال: امّا راكب الحمار فعيسى**عليه السلام **وأمّا راكب الجمل فمحمد**صلى الله عليه وآله **أتنكر هذا من التوراة** قال: لا ما أنكره ثم **قال الرضا**عليه السلام**: هل تعرف حيقوق النبي**عليه السلام **؟** قال: نعم إنِّي به لعارف **قال: فإنَّه قال: وكتابكم ينطق به جاء الله تعالى بالبيان من جبل فاران وامتلأت السماوات من تسبيح أحمد وأمته يحمل خيله في البحر كما يحمل في البر يأتينا بكتاب جديد بعد خراب بيت المقدس يعنى بالكتاب القرآن أتعرف هذا وتؤمن به؟** قال رأس الجالوت قد قال: ذلك حيقوق النبي عليه السلام ولا ننكر قوله **قال الرضا**عليه السلام**: فقد قال داود في زبوره. وأنَّت تقرأه: اللهم ابعث مقيم السُنَّة بعد الفترة فهل تعرف نبيا أقام السُنّة بعد الفترة غير محمّد**صلى الله عليه وآله **؟** قال رأس الجالوت: هذا قول داود نعرفه ولا ننكر ولكن عنى بذلك عيسى وأيامه هي

الفترة **قال له الرضا**عليه السلام: **جهلت إنَّ عيسى**عليه السلام **لم يخالف السُنَّة وكان موافقا لسُنَّة التوراة حتّى** رفعه الله إليه وفي الإنجيل مكتوب : إنْ ابن البرة ذاهب والبار قليطا جاء من بعده وهو الذي يحفظ الآصار ويفسِّر لكم شيء ويشهد لي كما شهدت له إنَّا جئتكم بالأمثال وهو يأتيكم بالتأويل أتؤمن بهذا في الإنجيل ؟ قال : نعم **فقال له الرضا**عليه السلام: **يا رأس الجالوت أسألك عن نبيك موسى بن عمران**عليه السلام فقال : سل **قال : ما الحُجّة على أنَّ موسى ثبتت نبوَّته ؟** قال اليهودي : أنّه جاء لم يجئ به أحد من الأنبياء قبله **قال له : مثل ماذا ؟** قال : مثل فلق البحر وقلبه العصا حية تسعى وضربه الحجر فانفجرت منه العيون واخراجه يده بيضاء للناظرين وعلاماته لا يقدر الخلق على مثلها **قال له الرضا**عليه السلام: **صدقت في أنَّه كانت حجته على نبوَّته أنَّه جاء بما لا يقدر الخلق على مثله أفليس كلّ من ادّعى أنَّه نبي ثم جاء بما لا يقدر الخلق مثله وجب عليكم تصديقه ؟ !** قال : لا لأنَّ موسى عليه السلام لم يكنْ له نظير لمكانه من ربه وقربه منه ولا يجب علينا الاقرار بنبوَّة من ادعاها حتّى يأتي من الاعلام بمثل جاء به **فقال الرضا**عليه السلام: **فكيف أقررتم بالأنبياء الذين كانوا قبل موسى**عليه السلام **ولم يفلقوا البحر ولم يفجروا من الحجر اثنى عشره عينا ولم يخرجوا أيديهم مثل اخراج موسى يده بيضاء ولم يقلبوا العصا حيه تسعى** قال : اليهودي : قد خبرتك أنَّه متّى ما جاؤوا على نبوتهم من الآيات بما لا يقدر الخلق على مثله ولو جاؤوا بما يجئ به موسى أو كان على غير ما جاء به موسى وجب تصديقهم **قال له الرضا**عليه السلام: **يا رأس الجالوت فما يمنعك من الاقرار بعيسى بن مريم وقد كان يحيى الموتى ويبرء الأكمه والأبرص ويخلق من الطين كهيئة الطير ثم ينفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله تعالى ؟** قال رأس الجالوت : يقال : إنَّه فعل ذلك

ولم نشهده قال الرضاعليه السلام: **أرأيت ما جاء به موسى من الآيات شاهدته ؟ أليس إنَّما جاءت الأخبار من ثقات أصحاب موسى إنَّه فعل ذلك ؟** قال: بلى **قال: فكذلك أيضا أتتكم الأخبار المتواترة بما فعل عيسى بن مريم**عليه السلام **فكيف صدقتم بموسى ولم تصدقوا بعيسى؟** فلم يحر جوابا **قال الرضا**عليه السلام: **وكذلك أمر محمد**صلى الله عليه وآله **وما جاء به وأمر كلِّ نبي بعثه الله ومن آياته إنَّه كان يتيما فقيرا راعيا أجيرا لم يتعلم كتابا ولم يختلف إلى معلّم ثم جاء بالقرآن الذي فيه قصص الأنبياء واخبارهم حرفا حرفا واخبار من مضى ومن بقي إلى يوم القيامة ثم كان يخبرهم بأسرارهم وما يعملون في بيوتهم وجاء بآيات كثيره لا تحصى** قال رأس الجالوت: لم يصح عندنا خبر عيسى ولا خبر محمّدصلى الله عليه وآله ولا يجوز لنا أنْ نقر لهما بما لا يصح قال الرضاعليه السلام: **فالشاهد الذي شهد لعيسى ولمحمّد**صلى الله عليه وآله **شاهد زور** فلم يحر جوابا **ثم دعا**عليه السلام **بالهربذ الأكبر فقال له الرضا**عليه السلام: **اخبرني عن زردهشت الذي تزعم أنَّه نبي ما حجتك على نبوَّته ؟** قال: إنَّه اتى بما لم يأتنا أحد قبله ولم نشهده ولكن الاخبار من أسلافنا وردت علينا بأنَّه أحل لنا ما لم يحله غيره فاتبعناه **قال: أفليس إنَّما أتتكم الاخبار فاتبعتموه ؟** قال: بلى **قال: فكذلك سائر الأمم السالفة أتتهم الأخبار بما اتى به النبيون واتى به موسى وعيسى ومحمّد**صلى الله عليه وآله **فما عذركم في ترك الاقرار لهم ؟ إذ كنتم إنَّما أقررتم بزردهشت من قبل الأخبار المتواترة بأنَّه جاء بما لم يجئ به غيره فانقطع الهربذ مكانه فقال الرضا**عليه السلام: **يا قوم إنْ كان فيكم أحد يخالف الاسلام وأراد إنْ يسئل فليسئل غير محتشم.**

فقام إليه عمران الصابي وكان واحدا من المتكلمين فقال: يا عالم الناس لولا إنَّك دعوت إلى مسألتك لم أقدم عليك بالمسائل فلقد دخلت بالكوفة

والبصرة والشام الجزيره ولقيت المتكلمين فلم أقع على أحد يثبت لي واحدا ليس غيره قائما بوحدانيتّة أفتاذن لي أسئلك ؟ **قال الرضا**عليه السلام: **إنْ كان في الجماعة عمران الصابي فأنّت هو** قال : أنّا هو **قال : سل يا عمران وعليك بالنصفة وإيّاك والخطل والجور** فقال : والله يا سيدي ما أريد إلاَّ أنْ تثبت لي شيئا أتعلق به فلا أجوزه **قال : سل عمَّا بدا لك** فازدحم الناس وانضم بعضهم إلى بعض فقال عمران الصابي : اخبرني عن الكائن الأوّل وعمَّا خلق **فقال له : سالت فافهم أمّا الواحد فلم يزل واحدا كائنا لا شيء معه بلا حدود واعراض ولا يزال كذلك ثم خلق خلقا مبتدعا مختلفا بإعراض وحدود مختلفة لا في شيء اقامه ولا في شيء حده ولا على شيء حذاه ومثله له فجعل الخلق من بعد ذلك صفوه وغير صفوه واختلافا وائتلافا وألوانا وذوقا وطعما لا لحاجه كانت منه إلى ذلك ولا لفضل منزله لم يبلغها إلاَّ به ولا أرى لنفسه فيما خلق زيادة ولا نقصانا تعقل هذا يا عمران ؟** قال : نعم والله يا سيدي **قال : واعلم يا عمران انه لو كان خلق ما خلق لحاجه لم يخلق إلا من يستعين به على حاجته ولكان ينبغي أنْ يخلق اضعاف ما خلق لأنَّ الأعوان كلما كثروا كان صاحبهم أقوى .**

ثم طال السؤال والجواب بين الرضاعليه السلام وبين عمران الصابي والزمه في أكثر من مسألة حتّى انتهت الحال إلى إنْ قال : اشهد إنَّه يا سيدي كما وصفت ولكن بقيت مسألة .

قال : سل عمَّا أردت . قال : اسألك عن الحكيم في أي شيء ؟ وهل يحيط به شيء ؟ وهل يتحول من شيء إلى شيء ؟ أو هل به حاجة الى شيء ؟

قال الرضاعليه السلام: **أخبرك يا عمران فاعقل ما سألت عنه فإنَّه من أغمض ما**

يرد على المخلوقين في مسائلهم وليس يفهمه المتقارب عقله العازب ولا يعجز عن فهمه اولي العقل المنصفون .

أمّا أوّل ذلك : فلو كان خلق ما خلق الحاجة منه لجاز القائل أنْ يقول : يتحول إلى ما خلق لحجّته إلى ذلك ولكن عَزَّ وجَلَّ لم يخلق شيئاً لحاجة ولم يزل ثابتا لا في شيء ولا على شيء إلاَّ أنَّ الخلق يمسك بعضه بعضا ويدخل بعضه في بعض ويخرج منه ، والله عَزَّ وجَلَّ وتقدس بقدرته يمسك ذلك كلّه يدخل في شيء ولا يخرج منه ولا يؤوده حفظه ولا يعجز عن إمساكه ، ولا يعرف أحد من الخلق كيف ذلك إلاَّ الله عَزَّ وجَلَّ ومن أطلعه عليه من رسله وأهل سره والمستحفظين لأمره وخزانه القائمين بشريعته ، وإنَّما أمره كلمح البصر أو هو أقرب إذا شاء شيئا فإنَّما يقول له : كن ، فيكون بمشيته وإرادته ، وليس شيء من خلقه أقرب إليه من شيء ، ولا شيء منه هو أبعد منه من شيء أفهمت يا عمران ؟ قال : نعم يا سيدي قد فهمت وأشهد أنَّ الله على ما وصفته ووحدته ، وأنَّ محمّدا عبده المبعوث بالهدى ودين الحق ، ثم خر ساجدا نحوا القبلة وأسلم .

قال الحسن بن محمد النوفلي : فلما نظر المتكلّمون إلى كلام عمران الصابئ وكان جدلا لم يقطعه عن حجتّه أحد قط لم يدن من الرضاعليه السلام أحد منهم ولم يسألوه عن شيء ، وأمسينا فنهض المأمون والرضاعليه السلام فدخلا وانصرف الناس ، ثم **قال الرضا بعد أنْ عاد إلى منزله : يا غلام صر إلى عمران الصابي فإنني به** فقلت جعلت فداك أنَّا اعرف موضعه وهو عند بعض اخواننا من الشيعة **قال : فلا بأس قربوا اليه دابة** فصرت إلى عمران فأتيته به فرحب به ودعا بكسوة فخلعها عليه ودعا بعشرة الاف درهم فوصله به قلت جعلت فداك حكيت فعل جدك

أمير المؤمنينعليه السلام **قال: هكذا يجب** ثم دعا بالعشاء فأجلسني عن يمينه واجلس عمران عن يساره حتّى إذا فرغنا قال عمران: انصرف مصاحباً وبكر علينا نطعمك طعام المدينة.

فكان عمران بعد ذلك يجتمع إلى المتكلّمون من أصحاب المقالات فيبطل عليه أمرهم حتّى اجتنبوه ووصله المأمون بعشرة الاف درهم واعطاء الفضل مالاً جزيلاً وولاء الرضاعليه السلام صدقات البلخ فأصاب الرغائب.

وروي عن علي بن الجهم إنَّه قال: حضرت مجلس المأمون وعنده الرضا علي بن موسىعليه السلام فقال له المأمون: يا بن رسول الله أليس من قولك: الأنبياء معصومون؟ **قال: بلى قال: فما معنى قول الله عَزَّ وجَلَّ: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ فقالعليه السلام: إنَّ الله تبارك وتعالى قال لادم: ﴿اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ وأشار لهما إلى شجره الحنطة ﴿فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ ولم يقل لهما: لا تأكلا من هذه الشجرة ولا مما كان من جنسها فلم يقربا تلك الشجرة ولم يأكلا سنها وإنَّما اكلا من غيرها لما إنَّ وسوس الشيطان إليهما وقال: ﴿مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ﴾ وإنَّما ينهاكما أنْ تقربا غيرها ولم ينهكما عن الاكل منها ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونا مِنَ الخالِدِينَ وقاسَمَهُما إِنِّي لَكُما لَمِنَ النّاصِحِينَ﴾ ولم يكنْ آدم وحوا شاهدا قبل ذلك من يحلف بالله كاذبا (فدلاهما بغرور) فأكلا منها ثقة بيمينه بالله وكان ذلك من آدم قبل النبوّة ولم يكنْ ذلك بذنب كبير استحق به دخول النار وإنَّما كان من الصغائر الموهوبة التي تجوز على الأنبياء قبل نزول الوحي عليهم فلما اجتباه الله تعالى وجعله نبيا كان معصوما لا يذنب صغيره ولا كبيره قال الله عَزَّ وجَلَّ: ﴿وَعَصَى**

آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾ وقال عَزَّ وجَلَّ: ﴿إِنَّ اللهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ .

قال المصنف: لعل الرضا أراد بالصغائر الموهوبة ترك المندوب وارتكاب المكروه من الفعل دون الفعل القبيح الصغير بالإضافة إلى ما هو أعظم منه لاقتضاء ادلة العقول والأثر المنقول لذلك ورجعنا الى سياق الحديث.

ثم قال المأمون: فما معنى قول الله عَزَّ وجَلَّ: **﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا﴾ قال له الرضاعليه السلام: إِنَّ حواء ولدت لادم خمسمائة بطن ذكرا وأنثى وإِنَّ آدمعليه السلام وحواء عاهدا الله عَزَّ وجَلَّ ودعواه وقالا: ﴿لَئِنْ آتَيْتَنا صالِحاً لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ فَلَمَّا آتاهُما صالِحاً﴾ من النسل خلقا سويا بريئا من الزمانة والعاهة وكان ما اتاهما صنفين صنفا ذكرانا وصنفا إناثا فجعل الصنفان لله تعالى ذكره شركاء فيما آتاهما ولم يشكراه كشكر أبويهما له عَزَّ وجَلَّ قال الله تبارك وتعالى: ﴿فَتَعَالَى اللهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾** فقال المأمون: اشهد إِنَّك ابن رسول اللهصلى الله عليه وآله حقا فأخبرني عن قول الله عَزَّ وجَلَّ في حق إبراهيمعليه السلام: **﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي﴾ فقال الرضاعليه السلام: إِنَّ إبراهيمعليه السلام وقع إلى ثلاثة أصناف صنف يعبد الزهرة وصنف يعبد القمر وصنف يعبد الشمس وذلك حين خرج من السرب الذي اخفى فيه ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ﴾ فرأى الزهرة قال: ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾ على الانكار والاستخبار ﴿فَلَمَّا أَفَلَ﴾ الكوكب ﴿قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾ لأنَّ الأفول من صفات المحدث لا من صفات القدم ﴿فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي﴾ على الانكار والاستخبار: ﴿فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾**

يقول: لو لم يهدني ربي لكنت من القوم الضالين فلما أصبح ﴿رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَا أَكْبَرُ﴾ من الزهرة والقمر على الانكار والاستخبار لا على الاخبار والاقرار ﴿فَلَمَّا أَفَلَتْ﴾ قال للأصناف الثلاثة من عبده الزهرة والقمر والشمس: ﴿ يا قوم إني بريء مما تشركون إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ وإنَّما أراد إبراهيمعليه السلام بما قال إنْ يبين لهم بطلان دينهم ويثبت عندهم إنَّ العبادة لا تحق لما كان بصفة الزهرة والقمر والشمس وإنما تحق العبادة لخالقها وخالق السماوات والأرض وكان ما احتج به على قومه مما الهمه الله تعالى واتاه كما قال الله عز وجل: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ﴾ فقال المأمون: لله درك يا ابن رسول الله فأخبرني عن قول إبراهيمعليه السلام: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ﴾ قال الرضاعليه السلام: إنَّ الله تبارك وتعالى كان أوحى إلى إبراهيمعليه السلام: انى متخذ من عبادي خليلا إنْ سألني احياء الموتى أجبته فوقع في نفس إبراهيم: أنَّه ذلك الخليل فقال: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ﴾ على الخلقة قال: ﴿فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ فاخذ إبراهيمعليه السلام نسرا وطاووسا وبطا وديكا فقطعهن وخلطهن ثم جعل على كل جبل من الجبل التي حوله وكانت عشره منهن جزء وجعل مناقيرهن بين أصابعه ثم دعاهن بأسمائهن ووضع عنده حبا وماء فتطايرت تلك الأجزاء بعضها إلى بعض حتى استوت الأبدان وجاء كلّ بدن حتّى انضم رقبته ورأسه فخلى إبراهيمعليه السلام عن مناقيرهن فطرن ثم وقعن فشربن من ذلك الماء والتقطن

من ذلك الحب وقلن : يا نبي الله أحييتنا أحياك الله فقال إبراهيم : بل الله يحيى ويميت وهو على كلِّ شيء قدير قال المأمون : بارك الله فيك يا أبا الحسن فأخبرني عن قول الله عَزَّ وجَلَّ : ﴿فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ قال الرضا عليه السلام: إنَّ موسى دخل مدينه من مدائن فرعون على حين غفله من أهلها وذلك بين المغرب والعشاء ﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ﴾ فقضى موسى على العدو وبحكم الله تعالى ذكره ﴿فوكزه﴾ فمات ﴿قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ يعنى الاقتتال الذي كان وقع بين الرجلين لا ما فعله موسى عليه السلام من قتله أنَّه يعنى الشيطان ﴿عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ﴾ فقال المأمون : فما معنى قول موسى ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي﴾ قال : يقول : إنِّي وضعت نفسي غير موضعها بدخولي هذه المدينة ﴿فَاغْفِرْ لِي﴾ أي استرني من أعدائك لئلا يظفروا بي فيقتلوني ﴿فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ قال موسى عليه السلام: ﴿رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾ من القوة حتى قتلت رجلا بوكزه ﴿فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ بل أجاهد سبيلك بهذه القوة حتّى رضى ﴿فأصبح﴾ موسى عليه السلام في المدينة ﴿خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ﴾ على آخر ﴿قَالَ لَهُ مُوسَىٰ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ﴾ قاتلت رجلا بالأمس وتقاتل هذا اليوم لأوذينك وأراد أنْ يبطش به : ﴿فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا﴾ وهو من شيعته : ﴿قَالَ يَا مُوسَىٰ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِن تُرِيدُ إِلَّا أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ﴾ قال المأمون : جزاك الله عن أنبيائه خيرا يا أبا الحسن فما معنى قول موسى لفرعون: ﴿فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾ .

قال الرضاعليه السلام: إنَّ فرعون قال: لموسى لما اتاه: ﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ بي (قال) موسى: ﴿فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾ عن الطريق بوقوعي إلى مدينه من مدائنك ﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ وقد قال الله عَزَّ وجَلَّ لنبيه محمّدصلى الله عليه وآله: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ﴾ يقول: ألم يجدك وحيدا فآوى إليك الناس ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا﴾ يعنى عند قومك ﴿فهدى﴾ أي هديهم إلى معرفتك ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ﴾ يقول: أغناك بأنْ جعل دعائك مستجابا قال المأمون: بارك الله فيك يا بن رسول الله فما معنى قول الله عَزَّ وجَلَّ: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي﴾ كيف يجوز أنْ يكون كلم الله موسى بن عمرانعليه السلام لا يعلم أنَّ الله تبارك وتعالى ذكره لا يجوز عليه الرؤية حتّى يسأله هذا السؤال؟ قال الرضاعليه السلام: إنَّ كليم الله موسى بن عمرانعليه السلام علم أنَّ الله تعالى أعز أنْ يرى بالأبصار ولكنه لما كلمه الله عَزَّ وجَلَّ وقربه نجيا رجع إلى قومه فأخبرهم إنَّ الله عَزَّ وجَلَّ كلمه وقربه وناجاه فقالوا: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ﴾ حتّى نستمع كلامه كما سمعت وكان القوم سبعمائة الف رجل فاختار منهم سبعين ألفا ثم اختار منهم سبعه آلاف ثم اختار منهم سبعمائة ثم اختار منهم سبعين رجلا لميقات ربهم فخرج بهم إلى طور سيناء فأقامهم في سفح الجبل وصعد موسى إلى الطور وسأل الله تعالى: إنْ يكلمه ويسمعهم كلامه فكلمه الله تعالى ذكره وسمعوا كلامه من فوق وأسفل ويمين وشمال ووراء وامام لأنَّ الله عَزَّ وجَلَّ أحدثه في الشجرة وجعله منبعثا منها حتى سمعوه من جميع الوجوه فقالوا: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ﴾ بأنَّ هذا الذي سمعناه كلام الله: ﴿حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ فلما قالوا هذا القول العظيم

واستكبروا وعتوا بعث الله عَزَّ وجَلَّ عليهم صاعقة فأخذتهم بظلمهم فماتوا فقال موسى : يا رب ما أقول لبني إسرائيل إذا رجعت إليهم وقالوا : إِنَّك ذهبت بهم فقتلتهم ؟ ! لأَنَّك لم تكن صادقا فيما ادعيت من مناجاة الله إياك فأحياهم الله وبعثهم معه فقالوا : انك لو سئلت الله ان يريك ننظر إليه لأجابك وكنت تخبرنا عَزَّ وجَلَّ كيف هو فنعرفه حق معرفته ؟ فقال موسى : يا قوم إِنَّ الله تعالى لا يرى بالأبصار ولا كيفية له وإنَّما يعرف بآياته ويعلم بأعلامه فقالوا : ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ﴾ حتّى تسأله فقال موسى : يا رب أَنَّك قد سمعت مقاله بني إسرائيل وأَنَّت اعلم بصلاحهم فأوحى الله جل جلاله : يا موسى سلني ما سألوك فلن أؤاخذك بجهلهم فعند ذلك قال موسى عليه السلام: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ﴾ وهو يهوى ﴿فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ﴾ بآية من آياته ﴿جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ يقول: رجعت إلى معرفتي بك عن جهل قومي ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ منهم بأَنَّك لا ترى. فقال المأمون لله درك يا أبا الحسن فأخبرني عن قول الله عَزَّ وجَلَّ : ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾

(١) فقال الرضا عليه السلام: لقد همت به ولولا أن رأى برهان ربه لهم بها كما همت لكنه كان معصوما والمعصوم لا يهم بذنب ولا يأتيه ولقد حدّثني أبي عن أبيه الصادق عليه السلام أَنَّه قال : همت بأنْ تفعل وهم بأن لا يفعل. فقال المأمون : لله درك يا أبا الحسن فأخبرني عن قول الله عَزَّ وجَلَّ ﴿وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾

(٢) فقال الرضا عليه السلام: ذاك يونس بن متّى عليه السلام ذهب مغاضبا لقومه فظن

بمعنى استيقن ﴿أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ أي لن نضيق رزقه ومنه قوله عَزَّ وجَلَّ: ﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ﴾

(٣) أو ضيق وقتر ﴿فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ﴾ أي ظلمه الليل وظلمه البحر وظلمه بطن الحوت ﴿أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ بتركي مثل هذه العبادة التي قد فرغتني لها في بطن الحوت فاستجاب الله وله وقال عَزَّ وجَلَّ: ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾

(٤) فقال المأمون: لله درك أبا الحسن عليه السلام فأخبرني عن قول الله عَزَّ وجَلَّ: ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا﴾

(٥) قال الرضا عليه السلام يقول الله عَزَّ وجَلَّ: ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ﴾ من قومهم وظن قومهم أَنَّ الرسل قد كذبوا جاء الرسل نصرنا فقال المأمون: لله درك يا أبا الحسن فأخبرني قول الله عَزَّ وجَلَّ: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾

(١) قال الرضا عليه السلام: لم يكنْ أحد عند مشركي أهل مكة أعظم ذنبا من رسول الله صلى الله عليه وآله لأنَّهم كانوا يعبدون من دون الله ثلاثمئة وستين صنما فلما جاءهم صلى الله عليه وآله بالدعوة إلى كلمه الاخلاص كبر ذلك عليهم وعظم وقالوا: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَٰذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ﴾

(٢) فلما فتح الله عَزَّ وجَلَّ على نبيه صلى الله عليه وآله مكة قال له يا محمد: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ﴾ مكة ﴿فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾

عند مشركي أهل مكة بدعائك إلى توحيد الله فيما تقدم وما تأخر لأنَّ مشركي مكة أسلم بعضهم وخرج بعضهم عن مكة ومن بقي منهم لم يقدر على إنْكار التوحيد عليه إذا دعا الناس إليه فصار ذنبه عندهم ذلك مغفورا بظهوره عليهم. فقال المأمون: لله درك أبا الحسن فأخبرني عن قول الله عَزَّ وجَلَّ: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنكَ﴾ لم أذنت لهم؟ قال الرضاعليه السلام: هذا مما نزل بإياك أعني واسمعي يا جاره خاطب الله عَزَّ وجَلَّ بذلك نبيه وأراد به أمته وكذلك قوله تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ وقوله عَزَّ وجَلَّ: ﴿وَلَوْلَا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾ قال صدقت يا بن رسول اللهصلى الله عليه وآله فأخبرني عن قول الله عَزَّ وجَلَّ: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ﴾ قال الرضاعليه السلام: إِنَّ رسول اللهصلى الله عليه وآله قصد دار زيد بن حارثه بن شراحيل الكلبي في أمر اراده فرأى امرأته تغتسل فقال لها: سبحان الذي خلقك! وإنَّما أراد بذلك تنزيه الباري عَزَّ وجَلَّ عن قول من زعم أن الملائكة بنات الله فقال الله عَزَّ وجَلَّ: ﴿أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا﴾ فقال النبي: لما رآها تغتسل: سبحان الذي خلقك أنْ يتخذ له ولدا يحتاج إلى هذا التطهير والاغتسال فلما عاد زيد إلى منزله أخبرته امرأته بمجيء رسول اللهصلى الله عليه وآله وقوله لها: سبحان الذي خلقك! فلم يعلم زيد ما أراد بذلك وظن أنَّه قال ذلك لما أعجبه من حسنها فجاء إلى النبيصلى الله عليه وآله وقال له: يا رسول الله إِنَّ امرأتي في خلقها سوء وإِنِّي أريد طلاقها فقال النبيصلى الله عليه وآله: أمسك عليك زوجك واتق الله وقد كان الله عَزَّ وجَلَّ عرفه عدد أزواجه وإِنَّ تلك المرأة

منهن فأخفى ذلك في نفسه ولم يبده لزيد وخشي الناس أنْ يقولوا : إِنَّ محمدا يقول لمولاه : إِنَّ امرأتك ستكون لي زوجه يعيبونه بذلك فأَنزل عَزَّ وجَلَّ : ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ﴾ يعنى بالإسلام ﴿وَأَنعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ يعنى بالعتق﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ﴾ ثمَّ إِنَّ زيد بن حارثه طلقها واعتدت منه فزوجها الله عَزَّ وجَلَّ من نبيه محمدﷺ وأَنزل بذلك قرآنا فقال عَزَّ وجَلَّ : ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللهِ مَفْعُولًا﴾ ثمَّ علم الله عَزَّ وجَلَّ إِنَّ المنافقين سيعيبونه بتزويجها فأَنزل الله تعالى : ﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللهُ لَهُ﴾ فقال المأمون : لقد شفيت صدري يا ابن رسول الله وأوضحت لي ما كان ملتبسا على فجزاك الله عن أنبيائه وعن الاسلام خيرا قال علي بن محمّد بن الجهم : فقام المأمون إلى صلاه واخذ بيد محمّد بن جعفر بن محمّدعليه السلام وكان حاضر المجلس وتبعتهما فقال له المأمون : كيف رأيت ابن أخيك ؟ فقال له : **عالم ولم نره يختلف إلى أحد من أهل العلم** فقال المأمون : أَنَّ ابن أخيك من أهل بيت النبي الذين قال فيهم النبيﷺ : **إلا أنَّ أبرار عترتي وأطايب أرومتي احلم الناس صغارا واعلم الناس كبارا فلا تعلموهم فإنَّهم اعلم منكم لا يخرجونكم من باب هدى ولا يدخلونكم في باب ضلاله .**

وانصرف الرضاعليه السلام إلى منزله فلما كان من الغد غدوت عليه وأعلمته ما كان من قول المأمون وجواب عمه محمّد بن جعفر له فضحك الرضاعليه السلام ثم

قال : يا ابن الجهم لا يغرنك ما سمعته منه فإنَّه سيغتالني والله ينتقم لي منه[(١)] .

١٢ـ الصدوق عن أبيه عن احمد بن ادريس ومحمد العطار عن الأشعري ، عن ابن هاشم عن محمد بن حماد ، عن الحسن بن ابراهيم ، عن يونس ، عن هشام بن الحكم ، عن جاثليق من جثالقة النصارى يقال له بريهة قد مكث جاثليق في النصرانيّة سبعين سنة فكان يطلب الاسلام ويطلب من يحج عليه ممن يقرأ كتبه ويعرف المسيح بصفاته ودلائله وآياته ، قال وعرف بذلك حتّى اشتهر في النصارى والمسلمين واليهود والمجوس حتّى افتخرت به النصارٰى وقالت : لو لم يكنْ في دين النصرانيّة إلاَّ بريهة لأ جزأنا وكان طالباً للحق والاسلام مع ذلك ، وكانت معه امرأة تخدمه طال مكثها معه ، وكان يسر إليها ضعف النصرانيّة وضعف حجتّها ، قال : فعرفت ذلك منه ، فضرب بريهة الأمر ظهرا لبطن وأقبل يسأل فرق المسلمين والمختلفين في الإسلام من أعلمكم ؟ وأقبل يسأل عن أئمة المسلمين وعن صلحائهم وعلمائهم ، وأهل الحجى منهم ، وكان يستقرئ فرقة فرقه لا يجد عند القوم شيئا ، وقال : لو كانت أئمتكم أئمة على الحق لكان عندكم بعض الحق ، فوصفت له الشيعة ، ووصف له هشام بن الحكم . فقال يونس بن عبد الرحمن : فقال لي هشام : بينما أنّا على دكاني على باب الكرخ جالس وعندي قوم يقرؤون علي القرآن فإذا أنّا بفوج النصارى معه ما بين القسيسين إلى غيرهم نحو من مائة رجل عليهم السواد والبرانس ، والجاثليق الأكبر فيهم بريهة حتّى نزلوا حول دكاني وجعل لبريهة كرسي يجلس عليه فقامت

---

(١) الاحتجاج للطبرسي ج٢ ص١٥٨ احتجاج الرضاعليه السلام على أهل الكتاب والمجوس ورئيس الصابئين وغيرهم.

الأساقفة والرهابنة على عصيهم ، وعلى رؤوسهم برانسهم ، فقال بريهة : ما بقي من المسلمين أحد ممن يذكر بالعلم بالكلام إلاَّ وقد ناظرته في النصرانيّة فما عندهم شيء وقد جئت أناظرك في الإسلام ، قال : فضحك هشام فقال : يا بريهة إنْ كنت تريد مني آيات كآيات المسيح فليس أنَّا بالمسيح ولا مثله ولا أدانيه ، ذاك روح طيبة خميصة مرتفعة ، آياته ظاهرة ، وعلاماته قائمة ، قال بريهة : فأعجبني الكلام والوصف . قال هشام : إنْ أردت الحجاج فههنا ، قال بريهة : نعم فإنِّي أسألك ما نسبة نبيكم هذا من المسيح نسبة الأبدان ؟ قال هشام : ابن عم جده (لأمه) لأنَّه من ولد إسحاق ومحمّد من ولد إسماعيل ، قال بريهة ، وكيف تنسبه إلى أبيه ؟ قال هشام : إنّا أردت نسبه عندكم أخبرتك ، وإنْ أردت نسبه عندنا أخبرتك ، قال بريهة : أريد نسبه عندنا ، وظننت أنّه إذا نسبه نسبتنا أغلبه ، قلت : فانسبه بالنسبة التي ننسبه بها ، قال هشام : نعم ، تقولون : إنَّه قديم من قديم فإيهما الأب وأيهما الابن قال بريهة : الذي نزل إلى الأرض الابن ، قال هشام : الذي نزل إلى الأرض الأب قال بريهة : الابن رسول الأب ، قال هشام : إنَّ الأب أحكم من الابن لأنَّ الخلق خلق الأب ، قال بريهة : إنَّ الخلق خلق الأب وخلق الابن ، قال هشام : ما منعهما أنْ ينزلا جميعا كما خلقا إذا اشتركا ؟ ! قال بريهة : كيف يشتركان وهما شيء واحد إنَّما يفترقان بالاسم ، قال هشام : إنَّما يجتمعان بالاسم ، قال بريهة : جهل هذا الكلام ، قال هشام : عرف هذا الكلام ، قال بريهة : إنَّ الابن متصل بالأب ، قال هشام : إنَّ الابن منفصل من الأب ، قال بريهة : هذا خلاف ما يعقله الناس ، قال هشام : إنْ كان ما يعقله الناس شاهدا لنا وعلينا فقد غلبتك لأنَّ الأب كان ولم يكنْ الابن فتقول : هكذا

يا بريهة ؟ قال : ما أقول : هكذا ، قال : فلم استشهدت قوما لا تقبل شهادتهم لنفسك ، قال بريهة : إنَّ الأب اسم والابن اسم يقدر به القديم قال هشام : الاسمان قديمان كقدم الأب والابن ؟ قال بريهة : لا ولكن الأسماء محدّثة قال : فقد جعلت الأب ابنا والابن أبا ، إنْ كان الابن أحدث هذه الأسماء دون الأب فهو الأب ، وإنْ كان الأب أحدث هذه الأسماء دون الابن فهو الأب والابن أب وليس ههنا ابن قال بريهة : إنَّ الابن اسم للروح حين نزلت إلى الأرض ، قال هشام : فحين لم تنزل إلى الأرض فاسمها ما هو ؟ قال بريهة : فاسمها ابن نزلت أو لم تنزل : قال هشام : فقبل النزول هذه الروح كلها واحدة واسمها اثنان ، قال بريهة : هي كلّها واحدة روح واحدة ، قال : قد رضيت أنْ تجعل بعضها ابنا وبعضها أبا ، قال بريهة : لا لأنَّ اسم الأب واسم الابن واحد ، قال هشام : فالابن أبو الأب ، والأب أبو الابن ، والابن واحد ، قالت الأساقفة بلسانها لبريهة : ما مرَّ بك مثل ذا قط تقوم ، فتحير بريهة وذهب ليقوم فتعلق به هشام ، قال : ما يمنعك من الإسلام ؟ أفي قلبك حزازة ؟ فقلها وإلا سألتك عن النصرانيّة مسألة واحدة تبيت عليها ليلك هذا فتصبح وليس لك همة غيري ، قالت الأساقفة : لا ترد هذه المسألة لعلها تشككك قال بريهة : قلها يا أبا الحكم . قال هشام : أفرأيتك الابن يعلم ما عند الأب ؟ قال : نعم ، قال : أفرأيتك الأب يعلم كل ما عند الابن ؟ قال : نعم ، قال : أفرأيتك تخبر عن الابن أيقدر على حمل كلِّ ما يقدر عليه الأب ؟ قال : نعم ، قال : أفرأيتك تخبر عن الأب أيقدر على كلِّ ما يقدر عليه الابن ؟ قال : نعم ، قال هشام : فكيف يكون واحد منهما ابن صاحبه وهما متساويان وكيف يظلم كلِّ واحد منهما صاحبه ؟ قال بريهة : ليس

منهما ظلم، قال هشام: من الحق بينهما أنَّ يكون الابن أب الأب والأب ابن الابن، بت عليها يا بريهة، وافترق النصارى وهم يتمنون أنَّ لا يكونوا رأوا هشاما ولا أصحابه. قال: فرجع بريهة مغتما مهتما حتّى صار إلى منزله فقالت امرأته التي تخدمه: ما لي أراك مهتما مغتما. فحكى لها الكلام الذي كان بينه وبين هشام، فقالت لبريهة: ويحك أتريد أنَّ تكون على حق أو على باطل؟! فقال بريهة: بل على الحق، فقالت له: أينما وجدت الحق فمل إليه، وإياك واللجاجة فإنَّ اللجاجة شك والشك شؤم وأهله في النار، قال: فصوب قولها وعزم على الغدو على هشام. قال: فغدا عليه وليس معه أحد من أصحابه، فقال: يا هشام ألك من تصدر عن رأيه وترجع إلى قوله وتدين بطاعته؟ قال هشام: نعم يا بريهة، قال: وما صفته؟ قال هشام: في نسبه أو في دينه؟ قال: فيهما جميعا صفة نسبه وصفة دينه، قال هشام: أما النسب خير الأنساب: رأس العرب وصفوة قريش وفاضل بني هاشم كل من نازعه في نسبه وجده أفضل منه لأنَّ قريشا أفضل العرب وبني هاشم أفضل قريش، وأفضل بني هاشم خاصهم ودينهم وسيدهم، وكذلك ولد السيد أفضل من ولد غيره وهذا من ولد السِّيد، قال: فصف دينه، قال هشام: شرائعه أو صفة بدنه وطهارته؟ قال: صفة بدنه وطهارته، قال هشام: معصوم فلا يعصي، وسخي فلا يبخل، شجاع فلا يجبن، وما استودع من العلم فلا يجهل، حافظ للدين قائم بما فرض عليه، من عترة الأنبياء، وجامع علم الأنبياء، يحلم عند الغضب، وينصف عند الظلم، ويعين عند الرضا، وينصف من الولي والعدو، ولا يسأل شططا في عدوه ولا يمنع إفادة وليه، يعمل بالكتاب ويحدث بالأعجوبات، من أهل الطهارات،

يحكي قول الأئمة الأصفياء، لم تنقض له حجة، ولم يجهل مسألة، يفتي في كل سنة، ويجلو كل مدلهمة.

قال بريهة: وصفت المسيح في صفاته وأثبته بحججه وآياته، إلاَّ أنَّ الشخص بائن عن شخصه والوصف قائم بوصفه، فإن يصدق الوصف نؤمن بالشخص، قال هشام: إنْ تؤمن ترشد وإنْ تتبع الحق لا تؤنب.

ثمَّ قال هشام: يا بريهة ما من حجّة أقامها الله على أوّل خلقه إلاَّ أقامها على وسط خلقه وآخر خلقه فلا تبطل الحجج، ولا تذهب الملل، ولا تذهب السنن. قال بريهة: ما أشبه هذا بالحق وأقربه من الصدق، وهذه صفة الحكماء يقيمون من الحجّة ما ينفون به الشبهة، قال هشام: نعم، فارتحلا حتى أتيا المدينة والمرأة معهما وهما يريدان أبا عبد الله عليه السلام فلقيا موسى بن جعفر عليهما السلام، فحكى له هشام الحكاية، فلما فرغ قال موسى بن جعفر عليهما السلام: **يا بريهة كيف علمك بكتابك**؟ قال: أنَّا به عالم، قال: **كيف ثقتك بتأويله**؟ قال: ما أوثقني بعلمي فيه قال: فابتدأ موسى بن جعفر عليهما السلام، بقراءة الإنجيل، قال بريهة: والمسيح لقد كان يقرء هكذا وما قرأ هذه القراءة إلاَّ المسيح، ثم قال بريهة: إياك كنت أطلب منذ خمسين سنة أو مثلك، قال: فآمن وحسن إيمانه وآمنت المرأة وحسن إيمانها. قال: فدخل هشام وبريهة والمرأة على أبي عبد الله عليه السلام، وحكى هشام الحكاية والكلام الذي جرى بين موسى عليه السلام وبريهة، فقال أبو عبدالله عليه السلام: ﴿**ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾ فقال بريهة: جعلت فداك أنَّى لكم التوراة والإنجيل وكتب الأنبياء؟ قال: **هي عندنا وراثة من عندهم نقرؤها كما قرؤوها ونقولها كما قالوها، إنَّ الله لا يجعل حجّة في أرضه يسأل عن شيء فيقول**: لا

أدري فلزم بريهة أبا عبد الله عليه السلام حتّى مات أبو عبد الله عليه السلام ، ثم لزم موسى بن جعفر عليه السلام ، حتّى مات في زمانه فغسله بيده وكفنه بيده ولحده بيده ، وقال : هذا حواري من حواريي المسيح يعرف حق الله عليه ، قال : فتمنى أكثر أصحابه أنْ يكونوا مثله .

من كلام موسى بن جعفر عليهما السلام مع الرشيد في خبر طويل ذكرنا منه موضع الحاجة اليه دخل اليه وقد عمد على القبض عليه لأشياء كذبت عليه عنده فأخرج طوماراً طويلاً فيه مذاهباً وشنعة نسبها إلى شيعته فقرأه ثمَّ قال له : يا أمير المؤمنين نحن أهل البيت منينا بالتقول علينا ربنا غفور ستور أبى أنْ يكشف أسرار عباده إلاَّ في وقت محاسبته يوم لا ينفع مال ولا بنون إلاّ من أتى الله بقلب سليم[1] .

١٣ ـ حدّثنا ابو محمد جعفر بن علي بن احمد الفقيه القمي ثم الايلاقي رضي الله عنه . . . . يقول لمّا قدم علي بن موسى الرضا عليه السلام على المأمون أمر الفضل بن سهل أنَّ يجمع له أصحاب المقالات مثل الجاثليق ورأس الجالوت . . . قال الجاثليق : ماتقول في نبوَّة عيسى وكتابه ؟ هل تنكر منهما شيئاً ؟ قال الرضا عليه السلام : **أَنَا مقر بنبوَّة عيسى وكتابه وما بشر به أُمَّتَهُ وأقرت به الحواريون وكافر بنبوَّة كلِّ عيسى لم يقرَّ بنبوَّة محمّد صلى الله عليه وآله وبكتابه ولم يبشرْ به أُمَّتَهُ** قال الجاثليق: أ ليس إنَّما نقطع الأحكام بشاهدي عدل قال عليه السلام: بلى قال: فأقم شاهدين من غير أهل ملتك على نبوَّة محمّد صلى الله عليه وآله ممن لا تنكره النصرانيّة وسلنا مثل ذلك من غير أهل ملتنا .

قال الرضا عليه السلام: **ألانَ جئت بالنصفة يا نصراني ألا تقبل مني العدل المقدّم**

---

(١) بحار الانوار للعلامة المجلسي ج١٠ ب١٦ ح١ ص٢٣٤ احتجاجات موسى بن جعفر عليهما السلام على أرباب الملك والخلفاء.

عند المسيح عيسى ابن مريمعليه السلام قال الجَّاثليق: ومن هذا العدل سمِّه لي قال: **ما تقول في يوحنا الديلمي؟** قال بخ بخ ذكرت أحبُّ الناس إلى المسيح قال: **فأقسمت عليك هل نطق الإنجيل أنَّ يوحنا قال إنَّما المسيح أخبرني بدين محمّد العربي وبشرني به أنه يكون من بعده فبشرت به الحواريين فآمنوا به** قال الجاثليق: قد ذكر ذلك يوحنا عن المسيح وبشر بنبوَّة رجل وبأهل بيته ووصيِّه ولم يلخص متّى يكون ذلك ولم تسم لنا القوم فنعرفهم قال الرضاعليه السلام: ف**إنَّ جئناك بمن يقرأ الإنجيل فتلا عليك ذكر محمّد وأهل بيته وأمته أ تؤمن به؟** قال: سديدا قال الرضاعليه السلام: **لنسطاس الروميّ كيف حفظك للسفر الثالث من الإنجيل؟** قال: ما أحفظني له ثم التفت إلى رأس الجالوت فقال: **ألست تقرأ الإنجيل؟** قال: بلى لعمري قال: **فخذ على السفر فإنْ كان فيه ذكر محمّد وأهل بيته وأمته فاشهدوا لي وإنْ لم يكن فيه ذكره فلا تشهدوا لي ثم قرأ**عليه السلام **السفر الثالث حتّى بلغ ذكر النبي**صلى الله عليه وآله **وقف ثم قال يا نصراني إنِّي أسألك بحق المسيح وأمه أ تعلم أنِّي عالم بالإنجيل؟** قال نعم ثم تلا علينا ذكر محمّد وأهل بيته وأمته ثم **قال ما تقول يا نصراني هذا قول عيسى ابن مريم**عليه السلام **فإنْ كذبت بما ينطق به الإنجيل فقد كذبت موسى وعيسى**عليه السلام **ومتّى أنكرت هذا الذكر وجب عليك القتل لأنَّك تكون قد كفرت بربِّك ونبيك وبكتابك؟** قال الجاثليق: لا أنكر ما قد بان لي في الإنجيل وإنِّي لمقر به قال الرضاعليه السلام **اشهدوا على إقراره**.

ثمَّ قال: **يا جاثليق سل عمّا بدا لك؟** قال الجاثليق: أخبرني عن حواري عيسى ابن مريمعليه السلام كم كان عدتهم وعن علماء الإنجيل كم كانوا قال الرضاعليه السلام: **على الخبير سقطت أمّا الحواريون فكانوا اثني عشر رجلا وكان أعلمهم**

وأفضلهم ألوقا وأمّا علماء النصارى فكانوا ثلاثة رجال يوحنا الأكبر باج ويوحنا بقرقيسيا ويوحنا الديلمي برجاز وعنده كان ذكر النبيﷺ وذكر أهل بيته وأمته وهو الذي بشر أمه عيسى وبني إسرائيل به ثمَّ قال له يا نصراني والله إنَّا لنؤمن بعيسى الذي آمن بمحمدﷺ وما ننقم على عيساكم شيئا إلاَّ ضعفه وقلة صيامه وصلاته.

قال الجاثليق: أفسدت والله علمك وضعفت أمرك وما كنت ظننت إلاّ أنَّك أعلم أهل الإسلام قال الرضاعليه السلام: **وكيف ذاك؟** قال الجاثليق: من قولك أنَّ عيسى كان ضعيفا قليل الصيام قليل الصلاة وما أفطر عيسى يوما قط ولا نام بليل قط وما زال صائم الدهر وقائم الليل قال الرضاعليه السلام: **فلمن كان يصوم ويصلي؟** قال: فخرس الجاثليق وانقطع قال الرضاعليه السلام: **يا نصراني أسألك عن مسألة** قال: سل فإنْ كان عندي علمها أجبتك قال الرضاعليه السلام: **ما أنكرت أن عيسىعليه السلام كان يحيي الموتى بإذن الله عَزَّ وجَلَّ؟** قال الجاثليق: أنكرت ذلك من أجل أن من أحيا الموتى وأبرأ الأكمه والأبرص فهو ربٌ مستحق لأنْ يعبد قال الرضاعليه السلام: **فإنَّ اليسع قد صنع مثل ما صنع عيسىعليه السلام مشى على الماء وأحيا الموتى وأبرأ الأكمه والأبرص فلم تتخذه أمته ربا ولم يعبده أحد من دون الله عَزَّ وجَلَّ ولقد صنع حزقيل النبيعليه السلام مثل ما صنع عيسى ابن مريم فأحيا خمسة وثلاثين ألف رجل من بعد موتهم بستين سنة ثم التفت إلى رأس الجالوت فقال له يا رأس الجالوت أتجد هؤلاء في شباب بني إسرائيل في التوراة اختارهم بخت نصر من سبي بني إسرائيل حين غزا بيت المقدس ثم انصرف بهم إلى بابل فأرسله الله عَزَّ وجَلَّ إليهم فأحياهم هذا في التوراة لا يدفعه إلاَّ كافر منكم** قال

رأس الجالوت: قد سمعنا به وعرفناه قال: **صدقت ثمَّ قال يا يهودي خذ على هذا السفر من التوراة فتلا**عليه السلام علينا من التوراة آيات فأقبل اليهودي يترجج لقراءته ويتعجب ثم أقبل على النصراني.

فقال: **يا نصراني أ فهؤلاء كانوا قبل عيسى أم عيسى كان قبلهم؟** قال: بل كانوا قبله فقال الرضاعليه السلام: **لقد اجتمعت قريش على رسول الله**صلى الله عليه وآله **فسألوه أنْ يحيي لهم موتاهم فوجه معهم علي بن أبي طالب**عليه السلام **فقال له اذهب إلى الجبانة فناد بأسماء هؤلاء الرهط الذين يسألون عنهم بأعلى صوتك يا فلان و يا فلان و يا فلان يقول لكم محمد رسول الله**صلى الله عليه وآله **قوموا بإذن الله عَزَّ وجَلَّ فقاموا ينفضون التراب عن رءوسهم فأقبلت قريش يسألهم عن أمورهم ثم أخبروهم أنَّ محمدا قد بعث نبيا فقالوا وددنا أنَّا أدركناه فنؤمن به ولقد أبرأ الأكمه والأبرص والمجانين وكلمه البهائم والطير والجن والشياطين ولم نتخذه رباً من دون الله عَزَّ وجَلَّ ولم ننكر لأحد من هؤلاء فضلهم فمتّى اتخذتم عيسى رباً جاز لكم أنْ تتخذوا اليسع وحزقيل رباً لأنَّهما قد صنعا مثل ما صنع عيسى ابن مريم**عليه السلام **من إحياء الموتى وغيره وإنَّ قوما من بني إسرائيل خرجوا من بلادهم من الطاعون وهم ألوف حذر الموت فأماتهم الله في ساعة واحدة فعمد أهل تلك القرية فحظروا عليهم حظيرة فلم يزالوا فيها حتّى نخرت عظامهم وصاروا رميما فمر بهم نبي من أنبياء بني إسرائيل فتعجب منهم ومن كثرة العظام البالية فأوحى الله عَزَّ وجَلَّ إليه أ تحب أنْ أحييهم لك فتنذرهم قال نعم يا رب فأوحى الله عَزَّ وجَلَّ إليه أنْ نادهم فقال أيتها العظام البالية قومي بإذن الله عَزَّ وجَلَّ فقاموا أحياء أجمعون ينفضون التراب عن رءوسهم ثم إبراهيم خليل الرحمن**عليه السلام **حين أخذ**

الطير فقطعهن قطعا ثم وضع على كل جبل منهن جزءا ثم ناداهن فأقبلن سعيا إليه ثم موسى بن عمران عليه السلام وأصحابه السبعون الذين اختارهم صاروا معه إلى الجبل فقالوا له إنَّك قد رأيت الله سبحانه فأرناه كما رأيته فقال لهم إنِّي لم أره فقالوا لن نؤمن لك حتّى نرى الله جهرة فأخذتهم الصاعقة فاحترقوا عن آخرهم وبقي موسى وحيدا فقال يا رب اخترت سبعين رجلا من بني إسرائيل فجئت بهم وأرجع وحدي فكيف يصدقني قومي بما أخبرهم به فلو شئت أهلكتهم من قبل وإياي أ تهلكنا بما فعل السفهاء منا فأحياهم الله عَزَّ وجَلَّ من بعد موتهم وكلّ شيء ذكرته لك من هذا لا تقدر على دفعه لأنَّ التوراة والإنجيل والزبور والفرقان قد نطقت به فإنْ كان كلمن أحيا الموتى وأبرأ الأكمه والأبرص والمجانين يتخذ رباً من دون الله فاتخذ هؤلاء كلهم أربابا ما تقول يا يهودي؟ فقال الجاثليق: القول قولك ولا إله إلاَّ الله ثم التفت إلى رأس الجالوت فقال: **يا يهودي أقبل علي أسألك بالعشر الآيات التي أنزلت على موسى بن عمران عليه السلام هل تجد في التوراة مكتوبا بنبإ محمد صلى الله عليه وآله وأمته إذا جاءت الأمة الأخيرة أتباع راكب البعير يسبحون الرب جدّا جدّا تسبيحا جديدا في الكنائس الجدد فليفرغ بنو إسرائيل إليهم وإلى ملكهم لتطمئن قلوبهم فإنَّ بأيديهم سيوفا ينتقمون بها من الأمم الكافرة في أقطار الأرض أهكذا هو في التوراة مكتوب؟** قال رأس الجالوت: نعم إنَّا لنجده كذلك ثم قال للجاثليق: **يا نصراني كيف علمك بكتاب شعيا عليه السلام؟** قال: أعرفه حرفا حرفا قال لهما: **أتعرفان هذا من كلامه يا قوم إنِّي رأيت صورة راكب الحمار لابسا جلابيب النور ورأيت راكب البعير ضوء مثل ضوء القمر** فقالا: قد قال ذلك شعيا عليه السلام قال الرضا عليه السلام: **يا نصراني هل تعرف في الإنجيل قول عيسى عليه السلام إنِّي**

ذاهب إلى ربّكم وربي والبار قليطا جاء هو الذي شهد لي بالحق كما شهدت له وهو الذي يفسر لكم كلّ شيء وهو الذي يبدئ فضائح الأمم وهو الذي يكسر عمود الكفر فقال الجاثليق: ما ذكرت شيئا من الإنجيل إلاّ ونحن مقرون به فقال: **أتجد هذا في الإنجيل ثابتا يا جاثليق؟** قال: نعم قال الرضاعليه السلام: **يا جاثليق ألا تخبرني عن الإنجيل الأوّل حين افتقدتموه عند من وجدتموه ومن وضع لكم هذا الإنجيل** فقال له: ما افتقدنا الإنجيل إلاّ يوما واحدا حتى وجدناه غضا طريّا فأخرجه إلينا يوحنا ومتّى فقال له الرضاعليه السلام: **ما أقل معرفتك بسنن الإنجيل وعلمائه فإنْ كان هذا كما تزعم فلم اختلفتم في الإنجيل وإنما وقع الاختلاف في هذا الإنجيل الذي في أياديكم اليوم فلو كان على العهد الأول لم تختلفوا فيه ولكني مفيدك علم ذلك اعلم أنَّه لمّا افتقد الإنجيل الأوّل اجتمعت النصارى إلى علمائهم فقالوا لهم قتل عيسى ابن مريمعليه السلام وافتقدنا الإنجيل وأنتم العلماء فما عندكم فقال لهم ألوقا ومرقابوس إن الإنجيل في صدورنا ونحن نخرجه إليكم سفرا سفرا في كلِّ أحد فلا تحزنوا عليه ولا تخلوا الكنائس فإنَّا سنتلوه عليكم في كل أحد سفرا سفرا حتّى نجمعه كله فقعد ألوقا ومرقابوس ويوحنا ومتّى فوضعوا لكم هذا الإنجيل بعد ما افتقدتم الإنجيل الأوّل وإنَّما كان هؤلاء الأربعة تلاميذ تلاميذ الأولين أعلمت ذلك** فقال الجاثليق: أمّا هذا فلم أعلمه وقد علمته الآن وقد بان لي من فضل علمك بالإنجيل وسمعت أشياء مما علمته شهد قلبي أنَّها حق فاستزدت كثيرا من الفهم فقال له الرضاعليه السلام: **فكيف شهادة هؤلاء عندك؟** قال: جائزة هؤلاء علماء الإنجيل وكلما شهدوا به فهو حق قال الرضاعليه السلام: **للمأمون ومن حضره من أهل بيته ومن غيرهم اشهدوا عليه قالوا قد شهدنا ثم قالعليه السلام**

للجاثليق بحق الابن وأمه هل تعلم أنَّ متّى قال إنَّ المسيح هو ابن داود بن إبراهيم بن إسحاق بن يعقوب بن يهوذا بن خضرون فقال مرقابوس في نسبة عيسى ابن مريمعليه السلام **إنَّه كلمة الله أحلها في جسد الأدمي فصارت إنسانا وقال ألوقا إنَّ عيسى ابن مريم**عليه السلام **وأمه كانا إنسانين من لحم ودم فدخل فيها الروح القدس ثم إنَّك تقول من شهادة عيسى على نفسه حقا أقول لكم يا معشر الحواريين إنَّه لا يصعد إلى السماء إلا من نزل منها إلاَّ راكب البعير خاتم الأنبياء فإنَّه يصعد إلى السماء وينزل فما تقول في هذا القول؟** قال الجاثليق: هذا قول عيسى لا ننكره قال الرضاعليه السلام: **فما تقول في شهادة ألوقا ومرقابوس ومتّى على عيسى وما نسبوه إليه** قال الجاثليق: كذبوا على عيسى فقال الرضاعليه السلام: **يا قوم أليس قد زكاهم وشهد أنَّهم علماء الإنجيل وقولهم حق؟** فقال: الجاثليق يا عالم المسلمين أحبُّ أنْ تعفيني من أمر هؤلاء قال الرضاعليه السلام: **فإنَّا قد فعلنا سل يا نصراني عمَّا بدا لك؟** قال الجاثليق: ليسألك غيري فلا وحق المسيح ما ظننت أنَّ في علماء المسلمين مثلك فالتفت الرضاعليه السلام إلى رأس الجالوت فقال له: **تسألني أو أسألك؟** فقال: بل أسألك ولست أقبل منك حجة إلاَّ من التوراة أو من الإنجيل أو من زبور داود أو بما في صحف إبراهيم وموسى قال الرضاعليه السلام: **لا تقبل مني حجة إلاَّ بما تنطق به التوراة على لسان موسى بن عمران والإنجيل على لسان عيسى ابن مريم والزبور على لسان داود** فقال رأس الجالوت: منْ أين تثبت نبوة محمدصلى الله عليه وآله قال الرضاعليه السلام: **شهد بنبوته موسى بن عمران وعيسى ابن مريم وداود خليفة الله عز وجل في الأرض** فقال له: ثبت قول موسى بن عمران فقال له الرضاعليه السلام: **هل تعلم يا يهودي أنَّ موسى أوصى بني إسرائيل فقال لهم إنَّه سيأتيكم نبي من**

إخوانكم فيه فصدقوا ومنه فاسمعوا فهل تعلم أنَّ لبني إسرائيل إخوة غير ولد إسماعيل إنْ كنت تعرف قرابة إسرائيل من إسماعيل والنسب الذي بينهما من قبل إبراهيمعليه السلام فقال رأس الجالوت: هذا قول موسى لا ندفعه فقال له الرضاعليه السلام: **هل جاءكم من إخوة بني إسرائيل نبي غير محمد**صلى الله عليه وآله قال: لا قال الرضاعليه السلام: **أ وليس قد صح هذا عندكم؟** قال: نعم ولكني أحبُّ أنْ تصححه إلي من التوراة فقال له الرضاعليه السلام: **هل تنكر أنَّ التوراة تقول لكم جاء النور من قبل طور سيناء وأضاء لنا من جبل ساعير واستعلن علينا من جبل فاران؟** قال رأس الجالوت: أعرف هذه الكلمات وما أعرف تفسيرها قال الرضاعليه السلام: **أنّا أخبرك به أما قوله جاء النور من قبل طور سيناء فذلك وحي الله تبارك وتعالى الذي أنزله على موسى**عليه السلام **على جبل طور سيناء وأمّا قوله وأضاء لنا من جبل ساعير فهو الجبل الذي أوحى الله عَزَّ وجَلَّ إلى عيسى ابن مريم**عليه السلام **وهو عليه وأمّا قوله واستعلن علينا من جبل فاران فذاك جبل من جبال مكة بينه وبينها يوم وقال شعيا النبي**عليه السلام **فيما تقول أنَت وأصحابك في التوراة رأيت راكبين أضاء لهم الأرض أحدهما على حمار والآخر على جمل فمن راكب الحمار ومن راكب الجمل؟** قال رأس الجالوت: لا أعرفهما فخبرني بهما قال: **أمّا راكب الحمار فعيسى**عليه السلام **وأمّا راكب الجمل فمحمد**صلى الله عليه وآله **أتنكر هذا من التوراة؟** قال لا ما أنكره.

ثم قال الرضاعليه السلام: **هل تعرف حيقوق النبي**عليه السلام**؟** قال: نعم إنّي به لعارف قال: **فإنّه قال وكتابكم ينطق به جاء الله تعالى بالبيان من جبل فاران وامتلأت السماوات من تسبيح أحمد وأمته يحمل خيله في البحر كما يحمل في البر يأتينا بكتاب جديد بعد خراب بيت المقدس يعني بالكتاب الفرقان أتعرف هذا وتؤمن**

به؟ قال رأس الجالوت: قد قال ذلك حيقوق النبيعليه السلام ولا ننكر قوله قال الرضاعليه السلام: **فقد قال داود في زبوره وأنت تقرأه اللهم ابعث مقيم السُنَّة بعد الفترة فهل تعرف نبيا أقام السُنَّة بعد الفترة غير محمّدصلى الله عليه وآله** قال رأس الجالوت: هذا قول داود نعرفه ولا ننكر ولكن عنى بذلك عيسى وأيامه هي الفترة قالله الرضاعليه السلام: **جهلت أنَّ عيسىعليه السلام لم يخالف السُنَّة وكان موافقا لسُنَّة التوراة حتّى رفعه الله إليه وفي الإنجيل مكتوب أنَّ ابن البرة ذاهب والبار قليطا جاء من بعده وهو الذي يحفظ الآصار ويفسِّر لكم كلّ شيء ويشهد لي كما شهدت له أنّا جئتكم بالأمثال وهو يأتيكم بالتأويل أتؤمن بهذا في الإنجيل؟** قال: نعم فقال له الرضاعليه السلام: **يا رأس الجالوت أسألك عن نبيك موسى بن عمرانعليه السلام** فقال: سل قال: **ما الحجّة على أنَّ موسى ثبتت نبوَّته** قال اليهودي: إنَّه جاء بما لم يجئ به أحد من الأنبياء قبله قال: **له مثل ماذا؟** قال: مثل فلق البحر وقلبه العصا حية تسعى وضربه الحجر فانفجرت منه العيون وإخراجه يده بيضاء للناظرين وعلاماته لا يقدر الخلق على مثلها قال له الرضاعليه السلام: **صدقت في أنَّه كانت حجته على نبوَّته أنَّه جاء بما لا يقدر الخلق على مثله أفليس كلٍّ من ادّعى أنَّه نبي ثم جاء بما لا يقدر الخلق على مثله وجب عليكم تصديقه** قال: لا لأنَّ موسىعليه السلام لم يكن له نظير لمكانه من ربه وقربه منه ولا يجب علينا الإقرار بنبوَّة من ادعاها حتّى يأتي من الأعلام بمثل ما جاء به فقال الرضاعليه السلام: **فكيف أقررتم بالأنبياء الذين كانوا قبل موسىعليه السلام ولم يفلقوا البحر ولم يفجروا من الحجر اثنتي عشرة عينا ولم يخرجوا أيديهم مثل إخراج موسى يده بيضاء ولم يقلبوا العصا حية تسعى؟** قال اليهودي: قد خبرتك أنَّه متّى ما جاءوا على نبوَّتهم من الآيات بما لا يقدر الخلق على مثله ولو جاءوا بما لم يجئ

به موسى أو كان على غير ما جاء به موسى وجب تصديقهم قال له الرضاعليه السلام: **يا رأس الجالوت فما يمنعك من الإقرار بعيسى ابن مريم وقد كان يحيي الموتى ويبرئ الأكمه والأبرص ويخلق من الطين كهيئة الطير ثم ينفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله تعالى** قال رأس الجالوت: يقال إنَّه فعل ذلك ولم نشهده قال الرضاعليه السلام: **أرأيت ما جاء به موسى من الآيات شاهدته أليس إنَّما جاءت الأخبار من ثقات أصحاب موسى أنَّه فعل ذلك؟** قال: بلى قال: **فكذلك أيضا أتتكم الأخبار المتواترة بما فعل عيسى ابن مريم**عليه السلام **فكيف صدقتم بموسى ولم تصدقوا بعيسى؟** فلم يحر جوابا قال الرضاعليه السلام: **وكذلك أمر محمّد**صلى الله عليه وآله **وما جاء به وأمر كلّ نبي بعثه اللهو من آياته أنَّه كان يتيما فقيرا راعيا أجيرا لم يتعلم كتابا ولم يختلف إلى معلم ثم جاء بالقرآن الذي فيه قصص الأنبياء**عليهم السلام **وأخبارهم حرفا حرفا وأخبار من مضى ومنبقي إلى يوم القيامة** ثم كان يخبرهم بأسرارهم وما يعملون في بيوتهم وجاء بآيات كثيرة لا تحصى قال: رأس الجالوت لم يصح عندنا خبر عيسى ولا خبر محمّدصلى الله عليه وآله ولا يجوز لنا أنْ نقر لهما بما لا يصح قال الرضاعليه السلام: **فالشاهد الذي شهد لعيسى ولمحمّد**صلى الله عليه وآله **شاهد زور فلم يحر جوابا ثم دعا**عليه السلام **بالهربذ الأكبر** فقال له الرضاعليه السلام: **أخبرني عن زردهشت الذي تزعم أنَّه نبي ما حجتك على نبوته قال إنَّه أتى بما لم يأتنا أحد قبله ولم نشهده ولكن الأخبار من أسلافنا وردت علينا بأنَّه أحل لنا ما لم يحله غيره فاتبعناه قال: أفليس إنَّما أتتكم الأخبار فاتبعتموه؟** قال: بلى قال: **فكذلك سائر الأمم السالفة أتتهم الأخبار بما أتى به النبيون وأتى به موسى وعيسى ومحمّد**صلى الله عليه وآله **فما عذركم في ترك الإقرار لهم إذ كنتم إنَّما أقررتم بزردهشت من قبل الأخبار المتواترة بأنَّه جاء بما لم يجئ به غيره فانقطع**

الهربذ مكانه فقال الرضاعليه السلام: **يا قوم إنْ كان فيكم أحد يخالف الإسلام وأراد أنْ يسأل فليسأل غير محتشم** فقام إليه عمران الصابي وكان واحدا من المتكلمين فقال: يا عالم الناس لو لا أنَّك دعوت إلى مسألتك لم أقدم عليك بالمسائل فلقد دخلت بالكوفة والبصرة والشام والجزيرة ولقيت المتكلمين فلم أقع على أحد يثبت لي واحدا ليس غيره قائما بوحدانيته أفتأذن لي أنْ أسألك قال الرضاعليه السلام: **أنَّ كان في الجماعة عمران الصابي فأنَّت هو** قال: أنَّا هو قال: **سل يا عمران وعليك بالنصفة وإياك والخطل والجور** فقال: والله يا سيدي ما أريد إلاَّ أنْ تثبت لي شيئا أتعلق به فلا أجوزه قال: **سل عمَّا بدا لك** فازدحم الناس وانضم بعضهم إلى بعض فقال عمران الصابي: أخبرني عن الكائن الأول وعمَّا خلق فقال: **له سألت فافهم أمّا الواحد فلم يزل واحدا كائنا لا شيء معه بلا حدود ولا أعراض ولا يزال كذلك ثم خلق خلقا مبتدعا مختلفا بأعراض وحدود مختلفة لا في شيء أقامه ولا في شيء حده ولا على شيء حذاه ومثله له فجعل الخلق من بعد ذلك صفوة وغير صفوة واختلافا وائتلافا وألوانا وذوقا وطعما لا لحاجة كانت منه إلى ذلك ولا لفضل منزلة لم يبلغها إلاَّ به ولا أرى لنفسه فيما خلق زيادة ولا نقصانا تعقل هذا يا عمران** قال: نعم والله يا سِّيدي قال: **واعلم يا عمران أنَّه لو كان خلق ما خلق لحاجة لم يخلق إلا من يستعين به على حاجته ولكان ينبغي أنْ يخلق أضعاف ما خلق لأنَّ الأعوان كلما كثروا كان صاحبهم أقوى والحاجة يا عمران لا يسعها لأنَّه كان لم يحدث من الخلق شيئا إلاَّ حدثت فيه حاجة أخرى ولذلك أقول لم يخلق الخلق لحاجة ولكن نقل بالخلق الحوائج بعضهم إلى بعض وفضل بعضهم على بعض بلا حاجة منه إلى من فضل ولا نقمة منه على من أذل فلهذا خلق** قال

عمران: يا سيدي هل كان الكائن معلوما في نفسه عند نفسه قال الرضاﷺ: **إنَّما يكون المعلمة بالشيء لنفي خلافه وليكون الشيء نفسه بما نفي عنه موجودا ولم يكن هناك شيء يخالفه فتدعوه الحاجة إلى نفي ذلك الشيء عن نفسه بتحديد ما علم منها أ فهمت يا عمران؟** قال: نعم والله يا سِّيدي فأخبرني بأي شيء علم ما علم أبضمير أمّ بغير ذلك قال الرضاﷺ: **أرأيت إذا علم بضمير هل يجد بدا من أنْ يجعل لذلك الضمير حدا تنتهي إليه المعرفة** قال عمران: لابُدَّ من ذلك قال الرضاﷺ: **فما ذلك الضمير؟** فانقطع ولم يحر جوابا قال الرضاﷺ: **لا بأس إنْ سألتك عن الضمير نفسه تعرفه بضمير آخر فإنْ قلت نعم أفسدت عليك قولك ودعواك يا عمران أليس ينبغي أنْ تعلم أنَّ الواحد ليس يوصف بضمير وليس يقال له أكثر من فعل وعمل وصنع وليس يتوهم منه مذاهب وتجزية كمذاهب المخلوقين وتجزيتهم فاعقل ذلك وابن عليه ما علمت صوابا** قال عمران: يا سيدي ألا تخبرني عن حدود خلقه كيف هي وما معانيها وعلى كم نوع يكون قال: **قد سألت فاعلم أن حدود خلقه على ستة أنواع**

ملموس وموزون ومنظور إليه وما لا ذوقله وهو الروح ومنها منظور إليه وليس له وزن ولا لمس ولا حس ولا لون ولا ذوقو التقدير والأعراض والصور والطول والعرض ومنها العمل والحركات التي تصنع الأشياء وتعملها وتغيرها من حال إلى حال وتزيدها وتنقصها فأمّا الأعمال والحركات فإنها تنطلق لأنَّه لا وقت لها أكثر من قدر ما يحتاج إليه فإذا فرغ من الشيء انطلق بالحركة وبقي الأثر ويجرى مجرى الكلام الذي يذهب ويبقى أثره قال عمران: يا سيدي ألا تخبرني عن الخالق إذا كان واحدا لا شيء غيره ولا شيء معه أليس قد تغير بخلقه الخلق

قال له الرضاعليه السلام: **قديم لم يتغير عَزَّ وجَلَّ بخلقه الخلق ولكن الخلق يتغير بتغيره** قال عمران: يا سيدي فبأي شيء عرفناه؟ قال: **بغيره** قال: فأي شيء غيره؟قال الرضاعليه السلام: **مشيته واسمه وصفته وما أشبه ذلك وكل ذلك محدث مخلوق مدبر** قال عمران: يا سيدي فأي شيء هو قال هو نور بمعنى أنَّه هاد خلقه من أهل السماء وأهل الأرض وليس لك على أكثر من توحيدي إياه قال عمران: يا سِّيدي أ ليس قد كان ساكتا قبل الخلق لا ينطق ثم نطق؟ قال الرضاعليه السلام: **لا يكون السكوت إلاَّ عن نطق قبله والمثل في ذلك أنَّه لا يقال للسراج هو ساكت لا ينطق ولا يقال أنَّ السراج ليضيء فيما يريد أنْ يفعل بنا لأنَّ الضوء من السراج ليس بفعل منه ولا كون وإنَّما هو ليس شيء غيره فلما استضاء لنا قلنا قد أضاء لنا حتّى استضأنا به فبهذا تستبصر أمرك** قال عمران: يا سيدي فإنَّ الذي كان عندي أنَّ الكائن قد تغير في فعله عن حاله بخلقه الخلق قال الرضاعليه السلام: **أحلت يا عمران في قولك إنَّ الكائن يتغير في وجه من الوجوه حتّى يصيب الذات منه ما يغيره يا عمران هل تجد النار تغيرها تغير نفسها وهل تجد الحرارة تحرق نفسها أو هل رأيت بصيرا قط رأى بصره؟** قال عمران: لم أر هذا إلا أنْ تخبرني يا سيدي أهو في الخلق أمّ الخلق فيه قال الرضاعليه السلام: **أجلُّ يا عمران عن ذلك ليس هو في الخلق ولا الخلق فيه تعالى عن ذلك وساء علمك ما تعرفه ولا قوة إلاَّ بالله أخبرني عن المرآة أنت فيها أمّ هي فيك فإنْ كان ليس واحد منكما في صاحبه فبأيّ شيء استدللت بها على نفسك يا عمران؟** قال: بضوء بيني وبينها قال الرضاعليه السلام: **هل ترى من ذلك الضوء في المرآة أكثر مما تراه في عينك؟** قال: نعم قال الرضاعليه السلام: **فأرناه** فلم يحر جوابا قال: **فلا أرى النور إلاَّ وقد دلك ودل المرآة على أنفسكما من**

غير أنْ يكون فيواحد منكما ولهذا أمثال كثيرة غير هذا لا يجد الجاهل فيها مقالا ولله المثل الأعلى ثم التفت إلى المأمون فقال الصلاة قد حضرت فقال عمران: يا سيدي لا تقطع علي مسألتي فقد رق قلبي قال الرضاعليه السلام: **نصلي ونعود فنهض** ونهض المأمون فصلى الرضاعليه السلام داخلا وصلى الناس خارجا خلف محمد بن جعفر ثم خرجا فعاد الرضاعليه السلام إلى مجلسه ودعاب عمران فقال: **سل يا عمران** قال: يا سيدي ألا تخبرني عن الله عَزَّ وجَلَّ هل يوحد بحقيقة أو يوحد بوصف قال الرضاعليه السلام: **إنَّ الله المبدئ الواحد الكائن الأوّل لم يزل واحدا لاشيْء معه فردا لا ثاني معه لا معلوما ولا مجهولا ولا محكما ولا متشابها ولا مذكورا ولا منسيا ولا شيئا يقع عليه اسم شيء من الأشياء غيره ولا من وقت كان ولا إلى وقت يكون ولا بشيء قام ولا إلى شيء يقوم ولا إلى شيء استند ولا فيشيء استكن وذلك كله قبل الخلق إذ لا شيء غيره وما أوقعت عليه من الكل فهي صفات محدثة وترجمة يفهم بها من فهم واعلم أنَّ الإبداع والمشية والإرادة معناها واحد وأسماؤها ثلاثة وكان أول إبداعه وإرادته ومشيته الحروف التي جعلها أصلا لكلِّ شيء ودليلا على كل مدرك وفاصلا لكلِّ مشكل وبتلك الحروف تفريق كلّ شيء من اسم حق وباطل أو فعل أو مفعول أو معنى أو غير معنى وعليها اجتمعت الأمور كلها ولم يجعل للحروف في إبداعه لها معنى غير أنفسها تتناهى ولا وجود لها لأنَّها مبدعة بالإبداع والنور فيهذا الموضع أول فعل الله الذي هو نور السماوات والأرض والحروف هي المفعول بذلك الفعل وهي الحروف التي عليها مدار الكلام والعبادات كلها من الله عَزَّ وجَلَّ عليها خلقه وهي ثلاثة وثلاثون حرفا فمنها ثمانية وعشرون حرفا تدل على لغات العربية ومن الثمانية والعشرين اثنان**

وعشرون حرفا تدل على لغات السريانية والعبرانية ومنها خمسة أحرف متحرفة في سائر اللغات من العجم والأقاليم واللغات كلّها وهي خمسة أحرف تحرفت من الثمانية والعشرين حرفا من اللغات فصارت الحروف ثلاثة وثلاثين حرفا فأمّا الخمسة المختلفة فيتجحخ لا يجوز ذكرها أكثر مما ذكرناه ثم جعل الحروف بعد إحصائها وأحكام عدتها فعلا منه كقوله عَزَّ وجَلَّ كُنْ فَيَكُونُ وكن منه صنع وما يكون به المصنوع فالخلق الأوّل من الله عَزَّ وجَلَّ الإبداع لا وزن له ولا حركة ولا سمع ولا لون ولا حسّ والخلق الثاني الحروف لا وزن لها ولا لون وهي مسموعة موصوفة غير منظور إليها والخلق الثالث ما كان من الأنواع كلها محسوسا ملموسا ذا ذوق منظورا إليه والله تبارك وتعالى سابق للإبداع لأنَّه ليس قبله عَزَّ وجَلَّ شيء ولا كان معه شيء والإبداع سابق للحروف والحروف لا تدل على غير نفسها قال المأمون: وكيف لا تدل على غير أنفسها قال الرضا عليه السلام: **لأنَّ الله تبارك وتعالى لا يجمع منها شيئا لغير معنى أبدا فإذا ألف منها أحرفا أربعة أو خمسة أو ستة أو أكثر من ذلك أو أقل لم يؤلفها بغير معنى ولميكن إلاَّ لمعنى محدث لم يكن قبل ذلك شيء** قال عمران: فكيف لنا بمعرفة ذلك قال الرضا عليه السلام: **أمّا المعرفة فوجه ذلك وبيانه أنَّك تذكر الحروف إذا لم ترد بها غير نفسها ذكرتها فردا فقلت ا ب ت ث ج ح خ حتّى تأتي على آخرها فلم تجد لها معنى غير أنفسها وإذا ألفتها وجمعت منها أحرفا وجعلتها اسما وصفة لمعنى ما طلبت ووجه ما عنيت كانت دليلة على معانيها داعية إلى الموصوف بها أفهمته؟** قال: نعم قال الرضا عليه السلام: **واعلم أنَّه لا يكون صفة لغير موصوف ولا اسم لغير معنى ولا حد لغير محدود والصفات والأسماء كلّها تدل على الكمال والوجود ولا تدل على الإحاطة كما تدل**

الحدود التي هي التربيع والتثليث والتسديس لأنَّ الله عَزَّ وجَلَّ تدرك معرفته بالصفات والأسماء ولا تدرك بالتحديد بالطول والعرض والقلة والكثرة واللون والوزن وما أشبه ذلك وليس يحل بالله وتقدس شيء من ذلك حتّى يعرفه خلقه بمعرفتهم أنفسهم بالضرورة التي ذكرنا ولكن يدل على الله عَزَّ وجَلَّ بصفاته ويدرك بأسمائه ويستدل عليه بخلقه حق لا يحتاج في ذلك الطالب المرتاد إلى رؤية عين ولا استماع أذن ولا لمس كف ولا إحاطة بقلب ولو كانت صفاته جل ثناؤه لا تدل عليه وأسماؤه لا تدعو إليه والمعلمة من الخلق لا تدركه لمعناه كانت العبادة من الخلق لأسمائه وصفاته دون معناه فلو لا أنَّ ذلك كذلك لكان المعبود الموحد غير الله لأنَّ صفاته وأسماءه غيره أفهمت قال نعم يا سيدي زدني قال الرضاعليه السلام إياك وقول الجهال من أهل العمى والضلال الذين يزعمون أنَّ الله جل وتقدس موجود في الآخرة للحساب في الثواب والعقاب وليس بموجود في الدنيا للطاعة والرجاء ولو كان في الوجود لله عَزَّ وجَلَّ نقص واهتضام لم يوجد في الآخرة أبدا ولكن القوم تاهوا وعموا وصموا عن الحق من حيث لا يعلمون وذلك قوله عز وجل ﴿وَمَنْ كانَ فِي هذِهِ أَعْمى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمى وأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ يعني أعمى عن الحقائق الموجودة وقد علم ذوو الألباب أنَّ الاستدلال على ما هناك لا يكون إلاَّ بما هاهنا ومن أخذ علم ذلك برأيه وطلب وجوده وإدراكه عن نفسه دون غيرها لم يزدد من علم ذلك إلاَّ بعدا لأنَّ الله عَزَّ وجَلَّ جعل علم ذلك خاصة عند قوم يعقلون ويعلمون ويفهمون قال عمران يا سيدي ألا تخبرني عن الإبداع أخلق هو أمّ غير خلق قال الرضاعليه السلام بل خلق ساكن لا يدرك بالسكون وإنَّما صار خلقا لأنَّه شيء محدث والله تعالى الذي أحدثه فصار خلقا له وإنَّما هو الله عَزَّ

وجَلَّ وخلقه لا ثالث بينهما ولا ثالث غيرهما فما خلق الله عَزَّ وجَلَّ لم يعد أنْ يكون خلقه وقد يكون الخلق ساكنا ومتحركا ومختلفا ومؤتلفا ومعلوما ومتشابها وكل ما وقع عليه حد فهو خلق الله عز وجل واعلم أنْ كل ما أوجدتك الحواس فهو معنى مدرك للحواس وكل حاسة تدل على ما جعل الله عَزَّ وجَلَّ لها في إدراكها والفهم من القلب بجميع ذلك كله واعلم أنَّ الواحد الذي هو قائم بغير تقدير ولا تحديد خلق خلقا مقدرا بتحديد وتقدير وكان الذي خلق خلقين اثنين التقدير والمقدر وليس في كل واحد منهما لون ولا وزن ولا ذوق فجعل أحدهما يدرك بالآخر وجعلهما مدركين بنفسها ولم يخلق شيئا فردا قائما بنفسه دون غيره للذي أراد من الدلالة على نفسه وإثبات وجوده فالله تبارك وتعالى فرد واحد لا ثاني معه يقيمه ولا يعضده ولا يكنه والخلق يمسك بعضه بعضا بإذن الله تعالى ومشيته وإنَّما اختلف الناس في هذا الباب حتّى تاهوا وتحيروا وطلبوا الخلاص من الظلمة بالظلمة في وصفهم الله تعالى بصفة أنفسهم فازدادوا من الحق بعد أولو وصفوا الله عَزَّ وجَلَّ بصفاته ووصفوا الله المخلوقين بصفاتهم لقالوا بالفهم واليقين ولما اختلفوا فلما طلبوا من ذلك ما تحيروا فيه ارتكبوا والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم قال عمران يا سِّيدي أشهد أنَّه كما وصفت ولكن بقيت لي مسألة قال: **سل عمَّا أردت** قال: أسألك عن الحكيم في أي شيء هو وهل يحيط به شيء وهل يتحول من شيء إلى شيء أو به حاجة إلى شيء قال الرضا عليه السلام: **أخبرك يا عمران فاعقل ما سألت عنه فإنَّه من أغمض ما يرد على الخلق في مسائلهم وليس يفهم المتفاوت عقله العازب حلمه ولا يعجز عن فهمه أولو العقل المنصفون أمّا أوّل ذلك فلو كان خلق ما خلق لحاجة منه لجاز لقائل أنْ يقول**

يتحول إلى ما خلق لحاجته إلى ذلك ولكنه عَزَّ وجَلَّ لم يخلق شيئا لحاجة ولم يزل ثابتا لا في شيء ولا على شيء إلاّ أنَّ الخلق يمسك بعضه بعضا ويدخل بعضه في بعض ويخرج منه والله جل وتقدس بقدرته يمسك ذلك كله وليس يدخل في شيء ولا يخرج منه ولا يئوده حفظه ولا يعجز عن إمساكه ولا يعرف أحد من الخلق كيف ذلك إلاّ الله عَزَّ وجَلَّ ومن أطلعه عليه من رسله وأهل سره والمستحفظين لأمره وخزانه القائمين بشريعته وإنَّما أمره كلمح البصر أو هو أقرب إذا شاء شيئا ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ بمشيته وإرادته وليس شي ءمن خلقه أقرب إليه من شيء ولا شيء أبعد منه من شيء أ فهمت يا عمران قال: نعم يا سِّيدي قد فهمت وأشهد أنَّ الله تعالى على ما وصفت ووحدت وأشهد أنَّ محمداً صلى الله عليه وآله عبده المبعوث بالهدى ودين الحق ثم خر ساجداً نحو القبلة فأسلم[1] .

١٤ـ الخرائج : روي عن محمد بن الفضل الهاشمي قال لما توفي موسى بن جعفر عليه السلام أتيت المدينة فدخلت على الرضا عليه السلام فسلمت عليه بالأمر واوصلت اليه ما كان معي . . . ثم أنَّ الرضا عليه السلام التفت إلى الجاثليق فقال : **هل دل الانجيل على نبوَّة محمّد** صلى الله عليه وآله ؟ قال : لو دل الانجيل على ذلك ما جحدناه ، فقال عليه السلام **أخبرني عن السكتة التي لكم في السفر الثالث** فقال الجاثليق اسم من أسماء الله تعالى لا يجوز لنا أنْ نظهره قال الرضا عليه السلام **فإنَّ قررتك أَنَّ اسم محمّد وذكره وأقرَّ عيسى به وأنَّه بشَرَّ بني اسرائيل بمحمّد لتقر به ولا تنكره** ؟ قال الجاثليق أنْ فعلت أقررت فإنِّي لا أرد الانجيل ولا أجحد قال الرضا عليه السلام **فخذ علي السفر**

---

(١) بحار الانور ج١٠ ب١٩ ح١ ص٢٩٩ مناظرات الرضا علي بن موسى عليه السلام واحتجاجه على ارباب الملل المختلفة والاديان والمشتتة في مجلس المأمون وغيره.

الثالث الذي فيه ذكر محمّد وبشارة عيسى بمحمّد، قال الجاثليق: هات! فأقبل الرضاعليه السلام يتلو ذلك السفر من الإنجيل حتّى بلغ ذكر محمّد فقال: **يا جاثليق من هذا الموصوف**؟ قال الجاثليق صفه قال: **لا أصفه إلاَّ بما وصفه الله، هو صاحب الناقة والعصا والكساء النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم يهدي إلى الطريق الأقصد، والمنهاج الأعدل، والصراط الأقوم.**

سألتك يا جاثليق: **بحق عيسى روح الله وكلمته، هل تجدون هذه الصفة في الإنجيل لهذا النبي**؟ فأطرق الجاثليق مليا وعلم أنَّه إنْ جحد الإنجيل كفر فقال: نعم هذه الصفة من الإنجيل، وقد ذكر عيسى في الإنجيل هذا النبي ولم يصح عند النصارى أنَّه صاحبكم فقال الرضاعليه السلام: **أمّا إذا لم تكفر بجحود الإنجيل و أقررت بما فيه من صفة محمّد، فخذ علي في السفر الثاني فإنِّي أوجدك ذكره وذكر وصيِّه وذكر ابنته فاطمة، وذكر الحسن والحسين.**

فلمّا سمع الجاثليق ورأس الجالوت ذلك علما أنَّ الرضاعليه السلام عالم بالتوراة والإنجيل فقالا: والله قد أتى بما لا يمكننا رده ولا دفعه إلاَّ بجحود التوراة والإنجيل والزبور، ولقد بشر به موسى وعيسى جميعا ولكن لم يتقرر عندنا بالصحة أنَّه محمد هذا، فأمّا اسمه فمحمد فلا يجوز لنا أنْ نقر لكم بنبوته، ونحن شاكون أنَّه محمّدكم أو غيره، فقال الرضاعليه السلام: **احتججتم بالشك فهل بعث الله قبل أو بعد من ولد آدم إلى يومنا هذا نبيا اسمه محمّد؟ أو تجدونه في شيء من الكتب الذي أنزلها الله على جميع الأنبياء غير محمّد**؟ فأحجموا عن جوابه،

وقالوا : لا يجوز لنا أنْ نقر لك بأنَّ محمّدا هو محمّدكم لأنّا إنْ أقررنا لك بمحمّد ووصيِّه وابنته وابنيها على ما ذكرتم أدخلتمونا في الاسلام كرها .

فقال الرضاﷺ **أنّت يا جاثليق آمن في ذمة الله وذمة رسوله أنّه لا يبدؤك منا شيء تكره مما تخافه وتحذره** ، قال : أمّا إذ قد آمنتني فإنَّ هذا النبي الذي اسمه محمّد وهذا الوصي الذي اسمه عليّ وهذه البنت التي اسمها فاطمة ، وهذان السبطان اللذان اسمهما الحسن والحسين في التوراة والإنجيل والزبور (قال الرضاﷺ : **فهذا الذي ذكرته في التوراة والإنجيل والزبور)** من **اسم هذا النبي وهذا الوصي وهذه البنت وهذين السبطين ، صدق وعدل أم كذب وزور ؟** قال : بل صدق وعدل ، ما قال إلا الحق .

فلما أخذ الرضاﷺ إقرار الجاثليق بذلك قال لرأس الجالوت : **فاسمع الآن يا رأس الجالوت السفر الفلاني من زبور داود** ، قال : هات بارك الله عليك وعلى من ولدك ، فتلا الرضاﷺ السفر الأوّل من الزبور حتّى انتهى إلى ذكر محمّد وعلي وفاطمة والحسن والحسين فقال : **سألتك يا رأس الجالوت بحق الله هذا في زبور داود ؟ ولك من الأمان والذمة والعهد ما قد أعطيته الجاثليق** ، فقال رأس الجالوت : نعم هذا بعينه في الزبور بأسمائهم قال الرضاﷺ : **بحق العشر الآيات التي أنزلها الله على موسى بن عمران في التوراة هل تجد صفة محمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين في التوراة منسوبين إلى العدل والفضل ؟** قال : نعم ، ومن جحدها كافر بربه وأنبيائه . قال له الرضاﷺ : **فخذ الآن في سفر كذا من التوراة** فأقبل الرضاﷺ يتلو التوراة ورأس الجالوت يتعجب من تلاوته وبيانه ، وفصاحته ولسانه حتى إذا بلغ ذكر محمّد قال رأس الجالوت : نعم ، هذا أحماد

وأليا وبنت أحماد وشبر وشبير تفسيره بالعربية محمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين ، فتلا الرضاعليه السلام إلى تمامه .

فقال رأس الجالوت لما فرغ من تلاوته : والله يا ابن محمّد لولا الرئاسة التي حصلت لي على جميع اليهود لآمنت بأحمد واتبعت أمرك فو الله الذي أَنَزل التوراة على موسى والزبور على داود ما رأيت أقرأ للتوراة والإنجيل والزبور منك ، ولا رأيت أحسن تفسيرا وفصاحة لهذه الكتب منك .

فلم يزل الرضاعليه السلام معهم في ذلك إلى وقت الزوال فقال لهم حين حضر وقت الزوال : «**أَنَا أصلي وأصير إلى المدينة للوعد الذي وعدت والي المدينة ليكتب جواب كتابه وأعود إليكم بكرة إنْ شاء الله**» ، قال فأذن عبد الله بن سليمان ، وأقام وتقدّم الرضاعليه السلام فصلى بالناس وخفف القراءة وركع تمام السُنَّة وانصرف فلما كان من الغد عاد إلى مجلسه ذلك ، فأتوه بجارية رومية فكلمها بالروميّة والجاثليق يسمع ، وكان فهما بالروميّة ، فقال الرضاعليه السلام بالروميّة : «**أيما أحبُّ إليك محمّد أم عيسى ؟**» فقالت : كان فيما مضى عيسى أحبُّ إلي حين لم أكن عرفت محمّدا فأمّا بعد أنْ عرفت محمْدا فمحمْد الآن أحبُّ إلي من عيسى ومن كلِّ نبي فقال لها الجاثليق : فإذا كنت دخلت في دين محمّد فتبغضين عيسى ؟ قالت : معاذ الله بل أحبُّ عيسى وأؤمن به ولكن محمّدا أحبُّ إلي .

فقال الرضاعليه السلام للجاثليق : «**فسِّر للجماعة ما تكلمت به الجارية وما قلت أَنَت لها وما أجابتك به**» ، ففسِّر لهم الجاثليق ذلك كلّه ، ثم قال الجاثليق : يا ابن محمّد ههنا رجل سندي وهو نصراني صاحب احتجاج وكلام بالسنديّة ، فقال له : أحضرنيّه ، فأحضره فتكلم معه بالسنديّة ثم أقبل يحاجه وينقله من شيء إلى

شيء بالسنديّة في النصرانيّة فسمعنا السندي يقول ثبطى (ثبطى) ثبطلة ، فقال الرضاعليه السلام : **«قد وحد الله بالسنديّة»** .

ثم كلمه في عيسى ومريم فلم يزل يدرجه من حال إلى حال إلى أنْ قال بالسنديّة : أشهد أنَّ لا إله إلاَّ الله وأنَّ محمّدا رسول الله ، ثم رفع منطقة كانت عليه فظهر من تحتها زنار في وسطه فقال : اقطعه أنت بيدك يا ابن رسول الله ، فدعا الرضاعليه السلام بسكين فقطعه ، ثم قال لمحمّد بن الفضل الهاشمي : **«خذ السندي إلى الحمام وطهره ، واكسه وعياله واحملهم جميعاً الى المدينة[1]»** .

---

(١) بحار الانوار ج٤٩ ب٤ موضع الشاهد ص٧٦ ـ ٧٨ باب وروده عليه السلام البصرة والكوفة وماظهر منه عليه فيهما من الاحتجاجات والمعجزات.

الباب التاسع

في معجزات الامام المظلوم المسموم علي بن موسى الرضا عليه السلام

عن علي بن ميثم ، عن ابيه قال : سمعت أبي يقول : سمعت « نجمة » أمّ الرضا عليه السلام تقول لما حملت بابني الرضا ، لم اشعر بثقل الحمل ، وكنت اسمع في منامي تسبيحا وتهليلا وتحميدا من بطني ، فيهولني ، فإذا انتبهت لم اسمع ، فلما وضعته وقع على الارض ، واضعا يده على الارض ، رافعا رأسه ، ويحرك بشفتيه ويتكلم .

ومنها : ما روي عن سلمان الفارسي لما قبض النبي صلى الله عليه وآله قدم جاثليق ـ له سمت ومعرفة وحفظ للتوراة والانجيل ـ ومعه جماعة من النصارى ، فقصدوا ابا بكر قال : إنّا وجدنا في الانجيل رسولا يخرج بعد عيسى ، وقد بلغنا خروج محمّد بن عبدالله ، ففزعنا إلى ملكنا ، فأنفذنا في التماس الحق وقد فاتنا نبيكم ، وفيما قرأنا من كتبنا أَنَّ الانبياء لا يخرجون من الدنيا إلاَّ بعد اقامة اوصيائهم ، يخلفونهم في اممهم فأَنّت وصيّة لنسألك ؟

فقيل هو خليفة رسول الله . فسأله الجاثليق عن مسائل فلم يجبه بالصواب .

قال سلمان : فنهضت إلى علي فأخبرته الخبر ، وكان مقبلا إلى المسجد

لذلك ، فدخل حتى جلس ، والنصراني يقول : دلوني على من أساله عمّا احتاج اليه .

فقال له عليعليه السلام : «**سل ، فو الذي فلق الحبة وبرأ النسمة ، لا تسألني عمّا مضى ولا عمّا يكون وإلاّ اخبرتك به عن نبي الهدى محمد**صلى الله عليه وآله ».

قال الجاثليق أسألك عمّا سألت هذا الشيخ خبرني أمؤمن أَنَّت عند الله أمّ عند نفسك ؟ قال امير المؤمنينعليه السلام : «**أَنَّا مؤمن عند الله كما أَنَّا مؤمن في عقيدتي**»

الجاثليق : متقدّم الأساقفة . جمعها جثالقة .

السمت : عبارة عن الحالة التي يكون عليها الانسان من السكينة والوقار وحسن الطريقة واستقامة المنظر والهيئة : ويقال : سمت لهم : هيا لهم وجه الكلام والرأي

قال الجاثليق : هذا كلام واثق بدينه ، فخبرني عن منزلتك في الجنّة ما هي ؟

قالعليه السلام : «**منزلتي مع النبي الأمي في الفردوس الاعلى ، لا ارتاب بذلك**»

قال : فبما عرفت الوعد لك بالمنزلة التي ذكرتها ؟

قال عليعليه السلام : «**بالكتاب المنزل وصدق النبي المرسل**»

قال : فبما علمت صدق نبيك ؟ قالعليه السلام : **بالآيات الباهرات**» .

قال الجاثليق : هذا طريق الحجة لمن أراد الاحتجاج ، فخبرني عن الله أين هو اليوم

قالعليه السلام : «**إِنَّ الله يجل عن الاين و يتعالى عن المكان ، كان فيما لم يزل و لا مكان وهو اليوم على ذلك لم يتغير من حال الى حال**»

قال : أجل أحسنت ايُّها العالم ، وأوجزت في الجواب ، فخبرني عنه أنَّه مدرك بالحواس عندك أمّ كيف طريق المعرفة به ؟

قال عليه السلام : **«تعالى الملك الجبار إنْ يوصف بمقدار ، أو تدركه حواس ، أو يقاس بالناس ، والطريق إلى معرفته ، صنائعه الباهرة للعقول الدالة ذوي الاعتبار بما هو منها مشهور ومعقول»** .

قال الجاثليق : هذا هو الحق ، خبرني ما قاله نبيكم في المسيح وإنَّه مخلوق ، من اين اثبت له الخلق ، ونفى عنه الإلهيّة ، واوجب فيه النقص ؟

فقال امير المؤمنين عليه السلام : **«اثبت له الخلق بالتقدير الذي لزمه ، والتصوير والتغير من حال الى حال ، والزيادة التي لم ينفك منها والنقصان ، ولن انف عنه النبوَّة ، ولا اخرجته عن العصمة والكمال والتأييد ، وقد جاءنا عن الله بأنَّه مثل آدم خلقه الله من تراب ثم قال له : كنْ فيكون »**

فقال الجاثليق : هذا ما لا مطعن فيه الان غير انَّ الحجاج بما تشترك فيه الحجّة على الخلق والمحجوج منهم ، فبما بنت أيُّها العالم من الرعية الناقصة عنك ؟

١ـ هكذا في الامالي م منزلي .

٢ـ بما هو عند الامالي .

قال عليه السلام : **«بما اخبرته من علمي بما كان وبما يكون»** .

قال الجاثليق : فهلم شيئاً من ذلك اتحقق به دعواك ؟

فقال امير المؤمنين عليه السلام : **«خرجت أيُّها النصراني من مستقرك متعنتا لمن قصدت بسؤالك له ، مضمرا خلاف ما اظهرت من طلب والاسترشاد ، فأريت في**

منامك مقامي وحدثت فيه من خلافي ، وامرت فيه باتباعي» .

قال صدقت والله الذي بعث المسيح ، وما اطلع على ما اخبرتني إلاَّ الله ، وأنَّا اشهد أَنَّ لا اله إلا الله وأَنَّ محمدا رسول الله وأَنَّك وصي رسول الله ، واحق الناس بمقامه .

وأسلم الذين كانوا معه وقالوا : نرجع إلى صاحبنا فنخبره بما وجدنا .

وذكر ابو جعفر القمي في عيون اخبار الرضا : إِنَّ المأمون جمع علماء سائر الملل مثل : الجاثليق ، ورأس الجالوت ورؤساء الصابئين منهم : عمران الصابي والهربذ الأكبر ، واصحاب زرادشت ونسطاس الرومي والمتكلِّمين منهم سليمان المروزي ، ثم احضر الرضاعليه السلام فسألوه فقطع الرضا واحدا بعد واحد .

وكان المأمون اعلم خلفاء بني العباس وهو مع ذلك كلّه انقاذ له اضطرارا حتّى جعله ولي عهده وزوجه ابنته وروى ابن جرير بن رستم الطبري عن احمد الطوسي عن اشياخه في حديث أَنَّه انتدب الرضاعليه السلام قوم يناظرونه في الإمامة عند المأمون فأذن لهم فأختاروا يحيى ابن الضحاك السمرقندي ، فقال سل يا يحيى بل سل أَنَّت يا ابن رسول الله لتشرفني بذلك ، فقالعليه السلام : **«يا يحيى ما تقول في رجل ادّعى الصدق لنفسه وكذب الصادقين أيكون صادقا محقاً في دينه أمّ كاذبا ؟»** فلم يحر جوابا ساعة ، فقال المأمون :

اجبه يا يحيى وفقال قطعني يا امير المؤمنين ، فالتفت إلى الرضا فقال : ما هذه المسألة التي أقرّ يحيى بالانقطاع فيها ؟ فقالعليه السلام **«أنْ زعم يحيى أَنَّه صدّق الصادقين فلا إمامة لمن شهد بالعجز على نفسه فقال على منبر الرسول : وليتكم وليس بخيركم والأمير خير من الرعية وإنْ زعم يحيى أَنَّه صَدَّق الصادقين فلا**

إمامة لمن أقرّ على نفسه على منبر رسول الله ﷺ : وأنَّ لي شيطان يعتريني ، والامام لا يكون فيه شيطان وأنْ زعم يحيى أنَّه صدق الصادقين فلا إمامة لمن أقرَّ عليه صاحبه فقال : كانت إمامة أبي بكر فلته وقى الله شرها فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه» . فصاح المأمون عليه فتفرقوا ثم التفت إلى بني هاشم قال لهم : الم اقل لكم أنَّ لا تفاتحوه ولا تجمعوا عليه فأنَّ هؤلاء علمهم من علم رسول الله .

زاذان عن سلمان الفارسي في خبر طويل جاثليق جاء في نفر من النصارى إلى أبي بكر وسأله مسائل عجز عنها ابو بكر فقال عمر : كف ايها النصراني عن هذا النعت وإلا ابحنا دمك ، قال الجاثليق : أهذا عدل على من جاء مسترشدا طالبا دلوني على من سأله عمّا احتاج اليه فجاء علي واستسأله فقال النصراني اسألك عمّا سألت عنه هذا الشيخ خبرني أمؤمن أنَّت عند الله أمّ عند نفسك كما أنَّا مؤمن في عقيدتي ، قال خبرني عن منزلتك في الجنّة ماهي ؟ قال **«منزلتي مع النبي الأمي في الفردوس الاعلى لا ارتاب بذلك ولا اشك في الوعد به من ربي»** . قال فبماذا عرفت الوعد لك بالمنزلة التي ذكرتها ؟ قال : **«بالكتاب المنزل وصدق النبي المرسل»** ، قال بما عرفت صدق نبيك ؟ قال : **«بالآيات الباهرات والمعجزات البينات»** وقال فخبرني عن الله تعالى أين هو ؟ قال : **«إنَّ الله تعالى يجل عن الاين ويتعالى عن المكان كان فيما لم يزل ولا مكان وهو اليوم كذلك ولم يتغير من حال إلى حال»** وقال فخبرني عنه تعالى أمدرك بالحواس فيسلك المسترشد في طلبه الحواس أمَّ كيف طريق المعرفة به أنْ لم الامر كذلك ؟ قال : **«تعالى الملك الجبار أنْ يوصف بمقدار أو تدركه أو يقاس بالناس والطريق إلى معرفته صناعه الباهرة للمعقول الدالة لذوي الاعتبار بما هو منها مشهود ومعقول»** وقال فخبرني عمّا قال نبيكم في المسيح وأنَّه مخلوق ؟ فقال : **«اثبت له الخلق بالتدبير الذي لزمه**

والتصوير والتغيير من حال الى حال والزيادة التي لا ينفك منها والنقصان ولم انف عنه النبوَّة ولا اخرجته من العصمة والكمال والتأييد» ، قال فبما بنت أيُّها العالم عن الرعية الناقصة عنك ؟ قال : **«بما اخبرتك به عن علمي بما كان وما يكون»** ، قال : فهلم شيئا من ذلك اتحقق به دعواك ؟ قال : **«خرجت أيَّها النصراني من مستقرك مستنكرا لمن قصدت بسؤلك له مضمرا خلاف ما اظهرت من الطلب والاسترشاد فأريت في منامك مقامي وحدثت فيه بكلامي وحذرت فيه من خلافي وامرت فيه باتّباعي»** ، قال صدقت والله وأنّا اشهد أنَّ لا اله الا الله وأَنَّ محمّدا رسول الله وأنَّك وصي رسول الله واحق الناس بمقامه واسلم الذين كانوا معه فقال عمر : الحمد لله الذي هداك أيَّها الرجل غير أنَّه يجب أنْ تعلم أنَّ علم النبوَّة في اهل البيت صاحبها والامر من بعده لمن خاطبته اولا يرضي الامة قال : قد عرفت ما قلت وأنَّا على يقين من امري[١] .

وغيره نذكر ذلك من كتاب (نور الهدى) فقال ما هذا لفظه :

العباس بن وليد قال : حدّثنا محمّد بن عمر الكندي قال : حدّثنا عبد الكريم بن اسحاق الرازي قال : حدّثنا محمد بن داود عن سعيد بن خالد عن اسماعيل بن أبي أويس عن الرحمان بن قيس ه المنقري قال : حدّثنا زاذان عن سلمان الفارسيّ رحمه الله .

لما قبض النبي صلى الله عليه وآله وتقلد ابو بكر الأمر ، قدم المدينة جماعة من النصارى يتقدّمهم جاثليق لهم ، له سمت ومعرفة بالكلام ووجوهه ، وحفظ التوراة والإنجيل وما فيهما .

---

(١) التحصين ب٢٦ فيما نذكره في حديث عالم النصارى ورد على أبي بكر بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله فعجز عن جوابه فأجابه علي عليه السلام فشهد ومن معه أن علياً أحق بمقام رسول الله صلى الله عليه وآله من أبي بكر.

فقصدوا ابا بكر ، فقال الجاثليق : إنَّا وجدنا في الانجيل رسولا لا يخرج بعد عيسى عليه السلام وقد بلغنا خروج محمّد بن عبد الله صلى الله عليه وآله ، يذكر أنّه ذلك الرسول . ففزعنا إلى ملكنا فجمع وجوه قومنا وانفذنا في التماس الحق فيما اتصل بنا

وقد فاتنا بينكم محمّد ، وفي ما قرأناه من كتبنا أنَّ الأنبياء لا يخرجون من الدنيا إلاَّ بعد إقامة اوصيائهم يخلفونهم في امتهم يقتبس منهم الفتيا فيما اشكل فأَنَت ايها الامير وصيّة لنسئلك عمَّا نحتاج اليه ؟

فقال عمر : هذا خليفة رسول الله . فجثا الجاثليق لركبته وقال : اخبرنا أيَّها الخليفة عن فضلكم علينا في الدين ، فأنَّا جئنا نسأل عن ذلك فقال ابو بكر : نحن مؤمنون وانتم كفار ، والمؤمن خير من الكافر والايمان خير من الكفر .

فقال : هذه دعوى يحتاج إلى حجّة ، فخبرني أنَّت مؤمن عند الله أمّ عند نفسك

قال ابو بكر : أنَّا مؤمن عند نفسي ولا اعلم بما لي عند الله .

قال : فهل أنَّا كافر عندك على مثل ما أنَّت مؤمن أمّ أنَّا كافر عند الله ؟

فقال : أنَّت عندي كافر ولا اعلم ما لك عند الله .

قال الجاثليق : فما اراك إلاَّ شاكا في نفسك وفيّ ، ولست على يقين من دينك . فخبرني ألك عند الله منزلة في الجنّة بما أنَّت عليه من الدين تعرفها

فقال : لي منزلة في الجنة اعرفها بالوعد ولا اعلم هل اصل اليها أمّ لا .

فقال له : فترجوا الي أنْ يكون لي منزلة في الجنّة قال : أجل ، ارجو ذلك .

فقال الجاثليق : فما اراك إلاَّ راجيا لي وخائفا على نفسك ، فما فضلك علي في العلم ؟

ثم قال له : اخبرني هل احتويت على جميع علم النبي المبعوث إليك ؟

قال : ولكن اعلم ما رضي لي علمه .

قال : فكيف صرت خليفة النبي وأنَّت لا تحيط علما بما يحتاج اليه امته من علمه وكيف قدمك قومك على ذلك ؟

فقال عمر : كف أيُّها النصراني عن هذا العنت وإلاَّ ابحنا دمك ؟

فقال الجاثليق : ما هذا عدل على من جاء مسترشدا طالبا

قال سلمان رحمه الله : وكأنَّما ألبسنا جلباب المذلة فنهضت حتّى اتيت علياً عليه السلام فأخبرته الخبر ، فأقبل ـ بأبي وامي ـ حتّى لبس ، والنصراني يقول دلوني على من أسأله عمّا احتاج اليه . فقال له أمير المؤمنين عليه السلام : «**يا نصراني ، فو الذي فلق الحبة وبرأ النسمة ، لا تسألني عمّا مضى وما يكون إلاَّ أخبرتك به عن نبي الهدى محمّد صلى الله عليه وآله**» .

فقال النصراني : عمّا سألت عنه هذا الشيخ : خبرني أمؤمن أنَّت عند الله أمّ عند نفسك ؟

فقال امير المؤمنين عليه السلام : «**أنَّا مؤمن عند الله كما أنني مؤمن في عقيدتي**» .

قال الجاثليق : الله اكبر ، هذا كلام واثق بدينه ، متحقق فيه بصحة يقينه فخبرني الآن عن منزلتك في الجنّة ماهي ؟

فقال عليه السلام : «**منزلتي مع النبي الامي في الفردوس الاعلى لا أرتاب لذلك ولا اشك في الوعد به من ربي**» . فقال النصراني بماذا عرفت الوعد لك بالمنزلة التي ذكرتها ؟

فقال امير المؤمنين عليه السلام : «**بالكتاب المنزل وصدق النبي المرسل**» .

قال : فيما علمت صدق نبيك ؟

قال عليه السلام : «**بالآيات الباهرة والمعجزات والبينات**» . قال الجاثليق : هذا طريق الحجّة لمن اراد الاحتجاج ، فخبرني عن الله تعالى أين هو اليوم ؟

فقال عليه السلام : «**يا نصراني إنَّ الله يجل عن الاين ويتعالى عن المكان ، كان فيما لم يزل ولا مكان ، وهو اليوم على ذلك لم يتغير من حال الى حال**» .

قال : أجل ، احسنت أيُّها العالم واوجزت في الجواب . فخبرني عنه تعالى ، أيدرك بالحواس عندك يسلك المسترشد في طلبه استعمال الحواس ، أمّ كيف طريق إنْ لم يكن الإمر كذلك ؟

فقال امير المؤمنين عليه السلام : «**تعالى الملك الجبار أنْ يوصف بمقدار أو يدركه الحواس أو يقاس بالناس ، والطريق الى معرفته صنائعه الباهرة للعقول الدالة ذوي الاعتبار بما هو منها مشهود معقول**» . فقال الجاثليق : صدقت ، هذا والله الحق الذي ظل عنه التائهون في الجهالات (فخبرني) الآن عمّا قال نبيكم في المسيح ومن أنَّه مخلوق ، من اين اثبت له الخلق ونفى عنه الإلهيّة واوجب النقص وقد عرفت ما يعتقد فيه كثير من المبتدئين ؟ فقال امير المؤمنين عليه السلام : «**اثبت له الخلق بالتقدير الذي لزمه والتصوير والتغير من حال الى حال والزيادة التي لم ينفك منها والنقصان ، ولم انف عنه النبوَّة ولا اخرجة عن العصمة والكمال والتأييد وقد جائنا عن الله تعالى أنَّه مثل آدم عليه السلام خلقه تراب ثم قال له كنْ فيكون**» .

قال الجاثليق هذا ما لا يطعن فيه الآن ، غير أنَّ الحجاج مما يشترك الحجّة

الخلق والمحجوج ، منهم فبم ثبت أيَّها العالم من الرعية الناقصة عنك ؟

قال : «**فبما اخبرتك به من علمي بما كان وما يكون**»

قال الجاثليق : فهلم شيئاً من ذكر الخلق (يثبت) به دعواك .

فقال امير المؤمنين عليه السلام : «**خرجت أيَّها النصراني من مستقرك مستنفراً لمن قصدت سؤالك لخلاف ما أظهرت من الطلب والاسترشاد ، فرأيت في منامك مقامي وحدثت فيه كلامي وحذرت فيه خلافي وامرت باتباعي**» .

قال صدقت ، والله الذي بعث المسيح ، ما اطلع على ما أخبرتني إلاَّ الله تعالى . أنَّا أشهد إنَّ لا إلا الله وأنَّ محمدا رسول الله وأنَّك وصي رسول الله وأحق الناس بمقامه واسلم الذين كانوا معه كإسلامه وقالوا : نرجع إلى صاحبنا فنخبره بمن وجدناه عليه هذا الامر وندعوه إلى الحق . فقال عمر : الحمد لله الذي هداك أيَّها الرجل إلى الحق وهدى من معك إليه ، غير أنَّه يجب أنْ تعلم أنَّ علم النبوَّة في أهل بيت صاحبها ، والأمر بعده لمن خاطبت أولا برضا الأمة واصطلاحها عليه وتخبر صاحبك بذلك وتدعوه إلى طاعة الخليفة .

فقال : قد عرفت ما قلت أيَّها الرجل ، وأنَّا على يقين من أمري فيما أسررت وأعلنت .

فأنصرف الناس ، فقال أمير المؤمنين عليه السلام : «**يا سلمان ، أمّا ترى كيف يظهر الله الحجّة لأوليائه وما يزيد بذلك قومنا عنا إلا نفورا ؟**»

ويستفاد من مجموع الروايات الآنفة الذكر وغيرها الكثير ما يلي :ـ

أولاً : أكدَّ النبيّ صلى الله عليه وآله على سؤدده نبوَّةً وبعثةً وعلماً وهدياً ونوراً على جميع

الأنبياء فهوﷺ أمامٌ لهم ، وهم تابعون له ، وهذا منهﷺ بيان ، لهيمنته على الانبياء وهيمنة الوحي النازل عليه ، على الوحي الذي اوتيه الانبياء فهو المحكم المهيمن على ما اوحي اليهم فلا يصح جعل ما عندهم في عرض ما جاء به النبيﷺ فضلا عن الاخذ منهم وترك ما عند النبيﷺ .

ثانياً : إنَّه رغم أنَّ الأنبياء يُصَدِّق بعضهم بعضاً وأنَّه يجب الايمان بجميعهم وعدم التفرقة بينهم في كونهم مبعوثين من قبل الواحد الاحد ، إلاَّ أنَّه من الزيغ بمكان التسويّة بين درجاتهم فضلا وعلماً وهدياً ونوراً .

ثالثاً : إِنَّ أشد الزيغ أتباع المفضول من الانبياء وترك الفاضل والافضل ، هذا ميزان عام في منظومة الحجج في الدين وهو ناموس أساس في الدين أي حفظ المراتب في الحجج .

رابعاً : إِنَّ هذه الروايات لا تنفي وجود الحقّ من الوحي في ايدي اهل الكتاب ، إلاّ أَنَّها تُنبِّه على أَنَّه لا يمكن التمييز بين الحقّ والباطل فيما بين ايديهم الاَّ بالوحي النبويّ من الكتاب والسُنَّة أي سُنَّة العترة الطاهرة .

خامساً : كما أَنَّ هذه الروايات تَنُصُّ على وجود الباطل فيما بين ايديهم ، كذلك تَنُصُّ على وجود الحقّ

سادساً : إِنَّ هذه الروايات تُبيِّن بطلان الاسترشاد من أهل الكتاب وزيغ الاستهداء بهم وبالتالي فإنَّ هذه الروايات المستفيضة بين الفريقين تُبيِّن المراد من قوله تعالى ﴿**فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**﴾ .

بتقريب : أَنَّ المراد ليس السؤال مِنْ اهل الكتاب وإلاَّ لأوجبوا ضلال المسلمين والمؤمنين ، بل المراد السؤال من أهل البيت ، ومِن الغريب ترك مفسِّري

العامة لهذه الروايات في تفسير الآية ، بل رُبَّما غفل عنها بعض الخاصّة .

ما هو التخريج الصناعي والفني لاستشهاد بعض العلماء في كتبهم بمقاطع من الانجيل وغيرها علما أنَّ هذه الكتب مُحَرَّفة

يتساءل البعض عن استشهاد بعض العلماء في كتبهم على مسألة ما بمقاطع من الانجيل أو التوراة أو غيرها ، ونحن نعلم بأنَّ هذه الكتب قد نالتها يد التحريف والوضع والدس والتلاعب فكيف يستقيم ذكرها كشواهد ؟

يمكن الإجابة عن هذا التساؤل بملاحظة جهات وزوايا متعدد وهي :ـ

أوّلاً : الصحيح أَنَّ التوراة والانجيل والزبور لم تسقط عن اعتبار المحكمات الوحيانيّة رغم وقوع التحريف فيها .

ثانياً : لكن تبقى المحكمات لا تطالها يد التحريف ، كما اشار إلى ذلك القرآن الكريم والروايات المستفيضة .

ثالثاً : تمييز المحكمات فيها عن المحرَّف بالتطابق بينها وبين محكمات القران الكريم ومحكمات السُنَّة القطعيّة .

رابعاً : محكمات القرآن والسُنَّة مهيمنة على محكمات الكتب السماويّة وبمثابة أصول تنحدر منها

خامساً : هذا ما حصل في سور القرآن والسُنَّة لأهل البيت وسيرتهم بالاحتجاج على اهل الكتاب بما في نسخهم الموجودة حول الكتب السماويّة الثلاثة بل وكتاب المجوس وأنَّهم أهل كتاب .

سادساً : أمّا دعوى اسقاط اعتبار نسخ الكتب السماويّة الموجودة لوقوع

التحريف فيها ، فدعوى باطلة منافية لبيان القرآن الكريم والسُنَّة للمعصومين وللدليل العقليّ .

سابعاً : فإنَّ ضمّ كلام موضوع بشري للكلام الوحي لا يسقط وحيانيّة الكلام الالهي عن سمو وعلو وشموخ مكانته علماً وشأناً ولا يقاس به تأثيراً .

ثامنًا : بل غاية الأمر هو لزوم التمييز والفصل بالعرض على محكمات القرآن والسُنَّة من الثقلين

تاسعاً : بل لو فرضنا عدم القدرة على التمييز الكامل فلا تصل النوبة إلى الاسقاط بل لزوم الاحتياط ما دام لا ينافي ضرورة دينيّة وعقليّة كما قرَّر ذلك كُلُّ علماء الاصول في مبحث الانسداد .

عاشراً : وهذا بعينه يرد على من يزعم وقوع التحريف في تراث الحديث وارادة اسقاطه

تنبيه : تقدّم في القاعدة السابقة ـ الرابعة عشرﷺ قاعدة حفظ الذكر لكُلِّ وحي ـ أَنَّ هذه القاعدة برهان لبقاء وحيانيّة التوراة والانجيل والزبور وأَنَّ الوحي فيها مصون عن التحريف .